



دليل الصبرة: خطوات امرأة

بين

سوريا وكندا

**Migration Guide: A Woman's Journey
Between Syria and Canada**

Jacqueline Salam

جاكلين سلام

دليل الصجرة:

خطوات امرأة

بين

سوريا وكندا



رقم الإيداع الدولي - ISBN

978-1-326-16861-2

تصميم الغلاف والأخراج الفني :

ياسر عبد القوي

Cover and Book desgin : Yasser Abdelkawy
Abdelkawy.yasser@gmail.com

الفوتوغرافيا المصاحبة للقصائد
بعدسة الشاعرة / جاكلين سلام

Photography : Jacqueline Salam

إهداء:

إلى الإنسان الذي لم تجعله الغابة
ذئباً بعد

مقدمة

دليل الهجرة: خطوات امرأة بين سوريا وكندا
الإبداع في مواجهة التابوهات والطغاة

"أنا محظوظة، أعيش الديمقراطية، لذلك وعلى الأقل لم ألق في السجن، ولم يتم القائي من طائرة" مارغريت أتوود

طغاة كبار.. حريات ناقصة
لم أكن محظوظة في أن أولد في بلد ديمقراطي حر نسبياً كما الكاتبة الكندية مارغريت أتوود، لكن اختبارات الحياة قادتني للهجرة إلى كندا كي أعيش تجربتي مع الديمقراطية وأتعرف على الشاعرة الروائية المعروفة عالمياً مارغريت أتوود وجهاً لوجه في حوارات وقراءات وتوقيع كتب. هذا وبالإضافة إلى قراءة رواياتها وحواراتها التي تأخذ حيزاً من هذا الكتاب كأيقونة كندية إلى جوار عوالم كندية متعددة الألوان والإبداعات. ومن هنا جعلت الكتابة القراءة غايتها وغايتها ولذاتها مائدة اليومية. فقادني الشغف إلى لقاء كبار كتاب العالم في تورنتو ومنهم: أمبرتو إيكو، وول سوينكا، آزار نفيسى، البرتو مانفويل، سوزان سوان، مارغريت أتوود، مايكل أونداتجي، أليس مونرو، جون

الستون سول، والكثير من الأيقونات العالمية في حقل الفنون والأداب والسينما والشعر والرواية. ولكن منهم شهادة وأفكار تطرقت إليها في هذا الكتاب الذي يجمع أقطاب الحضارات الشرقية والغربية في نسق الفعل الإبداعي الإنساني الخالق دون قيود وأففاص. للأسف فقدت الكثير من صور المناسبات وقبل أن يصبح الهاتف الجوال، كاميلا الحدث اليومي. فالحضارة كتاب ومعرفة متبادلة لا تُستر ولا تُنكر مهما حاول الطغاة وكتبتهם تحريف التاريخ. الحضارة قيم جمالية وإنسانية سامية. الجمال يدوّن بكل صبغ الفنون والأداب والعلوم الإنسانية منبر لكل أفراد الكون دون استثناء، رغم كل ما يعترض عشاق الكتابة والقراءة من تحديات حين يقفن خارج القطيع.

عزيزي القارئ، اعطي عقلك وخذ بحلمي إلى باب وعيك. دعنا نتبادل أنخاب المعرفة والحرية كفعل إبداعي ورؤيا إن استطعنا.

أكتب هذه السطور الآن في الشهر الثاني من عام 2025 وأنا أشهد بفرح ناقص نهاية حكم الأسد الأب والإبن الطاغية الذي فاق الخيال بحجم الخراب الذي جلبه للغالبية العظمى في سوريا، معنوياً ومادياً. ذلك القمع مارسه الديكتاتور الأسد (الأب والإبن) وطال القمع العلاقات الفردية والأسرية في صميمها المادي والإجتماعي في سوريا. لأن الحرية كانت وما تزال كلمة طوباوية مثالية بعيدة عن أرض الواقع الشرقي، مستوردة من بلاد الآخرين وبمقاسات لا تناسب أهواء العقلية العربية بدرجة أو بأخرى. وهذا يثير لدى الدهشة والحسنة أحياناً وفضول البحث عن المعرفة. كنت وما زلت أبحث عن الكتب التي دينها ودينها الإبداع دون آلهة وأففاص وسدود معلنة أو مبطنة.

كل ما فعلته في مشروع حياتي وحتى بداية العقد السادس من عمري هو أن لا أكون مجرد ضحية ورقم، بل أتبع طموحي وجموبي الذي جعلني غنية وباحثة عن قسمتي من الفرح الذي يمدد خريطة وجودي ويمتد إلى شركائي في حفر الطرق العسيرة للخروج من كل الأنفاق الواقعية والمظلمة.

طغاة صغار في الطريق إلى الكتابة والتعبير بحرية

حين أحرق الرجل الذي عشقته مسوداتي وكتابات سرية خاصة في العشرينات من عمري عرفت أن الكتابة تشكل خطراً على الفرد والجماعة، وأدركت أن شرة التحدي تتجرذ في ولن أكف عن هذا الشغف حتى وإن احترق جلدي ولسانني مadam نداء البحر يغويوني وأبواب المعرفة تصيف متعة خاصة لعقلني

وشعوري.

كان الخوف في بلدي يشدني إلى الصمت في سوريا حافظ الأسد. ولكنني تماذيت في تأمل الكتب والقراءة والكتابة على هوماش الكتب... ووضعت نقاطاً وحروفاً على دفاتري الخاصة. لاحقاً وبعد كل مرحلة كنت أمزق قصاصات أفكاري لأسباب شتى ومنها أنني كشفت لنفسي طبقة من لاوعيي وهذا مهم كتدريب على الشعور بجدوى المكافحة والتعرف على بعد آخر من الروح وطبقاتها. وهناك فارق جوهري بين أن اختار بنفسي تمزيق ورقة وبين أن يعني الآخرون من ممارسة حرية النقد والتعبير.

لماذا يحرق رجل "مثقف" كقارئ لهم أوراق حبيبته؟!

المبرر الأول الذي قاله رجل أحبني ولم يعرف كيف يحافظ على حبي له: أخاف عليك من حريرتك في ظل حكومة تتبعنا ولا تسمح بحرية التعبير. وثانياً لأنني أحبك، لا أريد أن تحاصرك العيون لأنك شاعرة أو كاتبة في مجتمع لا يرحم امرأة ورجل حراً. لقد كان زواجنا بعد حب عاصف لم يصمد في وجه الزمن في منتصف سنوات الدراسة الجامعية. فشلنا في الحب وفشلنا في المقدرة على التأقلم مع القمع العام والخاص الشخصي. نجحنا في الهجرة إلى بلاد الآخرين بحثاً عن خلاص من الأصفاد غير المرئية التي تلاحقنا وربما نجحنا في هدم مؤسسة الزواج الذي اخترناها بمحض القلب، وافترقنا في حكاية مأساوية بعد الهجرة إلى كندا.

ماذا فعلت بسنواتي التي عشتها في كندا حتى شتاء 2025؟!

وأصلت الكتابة والتأليف بحرية نسبية بعد هجرتي إلى كندا 1997. كتبت ونشرت في مختلف الصحف العربية في كندا وفي الشرق الأوسط وكانت أمامي التحديات كبيرة لأنني بعيدة ولا رابط لي مع أصحاب السلطات الثقافية والمنابر المؤثرة عربياً. أقيمت قصائد وكلمات في محافل كندية واستغلت بداية في مقهى ثم أصبحت مترجمة في كندا (عرب-إنكليزي). استغلت حسب الطلب في مأوى للنساء المعنفات وشاركت في مهرجاناتهم وحفلات جمع التبرعات. كتبت في أوقات الفراغ وفي كل الأيام الحزينة والسعيدة ، في الباصات والقطارات، في طريقني إلى معرفة العالم كامرأة على كاهله خرائب الوطن الأول - سوريا، وشقاء الوطن البديل - كندا. في كندا مارست حرية الانتخاب والإفصاح عن أفكري عبر مقالات الرأي والكتابات المتفرقة التي كانت حصيلتها ستة مجموعات شعرية، وكتاب حوارات ومقالات يشكل بانوراما ثقافية فكرية أدبية. انغمست في المكتبات العامة ومستودعات الكتب المستعملة وفي

الكتب الصادرة حديثاً بالإنكليزية كي أفهم درس الحضارات من قصص الشعوب وأنسج من خلالها ما يتقطع مع حلمي وأحلام بنات وأبناء جيلي الذي ما يزال ضحية صراعات تنتهي أبسط مقومات العيش الآمن الحر.

قرأت وأنا أنقب عن معاني الكلمات في القاموس حين لم يكن لدى ثمن قاموس عربي-إنكليزي. صار عندي عشرات القواميس التي لم تعد تلزمني إلا ماندر وخاصة في مرحلة وفرة المعلومات عبر الشبكة الالكترونية وبعد أنت تطورت ذخيرة معرفتي مع الوقت، صرت أترجم فورياً في كل القضايا الإنسانية والقانونية والاجتماعية والصحية. وما زلت أتعلم كيف أصعد السلم وأقطف الغيم وأجعلها حبراً وحباً وقصائد.

بعض اهتماماتي تمحورت في صفحات هذا الكتاب وبعضها الآخر في دواوين الشعر الذي أخذ المقام الأول من الاهتمام. في الفصل الأخير شهادات على تجربة الكتابة كأم ومهاجرة وامرأة مستقلة في المنفى. صفحات مشتبعة المواضيع ويمكن اعتبارها يوميات الرحلة المهجرية السورية الكندية. اخترّت ما أعجبني دون إملاءات، وانتخبت لهذا الكتاب المقالات والمواضيع التي شغلت وقتى في المنتديات والمهرجانات والكتب الكندية والمهجرية العربية على مدى عقود.

في هذه الصفحات لن تجدوا سيرة ذاتية بل معابر في معرفة العالم وموقعي فيه ما بين الهاشم والمنت. تستطيع يا صديقي القارئ أن تبدأ بأي فصل أو موضوع يغويك ثم تضع الكتاب جانباً لتعود إليه. إنه يومياتي في قراءة العالم وكتابته من أجل الوصول إلى قراره جاكلين وهي في طريقها إلى أنهاها، إليك وإلى الآخرين.

أتأمل هذه الورقة وأريد الخروج من ثقل التركيز على سيرتي الإبداعية وهذا العالم الشائع الشرس والجميل. انظر من الشرفة العالية إلى الثلوج المتراكمة في الشارع والذي يصل إلى 25 سم اليوم. بياض شاسع أقتسمه مع وحدتي وأقول لنفسي: الذي يقول لي إننا جئنا إلى هنا للسياحة والاستجمام، سأقول له: اللعنة على الكذاب، لقد هاجرنا حين فقدنا الأمل هناك. أتأمل رحلتي وأبتسم لأنني لم أعمل في قطاع المرتزقة وصانعي الطغاة وأتابعهم.

أرى سيارت عدة معطلة في الشارع الفرعى قبالتى بسبب العاصفة الثلجية، وأقول شكراً لجهود رجال يجرفون الثلوج عن الطرقات كي يذهب الناس بسلام إلى البيوت وإلى العمل. وشكراً للخدمات رجال الإطفاء الذي يعملون اليوم وعلى مدار العام لإطفاء الحرائق ومنهم ابنى الوحيد سلام (دون تشديد اللام) الذى تخرج من جامعة يورك الكندية، وأصبح أباً

وجعلني جدة لأجمل حفيدة.

شكراً لصديقي الفنان والنادل ياسر عبد القوي مدير منشورات "الضفدعه المجنحة" للجهد والمساهمات الفنية في صناعة وتصميم أكثر من كتاب لي ، وأخرها هذا الكتاب "دليل الهجرة: خطوات امرأة بين سوريا وكندا" إلى القراء الذين لديهم وقت للإنغماس في القراءة لاستكشاف معالم هذا الترحال المغموم بالشغف والشك والمتعة بلغة الأدب والجماليات الإنسانية التي قمت بتبسيط الضوء عليها من خلال كتب صادرة بالإنكليزية، حررها مفكرون وأدباء وصانعو معرفة من أصقاع العالم وكندا. وبين الفصول نتعرف معاً على صور الطغاة الصغار والكبار وصراعهم مع المفاهيم المدنية والحربيات.

فبراير-شباط 2025

إضافة وخاتمة صيف 2025

لم ينشر الكتاب في الشتاء بعد كتابة المقدمة الأولى والآن وفي شهر (تموز) صيف 2025 وبعد أيام من عودتي من رحلة طويلة إلى أوروبا لزيارة أهلي وأخوتي هناك أعود إلى كتابي، إلى عزلتي الجزئية وفي قلبي وذهني فيض محبة وسلام ومعارك صغيرة مع هذا العالم الذي لم يعطِ لأحد كل ما يستحق.

الأرواح الحرة لا تجيد العيش في الأقفاص طويلاً حتى لو كانت من ذهب، وهذه قد تكون معصبي أو حكمتي، أو مأذقي الوجودي، أو كما لا أدرى بعد!

جاكلين سلام، تورنتو، كندا

هذا الكتاب:

دليل الهجرة... خطوات امرأة بين سوريا وكندا

لماذا نكتب الكتب؟ يمكن إعطاء عشرات الإجابات عن هذا السؤال، وكلها صحيحة، نكتب الكتب من أجل المال، الشهرة، مقاومة الوحدة، علاج الإكتاب، نشر أفكارنا، ممارسة العدوانية، تفنيد الأكاذيب، صنع الأكاذيب... الخ...

لكن ما هي الكتب؟ ما هو الكتاب تحديداً؟

إنه شيء نقوله للآخرين، إنه تحديداً امتداد للرغبة العميقـة في نفوسنا كبشر لأنـ نقول شيئاً للآخرين، تلك الرغبة التي جعلتنا نطور أكثر لغات التواصل تعقـيـداً وتركيـباً في كل الأنـواع الحـيـة، فـنـحنـ نـتـكـلـمـ لاـ نـوـصـلـ مـعـلـومـاتـ غالـباـ، بلـ نـتـكـلـمـ لـنـكـونـ دـلـيـلاـ لـأـنـفـسـنـاـ، وـلـنـوـصـلـ لـلـآـخـرـينـ صـورـةـ عـنـ أـنـفـسـنـاـ. صحيح أن الطـيـورـ المـغـرـدـةـ تـصـنـعـ أـلـحـانـ مـعـقـدـةـ لـتـبـرـعـنـ وـجـودـهـاـ، لـكـنـنـاـ بـشـرـ نـفـعـلـ شـيـئـاـ أـكـثـرـ تعـقـيـداـ وـعـقـماـ وـرـبـماـ أـكـثـرـ مـكـراـ، نـحـنـ لـاـ نـرـيدـ فـقـطـ أـنـ نـقـولـ: هـذـاـ آـنـاـ، بلـ نـرـيدـ أـنـ نـقـولـ: هـذـاـ هـوـ الـعـالـمـ كـمـاـ رـأـيـتـهـ. هـذـاـ هـوـ الـعـالـمـ عـبـرـ عـيـنـيـ، وـهـذـاـ ماـ يـفـعـلـهـ هـذـاـ الكـتـابـ.

إنه نوعاً ما (سيرة ذاتية)، لكنه ليس سيرة ذاتية اعتيادية، فالكاتبة تحـكيـ سيرتها الذـاتـيةـ منـ خـالـلـ كـيفـيـةـ روـيـتـهاـ لـلـعـالـمـ، كـيـفـ تـفـاعـلـتـ معـ أحـدـاـهـ، كـيـفـ قـرـأـتـهاـ وـكـتـبـتـ عـنـهاـ، إـنـهـ بـبـسـاطـةـ سـيـرـةـ إـدـرـاكـ الكـاتـبـةـ لـلـعـالـمـ عـبـرـ سـنـوـاتـ الـمـهـجـرـ هـذـاـ اـخـتـارـتـ أـنـ تـحـكـيـ قـصـةـ حـيـاتـهـ مـعـ الـعـالـمـ، عـبـرـ تـفـاعـلـهـ كـاتـبـةـ وـشـاعـرـةـ وـمـثـقـفةـ. إـنـهـ مـلـاحـظـاتـهـ خـاصـةـ عـلـىـ هـامـشـ الـعـالـمـ، هـذـاـ هـوـ الـعـالـمـ مـنـ زـاوـيـةـ الثـقـافـةـ وـالـأـدـبـ كـمـاـ رـأـيـتـهـ شـاعـرـةـ كـبـيرـةـ وـكـاتـبـةـ مـلـيـئـةـ بـالـفـضـولـ وـالـرـغـبـةـ فـيـ الكـشـفـ وـالـتـفـكـيـكـ وـالـإـشـبـاكـ. وـهـذـاـ هـوـ الـكـتـابـ الـرـابـعـ الـذـيـ يـكـونـ لـيـ حـظـ التـعاـونـ فـيـهـ مـعـ جـاـكـلـيـنـ بـالـإـخـرـاجـ الـفـنـيـ وـالـنـشـرـ، أـحـبـ فـكـرـةـ أـنـنـاـ أـصـدـقـاءـ، أـصـدـقـاءـ قـلـمـ كـمـاـ هـيـ الـعـادـةـ الـقـدـيمـةـ الـمـنـذـرـةـ، لـمـ نـلـقـ أـبـدـاـ وـجـهـاـ لـوـجـهـ، وـرـبـماـ لـنـ تـلـقـيـ، لـكـنـيـ أـظـنـ دـائـماـ أـنـنـيـ أـعـرـفـ جـاـكـلـيـنـ سـلـامـ جـيـداـ، لـكـنـ كـلـ مـرـةـ أـعـمـلـ فـيـهـاـ عـلـىـ أـحـدـ كـتـبـهاـ

اكتشف خطأ هذه الفكرة، فكرة أنتي أعرفها جيداً، فكل كتاب يكشف لي مساحات شاسعة جديدة، سواء أكان ديوان شعري أو كتاب مقالات وحوارات، هناك دائماً المزيد الذي يمكنك أن تعرفه، وكتشفيه، هناك رحلات يمكن لكتابات جاكلين سلام أن تكون دليلاً خاللها، هناك أبواب جديدة ستفتحها لك كتاباتها دائماً.

هذا الكتاب هو بشكل ما رحلتها في المهجر، ليس لاستكشاف المهجر، بقدر استكشاف نفسها في ذلك المهجر، أعتقد أن سؤالها لم يكن: ما هو هذا المكان؟ بل بالأحرى كان: من أنا في هذا المكان؟

تحب جاكلين التصوير الفوتوغرافي، والحقيقة أن وعيها أيضاً يعمل كالكاميرا الفوتوغرافية، فهي تلتقط صوراً للعالم حولها، أو لنفسها وسط العالم حولها، وكمصور فوتوغرافي مبدع، هي تختر الزاوية التي تلتقط منها الصورة العقلية، زاويتها هي الخاصة، سواء أوضعت نفسها كمراقب خارج الكادر، أو في وسطه كمشارك، ثم هي بعد ذلك تضيف ملاحظاتها الخاصة، تلك الهوامش أو الخواطر كما تحب أن تسميها، اشتباكها الشاعري غالباً مع وقائع العالم وحقائقه، الإضافة الإضافية التي تسقطها على الموضوع، وهذا تكمن أهمية هذا الكتاب، فهو حقيقة مهم وحيوي الآن، وسيكون مهمًا وحيويًا بعد قرون، فكما يقول توماس كارلايل: "الكتاب الخالد لا يُقرأ فحسب، بل يُعاد اكتشافه مع كل جيل، لأن ما فيه من حقيقة لا يصدأ". وهذا الكتاب سيعيد كتابة نفسه دائماً تقربياً، فما قيل عن تلك الظاهرة الثقافية أو الأدبية منذ عشرون عاماً مثلاً، إكتسب الآن معانٍ جديدة وأبعاداً إضافية، وبعد عشرون عاماً سيقرأ وقد أضاف الزمن له أبعاداً جديدة، إنه فعل دليل، على كيف يمكنك اكتشاف العالم في مكان جديد، في وطن جديد، كيف تتجنب الوقوع في فخ الإنشطار بين من كنت في وطنك الأصلي ومن ستكون في وطنك الجديد، بل تبقى واحداً، يتطور ويتفاعل، يضيف للعالم الجديد بقدر ما يسمح للعالم الجديد أن يضيف إليه.

أنا أحب أن كتاباً كهذا موجود في العالم، بقدر ما أحب أن شخصاً كجاكلين سلام موجود في هذا العالم، ويسمح لنا بأن نشاركه رؤيته المبدعة والمميزة للعالم.

يسار عبد القوي
الإسكندرية يوليو 2025

Stories الخطاب الأول

مارجیت آتوود کما عرفہا

تخریب آسطورة دیونسیس و بنلوبی علی ید مارغیریت آتوود

الشاعرة والروائية الكندية مارغريت آتوود تكتب البنلوبيّة نسبة إلى بينلوبى زوجة عوليس. وبعد أكثر من ثلاثة قرون وذلك بنقض وإعادة تركيب آسطورة "الأوديسة" التي ألفها هomer الإغريقي حوالي عام 850 قبل الميلاد، وفق منظورها الفكري وحساسيتها الفنية وذلك ضمن مشروع ثقافي قامت به إحدى دور النشر التي طلبت من بعض الكتاب اختيار آسطورة ما منتراث الشعوب ونسج نسخة مغايرة-بتصرف- للنسخة الأصلية. "سلسلة أساطير كانونغيت" بدأت مشروعها عام 2005 بتوثيق ثلاثة كتب حققت شهرة واسعة في كندا، أمريكا، إنكلترا، استراليا ونيوزيلندا. كتاب آتوود الذي حمل عنوان "البنلوبيّة" كان في عداد هذه السلسلة الشهيرة وتمت ترجمته إلى 28 لغة عالمية من قبل 33 ناشراً حول العالم. ثم قدمت عروض مسرحية في مدن كندية من صميم هذه الـ "نوڤيلا" التي تعيد سرد الأوديسة على لسان بينلوبى وحسب وجهة نظرها المناقضة لما جاء على لسان زوجها عوليس أو أوديسيسوس الذي احتفى بعد حرب طروادة، وبقيت هي في انتظاره تواجه قدرها، نسيجها الشهير، وتحايل على الخاطبين الكثر الذين تقدموها لطلب يدها لظنهم أن ملكهم قد قضى عليه.

في هذه القصة-الآسطورة المضادة. تحتل بينلوبى المركز وهي "ميّة" تخاطبنا من عالمها السفلي فنرى أوديسيسوس كاذباً مخدعاً وما رواه من بطولات لم يكن إلا مبالغات وابتكارات مخيّلته. تسرد بلغة امرأة بسيطة من الطبقة الأدنى اجتماعياً وثقافياً. امرأة قد تصادفك على مصطبة بيت ما في حارة شعبية فقيرة. تبتكر آتوود فصول الرواية مرة على لسان بينلوبى، ومرة على لسان الجوقة المؤلفة من 12 خادمة تعرضن للشنق في النهاية، وتعرضن للاغتصاب وسوء المعاملة أثناء خدمتهن

في القصر الملكي الذي يملكه أوديسبيوس، العائد إلى إيثاكا بعد طول تشرد وصراع مع الوحوش والكائنات الخرافية وأغواء الفانitas.

اخترنا هذه المقاطع من بداية القصة حين يطالعنا صوت بينلوبوي وهي تستنكر صورتها وما ورد من شائعات بحقها وهي على قيد الحياة. وفي المقطع الثاني تخبرنا عن بعض هذه الفضائح وتقدم النسخة "البنولوبية" عن الحقيقة، وكما تشاء لها مخيلة أتتوك الباذحة الآسرة.

الآن وأنا ميتة، عرفت كل شيء. هذا ما كنت أتمنى حدوثه، ولكن أغلب أمنياتي فشلت ولم تصبح حقيقة. عرفت فقط بعض الحقائق التي لم أكن أعرفها من قبل. أنه ثمن باهظ جداً ما ندفعه لقاء الفضول، ولا حاجة للقول. منذ أن مت، منذ أن حزت على هذه الحالة من كوني بلا عظام، بلا شفاه، بلا ثديين، تعلمت بعض الأشياء التي لم أكن لأعرفها، كحال شخص ينصل من خلال النافذة أو يفتح رسائل الآخرين. هل تعتقد أنك تحب أن تقرأ العقول؟ فكر ثانية.

هنا في الأسفل، كل شيء يأتي مرافقاً بكيس، كالأكياس التي تستخدم لحفظ الريح، ولكن كل من هذه الأكياس يكون ممتلئاً بالكلمات. كلمات أنت قلتها، كلمات سمعتها، كلمات قيلت عنك. بعض الأكياس صغير جداً، وبعضها كبير، كيسٌ معقول الحجم. رغم أن أغلب الكلمات تتعلق بزوجي الواسع الشهرة. كم جعل مني غيبة، يقول بعضهم. لقد كان من اختصاصه أن يستغلي الآخرين. لقد استطاع الفرار من كل شيء، وتلك كانت خاصته الأخرى: الفرار.

كان قابلاً للتصديق دوماً. كثيرون صدقوا الأحداث كما أوردها هي النسخة الحقيقية، أخذ أو إعطاء بعض القتلة، بعض الحسان المغريات، بعض الأشرار. بعين واحدة. حتى أنا صدقته من وقت إلى آخر. كنت أعرف أنه مخادع وكاذب. لكنني لم أتوقع أن يمارس خدعة ويجرب أكاذيبه علي. ألم أكن مخلصة؟ ألم أنتظر، وأنتظر، رغماً عن الإغراءات. الرغبة تقريباً. بأن أفعل غير ذلك؟ وما هذا الذي انتهيت إليه بعد أن أخذت النسخة الرسمية مكانتها على الواقع؟ أسطورة مفيدة. عصا تضرب بها نساء آخريات. لماذا لا يستطيعون أن يكن مسؤولات، موضع ثقة، متحملات للعقاب كما كنت أنا؟ هذا هو السطر الذي التقطوه. لا تتبعن مثالي، أريد أن أصرخ في آذانكم. نعم، انتن. ولكن حين أحاول أن أصرخ، يصبح صوتي كالبومة.

بالطبع كان لدى بعض التوقعات الواهية حول عدم دقته، مكره، حالته الثعلبية، وهذه التي - لا أعرف كيف أسميها؟ عدم التزامه الأخلاقي. لكنني تظاهرت بالعماء. أخرست فمي. وإذا حصل وفتحته، ذلك لأنّي لمجده. لم أحفر عميقاً. أردت نهاية سعيدة في تلك الأيام، وأفضل طريقة لتحقيق نهايات سعيدة يكون باقفال الأبواب الحقيقة والذهاب إلى النوم حين اشتداد العواصف. ولكن بعد أن انقضت الأحداث الرئيسية وأصبحت الأشياء أقلّ أسطورية، توضح لي كم من الناس كانوا يضحكون عليّ من خلف ظهيري. ينعتوني بصفات شتى، يؤلوفون نكتاتاً عنّي، بعضها قذرة

وأخرى نظيفة. كيف جعلوا مني قصة، أو حكايات، وليس تلك القصص التي أنا أحب أن اسمعها عن نفسي. ماذا بإمكان امرأة أن تفعل حين تسافر الشائعات الفضائحية حول العالم؟ إذا دافعت عن نفسها، ستبدو مذنبة. لذلك انتظرت المزيد.

الآن وقد انقطع نفس الآخرين، جاء دوري لأجتهد قليلاً وأحيك قصة. أدين بها لنفسي. علىي أن أحضر نفسي لها... (ص 4-1)

عند هذه النقطة أشعر أنّ عليّ أن أشير إلى النقاط المتعددة من هذه التقولات الفضائحية التي ماتزال تدور منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام.

هذه القصص ليست صحيحة على الإطلاق. كثيرون قالوا ليس هناك دخان بلا نار، ولكن هذا جدل غبي. كلنا سمعنا شائعات تبيّن لاحقاً أنها خالية من الصحة كلياً، وهذا هو حال الشائعات حولي.

الاتهامات التي تتعلق بأحوالى الجنسية. إنها افترضت مثلاً بأنّي نمت مع امفيونوس، الأكثر تأدباً بين الذين تقدموا لطلب يدي. الأغاني تقول أنّي وجدت حديثه مقبولاً، أو أكثر قبولاً من الآخرين.

صحيح أنّي فتحت الباب للخطاب وقفت وعد سرية لبعضهم، ولكن كانت هذه مسألة تدبير. من الأشياء الأخرى، أنّي استخدمت جرأتي المفترضة لتحصيل بعض الهدايا غير الثمينة منهم. نذر يسير مما يأكلوه وينقوه سدى - وألفت انتباهم بأنّ أوديسیوس كان موافقاً على ذلك.

الرواية الأشد غيظاً هي تلك التي تقول بأنّي نمت مع الخطابين جميعهم، واحداً بعد الآخر. أنهم أكثر من مائة. ومن ثم ولدت الإله العظيم "بان". من بمقدوره أن يصدق هذه الخرافنة الشيطانية؟ بعض هذه الأخانى كثير عليها النفس الذي وضع فيها. بعض المعلقين شهدوا حماتي - أم زوجي، التي لم تقل كلمة عن الخطاب عندما تحدث معها أوديسیوس في جزيرة الموت. صدمتها أخذ كليل. بعضهم قال، لو أنها نوّهت إلى الخطابين، في هذه الحال عليها أن تشير إلى خيانتي أيضاً. ربما كان قصدها أن تزرع بذرة مسمومة في بدن أوديسیوس. ولكنكم تعرفون حساسيتها اتجاهي. ربما كان ذلك آخر لمسة حادة نحوى.

آخرين سجلوا حقيقة أنّي لم اتخلى عن ولم أعقّب الخادمات الوجعات الائتمي عشرة، ولم أغلق عليهم داخل مبني ليشتغلن في طحن الذرة، وإنّي كنت منغمسة بنفسي في هذا العهر. لكنني أوضحت كل ذلك. الاتهام الأكثر جدية هو أنّ أوديسیوس لم يكشف لي عن نفسه عندما اجتمعنا للمرة الأولى. قيل أنه لم يثق، وأراد أن يتتأكد من أنّي لم أجعل القصر مرتعاً لمذذاتي. لكن السبب الحقيقي هو أنه كان يخشى أن أغرق في دموع الفرح وأبتعد عنه. بصورة مماثلة، قد أغلق علىي مع بقية النسوة في ساحة النساء فيما كان يتخلص من الخطاب وبمساعدة "ايريكلينا" وليس بمساعدة. ولكنه كان يعرف جيداً. قلبي الرقيق، عادة الغرق في الدموع والسقوط في العتبة. ببساطة لم يشاً أن يعرضني للخطر

أو لمشهد لن أوفق عليه. بالتأكيد هذا هو التفسير الصريح لتصريحه.
لو أن زوجي عرف شيئاً عن تلك الشائعات المهينة ونحن على قيد الحياة لمزق بعض الألسنة.
ولكن لا فائدة من الحزن على فرص ضائعة. ص 143

المرأة وأسباب الحروب:

الكثير من الأدباء التاريخية العالمية تركز على الملاحم والحروب، والكثير منها يلقي اللوم على المرأة ويعتبرها سبباً في إثارة الحروب تحقيقاً لنزوة أو قصة حب. ولكن الذي لا يشار إليه عادة هو أن الحرب يشنها الرجال بسبب رغبتهن في الحيازة على المرأة الجميلة والذكية، وفي هذه الحروب، تكون النساء ضحية أولى إذ يتزلّن، أو يصبحن سبياً. الصفحات الأدبية من الشرق والغرب تدور حول محور استلام السلطة بين المجتمع الأبوي والأمومي. وفي نهاية المطاف، نحن نتعلم ونكتسب خبرة وفكرة ونحو نقرأ بمحنة هذه الأدباء التي قد نعشق أبطالها وقد نكره أفكارهم وحرفيتهم واختلافهم عنا. أما حروب هذا العقد فهي تجري بشراسة سببها الحيازة على السلطة المادية والثروات حتى لو كلف ذلك سحق شعوب بأكملها، وللأسف تجار السوق العالمية لا يقرأون الأدب.



٢

مارغريت أتوود تسرد قصص الاعتلal الأخلاقي

ما الذي يشغل عالم أتوود القصصي وأين يمكن الاعتلal والعل؟

في المجموعة القصصية الأخيرة "اعتلal أخلاقي" التي صدرت للأديبة الكندية الذاكعة الشهرة مارغريت أتوود عن مطبوعات "مكيلاند& ستิوارت" الكندية أواخر عام 2006 نقف حيال عالم مضطرب معتل ذهنياً إلى حد ما، ترصده الساردة من خلال شخصيات تتكرر بالاسم وتتبادر في زمن الحدوث، وترتکز في أغليها على شخصية امرأة تدعى "نيل" وذلك من خلال علاقتها مع زوجها "تيغ" وأولادها وإشكالية الحياة المتنقلة ما بين الريف والمدينة. يبدو العنوان متصالحاً تماماً مع أجواء القصة حيث يسود الاضطراب بمعناه النفسي والوجودي، حيوات شخصوص القصة التي يختار المرء في تصنيفها ضمن خانة الرواية أم القصة. فتكرار السرد من خلال شخصيات بعينها، يمنح هذا العمل الإبداعي بعداً روائياً، وحالة عدم الترابط الزمني الواقعي والتغيرات في هذه الحيوانات، تجعل من العمل قصصاً مترفرفة، بينما خيوط قائمة ومريبة، قاسية ولا مرئية، تتطلب من القارئ مهارة في قراءة النص. القارئ يقف مشدوداً أمام تفاصيل الشخصية "الأتوودية" التي ترسمها بمهارة ماكرة، فكاهة بارعة، قسوة وجفاف وأجواء تخلو من البعد الوجداني الذي قلما نراه في عالم أتوود الروائي.

في هذه المجموعة القصصية التي تتتألف من 11 قصة تمتد على 225 ، تقوم أتوود ببناء خرافات تعنى بحياة فرد أو أفراد، بخلاف روايتها الشهيرة "خرافة الخادمة" التي تعنى بالمستقلية ونكهن ما سtowerول إليه الواقع في بلاد عظمى. تتناول أتوود في قصصها هذه المكتوبة غالباً بضمير "الآتا"

مراحل متباعدة من حياة الفرد، فتارة تأخذ القارئ إلى الطفولة البعيدة، إلى مدرستها وعلاقتها مع بنات صفتها وذلك من خلال توصيف دقيق جذاب وسبر لأغوار الطفلة والمراهقة في تلك المرحلة، مع مقارنات ووصف للبيوت والأمهات والأباء، بمهارة توقظ في القارئ شيئاً من أحداث طفولته الغائرة في قعر الروح. وتارة تفقر إلى ما بعد الطفولة والشباب إلى الشيخوخة وما بعد التسعين،

وذلك دون الوقوف عند ترتيب "كرونولوجي" لأن الحياة هي هذا الاعتلال واللاترابط.

ويتجلى ذلك بمهارة سرد وتصوير حالة شخص مصاب بـ"الزهايمير" وشخص مصاب بالاضطراب النفسي ولديه قناعة بأن "الأشباح" تقاسمه السكنى في البيت الجديد الذي اشتراه. وخلال هذه المراحل العمرية المتباينة تعالج القاصة مسائل من قبيل الزواج والطلاق والعلاقة بين الأبناء، مفارقates العيش في مزرعة بعيدة عن المدينة ومن ثم الانتقال إلى العيش في مدينة ضخمة كتورنتو، فقدان الذاكرة ومحاولة العودة إلى الماضي من خلال البوم الصور الفوتوغرافية التي تحفظ سجلاً لتاريخ العائلة الشخصي، وتارة لتأخذنا إلى عمق الإشكالية بين الإنسان والحيوان والأمومة من خلال القصة التي أخذت عنوان الكتاب "اعتلال أخلاقي" حيث تقيم العائلة المكونة من "نل وتيغ" الزوجين الذين انتقلا للعيش في مزرعة جديدة وضمن شروط معيشية قاسية، تضطر المرأة أن تعتني بالخراف الوليدة داخل السكن الذي تعيش فيه، فتشكل علاقه حميمة بين الخروف والمرأة، تتطور إلى عداوة بين الخروف وزوج المرأة بسبب الغيرة، وتنسحب إلى إشكالية لاحقة في عدم قدرة الخروف ذاك على التعايش مع باقي القطيع من بنى جنسه.

تكمّن قوّة الساردة هنا باستخدامها اللغة المباغطة والمفردات القائمة على المتناقضات، والإحالات العميقـةـ الـخـالـيـةـ منـ الـحـكـمـ وـالـخـاطـبـةـ، بل تستنقـيـ قصصـهاـ منـ الـيـوـمـيـ المـهـمـشـ، فـتـحـقـقـ بـذـلـكـ نـجـاحـهـ فـيـ المـزـجـ مـاـبـيـنـ الـبـساطـةـ وـالـعـقـ، مـاـبـيـنـ السـخـرـيـةـ وـالـأـلـمـ. فـفـيـ قـصـةـ بـعـنـوانـ "الـدوـقـةـ الـأـخـيـرـةـ" تـضـعـنـاـ أـمـامـ درـسـ الشـعـرـ فـيـ مرـحـلـةـ الـدـرـاسـةـ الثـانـيـةـ، مـنـ خـلـالـ اـنـطـبـاعـاتـهاـ عـنـ مـعـلـمـتهاـ أـسـتـاذـةـ الـأـدـبـ الـأـنـكـلـيـزـيـ وـطـرـيـقـةـ مـعـالـجـةـ وـتـحـلـيلـ قـصـيـدـةـ. فـهـنـاكـ التـكـهـمـ الـذـيـ يـجـريـ سـرـأـ بـيـنـ الـطـلـبـةـ أـنـفـسـهـمـ اـتـجـاهـ الـمـعـلـمـةـ، وـبـيـنـ الـطـلـبـةـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ وـمـاـيـنـشـاـ فـيـ تـالـكـ المـرـحـلـةـ مـنـ عـلـاقـاتـ غـرـامـيـةـ مـرـاهـقـةـ. فـتـاةـ المـوـهـوبـةـ فـيـ التـقـاطـ الـمـعـنـيـ الشـعـرـيـ لـالـقـصـيـدـةـ، تـحـاـولـ أـنـ تـرـجـمـ حـبـهـاـ لـفـتـاهـاـ "ابـنـ صـفـهـاـ" فـيـ حلـ مـعـضـلـةـ الشـعـرـ وـالـتـأـوـلـ وـالـمـجـازـ، وـتـبـذـلـ جـهـدـاـ وـوقـتاـ لـمـسـاعـدـتـهـ فـيـ فـكـ مـعـالـيـقـ الـقـصـيـدـةـ وـمـضـمـونـهـاـ، مـرـةـ تـرـسـ مـعـهـ تـحـلـيلـ الـقـصـيـدـةـ فـيـ مـقـبـرـةـ عـلـىـ الطـرـيـقـ وـمـرـةـ تـزـورـهـ فـيـ الـبـيـتـ. لـكـنـ الشـابـ ذـوـ الـعـقـلـ الـرـياـضـيـ الـصـرـفـ الـذـيـ يـرـىـ فـيـ هـذـهـ القـصـانـدـ مـضـيـعـةـ لـلـوقـتـ وـلـلـطـافـةـ إـذـ هـوـ يـعـجزـ عـنـ التـقـاطـاتـ اـشـارـاتـ الشـعـرـ وـيـضـيـقـ صـدـرهـ وـيـشـعـرـ بـالـدـوـنـيـةـ حـينـ تـحـوـلـ "الـحـبـيـبـةـ الـمـرـاهـقـةـ" أـنـ تـقـشـرـ لـهـ الـقـصـيـدـةـ كـيـ يـجـتـازـ الـامـتحـانـ النـهـاـيـيـ بـنـجـاحـ. فـيـ هـذـهـ الـقـصـةـ أـنـ تـذـكـرـهـاـ بـدـرـسـ الشـعـرـ الـهـامـ مـنـ خـلـالـ تـرـدـادـ مـاـقـالـتـهـ الـمـعـلـمـةـ" السـطـرـ الـأـوـلـ فـيـ الـقـصـيـدـةـ مـهـمـ جـداـ يـاـ طـلـابـ". وـهـكـذاـ يـبـدوـ الـدـرـسـ

الذي تعمنته على مقاعد الدراسة مطبقاً بحذافة وإتقان في السطور الأولى من قصص هذه المجموعة. وخاصة في القصة الأولى التي بعنوان "الأخبار السيئة" إذ تقول على لسان بطلتها: "إنه الصباح الآن، الليلة انقضت. وقت الأخبار السيئة. أفكر بالأخبار السيئة كأنها على هيئة طائر ضخم له أحنة غراب، ووجه معلمتي في الصف الرابع... في بيتنا تصل الأخبار السيئة من خلال الصحف السيئة، يحملها لنا "تينغ"..." وتبدأ بسرد وقائع يومها وما تسمعه وتعنيه لها الأخبار السيئة القادمة من العالم، مستخدمة ضمير المتكلم. ولا تكون الخاتمة أقل موهبة وحذافة من المقدمة إذ تقول" إنه يوم جميل. له رائحة الزعتر، أشجار الفاكهة عابقة بالزهور. ولكن هذا لا يعني شيئاً للبراءة، في الحقيقة هم يقumen بالغزو في مثل هذه الأيام الجميلة. إنها توفر لهم رؤية أوضح ليسلباوا ويرتكباوا المجازر... هؤلاء هم نفس البرابرة الذين سمعت عنهم..."

أتوود اسم كبير في عالم الأدب الكندي والعالمي، ونجحت سابقاً في إخراج الأساطير من رموزها القديمة المتعارف عليها، وأعطتها أبعاداً مغايرة من خلال قصائدتها سردتها، كما تخطت في سردها الفاصل المتعارف عليه بين الشعر والنشر وفن المقالة، فكتبت ما يلتبس مقطوعات تستعصي على التصنيف، كما نجحت في هذه المجموعة على المزج مابين فن الرواية والقصة والمباغة الشعرية، إلى جوار استحالة التفريق مابين الذاتي والمتخيل في كتاباتها.

حين سئلت أتوود في إحدى اللقاءات لماذا لم تكتب سيرتها الذاتية بعد؟ فكان جوابها ماكراً مغافلاً بابتسامة: لماذا أكتب سيرتي، حين نكتب أدبأ يقولون، هذه سيرة، وحين نكتب السيرة يقولون هذا كذب وتروير.

الكاتبة مارغريت تقاسمت حياتها مع زوجها الروائي غريم جيبسون الذي أخذت عنوان مجموعتها هذه من رواية له بعد أن توقف عن الكتابة ولم يكملها. حازت الكاتبة على جوائز عالمية مرموقة في كندا وخارجها، وترجمت أعمالها إلى أكثر من 35 لغة.

صحيفة الحياة 11/5/2008

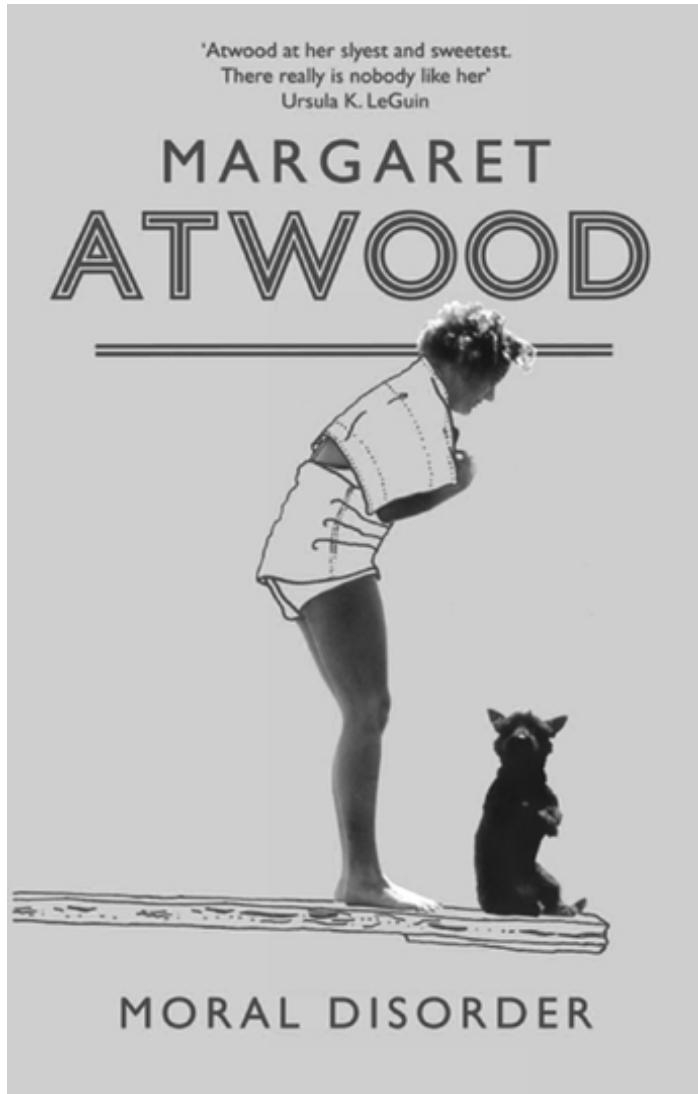
* * *

سؤال اليوم: هل قمت كصحفى أو صاحب سلطة ثقافية في البيت العربي بمساعدة كاتب مبتدئ ومميز للوصول إلى القراء من أجل القيمة الأدبية بعيداً عن المصلحة الشخصية؟
أعود إلى أجوبة مارغريت أتوود في هذا المجال:

"على الكتاب مساعدة الكتاب" قالت مارغريت أتوود في حوار طويل معها على يوتوب جاء في سياق حديثها عن بدايات انطلاق الكتابة والنشر في كندا. لم يكن نشر الكتب دارجا في كندا إلى ما بعد الحرب

العالمية الثانية.

أما كيف تم المساعدة، والمقصود منها الترويج للمنتج الإبداعي، نقده، الإعلان عنه والاحتفاء بقيمة الفكيرية.



٣ مارغريت أتوود وعواقبات وأدبيات استدانة المال وعدم الإيriad به تاريخياً

حين قرأت هذا الكتاب تذكرت العلاقات الشخصية التي يدخل فيها المال وتتعرض للتشويه، وتصل إلى المحاكم في حالات الميراث، وفي حالات الطلاق وتقاسم الملكية وما يعقبه من مأساة سمعتها شخصياً أثناء عملي في حقل الترجمة للعرب والمسلمين. في هذا الكتاب لا تطرق الكاتبة إلى ثقافة الاستدانة في المجتمع الشرقي والإسلامي تحديداً لأنه الأبعد بالنسبة لثقافتها ولقلة المصادر العربية التي تبحث في هذا الجانب.

شخصياً تعرضت لمواضف عدة بعد الهجوة فحواها الابتزاز والخيانة والاستدانة من دون إيفاء الدين، وتعرضت لإشكالات إسرية وعائلية تتعلق بالميراث وخيانة الأصدقاء للأمانة، وكان دوماً يقابلها الوفاء بالمعروف من قبل بعضهم ومن تعاملوا بوفاء وكراهة بلا قيد وشرط. ربما ترد هذه الحكايات يوماً في كتاب المذكرات. ولنتوقف هنا مع باتور ما أتوودية وتفنيد لرحلة الإنسان مع المال والثروة. الجانب المظلم للثروة والدين

الكاتبة الكندية مارغريت أتوود وخلال مسیرتها الإبداعية الطويلة لم تتوقف عند نوع أدبي معين، بل خاضت في كل جوانب الكتابة بما فيها الخيال العلمي والكتابة للأطفال، إلى جوار النقد الأدبي والمقالات الناقدة التي تعكس مواقفها حول السياسة والفن. وفي هذا الكتاب تذهب بنا إلى منطقة أخرى وهي الثروة والديون وأثرها في حياتنا الشخصية وال العامة. لهذا الكتاب أهمية استثنائية كونه يتناول الثروة ووجوهاً الخفية والظاهرة وخاصة في هذه الحقبة التاريخية المعاصرة المتميزة بعواصفها الاقتصادية العالمية. وبنظرة سريعة على الاقتصاد الأميركي والعالمي سنتعرف على ما تلعبه الثروة من تأثير على استقرار الأمم والأفراد.

الكتاب الذي صدر في كندا عن «أثناسى برس» أواخر عام 2008 في صفحة 224 بعنوان «دفع الدين» وعنوان فرعى «الدين والجانب المظلم للثروة» جاء على شكل محاضرات ألقيت في جامعات كندية وتم الاحتفاء به من خلال راديو كندا «سي بي سي». ولا تخلو صفحات الأدب من مسألة الدين بأكثر من حكاية ورمز.

نرى الأضحية السلبية في ديسنوبريا جورج أورويل 1984 حيث نجد شخصية «ويينست سميث» الذي عوقب وأرسل إلى الغرفة 101 التي فيها أقبح وأسوأ الأشياء في العالم، حيث كانت الجرذان الجائعة تتغذى. لكن سميث يصرخ ويطلب أن يعفى عنه وأن يأخذوا «جوليا» الحبيبة العشيقة عوضاً عنه. راح سميث يصرخ «افعلها بجوليا، افعلها بجوليا، ليس أنا، لا يهمني ما تفعل بها، مرق وجهها، قطعها حتى العظام. ليس أنا، جوليا: ليس أنا».

وحديثاً يتكرر ما يشبه ذلك الموقف على لسان الأم في رواية «رحمة» لتوني موريسون حين يأتي المزارع جاك فاراك كي يسترد دينه من الأم المعذمة الفقيرة، فتبكي وتتضرع تطلب منه أن يأخذ ابنتهما إيفاء للدين وتقول «خذ فلورانس، خذ ابنتي، لا تأخذني أنا» ويتحقق لها ذلك ويأخذ فلورانس الطفلة التي تكبر وتموت بعيداً عن أمها.

في الفصل الأول تناقض اتتوكد نظام دفع الدين والاستدانة، وكيف نشأ في عهد السومريين وفي مصر الفرعونية، حيث كان ميزان العدالة في يد المرأة كما يظهر في الحفريات والمنقوشات. وتذهب بنا المؤلفة أيضاً لنعain هذه المعادلة من خلال شخصيات الأساطير اليونانية والفرعونية، وتحلل ما ترمز إليه صورة المرأة التي كانت رمز العدالة وهي تحمل الميزان. ويقال إن ما بعد الموت كان يوضع القلب في كفة، وفي الكفة الأخرى يوضع رمز العدالة الصدق. ولاحقاً وحسب الديانة المسيحية توضع الروح مقابل أفعال الإنسان - الخير والشر.

في الفصل الثاني تتطرق الكاتبة لمسألة حساسة في تاريخ البشرية وهي «الدين والخطيئة» وما ترتبت على الإنسان حتى اليوم من تبعات لها تأويلاً لها المتقارب والمختلف من دين إلى آخر، ومن نظام إلى آخر.

ونرى في العصر الحديث كيف صار الحديث عن الخطيئة والسياسة شائعاً هذه الأيام وتلمسه في خطابات السياسيين في الغرب وأميركا على وجه التحديد، كما في خطابات الرئيس الأمريكي جورج بوش، وكذا خطاب الإرهابيين في العالم الذين يتذمرون من الدين ذريعة.

في عالم اليوم لا يمكننا أن نتيقن من المثل الذي يقول «الموت يدفع كل الديون» وهذا لا يصح لأن الدائن سواء أكان حكومة أو فرداً يمكنه أن يطالب باسترداد دينه، كما أن المقوله «لن تستطيع أن تأخذك» قد لا تكون صحيحة.

تقول اتتوكد في الفصل الثالث: الدين حكاية. من دون الذاكرة ليس هناك دين. ودون دين ليس هناك

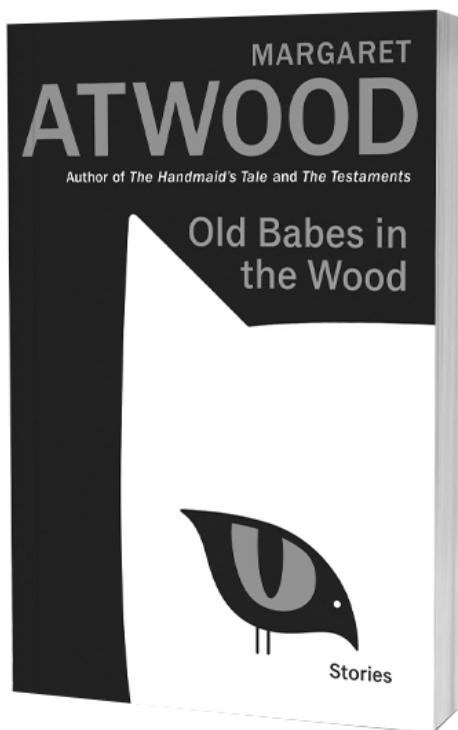
قصة، إذن أي دين يضعنا في مواجهة قصة. من هو الدائن؟ ولماذا استدان، ومتى؟ وهل كانت النهاية سعيدة أم حزينة؟ وكيف تم دفع الدين؟ وهذا الدين يختلف حسب طبيعة المجتمعات. فهناك مسألة شراء العروس ودفع ثروة ما لأهلها، وشراء البيوت بالتقسيط، والاستدانة من البنوك لشراء المفروشات، السيارات، بطاقات السفر، والخضار واللحوم والأدوات الكهربائية. وهناك قانون مكتوب وشفاهي مستمد من السلطة الدينية أو المدنية بموجبه يتم إيفاء الدين أو المطالبة به، وهناك عقوبة على الطرف الذي يخل بتنفيذ العقد، وتكون العقوبة بدفع فوائد أو بأشكال أخرى. تشير أتود إلى أن هذه المسألة حاضرة في قديم الأدب العالمي وتذكر مثلاً شخصية ابنزير سكروج في رواية تشارلز ديكنز «ترانيم الميلاد»، إذ تطالعنا شخصية سكروج التي أصبحت شائعة ومعروفة ومتحولة وقد نصادفها في الأفلام وعلى المسرح وفي الشوارع، أي أنها شخصية مستمدة من الواقع. وتطالعنا هناك الدعاية التي تقول: أعط بسخاء كما سانتا كلوز / عليك بالتقدير مثل سكروج.. وتدبر أتود في التذكير بذرية سكروج ومنهم شخصية الدكتور فاوست في مسرحية كريستوف مارلو (القرن السادس عشر) المعروفة بهذا الاسم. ومن المعروف أن فاوست باع جسده وروحه للشيطان بموجب عقد مكتوب بالدم.

الدكتور فاوست ليس لعيننا. إنه يريد أن يحقق أحلامه ومتنه الشخصية ولا يدخل على أصحابه. ومن خلال السلطة والأموال يجد بأن ينقذ من الموت إنساناً على الأقل. هذه الحكايات قد تنقلب من كونها حكاية للتسلية والمتعة إلى أن تصل إلى القتل وتتصبح اللعبة قذرة. ينقلب البطل في ألعاب الأطفال والفيديوه إلى محكم بفكر الطفل واليافع، وتنقلب لعبة الدائن والمستدين إلى حرب وضحايا، رشى وابتزاز، وانتقام وعقوبات، وتجد لها مكاناً في حياة الأفراد كما في تاريخ المجتمعات.

وما أكثرها حروب هذا القرن والحروب التاريخية التي كانت ولا تزال تجري تحت أقنعة مختلفة؛ كنشر الديمقراطيات مثلاً، فيما الثروة هي الوجه الآخر وال حقيقي للعبة التي لم تعد قصة خيالية، بل واقعاً ترعرع تحته شعوب وتنهار حضارات. ونشاهد ذلك اليوم على شاشات التلفزيون ونحن ندفع ثمن ما نشاهده. ندفع للقوى الفضائية نقداً أو «بالفيزا كارد». نستدين كي نشاهد أفلام الحرب والحب، ونستدين كي نشاهد قناة تاريخية أو عالم البحار، أفلام الجنس والعنف. أحياناً نعجز عن الدفع أو نتهرب. هذا ما تبحث فيه أتود في الفصل الرابع من الكتاب تحت عنوان «الجانب المظلل من الثروة» وفيه تطرح سؤالاً رئيسياً «ما الذي يحصل حين لا يدفع الناس الدين المترتب عليهم؟» ماذا لو كانوا لا يريدون الدفع، أو لا يستطيعون، أو يمكنهم الإيفاء بطرق أخرى؟ وبالطبع، طرق وأساليب إيفاء الدين متعددة وتحتاج إلى اختلاف المجتمع والثقافة».

وتنتساعل أتتوك «متى سينتهي كل هذا؟» والجواب هنا يعتمد على مادا تقصد بـ«كل»؟ الثروة في ظاهرها وتحت ظلالها يتزاح العالم اليوم. وهو العالم الذي ترتعح منذ بدء الخلق ومنذ قصه هابيل و Cain. اليوم نقرأ في كل صحيفة ونسمع في كل نشرة أخبار مستجدات عن عجز شركات عن الإيفاء بديوبتها وما يترب على ذلك إشكالات. نقرأ عن بنوك تنهر، وصغرى العمال يذهبون إلى بيوتهم حاملين عجزهم عن إيفاء ثمن السيارة والبيت الذي اشتروه بالتقسيط. العجز الاقتصادي يحمل تبعاته إلى مائدة الأسرة وسرير العائلة. فالرخاء الذي نكسبه لوهلة ونحن نستدين يتحول إلى كابوس حين يأتي وقت «الإيفاء بالدين».

25 يونيو 2009 صحيفة الشرق الأوسط اللندنية.



مارغريت في مواجهة مع جورج أوروول والخيالسوقة هيباتيا

بعد أن بلغت مارغريت أتود 83 من عمرها، أنجزت خلالها 74 عملاً أدبياً وفنياً؛ ترجم بعضها إلى لغات عالمية، ها هي تعود إلى القراء بمجموعة قصصية جديدة صدرت مؤخراً بعنوان: «الأحبة المعمرون في الغابة». محور المجموعة شخصيات أساسيات من كبار السن هما (نيل وتيغ) يتشابكان في بيئة أسرية، في البرية، في خضم الحياة على اختلاف منعرجاتها. في نهاية هذه القصص، يموت (تيغ) الشريك وتبقى «نيل» أرملة؛ لتعاني فقد وأشجانه التي تظهر في قصص عدة منها قصة «أرملة» وقصص أخرى تسلط الضوء على تغير حياة الشريكة بعد رحيل رفيق دربها. وهذا ينطبق في جزء منه على حياة الكاتبة مارغريت أتود التي فقدت زوجها الذي عاشت معه 50 عاماً وكان روائياً أيضاً. على الرغم من الحزن فإننا نجد في النصوص فكاهة وسخرية كثيفة، وهذه مهارة تجيدها أتود في حواراتها وأحياناً في قصاندها.

المجموعة تتضمن 15 قصة تتناول حياة الأزواج وتقلبات الأمزجة مع التقدم في العمر، إلى جوار قصص ذات محتوى فكري وتاريخي. في بعض القصص شخصيات أساسيات محوريتان (نيل وتيغ)، وهذان الاسمان سبق أن وردتا في مجموعة قصصية أقدم من هذه.

سرد تكثر فيه التفاصيل لتفتح للقارئ عالم الحكايات الطويلة الممتدة عبر الأزمان والأمكنة. الكاتبة لا تكتفي بتشخيص إشكاليات كبار السن، بل تنقض الركام عن وجه شخصيات عالمية عبر الأزمنة كان لها أثراً في الخلق الفكري الإبداعي منذ القرون الأولى في التاريخ عبر شخصية (هيباتيا) الفيلسوفة الحكيمية، عالمة الرياضيات الإسكندرانية المصرية اليونانية، التي تعود لتقول لنا كيف قتلت، ولماذا.

وصولاً إلى حوار متبادل مع الكاتب الشهير جورج أورويل.

مثل كل الكتب التي تصدر في الغرب نقرأ مقطفات عن الكاتب والكتاب على الغلاف الخارجي والمقدمة. هناك مختارات من صحفيين ونقاد وكتابات معروفات عالمياً ومنهم كاتبة القصة أليس مونرو الملقبة بـ«تشيخوف الكندي».

شهادة أليس مونرو

أليس مونرو، صديقة أتتود في الرحلة الإبداعية، من ناحية العمر والجغرافيا ومرحلة انطلاق الأدب الكندي إلى العالمية، قالت عن القصص: «من السهل أن نتعرف إلى القيمة الإبداعية في أعمال مارغريت أتتود بقوتها وتنوعها وطلاوتها. حين أفكر بهذا كله، وبمهارات الكتابة وموهبتها، أشعر بالفرح والدهشة».

عودة الفيلسوفة المصرية هيبياتيا

ما غاية مارغريت أتتود من تدوير قصة هيبياتيا ومن اللقاء مع جورج أورويل بعد وباء الكورونا؟ من هيبياتيا، الشخصية التي تتحدث عن طريقة موتها في قصة «الموت بالأصداف»؟ هيبياتيا (مواليد عام 350م) أول شخصية نسائية مفكرة، فيلسوفة بتوجهات أفلاطونية، عالمة رياضيات وفلك، وكان لها السبق في اختراعات علمية. ورثت عن أبيها العلوم وكانت تحاضر في مكتبة الإسكندرية. كانت امرأة فاتنة، اتهمت بالسحر والإلحاد، وتعاقبها جماعات مسيحية متشددة. رُبط جسدها إلى شارة سلطتها في شوارع الإسكندرية بعد أن تعرض لها حشد من الرجال لتصفيفها بوحشية على مرأى من العالم، ثم سُلّخ ما تبقى من جلدتها بالأصداف الحادة.

كان علىيَ عند قراءة القصة أن أعود للبحث عن هذه الشخصية لأجد أن قصة هيبياتيا صارت فِلماً بعنوان «أغورا»، وهناك تسجيلات وثائقية عدّة عن هذه الشخصية التي قضت حياتها في الإسكندرية/ مصر، حيث نسبها يجمع بين المصرية واليونانية في العصر الروماني. تبدأ القصة بهذه الجملة «هيبياتيا الإسكندرانية تتكلم». ثم تبدأ البطلة بسرد تفاصيل طريقة تعذيبها، العصابة التي اعتدت عليها، موقف الرجال والنساء وهم يشاهدون جسدها تجره العربية في شوارع الإسكندرية الوعرة. تخبرنا بلسان (الآنا) حكايتها مثل حكواتي العصور الحديثة، وتتسخر في مقاطع متفرقة من صورتها التي رسّمها الفنانون: شعر أحمر وفتنة لا مثيل لها، وتفاصيل لا حقيقة لها إلا في مخيله مبدعيها.

أدوات السرد ومحاوره الفنية

كي تكون القصة مقتعة على الكاتب أن يكون ماهراً في إيراد الدلالات والصور وليس الأحكام والصفات، وهذا ما تفعله أتوكود. لا تقول الساردة: إن هيباتيا قضت حياتها وماتت بطريقة لا إنسانية بشعة، بل تصف هذه البشاعة بتفاصيلها على لسان بطلتها، القتيلة التي تتحدث من سقف مخيلة الكاتبة. تتحدث عن ثيابها، لون شعرها، تقطيع جلدها بنوع من الأصداف يسمى (صدفة البطلينوس) وهي صدفة حادة للطرفين. وفي بؤرة العذاب تسخر وتتجبر القارئ على الابتسام. وهذا يثبت مقوله القاص الساخر الناقد الأميركي مارك توين وفكرته النقدية الساخرة «لا تقل لي إن البطلة حزينة وتصرخ، أحضر البطلة هنا واجعلها تصرخ». هذا ما شعرت به وأنا أقرأ القصة التي تصل إلى 16 صفحة.

لم تعط الكاتبة آراء مع وضد، ولكنها تصف بلسان البطلة ما حدث لها: «لم يتقدم أي من النسوة المتفرجات على مساعدتي. بل كنّ يثبتن الغطاء على وجوهن ويمضين كمن لا يسمع ولا يرى. وأنا لا ألومهن، فلو دافعن عنِي لأصبحن ضحايا أيضًا...».

تحدث بالتفصيل، عبر الصورة واللون، عن العنف اللفظي والجسدي الذي تعرضت له المفكرة من جانب جماعة من الكنيسة. وتشخص الصراع بين المفكرة الحرة والسلطة الدينية ووقفها في وجه المرأة، وبخاصة حين تكون عالمة وحكيمة لها حضور يتعارض مع رغبة أتباع السلطة الحاكمة.

حوار ميت بين مارغريت أتوكود وجورج أوروويل

لماذا اختارت أتوكود في هذه القصة أن تجري حواراً افتراضياً مع جورج أوروويل تحديداً؟
قالت في إحدى حواراتها: إنه طلب منها مرة أن تُجري حواراً مع شخصية مؤثرة، من عصر آخر، فاختارت اللقاء المتخيل مع الروائي جورج أوروويل. فكتبت القصة في 14 صفحة كما لو أنها مكاشفة تاريخية سياسية فكرية بين شخصيتين، وأديبيتين هما أوروويل وأتوكود.

هل يصح أن تخلى القصة عن السرد وتقتصر على أن تكون ديلوغًا بين شخصين؟
هذا ما فعلته قصة مارغريت أتوكود باسمها الحقيقي، وجورج أوروويل عبر «ديالوغ» حر يحرض على طرح الأسئلة الكبرى الممتعة والثاقبة في آنٍ.

ربما يعلم كثيرون أن رواية أتوكود «حكاية الخادمة» جاءت متأثرة برواية جورج أوروويل 1948م. في هذه القصة تصرح الكاتبة لجورج أوروويل بأنها تأثرت به، وأعتقد أنها قصة لقراء النخبة؛ إذ هي

حملة بثقافة عالية ومعلومات وثائقية عن المرحلة السياسية التي كتب فيها أورويل. تتحدث فيها عن دكتاتورية ستالين وبعض أطراف اليسار التي تحاملت على أورويل في حينه. وتسلط أضواء على مرحلة صعود الاتحاد السوفييتي، والأيديولوجيات اليمينية واليسارية المتحاربة، والأفكار المثلية التي حملها الفكر الاشتراكي، وانهيارها على أرض الواقع.

لكي يستمتع القارئ بالحكاية يجب أن يكون لديه خلفية ثقافية واطلاع على المجريات السياسية في الغرب، واطلاع على أعمال أورويل الشهيرة؛ إذ يتكرر التنويع إلى «الحذاء العسكري» الذي يسحق وجه البطل «الأوروبي»، واهتمام أورويل بالبيئة والأشجار والزهور، مع تحليل خطاب الرجل للمرأة، ومفهوم النسوية والذكورية آنذاك، وما توصلت إليه الحركة النسوية الآن. ختاماً، الإبداع لا يموت مع التقدم في العمر. القصص في 250 صفحة ثرية ومتعددة للأدب العالمي وترتبطفي هذه الحكايات ما بين الشخصي، الواقعي والمتخيّل. سرد يحرض على التفكير وإطلاق مزيد من الأسلحة الكبّرى حول قضايا الإنسان المعاصر والموغل في القدم.

هذا ما نشر في مجلة الفيصل السعودية عدد يناير 2024

**

سؤال اليوم: ماذًا تقرأين الآن وما هو أجمل كتاب قرأت؟ سؤال وجّهه صديق صحي في عام 2023 هذه الأيام أقرأ كتاباً صدر بالإنكليزية عن المفكرة الفرنسية سيمون دو بووفوار عام 2012، يحوي الكثير من المقالات وبعضها لم ينشر. كما يشمل سيناريو فيلم كتبه ويعالج مسألة التقدم في العمر ومعاناة كبار السن في دور العجزة في فرنسا.

أجمل كتاب قرأت؟ قرأت كتبًا جميلة كثيرة، ولكنني مؤخرًا قرأت كتاباً بالإنكليزية بعنوان: "الكتابة بلا خوف" لكاتب أمريكي "وليام كينور" والكتاب محور لتحسين الكتابة الإبداعية والثقة بالنفس بالتلقي على الخوف والرقابة. لغة بسيطة وعميقة من خبير في فن الكتابة. تمنيت لو أنني كاتبة ما يشبه هذا أو على الأقل مترجمته إلى العربية.

5

كيف تم تكريم الآيقونة مارغريت أتوود في كندا

آخر مرة التقى بها في سبتمبر 2024، والتقطت بعض الصور في افتتاح جلسة حوار حول البيئة وواجب الدول والأفراد للحفاظ على سلامة الكره الأرضية من التلوث والخراب المتتسارع. التقطت الصور وكتبت مقالاً عن تلك حوار الحافظ على البيئة من الدمار والتلوث. لم أقل لها بأن هناك عدة طوابع بريدية معلقة فوق مكتبي. الطابع البريدي بالأسود والأبيض وعليه صورتها. اشتريت الطوابع قبل أن تخفي من السوق ولم أرسل بريداً لأحد. إذ تم تكريمهما في بلد़ها عام 2022.

حين يصيّبني التعب وأفقد الأمل في معنى الكتابة والنشر بالعربية، أنظر إلى الصورة على مستوى رأسي وأعلى وأقول لنفسي هيا ما يزال في رأسك كلام كثير يا جاكلين. كلام يزعج. كلام يغري. كلام ينفر الآخرين الذين لا يعجبهم الاختلاف. كلام يعيش. كلام بلا بوصلة. كلام يحدد القارئ بوصلته ووقيعه وجوداه في الزمن والوقت المناسب.

"كلمة بعد كلمة، تتجسد القوة" كتبت مارغريت أتوود، في قصيدة لها وجاءت على الطابع البريدي. ولكن البرابرية في كل مكان ويتغولون كل عام ويشعلون الحروب في الأيام الجميلة والقبيحة.

كتاب مقالات: أسئلة محترقة في كتاب متنوع لمارغريت أتوود بعنوان: أسئلة محترقة تجد عدداً من مقالاتها وكتاباتها والمحاضرات التي ألقتها في مناسبات شتى في كندا وأوروبا وأمريكا. تتحدث في فصول من الكتاب عن البيئة. ونعرف من خلالها أنها كانت وزوجها تذهب في رحلات استكشافية لمناطق نائية وباردة في كندا للتتعرف على البيئة. كان زوجها الروائي "غريم غيبسون" أيضاً ناشطاً في هذا الحقل ومغمراً بدراسة

الطيور و عالم الطبيعة.

ويعرف عن نشأتها بأنها قضت سنوات حياتها الأولى مع والدها في مزرعة بعيدة عن المدينة وكان والدها عالما وباحثا في قطاعات مختلفة. وكانت الأم قوية ولا تفرق بين الولد والبنت في تربيتها وفي أداء المهام المنزلية واللعب والعمل خارج البيت.

الفقر ...والكتابة التي صنعت ثروة بالمليارات وجاء هذا التكريم في أعقاب احتفالها بعيد ميلادها (82). وهنا أذكر فقرات من حوار مع أتود. مارغريت لم تتردد في أن تذكر بداياتها وتقول بأنها كانت تشتعل نادلة في مقهى، حين كانت تدرس، ولم يكن عندها فستان مناسب حين ذهبت لتوقيع كتابها الأول الذي صدر في السبعينيات، وربما السبعينيات. هناك الكثير من العرب بعد أن يهاجروا إلى هنا يقدومون أنفسهم للآخر على أنهم أبناء ملوك وجاه وثروة أهلهم لا تأكلها النيران.

وعن توقيع كتابها الأول في الشعر، تقول للمذيع بمرح، إنها استعارت فستان صديقة تسكن معها كي تذهب إلى حفل التوقيع... وكانت تحمل حقيبة الكتب وتسافر في الباص كي تقرأ الشعر. وهي الآن من المع وأغنى نجوم الكتابة وربما الأغنى ماديا ككاتبة لأن مبيعات كتبها كانت هائلة وتم تحويلها إلى أفلام ومسلسلات عاد إليها بمزدود مادي كبير .

ديوان الشعر والعشق بعد وفاة الشريك 2020

في آخر ديوان شعري صدر لها بعد وفاة زوجها بعنوان "المحبوب" تتحدث في قصيدة طويلة عن الم الفراق وما يخلفه من الأسى على الشريك. ولأن بعض الأصدقاء الكنديين يعرفون عشقى لكتبها وصلني نسختان هدية في عيد الميلاد في نفس العام. وفي عام 2024، صدر لها مجموعة الأعمال الشعرية المختارة والجديدة. نجدها في منتصف الثمانينيات من العمر تنتج إبداعاً وما تزال نشيطة وتنقل من بلد إلى آخر وتتجزء مشاريع وبرامج لخدمة البيئة والأدب الإنسانية وتنقل بعض محطاتها إلى صفحتها العامة على فيسبوك وتويتر.

ومع انتشار التسجيلات الصوتية ونقل الأفكار صوتاً وصورة قمت بتسجيل قصير عبر الفيديو أتحدث فيه عن هذه الكتب والأفكار التي تناولتها الكاتبة وبنتوسع أكثر. بعد ذلك وصلني التصال من صديق عزيز يقول: لقد غفت البارحة وأنا استمع إلى صوتك وأفكارك. ونصحني بالاستمرار في تعليم مثل هذه الأفكار صوتاً وصورة. وقمت فعلًا بذلك بين فترة وأخرى وحسب الوقت والمزاج.

ولي أمنية أن تلتفت الحكومات العربية لدعم المنتج الأدبي الإبداعي وكل أبواب المعرفة لأنها الطريقة الوحيدة للتقدم، لقتل الجهل، ولتعظيم المحبة والتآخي والعلم للجميع.

سؤال اليوم: نحن في المنطقة العربية نقوم بكل هذه الأنشطة مجاناً، لأن الحلم لم يمت فينا ورثتنا في إصلاح العالم وإنقاذه من العته والوضاعة والعنف يجعل الكثير منا متطوعاً في جهة النضال السلمي، الفكري والأدبي. بينما مارغريت أتوود وصلت إلى قائمة الأثرياء بين الكتاب في العالم. نحن عالم يستحق الشفقة حين نقارن حال ثقافتنا بثقافات أخرى.

صاحبة مقالة رأي في القضايا النسوية والبيئية والسياسية أحياناً. كتبت رسالة عام 2003 إلى رئيس أمريكا حين قرر الحرب على العراق تعرّض على خطّه العسكرية. لها مواقف داعمة للفن والأدب الكندي لا تخفي على أحد.

بعض كتب أتوود تم سحبها من رفوف المكتبات العامة في أمريكا لاعتراضهم على المحتوى الجنسي للرواية. في الحضارات والثقافات التي تعاني من الاعتدال بصور شتى



بانوراما مارغريت أتوود في الشعر والسرد والحوار والنقد والبيئة



ما الذي يشدني إلى أمسيات المهرجان العالمي للمؤلفين في تورنتو لعام 2024 يجري في مدينة تورنتو الكندية كل عام في سبتمبر. ويعق بين يوم 19-29 سبتمبر هذا العام 2024؟ لا بد أن الإيمان بالفعل الثقافي لإحداث تغيير وخلخلة في بنية العالم هو الذي يدفعني كي أعطي من وقتى وأستمع وأكتب شهادتي الأدبية.

حضرت عدة لقاءات مع كتاب من كندا وأمريكا وأوروبا/العالم في اليوم الأول والثاني. وكان لي شرف المشاركة في هذا المهرجان عام 2023. وأحضر هذا العام فقط كصحفية لديها شغف وفضول المعرفة. وهذه بعض ملاحظاتي ومشاهداتي:

1 - جلسات اللقاء والحوارات ليس فيه إلقاء خطابات طويلة وأوراق بحث قصيدة النثر والرواية والتجريب وحكايات مضى عليها نصف قرن. إلقاء كلمة من قبل كاتب أيًّا يكن مقامه(هو-هي) حتى مارغريت أتوود لا يتجاوز ١٠ دقائق لا أكثر. كانت كلمتها في افتتاح جلسة عن حماية البيئة وخطر التلوث البيئي قصيرة. وكانت الجلسة تكريماً وتذكاراً لزوج الراحل غريم غيبسون الذي رحل عام 2019، وهو كاتب وروائي كندي معروف وكان ناشطاً في حقل حماية البيئة والعمل على الحد من التلوث، وهو مع شريكته حياته أتوود وغيرهم هم من أسسوا اتحاد كتاب كندا في السبعينات من القرن 20.

2 - هناك جلسات حوار حول الأفكار محددة مسبقاً وحول كتب نشرت حديثاً، وكل الجلسات قصيرة من ساعة إلى ساعتين ونصف كحد أقصى يجري فيها مقابلة كاتب أو كاتبين معاً وليس أكثر.

3 - الذي يحاور ويطرح الأسئلة لديه إطلاع جيد على الكتاب الذي يتم الحديث عنه، ولديه إطلاع على الموضوع المطروح للحوار، وليس أسئلة عمومية كمثل (ما رأيك بقصيدة النثر، هل هي شرعة

أم لقيطة ومستوردة؟)

4- التقديم للمشاركيين في أي حلقة يكون مختصرا جدا فيما يخص السيرة الإبداعية. الأسئلة مباشرة وواضحة، الإجابات تعتمد على ذكاء الشخص ومدى معرفته بالموضوع المطروح. ولا يوجد تسفيه ولا تمجيد فارط وفاقع لأي كان ولا تقليل من أهمية أي منتج. المبالغة السلبية والإيجابية تقلب إلى ضدها أحيانا وأرها تحدث في مراكز ثقافية عربية.

في جلسة مدتها ساعة، يعطى للحضور حوالي 15 دقيقة للتعقيب والسؤال. ثم يتم توقيع الكتب في ساحة خارج الصالون. أصابتني الغيرة أو الحسارة حين رأيت طابور الواقفين وبيدهم الكتب للحصول على توقيع الكاتبة. ذهبت كي ألتقط صورا للكاتبة فقال لي رجل يقف هناك كما لو أنه حارس: (التصوير من نوع

قلت له: أنا أصور الكاتبة فقط وليس أنت أو هو من يشترون الكتب. ابتسمت وخرجت مستغربة لأنني في سنوات عديدة كنت أحضر هذا المهرجان وألتقط الصور ولم يكن هناك أي تحذير. طبعا، امتنعت. أنا صحفية وأريد أن ألتقط صورا في مثل هذه المناسبات.

هامش ومقاربات: بخصوص الوقت والسيرة الأدبية وجلسات عربية : مرة حضرت ندوة اونلاين، كانت تقام في بلد عربي. كان هناك وقت للدكتورة (سين) كي تقدم نفسها للحضور، وبدأت تتكلم عن إنجازاتها منذ كانت في الابتدائية وكيف أخذت شهادة حسن سلوك وشهادة في الطبخ وشهادة في العمل الطوعي ثم عدت اسماء الأبحاث التي كتبتها وعنوانين الكتب، ورغم انها حائزة على شهادة دكتورة في الأدب وليست بحاجة الى هذه القافلة من التذكريات التي تستهلك وقت المستمع ولا تفيده في شيء علمي أو أدبي أو فكري. يعني استهلكت وقتي وتثائب وخرجت من الجلسة ولم أحضر ثانية جلسة اونلاين.

5 - يحضر المشاركون على الموعد الى الصالة بالتوقيت المحدد تماما ويغادرون القاعة كما هو محدد في الجدول . وبعض الحضور الذين يتأخرون في دخول الصالة، يقوم متطوعون بأخذهم إلى المقاعد الفارغة في الخلف وبهدوء شديد كي لا تتم مقاطعة المتحاورين. حتى في جلسات النهار، تكون اللقاءات في غرف معتمة كما صالات السينما، والأضواء مسلطة فقط على المسرح حين يجري الحوار. كرسى أبيض من الجلد، وطاولة صغيرة ومزهرة فيها وردتان أو ثلاثة وفقط. وهناك ماء لكل محاضر.

6 - الحضور يدفع ثمن التذاكر لكل جلسة أو يشتري تذكرة يوم كامل لحضور جلسات النهار كله على تنوعها. أنا اشتريت بطاقة عبر لكل أيام المهرجان. وأحاول أن أفهم شيئاً جديداً من أي حوار.

وسوف يجد كل شخص موضوعاً يهمه في هذا الحقل الإبداعي أو ذاك. حضور الشباب أقل بكثير من عدد كبار السن أو المتقدين في العمر. هذا يعني أن القراءة عند جيل الشباب تتحسر في كل مكان بسبب استخدام الموبايل والتكنولوجيا الحديثة التي تقدم الكتاب المسموع، واللقاءات صوتاً وصورةً-أونلاين.

7- حضرت جلسة الـ*البينة* والتلوث تحدث فيها الكاتبة مارغريت أتوود عن أهمية هذا الموضوع، وثم دار النقاش بين كتاب وناشطين في هذا الحقل ودار الحوار المذيعة والكاتبة المعروفة هنا (نهلة عайд) التي تقدم برنامج أفكار في راديو كندا سي بي سي .

8- الكتب الصادرة بالإنكليزية متواجدة في ساحة للبيع داخل المبني، وهناك ركن في ساحة هاربرفرونت سنتر لبيع الكتب الخاصة بدور النشر الصغيرة وبلغات غير الإنكليزية ومنها العربية لعرض بعض الكتب العربية للبيع. وسيكون ديواني الجديد (*أشجار إنخيدوانا*) متوفراً للبيع هناك.

خاص للجالية العربية في تورنتو: يوم ٢٨ سبتمبر سيكون مختصاً في حيز كبير منه للأدب العربي، سيحضر الكاتب العراقي سنان انطون، والروائية المصرية الكندية نور نجي، داني رمضان، وهناك الشعر المحكي لأصوات من الإمارات. وفي يوم آخر هناك جلسة حوار ستجري مع الكاتب اللبناني الكندي رجا خوري وضيف آخر وسيكون محورها ما يحدث في المنطقة العربية وكيف تتحاور في مثل هذه الظروف.

هذه المهرجانات هي فرصة كبيرة لدور النشر التي تتبع كتاباً بأعداد هائلة وحسب شهرة الكاتب الذي يتم استقدامه سواء من كندا أو من أوروبا وأمريكا. وكل مشارك في الجلسات يحصل على مكافأة مادية معينة مسبقاً. ولا يطلب منه سوى الحضور بأفكاره كلها وروحه العالمية. وهناك غرفة مخصصة للكتاب حيث يجدون شرابة وبعض الصندوישات الخفيفة وماء وقهوة وعصير ونبيذ. وهناك كان لي فرصة اللقاء بعدد من كتاب العالم وكندا في سنوات سابقة.

ومن الأسماء التي يحتفي بحضورها الشاعر والروائي الكبير مايكل أونداتجي صاحب رواية المريض الإنكليزي، والذي عاد هذا العام إلى إصدار مجموعة شعرية جديدة ويعتبر واحداً من القامات الفاعلة والمميزة في الأدب الكندي. قصidته الأخيرة تأخذ شكلاً سردياً حكاياً على شكل كتلة تلوذ بالقص وتتمسّك بخيط الشعر برهافة.

كلمة اليوم: سمعت حوارات لمارغريت أوتوود تقول بصرامة أنها تنتقد بقوة أحداث سياسية واجتماعية لأنها لم تعد تخاف على لقمة عيشها من أن تتأثر فيما لو كانت تعمل لحساب شركة أو جهة معينة. لقد اجتازت تلك المرحلة عمرياً ومادياً ولها ثقل إذا تصدرت لموضوع ما. وتلك المكانة حجزتها لنفسها بموهبة ومهنية وذكاء ونباهة نادرة. لذلك هي لا تلوم من لا يستطيع أن ينتقد ظاهرة خرقاء ما لأن بعض الكتاب محكومين بالخوف من الرقابة وأشياء أخرى.

هل هذا يعني أن الحرية هنا ليست مشاعراً ومكفولة للجميع بلا قيد ولا شرط؟
بالطبع هنا قيود خفية وأخرى معلنة وتتغير من عقد إلى آخر وفق الحراك المدني والديني والسياسي المسيطر على العالم.





الفصل الثاني

أغكار ملونة

ديكتاتورية المثقف وهزيمة المفكر في الحوار المعاصر

"أكبر خطر على الحرية هو غياب النقد"
ول سوينكا

كن محاوراً نادراً ولا تكن عدواً ليناً
كتب ول سوينكا، وهو روائي نيجيري وناشط سياسي، شاعر حائز على نobel "أكبر خطر على
الحرية هو غياب النقد"

وتبقى طريقة النقد وكيفية إدارة الحوار دليلاً على سمو صاحب القلم الذي له ملكة استخدام محساته
الفنية لاستخلاص أفكار جديدة لم يصرح بها الطرف الآخر. وهي الغاية من التحاور عن قرب وعن
بعد. فالعدوانية ليست نقداً بل ممارسة مرفوضة أخلاقياً وأدبياً.

عالم اليوم شديد التقييد لكنه ليس أذكى مما كان في السابق أدبياً وإنسانياً. الآن تتصارع وتتلاعج
الحضارات والأديان والقوميات والآراء متعددة في منصات التواصل الاجتماعي المعاصر بشكل لم
يسبق له مثيل. وبحكم السفر والهجرات واللجوء والإقامة بين هذا البلد وذاك، أصبح الفرد مضطراً
أو مخيراً على أن يكتسب من ثقافة الآخر، يتعلم أن يحاور دون أن يقاتل، ينتقد دون أن يشتم ويلعن
بشكل مبطن وصريح. كما على الإنسان المعاصر في أي ميدان أن يتقبل المختلف دون أن يتعدى عليه
ويحاول تصفيته معنوياً وإبادته. وهذه إيجابيات تضاف إلى كونية المعرفة وسهولة انتشارها بالطرق
المعاصرة، التقليدية والذكية. وإذا وجدت نفسك على منصة بحث كفانتك أو بمكاسب انتهازية، كن
مدافعاً عن رأيك ووجهة نظرك دون ضحايا. وبالطبع تستطيع أن تكون مبتذلاً في هذه الفضاءات

مادمت لا تملك أبجدية الفكر وأولوياته فيما أنت تحاول أن تبرر صوابك المطلق الذي لا يدحض.

"كلما نجح صديق، أموت قليلاً" غور فيدال

النقد الثقافي والتقييم الأدبي والاختلاف فكريًا ومعرفياً، له طرق وسلوكيات يعرفها أصحاب المهنة الذين شذبتهم التجربة والمعرفة والخبرة في مهارات الحوار والاختلاف دون طعن أو تسيفيه أو انتقاده من شأن الآخر. بعض المثقفين العرب يذهبون إلى الحوار مع الآخر لغايات لا علاقة لها بمنتج الآخر بل لإبراز أنفسهم وتضخيم مقامهم على حساب المقابل. ويلجأ هؤلاء في الوقت ذاته إلى الكيل بمكيالين وحسب الشخصية التي يتحدون أمامها. تراهم يتعاملون مع أدبيات المرأة التي لها جانب من السلطة الأكademie بطريقة مغيرة تماماً لكتابات المرأة التي لا سلطة لها إلا المعرفة الحرة دون تبعية. تثمين وتدعيس حسب المقام وليس قوة الفكرة.

ويكون تقديرهم كذلك في تعاملهم مع الإبداع الذي يكتبه الرجل-صاحب السلطة الثقافية. هناك تشنين بفرادة المنتج الإبداعي. وهنا لا تكون غایة المحاور أن يكتشف أعمق الكاتب ورؤيته الفنية وأدوات صنعته وكيفيتها، بل همه وغايتها أن يتتصدر المشهد فيكون الآخر وسيلة ليس إلا. أمثال هؤلاء عينة صارخة على الانتهازية وعدم المصداقية. يحدث هذا في الفضاء الافتراضي ويحدث وجهاً لوجه في الملتقيات الفضائية والمنتديات في المهاجر وفي الميديا العربية.

عزيزي المثقف، حين تعرّيك موجة عاتية من الحسد والغيرة لأن إحدى الصديقات أو الأصدقاء الكتاب أنجز كتابة جيدة وحاز تقديرًا ونجاحًا مرموقًا، ما عليك إلا أن تخذل نفسك قليلاً بينك وبين نفسك. إن كان لا بد - ثم تتجه إلى الكمبيوتر وتحاول أن تكتب نصاً أرقى. حاول لا تبدل طفائفتك في الدباء والتذاكي. وعليك أن تقى نفسك من الموت حزناً وغيره من نجاحات الآخرين. لا وقت للحق والغيرة فكنا نستحق الشفقة في شعاب الأدب العربي. واجعل من غيرتك محضراً إيجابياً متحرراً من أمراضك النرجسية وإيقاعات الإيفوغاعات.

قال غور فيدال، وهو روائي أمريكي عاش بين (1925-2012) : "كلما نجح صديق، أموت قليلاً" وكان كاتباً منشغلاً بالسياسة والمواضيع الاجتماعية والتاريخية في أدبه كما في حياته الشخصية.

المثقف الخائن للمدنية

محاولة التصفيات الجسدية والمعنوية والإبادات عمل إجرامي ترتكبه السلطات العاجزة عن استعمال اللغة والقول لخلق التفاهم بين الحضارات والأديان والقوميات. وليس لائقاً بأي فرد يشتغل في حقل

الأدب أن يمارس فعل إبادة فردي بكل قواه المعنوية والمادية لمجرد عدم تطابق بين أفكار و نظرية الأول والآخر. هناك مثقفون لهم نفوذ ويفعلون ذلك ويقبضون ثمن عملهم المأجور مع شهادات تكريمه خلف الكواليس وأمام الماييفون.

السلطات العربية والدولية العثمانية والصهيونية ارتكبت عدداً من الإبادات والمجازر بحق الشعوب وبحق الأقليات التي تتعايش في نفس الحيز الجغرافي، ولسنا هنا في صدد حصرها وتلك السلطات خلقت ثقافة وعقليات فردية جاهزة لقتل بذرة الفكر المختلف. وهذا يدعونا للعودة إلى دراسة شخصية المثقف التابع والذي يخدم مصالحه بانتهازية مزدوجة.

حاول ألا تصبح عميلاً مأجوراً وسجادة للسلطان كي تحصل على سلطة ومكاسب مادي وتحظى بالدعم، منحة أو وظيفة مرموقة في مكتب ما. الوقت في يدك فرصة لتحرير رأسك من الخوف الذي يدمر جدار الإبداع فيفقد الكاتب الموازنة بين الجمالي والإنساني الحر. الزمن ملائم في كل المنعطفات لتحرير الأقلام من صمت مفزع ما بين ديكاتورية تنهار وأخرى تحل محلها وتميل سلسلة القمع وبأدوات مختلفة.

الكاتب والديكتاتور وزملاء المهنة

بعض الكتاب يشتمون الديكتاتور، وبينفس اللسان وتلك اليدين يشتمون زملاء المهنة من نساء ورجال إن حصل خلاف أو اختلاف في طريقة النظر إلى قضية ما، أدبية أو فكرية أو سياسية. بعضهم وبشكل نرجسي، يزيد معدل قبحه حين تكون قبالتها امرأة ناجحة لا تشبه أحلامه عن النساء. الجندرية تتمظهر من وراء الأقنعة. وهؤلاء لا يغول على صوتهم ضد الديكتاتوريات إن لم يقتلوا الطاغية الصغير الذي في رأسهم. وهؤلاء مؤهلون لأن يكونوا في مقام الديكتاتور إن ساحت له الظروف المستقبلية لذلك يبقى نضالهم خلبيا.

لا تصبح جحيم من يختلف فكريأً

الآخرون جحيمك حين يجعل من يختلف معك في الرأي عدواً تجهز عليه قبل أن يفعلها هو. نحن نردد ما قاله المفكر الفرنسي جان بول سارتر "الآخرون هم الجحيم" ونعلم أننا لا نستطيع العيش دون الآخر رغم أنهم يحضرون المجتمعات والأفراد لمرحلة سلطة الذكاء الاصطناعي على الإنسان الضعيف أمام جبروت قوة المال والتكنولوجيا التي تديرها سلطة رأس المال التي بلا روح.

مراها سمعت وقرأت تعليقات لزملاء وأصدقاء عن مثل هذه الممارسات في بيوت الثقافة العربية ومنابرها، وأقول: لم ينج أحد من أدباء وشعراء وأفراد من مغبة مثل هذه السلوكيات. ويجدر بنا أن نذهب في العمق كي نفهم سيكولوجيا الأديب الذي في بطنه طاغية.

سيبقى النقد والحوار أهم الطرق في التفاهم والوصول إلى أركان البناء المدنى الاجتماعى الإنساني.

كتب الأديب المهجري ميخائيل نعيمة : "كم من ناس صرفوا العمر في إتقان فن الكتابة كي يعمموا
جهلهم لا غير"

سؤال اليوم:

كم هناك من كتاب عرب صرفوا وقتاً في القراءة والكتابة وكانوا على أرض الواقع أندلاً رغم المعرفة
التي جمعوها من استظهار الكتب والمقولات المنسوخة عن كبار فلاسفة العالم ومفكريه" !

نشر في صحيفة الصباح العراقية، 15 تموز 2024



2

الحرية في الشرق رومانسية وطوباوية

الحرية أكثر الكلمات رومانسية وطوباوية في البيت العربي. حين نريد أن نكتب بحرية، نحن نحاول أن نثقب الجدار المصنوع بين الأول والآخر بقلم وكلمات فينتفض حماة جدران الجهل للابقاء على روح التخلف والعداء والعنصرية. الجدران منتصبة في بعض الأفواه الرؤوس قبل الواقع. راقب الحجارة التي في رأسك قبل أن تهاب الآخرين على أفكارهم. تأمل قليلاً في أفق الحرية الذي يتسع للجميع، لأنه جميل وأكرم مني ومنك.

*

أستطيع أن أتعايش معك حين تتحفظ من وصاياتك المقدسة وأبجدية التواب والعقل في خاتمة النقاش وأوله. ونستطيع أن نتفاهم حين تتحفظ من إملاءات قوميتك الباهرة التي قد تصير مفاهيم دينية منغلقة لا تخدمك ولا من تعيش وسطهم.

*

أستطيع أن أتقبل أفكارك حين تتحفظ من إملاءات طائفتك وقدسيّة منهجك الموروث وتقاليد أسرتك التي تريدها خادماً في عشيرة عصرية. أما الذي يريد نعاجاً ومربيدين في القرن 21، سيدور حول نفسه وسينتهي به المطاف لأن يكون نعجة أو ذنباً في حظيرة سلطان ما من هذا الفضاء.

*

سأز هو بحبك حين يصبح فرك نوراً وقلبك شعلة، وعينك منارة ترى إلى عيني نداً لنِدِ، وتسير قربى كتفاً إلى كتف يسند حين العثرات ويمضي في الطريق إلى الغد.ولي رأس تسرح فيه الأفكار تتبلور وأتحفف منها بين محطة وأخرى بكتابتها وإشهارها.

*

النور دين ودين من قبل التنوير الروحي ليكون كائناً أسمى بغض النظر عن طائفة القوميات والعشائر والأديان، وفي ذلك يكون الفرد قد ماضى خطوة في طريق السلام مع روحه ومحيطة.

العالم الجديد خليط ولم يعد هناك عرق أبل من باقي الأعراق. لقد سافرت الشعوب عبر المحيطات والقارات، واختلط الدم بالدم، واللغة باللغات الأخرى. فلا تبصق في صحن من استضافك على علاقتك وفتح لك باباً وحراباً وبيتاً. فكر لنفسك وستعرف مواطن عبئك المتلونة وضعفك المستور بأقمعة ملوثة.

*

هل تعرف مكونات العبودية التي تعيشها أو تمارسها بنفسك على من هم أصغر منك سلطة؟

وأتصور أن لا أحد ينجو من خرائطه الخاصة وال العامة، بصورة أو بأخرى إذا كان لديه الوقت والصدق للتعرف على أشكال العبودية التراتبية البطيريكية، الهماسية والعظمى التي يمارسها خلف الأقمعة في مجتمع التبعية الشمولية والسيادة الأحادية.

*

توخش الإنسان في بعض الحالات ولم تفقد الوردة شريعتها التي هي الجمال والعطر. ولم تفقد حاجتنا إلى ما يكفيانا من الخبز والورد، نتقاسم الخير معاً في ضوء شعلة هي مرسال النور والروية.

الآن، ما الذي جناه التاريخ من كل الحروب والآيديولوجيات؟

لا شيء أكثر من الخسائر. ولكن هي يمكنهم العيش دون قتال؟

قالت: لا أدرى، مادا تقول أنت؟!

قال: أنا جائع. ما العشاء، لا أدرى لماذا تتدخل المرأة في قراءة التاريخ؟!

قالت: حين تقرأ لغيرك كتاباً أدبياً أو فكرياً حاول أن تبعد قاموسك الآيديولوجي عن وجه النص.

بعد كتابك المقدس عن النص. وبعد قاموسك السياسي والأخلاقي الشخصي عن النص الإبداعي وعن الفكرة. العالم يستتجد بك وبهم كي ينجو من المجازر المكررة والحروب اليومية المضمرة، بينك وبينهم.

القاموسي كائن بلا مخيلة. القاموس كتاب بلا أحلام.

مفردات القاموس نصنع منها لغة للتفاهم. نصنع منها أدباً وفكرة يتجاوز إطار الكلمة بحد ذاتها.

*

ولكن، كيف وصل المجتمع إلى هذا الحد من القسمة العدائية العدوانية، الشلالية المشلولة التي لا تأخذ بنا في دوامة الحلم الملتوى كافعى لا تعرف طعم التفاح ولكنها تشم رائحة الأجساد العاشقة عن قرب وعن بعد،

عن زهد. عن أدلجة. عن فقر وترهيب، وعن خداع ووعود بالنهائيات الطوباوية السماوية.

عن خوف من ذلك النص الذي كلما سترناه بالورد والأوراق، يشف، ويعبر الأفق بكيماء لها خلطة خاصة، رائحة مؤلمة، عطر مسمر، خطيئة لم ترتكب بكل حذافيرها، لا تقبل القسمة على نصفين. كعين تغمض روحها كي تسقط في بئر الروح الأخرى. كي تنام في رفاهية اللغة التي ليست نصف رغبة. نصف رجل. نصف امرأة ونصف حب.

الأنصاف ليست من الإنصال.

الاكتمال دائرة الدرويش الذي يسقط من الإعياء وليس في ثوبه سوى التيه والتلاشي.

*

حزن الحكايات يبكينا ويشقينا ما انكسر من دمعها على كتابنا
نفي الحكايات عن حسها يقتل الصدق فيها وفينا.
نفي الإنسان عن حرية القول، قتل للغة والبيان ومنبع المعرفة.
لا تقتل إنساناً يقرأ الأرض والسماء والوجع في عيون القراء قبل الحرب وبعد.

*

الحصار الفكري والقيد على حرية المفكر والكاتب في العالم العربي، سيأخذ المنطقة إلى سبات عقيم واستهلاك للمقولات والأفكار المعلبة والباندة ولسنوات قادمة. بتصوري، لن يصبح العالم العربي نقطة مؤثرة في العالم لأنه لم يسمح بمساحة لانفقة من الحريات للباحث والمفكر والأديب. إنه يضع الجميع في قوالب وإطارات تخضع لأحكام السلطة الدينية والمدنية. ولو سمح للمعرفة والفكر العربي أن يستثمر كما هو مسموح استثمار آبار النفط والبترول لصار للثروة الفكرية العربية قيمة عليا وكرامة على أرض كل القرارات.

المفكر الغربي ليس لديه جينات أذكي من الكاتب العربي، لكن خلطة الحرية والقول والتجربة مسمومة بدرجات كبيرة، ولن نقول أنها حرية مطلقة بل تتراجع في العقد الأخير بنسبة ملحوظة. المؤسف والخطير، أن هذه السلطات المؤطرة والخانقة للتفكير الحر في الشرق تحاول أن تمتد بأدواتها القمعية إلى خارج الساحة العربية من خلال توابعها ومؤسساتها في الغرب، وتفرض تقيين الحريات بحجة المحافظة على الهوية الدينية والأعراف والتقاليد وتحت غطاء التعددية الثقافية، ذلك السلاح ذو الدين في شمال أمريكا.

*

لا تقرأ الآخر كي تحاربه وتفسره في إطار نظرياتك التي لا تقبل المراجعة. اقرأ كي تقتل الأعمى الذي يحارب حريرتك ويريدك شريكاً لمواصلة العيش في العصور الدامسة رغم التقدم التكنولوجي والهجرات وتلاقي الثقافات واللغات في كل مكان.

سؤال وأفكار... 2023

هل الحروب اعتلال في الأخلاق أم المعتقدات أم أنها طفرة الجينات !

ستعثر على فلسفتك الخاصة للحياة حين تستوعب سطراً، فصلاً، حقبة من معطيات حديقتك الكونية.

وبين السطور ستفهم ما لم يكتبه ويصرّح به الآخرون عنك وعنهم.

حين يتقدم بك الطريق وعلى الحافة ستصلك الرسائل التي كانت في قلبك وذهنك و كنت منشغلًا عنها

تنتظر تفسير حياتك من خارجها، من خاللهم. وهناك ستجد شخصك المحارب، والجبان، والمدقع،

والحذر، والخائف، والعامل بثقة من أجل الشعلة والنور الكامن في ذاتك الحرة الوحيدة التي لم تستدل

عليها قطاع الطرقات في هذه المجرة.

*

أيها الشتاء تأخر هذا العام أيضاً. ما يزال السوريون في فصل العتمة وال الحرب الكامنة والمتواصلة منذ

أكثر من عقد. لقد زاد عدد المهاجرين اللاجئين والقتلى السوريين عن عدد الضحايا والنازحين فلسطين

والعراق ربما، وكان العالم أعمى وما يزال.

كل حرب كتاب وغاية. "والغاية لا تبرر الوسيلة" يا ماكيافيلي.

*

من يرتكب الحروب ويفدّيها لا ضمير له، ويقاتل تحت شعارات الايديولوجيا التي يؤمن بها أو يسير

وفقها لتحقيق مصالحة القاتلة، أما الكتابة فهي اللغة السلمية المتبقية للعالم في زمن الحرب.

الجملة الأولى، المشهد الأول في كل كتاب، يقرر مصير الكاتب ونجاحه تقريبًا. وكذلك تاريخ ومكان

وزمان انطلاق الصاروخ الأول في أي حرب. جولات الكر والفر والتحالفات والتقدم على الجبهات

المتعاركة، يطول ويزداد عدد الضحايا الذي لا يخبرهم أحد بأنهم الجبهة والضحايا العزل.

*

في كل كتاب، فصول وجولات (كر وفر) يديرها رأس الكاتبة من أجل أن تردم تلك الهوة الشاخصة ما

بين القول والفعل، ما بين الواقع والحلم.

شجرة ومعرفة...

في رأسي شجرة لم تنكسر

تسند إلى الرصيف أضلاعها
لا تطرح ثمارها المشتعلة بالرغبة أرضاً
في كفي تفاحة أخيرة تتثبت بي
قبلها الشمس
قبلها العيون
و أحلام عشاق الحياة
بحثا عن المعرفة الضالة
وتقرّباً من عمق المعرفة المضمرة في سيرة ادم وحواء-.
أجدادنا وأحفادهم القتلة والمقتولين.

The image is a promotional graphic for an event. On the left, there's a stylized graphic of a city skyline with the text "The Price of FREEDOM" overlaid. Below it, the date "MAY 26" is prominently displayed, followed by "IN CONVERSATION WITH ARTISTS" and "3:00 PM TO 4:30 PM". At the bottom, the words "HAPPENING MULTICULTURAL LIVE" are written in a large, bubbly font. On the right side, there's a circular portrait of a woman with curly hair, identified as "JACKLEEN SALAM" who is a "PANELIST WRITER". Below her name, there are logos for "MUSE ARTS", "PEN FREE EXPRESSION MATTERS", and "Canada Council for the Arts".



٣

حول الشعر ما بعد أندريه دوا

" بالشعر كما بالموسيقى، نلامس شيئاً ما، جوهرياً، وفي الشعر يستبعد الزمن فإذا أنت خارج الصيرورة، الموسيقى والشعر غيبوتان متساميتان" المفكر إميل سيوران

لن يموت عشاق الشعر وكتاباته الذين يواصلون التدوين منذ أن كتبت أندريه دوا/شاعرة الكون الأولى الواحها في سور/بابل وبمختلف التقنيات والصيغ الجديدة. ولكن هناك إشكالية في التلقي والتقييم ولا غرابة لأن العالم كله يعيش خراباً لا نظير له.

الشعر، يتيم العالم وفقده إلى أن يصبح له جانزة مادية مرموقة على غرار جائز الشاعر في أوروبا وكندا.

*

ماذا سنصنع بالشعر في هذا العصر الخراب؟

صنعت من الشعر كل ما ينقصني وينقصك من احتياجات روحية ومفاهيم جمالية يغزلها الخيال ويبسطها على الأوراق. تستطيع أن تصنع من القصيدة أداء أو حمالات الأداء، وتستطيع أن تصنع منها الشفاه والقبلات والقفازات، الأصابع أو اليد المبتورة بفعل قذيفة أو حادث في معمل. ويمكنك أن تصنع منه كمامات للوقاية من الفايروسات المعدية.

*

وقد تصنع من الشعر العطور والمقابر، وأشياء أخرى لا مرئية، متناهية في الصغر لا ترى بالعين المجردة، وتلك مأشرة الشعر. وهناك مقاربات بين الشعراء والغاوون معروفة جداً. "والشعراء يتبعهم الغاوون" ولذلك لا تقربوا الشعر كي لا يتبعكم الغاوون إن لم يكن لديكم ما يكفي من أسنان في الرأس

لهضم المحتوى، والعودة بسلامة إلى ذواتكم.

لقد حاول الشعراء أن يصنعوا من الشعر مقابل المسيلة للدموع والقذائف لكنه لم يستوعب فكرة القتال ولم يذهب إلى الحرب معهم، بل كان أضعف الشعر، ذلك الذي أخذوه للنضال وللدفاع عن المستتب من حقوق الإنسان. بعضهم فعل ويفعل من باب الواجب والموقف اتجاه حدث أو قضية.

*

صنع من الشعر ما عجز عنه الموسيقى، وما فات عشاق اللغة من مجاز وأحجيات. ويصنع الشعراء من الشعر شذرات، أو كتلة كلمات متراصمة دون تقطيع بالسطور إن أرادوا بدل الكتابة الموزونة على البحور المعروفة منذ قرون كما في شعر المعلقات، وكما فعل بسام الحجار وشوقي أبي شقراء وعباس بيضون، وديع سعادة وسركون بولص، عبد القادر الجنابي، في أيقونات لا تقرأ على المنابر ومنصات شعراء يحضرها الآلاف والملايين.

لا عيب في تذوق التراث والتفاخر به، ولكن الوقوف على تلك الأطلال إلى الأبد محدودية صيغة من صيغ التزمر وقت التجديد. وكما تغيرت أدوات التدوين بين عصر وآخر، تغيرت كذلك أساليب وصيغ وأشكال التدوين شرقاً وغرباً.

الرکون إلى ثوابت في الشكل واللغة والموضوع يفقد الشعر وهجه ويفقد القارئ تلك الدهشة التي أتى من أجلها إلى بيت الشعر. هذه الدهشة لا تتحقق إلا بالوصول إلى قدر من الحرية، حرية الخروج عن النسق بشكله ومعناه التقليدي، وهذا يستدعي ابتكار صيغة جمالية مفارقة للسانيد. وأرى أن الانتعاق من الثوابت له نفس أهمية الموهبة. والشعر الأجمل هو النص الذي يكتب بصيغة وصنعة تحقق الدهشة وتدفع للتفكير في جماليات وقبح الأشياء من حولنا.

*

لا أدرى لماذا يرددون كثيراً عبارات مثل: موت الشعر، موت الكاتب، موت الشاعر، موت المؤلف، قتلت آبائي... وصولاً إلى موت القارئ وما إليه من إطروحات يتم تداولها.

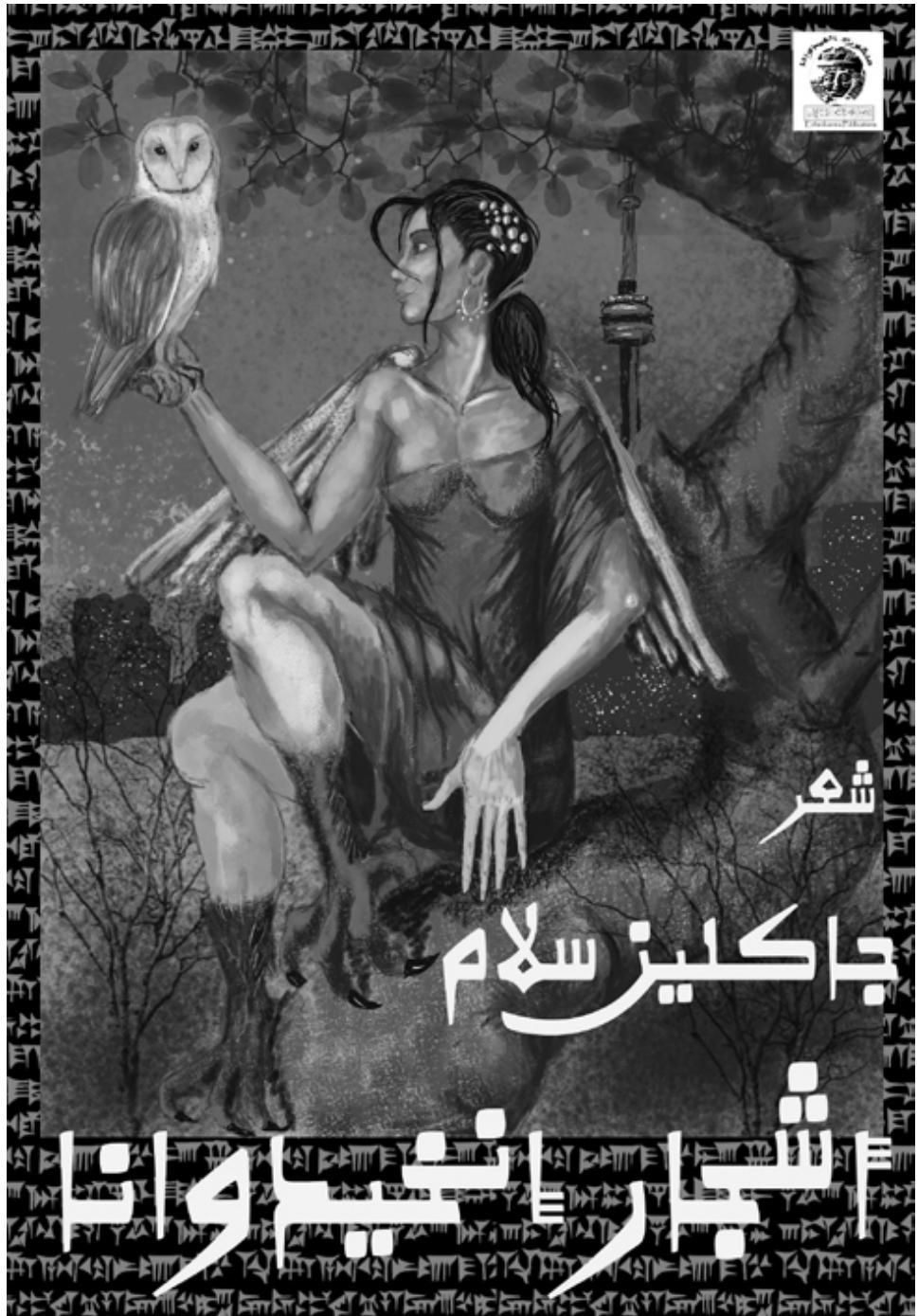
نعم ربما أعرف بعضها، وقرأت بعض هذه الإطروحات من مصادرها. ربما كل هذه المقولات جرت في أوروبا وقلالها شعراء ونقاد كبار، ولكن مسألة القتل ليست حقيقة. أنا وأنت نكتب لأننا قرأنا ما كتبه الجيل السابق. منهم تعلمنا وستتعلم، ثم نحاول إن استطعنا أن نشق خطأً مفارقاً ولو بدرجات عن النسق العام. ما يثير الريبة أن شاعرة لم تكتب سوى ديواناً واحداً تطل على القراء لتقول: لقد قتلت آبائي، وهي في الأصل تعكز على تناصات واقتباسات سابقة، وتأخذ باب إلى الشهادة بمساندة عدد من الآباء والكتاب الأكثر رسوحاً منها، ومن الذين تدعى أنها "قتلتهم" بمعنى تجاوزتهم إبداعياً وخلفت حداثة غير مسبوقة في العربية.

*

ومن الشعر نصنع سجادة سحرية ومكنسة الساحر الذي ستأخذنا عبر الأكوان في رحلة خارقة بعد أن
نقبض على معايير الخلطة السحرية. فالشعر ملعب المجانين المولهين بسحر معرفة ما وراء الأكمة
والافق، بيت الذين لم يفقدوا خط العودة إلى الصفر، إلى قعر الوجود، إلى بؤرة خرائب الروح وانكسارات
ومباهاج الجسد.

الشعر ابتدأ من تعريف سيدة الشعر، أنيخيدوانا لذاتها : أنا، انخيدوانا... وإلى أن صارت الآنا الذاتية،
شعلة متقدة وموظبة على معرفة الأول والآخر وحتى آخر المطافات.





الكتابة دخل توسيع واختراق للظلم



في مقدمة الطبعة الثالثة لديوان الشاعرة نازك الملائكة الذي حمل عنوان "قرار الموجة" والذي صدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، عام 2001، تقدمة كتبها الشاعرة على شكل مونولوج بين ذاتها الآن، وذاتها في الماضي وجاء الحديث باسم (الأولى والثانية). تناوش مع نفسها مسائل مهمة كاختيار عنوان الديوان ليكون قرار الموجة أو قمة الموجة، أو طريق العودة. وتهدي الديوان إلى أمها بهذه الكلمات "إلى أول شاعرية خصبة تتلمذت عليها"، وأقتبس هنا صورة الأولى والثانية.

"الأولى:... إن العنوان ليس إلا مرآة صغيرة تعكس فترة من حياة زاخرة عاشها الشاعر، ولا بد لكل فترة في حياة الشاعر الحق في اتجاه مميز، إنه شيء قائم وهو يحتم العنوان.
الثانية:رأي متعنت. أنت جدية أكثر مما ينبغي. وبعد ذلك عنوانك العتيق (قرار الموجة) لا يمثل القصائد كلها، ففي المجموعة قصائد لا تقع تحت هذه الفلسفة.

الأولى: هذا حق. وأنت المسؤوله. لقد حذفت نصف قصائد هذا الديوان. أنكري هذا.
الثانية: إنني لا أنكر. هذه القصائد لم تعد تروقني وقد حذفتها...،" ينتهي الاقتباس هنا.
تعليق: إذا، ومهما تقم الشاعر في مهاراته الأدبية ستكون هناك مراجعة ذاتية ونقدية فيسقط بعض نتاجه من خريطة إبداعه ولذلك نجد (مختارات شعرية) يقوم بعض الشعراء بتضييقها وإعادة نشرها. وليس مهمه النقد أن يقيس شعرية القصيدة بمقارنتها بما كتبه الشاعر منذ 10 سنوات أو 50 بل يكون الحكم على كل نص من داخله ومحموله الفني.

وهنا أنكر فقرة من تصوص للشاعر السوري محمد الماغوط:
"الطالب: عندك ديوان (قرار الموجة) لnazik الملائكة؟

البائع: عندي ديوان (كيف ترکب الموجة)

الطالب: تأليف من؟

البائع: أبرز الشعراء والكتاب العرب.

الكتابة كفعل تنوير واحتراق للظلم

العنوان الأدبية والرموز خادعة وذكية ولا تقرأ بأفقيه ومرجعيات خارجة عن الأدب. تحريم حرية الكاتب في انتقاء المفردات والمصطلحات تحدث في الأدبيات العربية والعالمية.

تبقى الكلمات والمصطلحات والحريات مجردة من المعنى إلى أن نضعها قيد الممارسة. وهناك هوة بين تعريف الحرية وتطبيقاتها، وسبل انتقالنا من المجرد التئيري إلى الميداني والواقعي المعاش المعاصر. هنا مقتطف للفكر الشاعر أدونيس، من كتابه “النظام والكلام” الذي صدر 2010 عن دار الآداب: “الإبداع الفكري “اختراق” وليس طرداً. أن تخترق شيئاً هو أن تعرف به وتتعرف عليه وتنطبه. وأنت في هذه الحالة طالع منه، أن “تطرده” هو أن تجهله وأن تنفصل عنه وأنت في هذه الحالة غريب عنه وخارجه“.

ولكن في حالات كثيرة شرقاً يجري العكس، يتم النبذ بالاعتراض على الأفكار والعناوين التي تمس الخطوط الحمراء العريضة التي يضعها الرقيب من منظور لا علاقة له بالأدب بل باعتبارات خارجة عنه كليةً. وأحياناً يكون الرقيب منطلاقاً من باب الطائفة، الجنس، الدين، الحزب السياسي. والاختلاف ممكن فكريأً ومن خلال الحوار المتمدن. إذ إنَّ الفرد قد يختلف مع نفسه أحياناً مع مرور الوقت.

* * *

عنوان

لا ترُوْق لشِيُوخ القراءة

شخصياً تعرضت بعض نصوصي الشعرية واضطررت للتعديل في أكثر من نص وعنوان، وعلى سبيل المثال: رفض الناشر عنوان قصيدة ”في حديقة الله“ وجعلنا البديل: حديقة كونية. وفي نص آخر تم حذف كلمة (المسيح) وكلمات أخرى لها مدلولها ورمزيتها. قبلت التعديل في حينه كي يرى الديوان النور بعد طول انتظار. وحدث مثل ذلك من قبل أثناء نشر نصوص متفرقة لي في الصحفة العربية. مثال: حذفت كلمة بنبيذ ووضع الرقيق بدليلاً عنها كلمة (ماء) ونشرها دون مراجعتي. وهنا أتذكر عنواناً جميلاً للشاعرة الإيرانية فروخ فرج زاد ”عمد니 بنبيذ الأمواج“. ولا شك أنها كانت شاعرة إشكالية في مجتمع منغلق، وذلك لم يستطع أن يحتم طاقتها للتحليق فوق محدودية الواقع وكتابة أجمل نصوص

العشق والوجود الإنساني الذي نتداوله في هذا العصر بنشوة.

المعاودة بين سيف الزهور و“شرق عدن، غرب الله”

قرأتُ مرةً أنَّ الشاعر السوري محمد المعاودة اضطرَ إلى تغيير عنوان مجموعته إلى “سياف الزهور” رغم أنَّ اختياره الأول كان “شرق عدن، غرب الله”. لا شك أنَّ مزاج الرقيب والطارئ السياسي الذي تلعبه القوى المتصارعة والمتحكمة يلعب دوراً في تحديد قيمة للأدب والفكر والمفردات بما يتاسب ومزاج السلطة الأكثر قوة، وإلا لما رأينا عشرات الكتب التي تسحب من الأسواق أو تمنع من الدخول إلى بعض الدول، بعد أن تكون قد طبعت أحياناً لأكثر من مرة (مثلاً رواية حيدر حيدر، وليمة لأعشاب البحر) وأصبح لها رصيد في ذهن القارئ ومكان على رفوف مكتبه الشخصية.

يا حزن تلك البلاد تلك التي تفضل عنف “سياف الزهور” على العنوان، “شرق عدن، غرب الله” لمجرد أنَّ بوصلة الشاعر اخترقت الحيز الجغرافي المنظور.

الشاعرة الأميركيَّة ريتا دوف وحريَّة اختيار كتابة الشعر

في حوار على يوتيوب مع الشاعرة الأميركيَّة السوداء “ريتا دوف”， التي حصلت على منصب شاعرة البلاط في أميركا منذ عدة أعوام، كانت تتحدث عن بداياتها ووالديها وحريَّة الاختيار التي كانت مبنولة لها في أسرة متعدنة. قالت الشاعرة:

”حين قررت أن أصبح شاعرة، ذهبت إلى البيت وأخبرت أمي فأجابت: أذهبِي وأخبرِي والدك؛“
”في طفولتي كانت أمي في المطبخ تحمل السكين وتقطع الخضار وتنشد أبياتاً من مسرحية ماكبث لشكسبير وكنت أعتقد أنَّ كل الأمهات يفعلن ذلك.“

وقالت عن والدها: ”أبي تعلم اللغة الألمانية والإيطالية بنفسه وحتى على دراسة اللغات الأخرى وترك لي حرية الاختيار.“

وأقول: تلك الحرية في أن تختار العنوان، الجنس الأدبي، الشعر أو الرواية أو المسرح تبقى مقرونة بحرية أن تقول وتخيل باقل ما يمكن من المقصات ليكون الكتاب الجديد وعاء لفكرة جديدة وليس تكراراً لكل ما قيل من قبل.

كما أهدت نازك الملائكة الديوان لأمها، أهدي

تكتب، وكانت تريدني أن أقصد في الكلام وأن أمشي مع التيار والموجة.

2024/03/20
الملحق الثقافي في صحيفة الصباح العراقية



5

هرمية الثقافة والهويات البطريركية

عزيزي سين وعين، دعهم يتحدثون عن عبقريةك في التأليف أيها الكاتب. لا تنخرط في المهزلة وتقول: أنا عبقرى.

*

في الإبداع الثقافي والأدبي، المهم والأكثر أهمية بنظري لا يقاس بالمقاييس بين اسم كبير وأكبر وأكثر أهمية وأقل أهمية، وتافه وأكثر تفاهة. من المفترض أن يقاس الإبداع والإنتاج بجودة المنتج وأصالته إبداعياً وفكرياً وحصراً.

*

فقط في الثقافة العربية، يعرفون الكاتب بالكبير والكاتب والمغني الصاعد، وهذا يستدعي حضور النقيض، من شاكلة الكاتب الصغير والكاتب والفنان الهاابط والكاتب المرتزق مقابل المبدع النزيه.

*

من الهزل والضعف أن تضخم نفسك بتصغير الآخر ولكنهم في الساحة العربية يعطون ذلك وباستخدام أسماء التفضيل الباهرة.

*

كن كبيراً ولا تكن بذيناً في تقييمك للفنون والمعرفة. وهنا يختلف أعيان المجتمع الشمولي في تعريف البداعة والثقافة كما يختلفون حول ألقاب الأمير والكبير والمتناهي في الكبر والمتناهي في الصغر والذى لا يرى بالعين المجردة لفطر صغره أو كبره.

*

في بداية شبابي قرأت بعضاً من كتب طه حسين، وكتب فراس السواح وما قدمه في تحليل الأسطورة

والدين وألغاز عشتار ووجتها ممتعة وتضييف معرفة وإضافات مهمة. ولم أكن ولست في مقام البحث فيما إذا كانت منسوخة أو مسروقة، وكذلك الحال بالنسبة للروائي المصري يوسف زيدان.
أقرأ وأمضي ولا أرى في أحد إلها كبيراً فوق الجميع وعقربيه.

*

منظر الإنسان الآلي في الأفلام يزعجني وكذلك أنفر من الكتابات البلاستيكية والتي تحتاج إلى عملية قيصرية كي تظهر في الرواية والقصة والشعر. تلك المحاولات التي تحتاج في مستوى آخر إلى إنعاش كالوليد غير المكتمل في حاضنة التفاهمة تحت خانة الأدب. الأدب شيء والافتخار الأدبي والروبوت شيء آخر ولكل تعريفات وغايات ومهام مختلفة. وليس كلها في خدمة الحضارة.
البساطة والعمق فن لا يقدر عليه إلا الموهوب الأصيل، أما عن إحداث القراءات اللغوية والألغاز التي في غير موقعها، فذلك دلائل على عجز الكاتب (هو/هي) عن تحرير المشهد قصة أو قصيدة أصيلة.
الشاعر الفرنسي بول فاليري تحدث عن أهمية البساطة والعمق في الشعر، وأعجبني ذلك القول ولكن أن نعجب بمقولة شيء، وأن تكون مثل ما جاء في تلك المقوله أو الشذرة شيء آخر، وليس ذلك ممكناً على الدوام.

*

مجتمع القبائل... الصدمة والدهشة

هناك علم جديد لدولة اسمها دولة القبائل العربية. الواقع مدحش حد الصدمات وكذلك هذا الفضاء.
في منصات التواصل الاجتماعي، مجتمع افتراضي يشبه القبائل الفيسبوكية القبلية في أعلى تجلياته.
وليس المهم ما لديك من فكر ومعرفة، المهم: هل أنت من رأس في قبيلة سين، أم عمود في خيمة عين،
أم فخذ في مائدة "ضاد" وعشيرته؟ هل أنت تابع ومريد من معارف "كاف" وشلة الطبقية والطائفية؟
ولكن للأسف، حين يصبح الفكر أنساقاً وشلالاً لا تختلف عن القبلية في شيء، يفقد المثقف والمفكر حريته وصدق رسالته ومقدراته على التجديد. سين وعين وضاد، ليست إلا مجاهيل لتفادي ذكر أي اسم له دلالة وخلفية ثقافية أو دينية أو قومية.

*

ماذا عن المرأة في هذا السياق...

في هذا الخضم وبالنسبة للنساء، يفضل أن تكوني عزيزتي الكاتبة، جميلة وشابة ودولعة ورشيقه

و عندك مقرة على النط بالحبل و تسلق الجبال والأكتاف والرقب. وبالإضافة إلى كل ما سبق يفضل أن تكتبـي ايروتـيكا حامـية الوطـيس. نـعم من المـهم أن تـتوـني شـجـاعة و تـتصـدرـي مشـهدـ الـاـيرـوـتـيـكا بـخـلـطة سـريـالـيـة و تـثـرـثـات لـغـوـيـة إـذـا أـمـكـنـ، وـهـيـنـها سـتـجـدـين جـوـقة مـطـبـلـيـن مـغـمـيـن بـفـنـونـكـ الإـبدـاعـيـةـ. إـذـا وـجـدـتـ أـنـكـ لـسـتـ جـمـيـلـةـ جـداـ، فـهـنـاكـ عـمـلـيـات التـجمـيلـ وـالتـحـيـفـ وـالـحـقـنـ وـالـشـدـ وـماـ إـلـيـهـ مـنـ تـرـمـيمـ الشـكـلـ كـيـ تحـصـلـيـ عـلـىـ الصـورـةـ الـتـيـ تـؤـهـلـكـ لـلـعـبـ الدـورـ الـمـطـلـوبـ وـالـمـشـتـهـيـ. وـفـنـ السـخـرـيـةـ مـنـ أـصـعـ الـفـنـونـ وـأـقـسـاـهـاـ وـخـاصـةـ عـلـىـ قـلـمـ الـمـرـأـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـأـوـسـاطـ الـمـتـخـلـفـةـ.

ستعود القبائل إلى أرض الواقع في زمننا هذا لأن العقلانية العشائرية لم تغادر رأس ثوار البيت العربي جميعهم. والقبائل في نسقها وتكوينها تحب الصوت الجمهوري الصارخ والمقاتل من أجل شيخ العشيرة. استنهاض القبائل للكر والفر مسألة ممكنة وربما سهلة، ثقافياً أيضاً.

نشر في الحوار المتمدن يوم 5 ايار 2024





حين تصبح المرأة لساناً للسلطة، بثينة شعبان نموذجاً

عن زيارة بثينة شعبان لكندا ، سكرتيرة بشار الأسد، رئيسة وزارة المغتربين السوريين سابقاً
كتب ونشر عام 2007 في صحيفة المستقبل اللبنانية

لقد ارتبط الإحتفال بعيد الأم وعيد المرأة بإعلاء رسالة السلام والمساواة والعدالة الاجتماعية والعمل على تحقيق ذلك. كذلك تشكلت الحركة النسوية من أجل الحقوق المتكافئة والكرامة للمجتمع ومن ثم تشعبت أبعد الحركة المساواتية النسوية وذهبت لتلتقي الضوء على الخطاب الذكوري والأنثوي، ذلك أن تاريخ التدوين والخطاب المكتوب والممحكي هو المورد المعرفي الذي "يرضع" منه الفرد في جميع مراحل الحياة، ويؤسس وبالتالي لهيكل المستقبل بكل أبعاده والمفترض أن يكون جمالاً وسلاماً كما يحلم الإنسان، الشعراة الكتاب الفنانون والأمهات الأميات أيضاً.

ومن هنا لا بد من نقد الذات الأنثوية في بعض حالاتها الراهنة وتسلیط الضوء على بعض الشواهد التي طالعتنا في الصحافة العربية المطبوعة والإلكترونية مؤخراً.
إحدى الكتابات في كتابة المرأة/الأنثى التي أصبحت بوعي أو بدون وعي لسان حال السلطة، كانت سرداً قصصياً لكاتبة سعودية تقيم في فرنسا "ر... مغربي"، اختصرت تاريخ الطاغية صدام حسين في نص بعنوان "كان يطعم العصافير" يصور معاناة رجل مسنّ رقيق القلب، شديد الإيمان، يحمل القرآن ويطعم العصافير... يساق إلى المشنقة.. تكون عبارته الأخيرة على لسان الكاتبة "والآن من سيطعم عصافير بلادي؟".

قرأت النص في منتدى "فضاءات" وحين أبديت موقفي الصريح واستغرابي من هذه الرؤية التي تصنف في خانة أدب ضد الإنسانية وذكرت بعض مآثر "القائد الضرورة" لم تعذر الكاتبة بل تنكرت أولاً للشخصية في البداية ثم راحت تدافع عن حقها في التعبير، وراحت تتبرأ بالحديث عن مواضيع أخرى، منها إنها كانت تدافع عن حقوق نساء مظلومات في قضايا أخرى. وهذا يعييني إلى واقعة فادحة ارتكبها رجال النظام المجيد في السنوات الأخيرة حين قام بعض رجاله بقطع رؤوس عدد من النساء وصل إلى 200 امرأة ضحية.

اقتطف هذا الشاهد من حوار كان لي مع ناشطة نسوية "نادية محمود" رئيسة مركز دراسات المرأة في الشرق عام 2002 ونشر في عدة مواقع "كانت الحملة في أواخر شهر تشرين الأول عام 2000 واستمرت إلى أوائل عام 2001، بدأت الحملة حال وصول الأخبار... جرى قتل عدد من النساء في مدينة الموصل في العراق بحجج تنظيف المدن من النساء العاملات في بيع الجسد. الظاهرة التي انتشرت في أوضاع المجاعة والفقر المدقع والمعزري تحت الحصار. ثم بدأ فدائيو صدام وهو فصيل من 40 ألف عراقي في سن المراهقة بقيادة عدي صدام بشن هجمة على النساء وذلك بتزويدهم بسيوف أطلق عليها أسماء مثل "سيف العزيز" و "سيف الحق" زنتها 32 كغم، ووزعت على المدن الرئيسية في العراق على المراهقين المرتزقة للقيام بهذه الأعمال..."

وحين سألناها عن موقف الإتحاد النسائي من هذا التطهير اللإنساني، كانت الإجابة "نعم، تم ذلك وبالتنسيق مع الإتحاد العام لنساء العراق، الذي كلف بتقديم أسماء النساء اللواتي يمارسن هذه المهنة بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى تم جر أي امرأة إذا كانت معارضه للنظام أو زوجة رجل معارض، أي لأسباب سياسية تجر إلى مقصلة لقطع رأسها بالسيف وبحضور عضوات الإتحاد، وأمام بيتهما يعلقون رأسها عند عتبة الباب ويكتبون فوقه الآية القرانية "ولكم في القصاص عقابا يا أولى الألباب لعلكم تفهون"، وكان الذين يرتكبون هذه الأفعال يرتدون ملابس سوداء، يضعون على رؤوسهم أغطية سوداء، وعلى أيديهم مكتوب(الله ، القائد، الوطن)..."

هكذا، نساء الإتحاد كن يدافعن عن قتل النساء ظلماً والمرأة/ الكاتبة من بيتهما الفرنسي تندب الطاغية متجاهلة إنه لم يكن ليطعم العصافير لو كان لديه بندقية صيد يتسلى بها ويقتل الملل بقتل الطير أو البشر.

الموضوع الآخر الذي يجدر الإشارة إليه، مقال سردي عن واقعة حقيقة كتبها الشاعر اللبناني يوسف بзи في صحيفة المستقبل عنوانه "تحت شرفتي" مالفت نظري أنَّ العراق الذي انتشر في الحارة وعلى إثره تم استقدام فرق شبابية وعسكر وشرطية من الفريق المعارض والفريق الموالي والأمن

العام، كان سببه شتيمة نطقت بها "أم شهيد معارض" فرددت عليها جارتها "الموالية" بشتيمة مماثلة، واشتبأ النفي. بعد قراءة النص والتمعن بجمال السرد رغم مأساوية الحدث، رحت أسأل عن دور الأم، دور المرأة في التخفيف من الإحتقان في مثل هذه الظروف، وفي رفع روح المواجهة والتسامح التي عرفت بها الأمهات عبر التاريخ، وبدالي أن بعض النساء اللواتي كن مغلوبات على أمرهن، ما يزلن "مغلوبات" ولسان حال تلك السلطات، وكأنهن وأولادهن لسن إلا أضحيات وضحايا مغيبة عن خياراتها الوعية. طبعاً هذا لن يغيب عن ذهننا صور النساء "الحديديات" في التاريخ.

قد تكون الحرية هي المفتاح المفقود والشرفية التي نطل منها على قلب الحياة التي تعج بالبشر من كل الألوان والطوائف والأديان والألوان. الحرية الوعائية التي قد تلمح ذبذباتها على "سيكولوجية الإنسان المقهور" لأجيال، هذا الإنسان الذي لم يكن له يوماً شبر من رأي وختار وخاصة المرأة. إنها الحرية التي يعرف طعمها ولو أنها "السجناء" على وجه التحديد. ولعل المتابع للأخبار العالمية والعربيةقرأ أن المواطن السوري - الكندي "ماهر عرار" حصل مؤخراً على اعتذار رسمي من أعلى هيئة حكومية في كندا تعويضاً قدره حوالي 10 مليون دولاراً، اعتذاراً عن ترحيله "بالغلط" إلى سوريا. بهذه الأول حيث تم سجنه هناك حوالي 10 أشهر تحت التعذيب. وأذكر حين أتت السيدة الوزيرة السورية (وزارة المغتربين) بثينة شعبان إلى تورنتو منذ عام(عام 2006)، وفي لقاء مفتوح معها في تورنتو سُئلت من قبل صحافي كندي عن سبب سجن ماهر عرار وتعذيبه دون أي دليل؟

فكان جوابها أكيداً وقطعاً بأنهم هناك لديهم "الخبر اليقين" وإن عرار كان على ارتباط بالقاعدة والإرهاب الذي يجب محاربته. السيدة الوزيرة شعبان كاتبة أدبية وأستاذة جامعية لا أدرى إن كانت ما تزال تمارس مهنتها الأدبية، أم أكتفت بدورها السياسي في الدفاع عن الوطن/السلطة. الحرية بناء ومراحل لا يمكن حرقها. ومقاييس الخلق الإبداعي متعلق بالدرجة الأولى بتحرر المرأة فكريأً من سلطة الثقافة الذكرية، أساليبها وأدواتها الطاغية في القدم والمتتجدة على الدوام.

نقاً عن ويكيبيديااليوم، 14/12/2024

ثانية شعبان (مواليد 1953)، سياسية سورية، عملت كمستشاره سياسية وإعلامية للرئيسة في عهد

بشار الأسد حتى الإطاحة به في عام 2024. شغلت سابقاً منصب أول وزيرة للمغتربين في الجمهورية العربية السورية بين عامي 2002 و2008، ووصفـت بأنـها وجهـ الحكومة السورـية للعـالم الـخارـجي....

تـويـه بـتـارـيخ 15 دـيسـمـبر 2024

في عام ٢٠٠٧ لم يكن هناك ما يسمى (ثورة سورية) و كنت أكتب مثل هذا وانتقد وجهاء الثقافة السورية البعيدين وسلطتهم، وكان الأصدقاء، ثوار او معارضي اليوم يعملون تحت مظلتها ووفق برنامجها وسياساتها، والكثير منهم غير الموجة والتوجه بدرجة ١٨٠ درجة وهذا عادي أيضا لأن الصوت السوري الذي في الخارج يبقى بعيداً عن الملاحقة والسجن والتعذيب في الداخل السوري، إلا إذا كان متهمـا دولـياً و معـروفـ كـمـثـلـ حالـ السـورـيـ الـكنـديـ مـاهـرـ عـرارـ الـذـيـ وـرـدـ قـصـتهـ فيـ المـقـالـ أـعلاـهـ.

ما نحتاجـهـ فيـ سـورـياـ الجـديـدةـ، هوـ بنـاءـ دـولـةـ تـنـسـعـ لـلـرـأـيـ الآـخـرـ وـتـلتـزـمـ بـقـانـونـ مـدنـيـ يـكـفـلـ لـلـجـمـيعـ حرـيةـ التـعبـيرـ وـالـتـفـكـيرـ وـطـرـحـ الـآـرـاءـ الـحرـةـ سـيـاسـيـاـ وـدـينـيـاـ وـاجـتمـاعـيـاـ وـفـسـفـيـاـ بـشـرـطـ نـبذـ العنـفـ وـالـعـادـاءـ وـتـهـميـشـ المـخـلـفـ.



7 الاستعمار الناعم والخبيث

حين وضع المخبري الباحث عدداً من الجرذان في قفص متوسط الحجم وفي شروط صحية عادلة، كانت الألفة بينهم قائمة وطبيعية. كانوا يأكلون ويشربون ويلعبون ويقضون حاجاتهم واحتياجاتهم ويتناسلون على الأرض ذاتها، أرض القفص الذي لا مفر لهم منه.

جاء الباحث المخبري ليدرس طبع الجرذان وانفعالاتهم العدوانية. صار يصددهم كهربائياً جميماً وفي نفس الوقت. فيقوم كل جرذ بالانقضاض على جاره لينهش فيه معتقداً أنه السبب في هذا الأذى. بعد أن ينفك الجميع بعضهم بعضاً يذهبون إلى النوم. استمر المخبري في تجربته عدة أيام ورأى نفس رد الفعل لدى الجرذان. إنها تقتل فيما بينها لنفرغ هذه الشحنة من الألم والغضب، فيما المخبري واقف خارج الصورة. الجرذان لا تستطيع أن ترى الصورة الكلية. نحن نتحدث هنا عن الجرذان، فما بالك بهذا الكائن المسمى إنساناً ويعيث قتلاً في الأرض وأبناء الحياة!

*

الأفلام العالمية التي تركز على ضخ العنف والاقتال سواء في حرب النجوم أو حروب الشعوب عبر التاريخ، لعبت خلال عقود على وتر حيونة الإنسان ولقت رواجاً، نجحت في بعض الأحيان وفشلت في أحابين كثيرة. وسواء أكانت الغاية والوسيلة هنا سيطرة رأس المال أو تجار الدين أو الحيازة على السلطة المطلقة لحق الحريات، فإن ذلك يجعل من البشر جرذاناً صغيرة وربوتوات فاقدة للمحاكمة العقلية، ولا يجعل منهم عاملة في الروح والفعل والبناء الإنساني.

الحضارة لا تستمر ولا تتشاد على الخرائب الفكرية والإيديولوجية. الإنسانيون حملة المعول عليهم يقع البناء والتقدم الحضاري.

*

تروما الجماعة...

أتباع فصائل الدعوات الدينية المتزمتة والمجموعات المتزايدة والمتناشرة في بلاد الشرق المختلفة لا شك يصبح لديهم ما يشابهه (تروما) أو صدمة ما بعد الواقعه. ولعلهم أصيروا بالصدمة بعد دخولهم سوريا التي ليست حظيرة مباحة، ولم تكن يوما رغم القتل الممنهج والسجون التي ابتلعت أعدادا هائلة من أفراد الشعب السوري في ظل حكم الأسديةين الجائر المستبد على مدى عقود. محاولات قتل روح الإنسان عبر تاريخ سوريا الحديث لم تنجح ولم تجعل السوري إلا توافقاً للحرية والمدنية والجمال رغم وجود كتل كثيرة من الكائنات التي باعت روحها لتجار الطوائف والسماسرة الكبار خلف الكواليس وعلى الملأ.

الصدمة الثقافية هذه يشعر بها فرد أو خلية من مدينة كبيرة أو قرية صغيرة مختلفة وجاهلة وخارج السياق التاريخي للحضارة حين يجد نفسه في مكان غريب عنه تماماً ويشعر وبالتالي أن وجوده مهدّد ومزعزع أمام الوجه الحضاري للمرأة والرجل في بلد لا يليق به إلا الشموخ والكرامة، فيبدأ بارتكاب العنف والترهيب كي يخيف من حوله وهو في قرارته جبان ونذل وخائف. حدث، أن اعتدى مسلحون على أنفار عزل من النساء والشباب والرجل وبطبيقة بدانية مهينة زهرت في تسجيلات قادمة من سوريا اليوم، وللأسف.

في بلادنا يطلق الجبناء والمتطفلون على الشام، الرصاص في الهواء وفي وجه الأفراد العزل أحياناً، كي يقعنوا أنفسهم والآخر بأنهم سلطة عسكرية غير جبنة. يسمون تلك الأحوال "حالات فردية" وأنا أسميها همجية عدوانية وكل اعتداء على فرد واحد هو اعتداء على المجتمع برمتها وعلى مفهوم الدولة والمواطنة وحق الفرد في العيش بسلام وتكافؤ في رقعة اسمها سوريا-الوطن. تعريف الجبان، الشخص الذي يقتل الفرد المسالم الأعزل جبان، ولأن الأعزل يسرّ من سلاح الإرهاب وكل الأيديولوجيات القاتلة التي أوصلته إلى تلك الحالة. ولذلك يلبس بعضهم الأقنعة على وجوههم كي تستر جبنهم وحقيقةتهم.

*

كل دراسة واختبار نفسي أو ميداني مهم في المراحل الفاصلة من تاريخ الشعوب، وتقى ترجمته إلى لغات العالم. بعضهم يتعلم درساً وبعضهم يعجز عن فهم شيء خارج الأدلة والتلقين الذي غسلوا به دماغ بعض القوافل البشرية ولغويات استعمارية لا تخدم البشرية في شيء، بل تسبب الدمار والکوارث. نشرات الأخبار العالمية والعربية تترجم (من وإلى) حسب الأهمية لذلك لا بد من فتح أبواب المعرفة وتعلم اللغات الأخرى كي يقرأ الفرد حضارة بلاده وثقافة أعدائه أيضاً أو نظرائه في حقل المعرفة والإبداع الثقافي والاجتماعي والأدبي. وبين فعل الترجمة الفوري والتحريري يبني المترجمون من

الكلمات جسورةً بين الأول والثاني، فيما يتواصل القصف في هذا البلد وذاك بكل اللغات وعلى جبهات وفي الشوارع والبيوت.
وتبقى اللغة والحوارات، وسيلتنا البشرية الوحيدة في فقه الحب وصياغة أسس التعايش معاً بسلام وعدالة في أي زمان ومكان.

*

ماذا قالت البنت التي وقفت في وجه طلاب من أجل حقها في التعليم؟
صار اسم الفتاة الباكستانية (ملا) علماً بارزاً في المحافل الدولية بعد أن نجت من الموت لتصير حاملة لجائزة نobel للسلام تقديراً لجرأتها ورمزية فعلها التاريخي في وجه السلفية الطاغية. صدر لها كتاب يروي سيرتها بتفاصيلها التي هي حال شعب وبلد برمهه وقع ضحية للمحتوى الطالباني السلفي المنبوز دولياً.

مالاً يواسفني تصف في هذا القسم من كتاب سيرتها الذاتية وحال بلدتها وأسرتها في الأيام الأولى لدخول جماعة طلابان إلى قريتها في باكستان. تصف أسمائهم وقونهم، أصواتهم وطريقة استعمالتهم للناس، ثم التدخل في الحياة الشخصية للأسرة والأفراد وسحب أحجزة الموسيقى والتلفزيون واتلافها. التاريخ لن يكرر نفسه في سوريا بتصوري ولدينا مليون ملاً نساء سوريات تقول لا لقمع وحجر الحريات وإعادة المرأة إلى المطبخ.

قالت مالاً يواسفني في كتاب سيرتها الذاتية، مترجمة: أول ما فعله جماعة طلابان انهم منعوا الموسيقى ومشاهدة التلفزيون. وقدموا للأهالي ترجمة جديدة للقرآن الكريم.
كان قائد الجماعة (فضل الله) Fazlullah يبدو حكيمًا في البداية وقدم للناس ترجمة اصلاحية للقرآن.

وكانت امي متدينة جداً وصارت معجبة بتعاليم فضل الله الذي أعطى توجيهات بأن على الشباب ترك ذنوبهم حرفة طويلة والامتناع عن التدخين والحسيش. وصار يعلمهم كيف يغسلون جسدهم وبأي قسم يبدأون أولاً. كان صوته احياناً معقلاً واحياناً حاداً ومليناً بالتنيران واحياناً كان بيكي وهو يتحدث عن حبه للإسلام. ثم يتبعه نائبه عبر الراديو . (شاه دوران) الذي كان سابقاً يبيع (على البسطة تسلی) للناس في سوق البازار. وقال على الناس أن تكتف عن مشاهدة الأفلام وعن الرقص لأن ذلك خطينة وحرام... وقد يسبب الزلزال.

سألت أبي: هل هذا صحيح يا أبي؟

إجابني لا يا روحـي، إنه فقط يغير الناس.

وكانت الرسائل وخطب فضل الله مرکزة على المرأة ودورها المحدود.

"من مهام المرأة ان تقوم بواجباتها في البيت و تستطيع مغادرة البيت فقط في حالات الطوارئ ويجب أن تلبس البرقع"
 وبالطبع لا يمكن لهذا النموذج الرجعي أن يسود في أي مكان من العالم حتى وإن وجد أتباعاً وبعض قطاع الطريق والمخربين الذين يسعون وبلا جدوى.

*

إذا كان "الطغاة يجلبون الغزارة" كما قال ابن خلدون، فال التاريخ يشهد أن لا طاغية صمد في وجه الإرادة الحرة للشعوب، ولا الغزارة صاروا أصحاب البيوت و حماة الوطن. الاستعمار الناعم الخبيث يتمدد ولا يحترم، لأنه غير حر من الولاءات والإملاءات التي لا تفقه شريعة الخير والمساواة بين أبناء الوطن الواحد. لقد فر دكتاتور سوريا مؤخراً تاركاً في كل بيت سوري ألف غصة، وألف حلم نحو الحرية المدنية اللائقة بمن بقي حياً ويحلم.

نشر في الصباح العراقية 5 فبراير 2025





الفصل الثالث

أضواء على الكتابة

شذرات وأذكار على مائدة الأدباء والبرابرة

الأدب خطاب فلسفى وسياسي بلغة صادقة تحاور وتستفز القارئ ولا تدعى امتلاك الحقيقة المطلقة.

*

الدين ورقة عاطفية يستطيع أي ديكتاتور في العالم أن يلعب بها ويقتل شعبا بأكمله حين يضع ذلك نصب عينيه. في كل رواية حيز من الديني واللاديني، السياسي واللاسياسي يحاول كل أن يدحر الآخر دون أن يقتل إنسانا أو حيوانا. دم الإنسان أغلى من المعتقدات والإيديولوجيات. لقد سال دم غزير، متى سيكفون عن القتل!

*

في كل عمل أدبي جانب اجتماعي هو طبقة من طيات الحقيقة بعد نزع الأقنعة عن الواقع.

*

كتب الفيلسوف والشاعر الأمريكي رالف والدو إيمeson "الكتابة المتخلية تكشف الحقيقة، فيما الواقع ي肯فها بالغموض" لذلك أعتقد أن قوة الأدب أهم من قوة البيان السياسي في صنع الحقيقة وقولها بطريقة ذكية تصل للذين لا يثقون بالسياسيين وخطاباتهم الحادة التي تدعى امتلاك حقيقة واحدة ومطلقة. وعرف الكاتب إيمeson بتأثیره إلى الفردية الروحية الإبداعية والديمقراطية.

*

سألني صديق منشغل بالعمل السياسي هل تعتقدين أن للأدب تأثيرا في حياة الشعوب وتغيير القيم والأعراف وذلك مقارنة بدور الخطاب السياسي والعمل المنظم؟

الجواب: من تجربتي أقول أن الأدب بكل صيغه (شعرًا ورواية ومسرحًا وفلسفة) يشكل ركيزة

أساسية في تغيير العقلية الجامدة المتعنتة بطريقة خبيثة ماكرة بالمعنى الإيجابي لأنها تحاكي العاطفة والروح والعقل والفكر معاً وذلك حين يكون القارئ مستسلماً للمطالعة بكمال اختياره وليس حين يكون مجرباً للتسمم أمام نشرة الأخبار التي تنقل ما يريد نقله إعلام السلطات للشعب. وتلك النشرات تصاغ بعنابة وتوجيهه أصحاب السلطة في أي منبر إعلامي ولها محرووها.

*

الآداب والعلوم الإنسانية تنقل رسالتها بأسلوب فني مسالم، والأديب ليس ملزماً بأن يكون خطيباً سياسياً في كل مرحلة. لكل أدواته وطرقه في الوصول إلى الهدف. وهناك من يمتلك مواهب شاملة.

*

بعد نزع الأقنعة عن الواقع عن الجملة الشعرية وعن الرواية يبقى المخيال البشري طائفًا منتصراً وسعيداً. لم يقل لنا أحد أن الحيوانات تخيل أو تحكي قصصاً لبعضها البعض.

*

حين تعمل جهة ثقافية على "تأليه" كاتب والنفخ في سطوره الأدبية بغير استحقاق واضح فهي بالمقدار ذاته تعمل على صناعة ديكاتور عربي فذ.

*

رحل كاتب عربي متواضع الإنجاز والترجمة، فجعلوا منه بطلًا أسطوريًا لسد فراغهم ول حاجتهم إلى خلق بطل أكبر من حجم الكتاب الذي تركه خلفه هذا الإنسان الذي لا يختلف عن أي كاتب آخر ينتاج كل سنة رواية أو ديواناً. لو أنه قرأ بشكل حقيقي وهو حي، لربما عاش فترة أطول

*

هناك أكثر من روائي عربي تم تدويره وأعادة تكريمه لدرجة غير مقبولة وهناك الآلاف من الكتاب العرب الذين يستحقون التكريم مادياً ومعنوياً.

*

قرأت خبراً أدبياً منذ وفرحت بأن الكاتبة المبدعة السيدة (عين) سوف تجري حواراً تلفزيونية للتعرّيف بالكتب والأدب، ثم وجدت على قائمةها الأولى استضافة كاتب (حاز على عدد من الجوائز) وليس بحاجة إلى مزيد من الدعاية والإعلان عنه. يدورون في الحلقة المفرغة ذاتها ثم نقول: من يخلق الديكتاتوريات في الشرق وأمامنا عقليّة تالية الكاتب فلان وفلانة حسب الشلة والمحسوبية والمعارف المشتركين.... كل ذلك لأسباب -نصف مستحقة ابداًعيا.

المرأة العربية الكاتبة تشارك في هذه الحالات التنكريّة لأنها بحاجة إلى الدخل المادي لإعالة نفسها والاستمتاع بالتكريم وعائداته الاجتماعية والنفسية لفترة زمنية محدودة. تشارك المرأة لأنها جزء من تركيبة المجتمعات وليس قادمة في فضاء آخر.

*

وحده الفن قادر على خلق نساء يقبن الطاولة ولا يتسرخ ورجال يستمتعون بالشراب والفاكهه دون أن يفقدوا العقل والمنطق البشري ليعلنوا الحرب العدوانية بسبب الجوع وشهوة السلطة المطلقة.

*

حين يصل البرابرة إلى بيتك سأكون قد انتهيت من إعداد وجبة طعام شهية للكلاب الضالة ومسرحية ساخرة للبربرى الأخير. للوصول طرقات ومتاهات. البرابرة الآن يكتبون التاريخ المدنس ويصنعونه أيضا. ونحن الضحايا التي نشاهد ولا نعرف كيف نقوم وكيف نموت تماماً.

*

زمن ثقيل كأشواط الغرباء
حزن يتساقط من تكات الساعة المعلقة على الجدار
خصلة حلم مشردة بلا بيت
تض محل ويداعبها الهواء قبل أن يدوسها البرابرة
قمر على كتف المسافات يبكي
وبيننا الحنين إلى الانصهار في ما هو أبعد من هذا الحلم العجوز
القمر لا يعرف بأننا غرباء في البيت وخارجيه كما كانا في البدء
لماذا ، لا أحد يعرف شيئاً عن نهاية العالم إلا السيد الموت المجهول!

نشر في الصباح العراقي بتاريخ 14/11/2023



2

كتاب منوع في كندا عن أطفال فلسطين وأسرائيل

الرقابة تحاصر أطفال الحرب في فلسطين حين يتحدثون عن "ثلاث أمنيات" فقط
الكونغرس الكندي اليهودي طالب بحجب الكتاب عن القراء

حين ينام الأطفال وأرواحهم مهددة بالموت، ويستيقظون على صوت قذيفة تدمر البيت أو تأخذ معها أحد أفراد الأسرة أو البيت كلّه، كيف سينشأ هؤلاء وكيف سيكتبون أمنياتهم؟ هل ستعرف الأحلام طريقها إلى قلوبهم؟ ما لون أمنيات أطفال الحرب، هل هناك من يسمعها ويقصصها على العالم بطريقة أدبية؟! ماذا يقول الأطفال واليتمى في فلسطين وأسرائيل، ضحايا الحرب العنيفة الطويلة المتواصلة؟!

هذا ماجرى التحقيق فيه وتدوينه في كتاب جديد بعنوان "ثلاث أمنيات" للروائية الكندية ديبورا ليس، المولودة في اونتاريو كندا. والتي توجهت منذ شبابها إلى الجناح السلمي اللاعنفي، والعمل على الحد من أسلحة الدمار وال الحرب في العالم. انعكس ذلك على عدة إصدارات لها (المعيل وطفلة البارفانا و...) التي تحدثت فيها عن معاناة الأطفال والناشئة في بقع منكوبة من العالم ووجهتها إلى الشباب والأطفال الذين يعيشون برخاء وأمان. تجربة كتابية بعد زيارات ميدانية إلى كل من أفغانستان وباكستان حيث استمدت مادتها القصصية من الواقع. حازت كتبها على جوائز وشهرة واسعة.

أما الكتاب الأخير "ثلاث أمنيات" الصادر عام 2004 فقد وقع أسيراً للرقابة والجدل والمصادر، وطلب سحبه من المكتبات في شهر شباط 2006 . هذا الكتاب الموجه للصغار أجزته ديبورا ليس

بعد رحلتها الميدانية إلى فلسطين شتاء 2002، حيث التقت هناك بالأطفال واليتمى وفى "المراكم الاصلاحية" واستمعت إلى أحاديثهم وتجربتهم خلال حرب طويلة عنيفة. الأطفال ضحايا ويعيشون في ظروف تفتقد إلى الحد الأدنى من الشرط الإنساني الصحي والنفسي. سجلت ديبورا في حكايتها هذه شهادات الأطفال من كلا الجانبين. وزودت مقدمة الكتاب بخارطة وقاموس كلمات وصور فوتوغرافية التقطتها الكاتبة أثناء جولتها الميدانية.

رد فعل الرقيب على كتاب: *"ثلاث أمنيات"*، أطفال فلسطين وأسرائيل يتكلمون هل امتعض الكونغرس الكندي اليهودي من هذا الكتاب لأنه يكشف عمّق مأساة أطفال فلسطين، ويصور الحقيقة على لسان الأطفال من كلا الجانبين، أم أنها فقط مسألة مراعاة "أعمار القراء الصغار" الذين لا يناسبهم ما يجري في هذا الكتاب؟! أيهما أكثر قسوة ورعب، صفحات الحكاية أم الذي يجري على أرض الواقع؟!

تلخص قضية هذا الكتاب *"ثلاث أمنيات"* في أنه: كتاب موجه للطلاب في الصف (4-6) الابتدائي، وكان معروضاً في المكتبات العامة في أونتاريو كندا، نال إعجاباً شديداً من قبل الأطفال ورشحوه لجائزة دورية مهمة (جائزة السعفة الفضية) وهي مسابقة دورية تشرف عليها "أمانة المكتبات العامة في مقاطعة أونتاريو" ولكن موضوع الكتاب والترشيح للجائزة أثار حفيظة الكونغرس الكندي اليهودي فكتب رسالة يطلب فيها سحب الكتاب من المسابقة بحجة أنه "غير مناسب للأطفال في هذه السن". لم تستجب أمانة المكتبات لهذا الطلب بل وقفت مناصرة لحرية الكاتب والقارئ، لكن "هيئة التعليم في أونتاريو" وافقت على سحب الكتاب من "بعض" المكتبات. وكان لهذا رد فعل شديد لهيئات إنسانية عديدة منها اتحاد كتاب كندا ومنظمة قلم كندا حيث تم تنظيم حملة قوية لكاف عين ويد الرقيب عن المطبوعات في كندا وإتاحة فرصة الاختيار للقارئ بمنتهى الحرية.

"ثلاث أمنيات" وآراء القراء:

هنا بعض الآراء حول الكتاب نلخص بعضها:

"الكاتبة لا تأخذ جانباً بل تصوّر بحياد هؤلاء الضحايا الصغار وحياتهم غير العادلة"

"الكتاب ممتاز ويعطي فكرة تاريخية واضحة حول هذا الصراع اللامتناهي. مؤثر جداً وينكر الضمير على العمل لبث الأمل وانهاء هذه الحالة-الحرب"

"رغم اختلاف العرق والقومية إلا أننا في النهاية بشر، الموت هو الموت"

"مقدمة متوازنة كافية لاعطاء خلفية وافية عن هذه الحرب، وعن الأطفال وكيف تأثرت حياتهم

بالخيارات التي مارسها واتخذها الآخرون.."
وجاء في نشرة قلم كندا: هذا كتاب ساحر، يقدم اعتراضاً صريحاً من قبل أطفال فلسطين وأسرائيل عن تجربتهم وحياتهم المختلفة كلياً عن حياة القراء الكنديين"

إيفي فريدمان" لقد قرأت جميع كتب ديبورا الليس واستمتعت بها... باعتقادي هذا كتاب عظيم..لم أكن أعلم أن الأطفال في الشرق الأوسط يعيشون مثل هذه المعاناة. بعض الأطفال يستيقظون في 5:30 صباحاً للذهاب إلى المدرسة وعبر نقاط التفتيش، بينما أنا أستيقظ في السابعة. ثم إن الأطفال في شمال أمريكا يشاهدون العنف في التلفزيون ويقدم إليهم على أنه لعبة. وهذا الكتاب يوضح لهم أن الحرب ليست لعبة..."

أما الكونغرس الكندي اليهودي فيقول: "نعم فيه تصدعات وخلل.. ويعطي فكرة مشوهة عن حال الأطفال خلال الحرب الإرهابية، يشرح الحال عبر صوت يدعي أنه أصيل حقيقي، يتوجب النقاش حوله مع القراء، وسيكون اختياراً مناسباً للمكتبات العامة ولكن للقراء في الصفوف من 5-12"

رأي الكاتبة وكنديون آخرون:

اما الكاتبة ديبورا فتصرح أنها رغم دهشتها في البداية من هذا الحظر إلا أنها لم تشا التعليق لثقتها أن الموضوع سيخدم، ولكن قرار "هيئة التعليم" صدمها فقالت بأن العذر الذي يقدمه الكونغرس الكندي اليهودي غير مقبول وهي لا تتوافق عليه. بل ترى ضرورة أن تتم حماية الأطفال في العالم، وإن توفير مزيد من المعلومات للأطفال هنا، سيجعلهم في المستقبل أكثر قدرة على اتخاذ قرارات..."

وفي مؤتمر صحفي عقد في آذار الماضي، قدم الروائي الكندي "لورانس هيل" وهو أبو لخمسة أطفال ورقة انتقادية شديدة اللهجة للرقيبـ الكونغرس الكندي اليهوديـ ومبرراته اللامنطقية قائلاً إن أي كتاب يتعرض للمنع، يجذب بالمقابل عدداً أكبر من القراء، وأتمنى أن يكون هذا حال كتاب "ثلاث أميّنات" لقد قرأتها بمحنة وأشجع الجميع صغاراً وكباراً على قراءته.

اما الشابة الصغيرة إيفي فريدمان فتقول في ورقتها للمؤتمر: لقد قرأت جميع كتب ديبورا الليس واستمتعت بها... باعتقادي هذا كتاب عظيم..لم أكن أعلم أن الأطفال في الشرق الأوسط يعيشون مثل هذه المعاناة. بعض الأطفال يستيقظون في 5:30 صباحاً للذهاب إلى المدرسة وعبر نقاط التفتيش، بينما أنا أستيقظ في السابعة. ثم إن الأطفال في شمال أمريكا يشاهدون العنف في التلفزيون ويقدم إليهم على أنه لعبة. وهذا الكتاب يوضح لهم أن الحرب ليست لعبة.

* ملاحظة: تكللت مساعي اتحاد كتاب كندا ومنظمة القلم الكندية... بالنجاح وأعيد الكتاب إلى رفوف المكتبات في كندا.

فكرة اليوم: المسألة الإبداعية في الحكايات تتجلى في: كيف تروي قصتك ولمن؟ وهذا يحدث الفرق الكبير. هناك دوماً من يخاف من صوتك وصداه.



٣

أغنية ليليت . الذكورة والأنوثة في الكائن الواحد، سرقات أم تناص

الشاعرة جوي كوغوا: ولدت في فانكوفر - كندا من أصل ياباني حازت شهرة عالمية عن روايتها «أوبasan» التي كرستها للحديث عن معاناة اليابانيين الكنديين أثناء الحرب العالمية الثانية.

الإشارة إلى مصادر الرموز، الأفكار والاقتباسات التي قد ترد في سياق مقالة، أطروحة، مشروع أدبي أو علمي، ضرورة علمية، حقوقية وأخلاقية تخضع لها الثقافة والكتابة الإنجليزية، وهذا ما نجده تفصيله في مقدمة المجموعة الشعرية الفنية «أغنية ليليت» للشاعرة الكندية جوي كوغوا، معتمدة «الحوارية الشعرية الميلودرامية» إلى جانب المونولوج، المناجاة الذاتية في «سبعة فصول» تبتدئ بالعنوان «الأغنية الأولى»، وتنتهي بفصل بعنوان «عودة ليليت».

النص المترافق بالتوازي مع جماليات الجسد الأنثوي في لوحات الفنانة «ليلييان بروكا»، حيث تطالعنا فصول الجسد الليليتي الأسطوري الذي يتشكل من الطين، كما جاء في هذه الأسطورة، ليتماهى مع المحيط الطبيعي من صخر ورمل وسماء. جسد خارج عن كل ألبسة العصور ليبقى حراً، منتمياً إلى البدائيات فقط، ومتماشياً في الآن ذاته مع مقاييس الجمال والرشاقة العصرية. الجسد الذي يستوی في ملوكوت فنتنه وتحليقه إلى الأقصري والأعلى عبر أجنبية الكلمات التي تخطتها الشاعرة حول جسد في اللوحة لتحق بها ليليت إلى آخر العالم - إلى أول منفى صنعته المخيلة وعاشه البشرية. إنها أجنبية الكلمات التي يجعل عودة ليليت من عزلتها إلى العالم، رغبة وحقيقة. تعود المرأة التي «ترقص حتى آخر أجنبتها»، لتجسد التصالح ما بين الذكورة التقليدية وسمات الأنوثة العصرية. لـ

يليت - الأغنية، الفكرة، الأسطورة، القصيدة ذات الخلفية الفكرية، الدينية، والتي تتضاد الآراء حولها تحضر في هذه القصيدة الطويلة التي صدرت في كندا باللغة الانكليزية عام 2000، منحة من مجلس الفنون الكندي لشاعرة كندية بارزة من أصول يابانية، مواليد 1935، ونتاجها مترجم إلى عدد من لغات العالم - عدا العربية - كما تدرس بعض كتبها لطلبة التعليم الجامعي، قسم الآداب الانكليزية في جامعات كندا. وهي جوبي كوغواوا وتعد روايتها «أوباسان» واحدة من أهم روائع الأدب العالمي في القرن العشرين.

محصلة عمرها الإبداعي الطويل والمشرق لم تسرق منها البساطة والتواضع الجم والعفوية. استوقفني قدها الجسماني الصغير، هدوءها «البودي»، صوتها الناعم، شعرها الأبيض، كلماتها القليلة وهي تحدث قراءها وتجيب على أسئلتهم، وهي تضع توقيعها على كتبها التي بحوزتهم - القديمة والجديدة - في فسحة قصيرة بعد قراءة شعرية لها في تورنتو هذا الشتاء.

كتبت الفنانة ليlian بروكا في المقدمة كيف بدأت تشكيل خطوطها الأولى: «بدأت في رسم هذه الشخصية منذ عام 1995. وبعد محاكمة معرفية وذهنية، اخترت أن أرسم ليلى عارية، لأن الملابس تضيقنا في حقبة زمنية محددة. كما أني اخترت الجسد بمقاييسه الجمالية المعاصرة، نحيفاً ومتناصلاً. إن ليلى في نظري ولوحتي ليست الطراز البدائي والنمودج الأسري للطاعة والتلقاني، ليلى ليست أم الآلهة، بل أنها نموذج المرأة الوعائية، المستقلة، الروحانية، الحاسمة، العملية التي لا تخلي عن حسها وحساسيتها الذاهبة نحو تغيير العالم، كما أنها ساحرة بجمالها فوق العادي.

في صيف 1998، قدم بعض الأصدقاء لزيارتى، وأعجبهم ما توصلت إليه من لوحات، فاقترحوا على استكمال العمل بحوار شعري تكتب الشاعرة الكندية، اليابانية الأصل، جوبي كوغواوا، وكذلك البحث عن جوقة فنية لتحويل العمل إلى «كونسيرت»، بما يقتضيه ذلك من إلقاء مسرحي، وموسيقى خاصة بهذه الشخصية. بعدها تم الاتفاق مع الشاعرة وأخذت المجموعة طريقها إلى النشر والعرض المسرحي».

أما الشاعرة جوبي كوغواوا، فتقول في المقدمة: «لم أكن أعرف شيئاً عن هذه الشخصية الأسطورية حين اقترح الأصدقاء علي كتابة حوار شعري خاص بي ليلى. فكرت بالموضوع وأعجبتني أبعاد الشخصية عبر لوحات الفنانة ليlian بروكا. عبر المراسلة الإلكترونية، تبلورت خطوط عملنا المصحوب بالتفاهم والاحترام وعشق هذا الإبداع المشترك. شعرنا بطعم الحياة مع ليلى، ومع جميع بناتها اللواتي غرقن بذهول في ميلاد - انبعاث ليلى». هذا وتشير الشاعرة إلى ظروف عملها اليومي المرهق، حين قدمت على هذا العمل: «كنت أعمل نهاراً لأعود إلى القلم ليلاً، مغلقة دفتر النهار وتفاصيله المادية، وهناك بدأت تحضرني ليلى أيضاً وهي تغلق أبواب العقل، خارجة من مكان قلقها وأساسها، إلى خلوة المكان، لتكتشف سرحب المعطى للإنسان... خرجت من حيز الإنصات إلى آلامها وووقيعت على المفاجأة

العظيمة. مباركة أصبحت حين امتلكت أجنة، حلت عالياً. خرجت من قبضة الضياع لتسقط في نعمة الحب».

تفاصيل وهوامش أسطورة ليلى، أول امرأة ذات نزعة فمنسية في الكون تبدأ بالسؤال الذي أطلقته الكاتبة «أفيقا كانتور عام 1976 في صحيفة ليلى: من هي ليلى؟ هل هي الجميلة المتمردة على الطاغية، أم أنها الساحرة المنتقمة ذات الشعر الأشعث؟ وذهبت في التصني والبحث: هل هي أسطورة بدون حقيقة تاريخية، وهل هي رمز يفتح لنا طاقة صوب الماضي؟ تذهب المقدمة في عرض التفاصيل ما بين قصة حواء شريكة آدم المطيعة المخلوقة من ضلعة، وما بين ليلى المخلوقة مثله من التراب والغبار، ندا قوية ومتكافنا».

تضيف كانتور بالبحث عبر المسودات المنجزة: «ليلى أدركت أنها مساوية لآدم، «كلانا من التراب»، لكن آدم لم يقبل هذه المساواة. فغضبت واستخدمت حكمتها وحازت على السر الإلهي، نمت لها أجنة مكنتها من الهرب من جنة عدن إلى آخر العالم. وحين حاولت الآلهة إقناعها بالعودة إلى آدم الحزين بارسال ثلاثة ملائكة لمحاورتها، رفضت. كما أنها رفضت العروض المتتالية من ذهب وجاه ووعود قدمها الشيطان المرسل إليها». وتضيف كانتور: «مطالبتها اللاإعاية بالمساواة لم تكن شديدة وحسب، بل كانت هبة طبيعية تسيرها.. لقد كانت ليلى مهياً لأن تخسر الرخاء المادي في جنة عدن لنقيم وحيدة في عزلتها عن المجتمع».

كانتور وأخرون قادهم الجدل حول هذه النقطة إلى أن ليلى - الأنثى القوية، ربما تكون أول امرأة ذات نزعة فمنسية في العالم. هي التي عرفت بالقوة والإصرار، ورفضت أن تكون في موقع الضحية. وتم تخريب صورتها لتصبح في الذاكرة الجمعية نموذج المنتقمة، الشريرة، الشيطانية الأهواء، والتي لا تتوانى عن قتل الأطفال، وسلب الرجال عقولهم بجمالها الذي يوقظ الشهوات والأحلام الإيروتيكية. لذلك أسيطر رجالات الدين اليهودي حكايتها وأصبحت ملعونة، مغضوباً عليها، تحذر النساء من اقتداء نموذجها، وتم تغريب الجانب الإيجابي من أبعاد شخصيتها الغنية، المتناضفة.

كما تشير إحدى الباحثات بالقول: «ما بعد الشرير والشيطاني لها إلا الوجه الآخر لحكمتها، سعة نظرها، عدالتها وعطاؤها الحميّي، إذ لكل حالة جانب إيجابي وآخر سلبي». في هذه المجموعة، تحضر نصف صورة حواء في شخص ليلى، الوانقة المستقلة الواهبة. إنها التجسيد العصري لرمز قديم. «إنها المرأة التي ابتكرت المساواة لتساعدنا أن نصبح كاملين في شخصنا، حيث يجتمع ويتصالح عنصراً الذكورة والأنوثة في الكائن. ليلى امرأة العاطفة والعدالة والقوّة، الطبيبة الشافية والرائحة. إنها دليلنا إلى مستقبلنا». (ص 14)

*

فصول ديوان أغنية ليليت وعودتها من منفاتها إلى الحياة
تقع المجموعة في 110 صفحات، وتقسم إلى سبعة فصول، تبدأ بعنوان «الأغنية الأولى»، مرفقة باللوحات الفاتنة التي تحكي سيرة المرأة الأولى، وأدم وحواء، وحضور الشياطين والملائكة لِقَاعها بالعودة إلى آدم وجنة عدن. يتصاعد الحوار الشعري بين فقرات الكتاب ونصل إلى المصالحة المرجوة في فصل بعنوان خادمة العشق، مبتدئاً بـ«عودة ليليت» الجميلة من «منفاتها» إلى الحياة، حاملة جسدها عبر طيات الأرض، رطباً ونازفاً ناراً ودمعاً وخصباً. نلمس بعض فقراته في هذه المقطوعات المختارة للترجمة من فصل عودة ليليت:

ليليت

عویل وأهازیج طولیة
أولی نساء الأرض، وجوهرها
في نهار غامض عجنت
من الغبار والحلم
والليوم ولدث من النار والدم.

ليليت

تمثال ابتعاثها هو:
زهرة، صخرة ونجمة
في حديقة أبعد من كل الحدائق
في الأزمنة العصيبة والtragidie الإنسانية

ليليت وحواء
حواء وليليت

الاثنتان تدعمان كواحدة

وتغيير أغنية جديدة/تؤديها الواحدة المقدسة التي لم ترتكب خطيئة... (ص 89)

تنوع إيقاعات الأغنية بين الديالوغ والمونولوج في تقصي رحلة ليليت وميلادها الجديد، صراعها بين وجوه الخير والشر، بين سمات شخصيتها الغنية والمثيرة للشهوات والرغبات، والمثيرة للجدل. تعود لتنصالح مع عالمها وتعود لعمادة الجسد في ماء الحب على هذه الأرض التي منها خلقت المرأة وخلق الرجل، ليقيما حديقة كونية مباركة. «أغنية ليليت قصيدة ميلودرامية روحانية عميقة وطويلة، إنها الجنة النسوية المفقودة»، ليرعاها الجميع ويبذرون الحياة في رحابها:

لأن الحب هو الجوهر
الذي فيه نسبح

الحب قوتنا الفانية
الحب بيتنا القادر
وهو زمننا المتحول
هذه الموسيقى،
أنا ليليت، أسمعها
ومقدس هو المغني
أنصت إليه.
ليتبارك» (ص 104)

*

ما بين الأسطورة والخلق الفني

إذا راقبنا النتاج الثقافي في الساحة العربية والعالمية، لا بد سنع على عدد لا يحصى من المعالجات، الاقتباسات والمداولات التي تصب في حيوانات شخصيات أسطورية أو دينية مهمة. تكتسب هذه المعالجات الأدبية صفة «الخلق الفني»، انطلاقاً من تجديد زوايا نظرها، معالجتها، إساغ صفات مغايرة على جوهر وصفات الشخصية التاريخية. وقد تتقطع بعض النتاجات في بعض جوانبها، وعالم المبدعين لا يخلو من «صدفة التشابه»، ولكن بحدود!.. قد نؤمن بالمصادفات البحتة، وقد يحق لنا أن نسائل الناقد العربي ليفكّر لنا ما التبس، ويدلنا على الحدود الفاصلة ما بين الأصل والصورة، وإلى أي مدى قد يصدق التأثر والتأثير!

عديدة هي الإصدارات التي كتبت عن شخصية ليليت، سواء في المسرحية، الرواية، والقصيدة على صعيد العالم، و«إن كانت التجربة الشعرية الأولى - عربياً». فتجربتي المتواضعة جعلتني على لقاء مباشر مع أكثر من كاتب(ة) في كندا، تناولوا هذه الشخصية في نتاجاتهم، منهم الشاعر الكندي الإيرلندي «رضي بهرانی» الذي كتب عنها مسرحية عرضت في فرنسا.

من هي الفنانة ليليان بروك؟ أنها فنانة تشكيلية كندية معروفة أقامت معارض كثيرة في شمال أميركا وتم اقتناء أعمالها في عدد كبير من المعارض العامة والخاصة تعيش في فانکوفر مقاطعة بريتش كولومبيا الكندية.

فضاء آخر... تداعيات المقال بعد النشر وشبّهه الاختلاس والتلاص
حين نشر المقال في 7 يونيو 2006 العدد 10053، صحيفة الشرق الأوسط، ومن ثم نشر في صحيفة

السفير اللبنانية بعد انتظار طويل، أثار عاصفة من التساولات والدهشة، لأنّه تزامن مع صدور مجموعة شعرية لشاعرة لبنانية فيها تقارب واقتباسات في بعض الأجزاء والاقتباسات والتفاصيل التي في هذا الديوان الذي قادتني إليه صدفة البحث الجاد في خانة الكتابات النسوية في العالم.

نشر مقالتي وترجمتي لبعض الفقرات حول الكتاب الديوان الشعري للكندية جوي كوجاوا عام 2006 حين كانت الشاعرة المعنية تتصدر الصفحات الثقافية بدعم من أصحاب المنشآت ومن خلال علاقاتها الواسعة أصحاب النفوذ في الثقافة العربية واللبنانية تحديداً والتي كانت تلمع صورة الشاعرة /محررة القسم الثقافي في جريدة... وصلني عدة تنويعات بأنه لم يكن ضروريًّا الكتابة عن شخصية معروفة ولها علاقات قوية وصحفيين يدعون صوتها لكنني لم أكتب لأنني أكتب أفكاراً ونقضاً وليس عداء شخصياً لامرأة أو منبر ثقافي.

وحيث التقيت بالشاعرة الكندية في إحدى المهرجانات لم أطرق لها هذا الأمر، بل تحدثنا عن حدث الساعة في ذلك الوقت، عن بيت أسرتها الذي أجبرت على مغادرته في فانكوفر وكان معرضًا للهدم ولكن بفعل موازرة القراء الكنديين واتحاد كتاب كندا تمت الموافقة على تخليده وجعله مركزاً ثقافياً يستقبل كتاب وصحفيين من العالم للتفرغ لكتابته في حيز يدعم الحريات بكل أشكالها وضد العرقية التي كان العرق الأصفر ضحيتها في كندا بعد الحرب العالمية الأولى والثانية. وهناك مقالات بهذا الشأن في كتابي: حوارات على مرأيا الهجرة الصادر عام 2023.

سألني أحد الصحفيين في حوار مطول نشر عام 2009 :
ماذا يعني التناص في الأدب، خصوصاً أنك اتهمت إحدى الشاعرات بالسرقة؟

السرقة تناص وقع يستمد وجوده من جهل أو مغافلة الآخرين لحقيقة وجود النص الأصلي وكاتبها. والتناص تشابك وتداخل نصي بين نص جديد وآخر سابق عليه. قد يكون هذا التعامل مستمدًا من أسطورة، من فكرة فلسفية، من نص شعري معاصر أو موغل في القدم. كتب كل من باختين وجولي كريستيفا، ومحمد بنيس وغيرهم عن هذا الموضوع، وليس حصرًا. وأجد أنني شخصياً وفي هذه المجموعة أستخدم تناصات واقتباسات لشعراء عرب وأجانب، وأستمد رموزاً من الأساطير والموروث الشعبي والديني وأدغمها في نصي، أحياناً أضعها بين قوسين كي تنتفي السرقة أو اختلطت قولي بقول الآخر. وأنكر أن محمود درويش أخذ رموزاً وأسماء من الأساطير وأسقطها على أرض قصيده وجداريته فاكتسبت أبعاداً عميقة. كتب درويش عن جلجماش وانكيدو وعشтар، لكنه لم يكتب ملحمة جلجماش كما جاءت بقصولها وشخصياتها وخاتمتها. أدونيس وكمال أبو ديب «عذابات المتنبي» تقمصاً شخصية المتنبي وقناعه في كتبهما في هذه المجموعة. خصصت محبرة لشخصية «أيوب»

ولبست أنا «أيوبًا»، أعدته إلى القرن العشرين، وتركته يذهب إلى خدمة العلم ويشارك في التظاهرات الاعترافية. «أيوبى» لم يكن قنوعاً بما قسم له... " ونشر الحوار في جريدة الجريدة الكويتية بعد صدور مجموعتي الشعرية "المحبرة أنثى"

كلمة اليوم: حين لا تتفق مع كاتب أو وجهة نظر ثقافية كن شجاعاً وقل رأيك بموضوعية. لا تستخدم أساليب ملتوية للنيل من القيمة الأدبية والإبداعية. في الشوارع، أفراد عصابات من الذين لا يشتغلون باللغة والكتابة، قد يشتمون بعضهم وينالون من صورة شخص دون مبررات. النقد الثقافي والاجتماعي والأدبي يتطلب خلع بعض الأقنعة عن الوجوه.





تجربة نشر الكتاب الأول في المهجـر

هذه الانطولوجيا «الكتابات الأولى» تعرفنا على تجربة أكثر من ثلاثة كنديّين كاتباً كندياً بين شاعر وفاص وروائي، وتمكننا من متابعة ورؤيه أحوال الكاتب اليومية والنفسية والتحديات التي لابد أن تواجهه وهو يخرج من عزلته وزمنه الخاص وركنه الأثير إلى عالم آخر مختلف كلياً، وهو عالم البحث عن ناشر يربح بالمخطوط أو يرفضه. وهي قضية تستدعي في أذهاننا تجربة الكاتب العربي، مع الفارق الكبير بالطبع، فالمفارقة هائلة والأالية مختلفة تماماً. عالم النشر العربي له تفاصيله وحساباته الغريبة عن كل تقاليد النشر في العالم، على حساب الكاتب الذي يدفع من جيده لإخراج منتوجه إلى السوق كما هو، مما انعكس سلباً على الذانقة العامة، الكساد، وقد إلى ظهور الطفيليين على عالم الأدب والتأليف، وما يتبع ذلك من تدهور في مكانة الأدب وقيمه. دور النشر العربية على الغالب ليست معنية بمراجعة الكتاب أو البحث في تفاصيله الجمالية الفنية الإبداعية، إلا ما ندر، فمن يدفع يطبع، وحده الرقيب السياسي والديني هو الذي يحشر أصحابه في عيون النص وشرايينه ويقوم بتنطيطه أو صالحه أحياناً بحجة الحفاظ على القيم والتقاليد وسلامة الوطن والأمة.

أن يبدأ الكاتب الكندي بالبحث عن ناشر، لابد أن يكون مستعداً دوماً للتلاقي «الرفض» لأسباب يعلنها الناشر أو تبقى غامضة، وخاصة حين يكون الكاتب متقدماً إلى الناشر بكتابه الأول من دون إرث مسبق يدعم خطوته.

في هذا الكتاب الذي يشمل مقالات عميقـة الصدق والمكاشفـة، نقع على حكايات قاسـية أو نقل مريرة، وأخرى فكاهـية وساخرـة، تتخلـل في النهاية بنتـيجة إيجـابـية.

تتحدث إحدى الكتابات عن هذه التجربـة وتـنقل لنا بعضاً مما كانت تدونـه في دفتر يومياتـها وهي تخوض تجربـة البحث عن ناـشر: «أتـخيل نفـسي عـجوزاً متـقادـعاً لا تـحسـن الـوقوف حين يـصلـني ذاك

الخبر السعيد وتصبح روایتی المخطوطۃ كتاباً يقرأه الآخرون».

هؤلاء الكتاب الذين تضيق بهم السبل لإيجاد ناشر يعترف بموهبته، كثيراً ما يلجأون للتسجيل في «ورشات الكتابة الإبداعية»، التي تتيح لهم فرصة القاء بأقرانهم من «المحبطين والمتأملين» الذين يخوضون مثلهم تجربة الرفض والقبول والبحث عن دار الناشر الأمثل. هناك يجدون متفسراً وحلقة اجتماعية، ويعثرون على من يتقاسم معهم هموم الرحمة وعثراتها، كما يستفيدون من نصائح الاستاذ الكبير في نقد كتاباتهم، وهي نصائح قد تصيب أو تخيب.

تقول احداهن: «كنت ألتقي أي «بروشور» يعلن عن ورشة عمل لكتاب بلهفة واهتمام يفوق اهتمام الطفل بالبحث في صفحة الألعاب أو الكاتالوج عن هدية عيد الميلاد التي يحلم بها». وهناك يواجهون سؤال بعضهم بعضاً «هل عندك كتاب أم لا؟». وحين يوجد كاتب واحد سبق وأن طبع كتاباً يقابل بالحسد أو الغيرة، وقد يغدو التواصل معه أو معها مربكاً.

كاتبة أخرى تشرح تجربتها بالقول: «لقد كتبت قائمة بأسماء وعناوين دور النشر الكبيرة والصغرى، ثم اختصرت القائمة إلى قائمة أصغر وبدأت بارسال المخطوط مشفوعاً برسالة مفتوحة مع عنوان البريدي وهاتفي وظرف عليه طابع لإرجاع المخطوط إلى ممهوراً بالقبول أو الرفض، أو بلاحظات المحرر الذي يطلب إجراء تعديلات على النص قد تكون طفيفة أو محورية. أرسلت كتابي وقلت لنفسي لن أهتم ولنأشغل نفسي بعد لكنني لم أنج من التفكير في مصير كتابي، وصرت عرضة للكوابيس والاستيقاظ في منتصف الليل لأعيد قراءة بعض الصفحات. مرة استيقظت من حلم كابوسي رأيت فيه الكاتبة مارغريت أتونود والروائي مايكل أونداتجي يتلذثان بالشواء على نار كتابي المحترق. وواظبت على القول بأنني لن أهتم بعد، لكنني وضعت الكرسي أمام باب البيت بحيث يصبح بإمكانني رؤية ساعي البريد وهو قادم. وهذا تلاقيت عدداً من رسائل الاعتذار والرفض إلى أن وصلتني تلك الرسالة السحرية: القبول».

أحياناً يأتي القبول المبدئي من قبل الناشر، ولكن بشرط أن يقوم الكاتب بتعديل فقرات بкамليها، أو إعادة كتابة المخطوط الذي قد يأخذ طريقه للنشر بعد عام وربما أكثر. وتصف كاتبة أخرى الجهد والأرق والمثابرة التي لا تخلو من المتعة، وهي تعيد النظر في التغييرات المقترحة من قبل المحرر المعتمد لدى دار النشر. وتشير إلى «أن تنتهي أو تعديل المخطوط الشعري والاشتغال عليه يكون أقل صعوبة من تعديل مخطوط رواية منجزة في نسختها الأولى. وفي حالي هنا كانت الصعوبة فادحة، إذ طلب المحرر أن يتم التخلص من إحدى الشخصيات، واختراع شخصية بديلة، كما اقترح تغيير النهاية أيضاً». وأحياناً يطال التغيير العنوان أيضاً. ولكن كل ذلك يجري بموافقة الكاتب أولاً.

عمل المحرر والناشر ليس ثانوياً وليس محصوراً في قبول الكتاب أو رفضه وتحرير العقد وحقوق الملكية، بل نجد الناشر معيناً بتفاصيل قد لا تخطر على بال الكاتب. يقول أحدهم: «يرى الناشر أن هذه

الحقيقة يجب أن تكون أكثر جمالاً، وهنا يجب أن تصبح أكثر صفرة، وهناك يجب التخفيف من اللون الرمادي...».

تنوع المقالات التي ضمتها الانطولوجيا ما بين الحديث عن الفرح والبهجة والمعاناة في طور البحث عن ناشر، كما تتعرض لجانب آخر وهو العزلة والقلق الذي يرافق مرحلة الكتابة، وكذلك الأحلام الغريبة التي يتوقعها الكاتب ما أن ينشر كتابه. فنجد كتاباً يصف حالة الفقر والترحال التي يعيشها مع إصراره الكبير على إنهاء كتابه، ويسخر من نفسه إذ كان يتوقع أن تقع الفتيات الجميلات في شباكه ما أن يصبح كاتباً. ويصف محاولته للسفر إلى مدينة أخرى يكون فيها قريباً من «العقل المثقفة والكتابات الجميلات» لكنه يصاب بالصدمة وينتهي به المطاف للإقامة في شقة متواضعة، يلتقي فيها مع كاتب آخر» فشل» في تحقيق حلمه في النشر. هناك يتبدلان الهموم المشتركة والشكوى إلى أن يأتيه الفرج ويلتقي بناشر يوافق على نشر روايته. وحين يضع أمامه غلاف الرواية يراه « بشعا» غير أنه يبتسم ويوافق عليه. ويصدق أن ترفض دار نشر كتاباً ما، لكنه يحظى بقبول سريع من دار نشر أخرى، لذلك يجب أن يبحث الكاتب عن «ذائقه» كل دار قبل أن يباشر بمراسلتهم ويضيع وقتاً بانتظار رد قد لا يصل إلا سلبياً.

الجانب الآخر الذي يتطرق إليه الكتاب في هذه الانطولوجيا في صفحاتها المائة والخمسين، هو الانفعال الذي يصاحب عملية النشر، من حوارات إذاعية أو تلفزيونية أو صحافية، والأثر النفسي الذي يعقب نشر صورة الكاتب أو الكاتبة في الصحيفة لأول مرة، وكذلك القلق الذي قد يرافق تجربة القراءة الأولى في مهرجان كبير يحضره كبار الأدباء والفنانين، وكذلك حين يجري توقيع الكتاب، أو القراءة في مكتبة ما يقتصر الحضور فيها على الكاتب والناشر وموظفة المكتبة.

مفارات فكاهية وأخرى مؤلمة، نقرأها في محاولات هؤلاء الكتاب الذين يحاولون تقليص الهوة ما بين عالم الكتابة الداخلي والعزلة المصاحبة له، والجانب الآخر الذي يستدعي الحضور والتواصل مع القارئ والأصدقاء، والبحث في سبل التسويق والبيع.

هامش هذا اليوم:

الدواوين الأولى: كريستال وخريف يذرف أوراق التوت

في الوطن الخالي من الحب حزنٌ غزير. في البيت حزنَ الذي لا يغفر. في البيت ذاكِرتك المثقوبة برصاص صنع خصيصاً من أجل البيت - الوطن. في البيت ضباب وجهك العاجز عن الحب وعن الموت عن القيمة. أيها الحب الذي لم يعرف كيف يشد الموت إليه برفق. كن رفيقاً أيها الغريب، أيها الغباء.

أحمل كتابك وأمشي دون أن تنحنني. أقول لنفسي لا تذرفي الدموع لأنك وحيدة مثل كتاب. هذا ما حدث مع كتاب كريستال حين وصلني إلى كندا بعض النسخ المطبوعة. ذهبت إلى مكتب البريد القريب ومعي الأشعار الذي وصل إلى صندوق البريدي. ابتسمت للموظفة وأعطيتها الأشعار مرفقا ببطاقة هوية شخصية عليها صورتي وعنوانني. أخذتها وذهبت تبحث بين الصناديق التي عبرت البحار والقارب. وجدت صندوقا عليه اسمي. وقعت على سلم الحمولة. إنه 'كريستالي' الحبيب المنتظر.

وضعت الحمولة في حقيبة أحملها أغلب الأحيان. خرجت ومشاعري متباينة بين الفرح والغربة. ذهبت إلى مقهى قريب وشربت القهوة وحدني وأنا أتأمل عالمي الجديد والديوان الرقيق... كان ذلك عام 2002.

جملة قالتها لنفسي في طريقى إلى البيت 'الآن أحمل كتبى فوق ظهرى، بعد ان حملت كتب الآخرين طوال عمري'. يجب ان تكون اللحظة استثنائية اذن.

جلست مع القهوة و مجموعة 'كريستال' تصفحت الكتاب سريعا، لم أقرأ صفحة واحدة وأنا أقول : وماذا بعد أن انتقلت القصيدة من المحيط الخاص إلى العام؟! شردت وقلت: لو كنت هناك لدعوت الأصدقاء للاحتفال بالمناسبة. لو كنت هناك لأقمت حفلة توقيع الكتاب. لو كنت هناك لتلتقيت عروضا للقراءة والحوارات والنقاش حول الكتاب. تذكرت بعض الأصدقاء هنا وخطر لي ان احتفل معهم بنفسي، لكنني عدلت عن الفكرة تذكرت رد فعل صديق حين أخبرته عن كتابي.

فأجابني بسخرية: 'يا لطيف، وهل تعتقدين نفسك مظفر النواب مثلًا؟'

لم تتغير أحوال الأمة، ولم تتغير أحوال الطقس في كندا بعد صدور كتابي الأول.

لم أكن اعرف أحدا شخصيا في الساحة الثقافية، فبحثت عن بعض العناوين من خلال الانترنت وأرسلت بعض الاهداءات لمثقفين لا اعرفهم ولم يسمعوا باسمي من قبل. ارفقت مع كتابي عنوانى وبريدي الإلكتروني. كنت حزينة لأن أغلبهم لم يكتب شكراً عبر الإيميل. وبعضهم سلم الكتاب من قبل الناشر وكتب يطلب حوارا، وبعضهم حصل على الكتاب وقرأ وما زالت تربطني بهم رسائل الكترونية وسجلات ثقافية. وسيبقى 'كريستال' جزءا حمينا من هويتي الشعرية والمهجرية المتباينة. وسيبقى السؤال قائماً مادما سأكتب في اليوم التالي

صدر كريستال عام 2002، عن دار الكنوز الأدبية في لبنان. وأعيد نشره ورقيا في كندا عام 2015 وسيبقى مجموعة شعرية نشرت الكترونيا بعنوان " خريف يذرف أوراق التوت" على شبكة المرايا الثقافية، وطبع ورقيا في كندا عام 2015، وأعيد نشره الكترونيا عبر " سلسلة إبداعات طريق الحرير"

5 سجينه طهران، مارينا نعمة والزواج من السجان في الدولة الإيرانية الإسلامية

كتاب "سجينه طهران" هو سيرة ذاتية وليست فيلما هندياً ولا نصاً فانتازياً. المراהقة الصغيرة الشابة الإيرانية مارينا نعمات، الطالبة في المدرسة في رمشة عين، تصبح "سجينه سياسية" تساق إلى أكثر سجون ايران شهرة وقسوة، تودع طفلتها وواجباتها المدرسية، لتنلقى أشكال التعذيب هناك في سجن "آفين" حيث تلتقي مع عدد من بنات صفها اللواتي لم يكن سياسيات بالمعنى الحقيقي للكلمة. واحدة منهن كتبت مقالاً ووضعتها في جريدة الحافظ عن المظاهرات الشعبية وتدخل حراس الثورة الإسلامية في فض التجمع، بإطلاق الرصاص والغازات المسيلة للدموع. وواحدة قرأت المقالة وتعاطفت معها، وأخرى خرجت للتظاهر من غير أن تكون منظمة في حزب أو تجمع معارض. ردود فعل "شبابية" أصبح ثمنها السجن المؤبد أو الإعدام في بعض الحالات. وهذا كان حال الكاتبة مارينا نعمات في "سجينه طهران" الكتاب الذي ترجم إلى لغات عالمية عديدة، وحقق أعلى المبيعات. صدر بالإنكليزية 2007 في كندا عن دار "بنغون"

المراهقة وزمن الانقلاب في ايران

تم القبض على مارينا نعمات وأدخلت السجن عام 1982. كان عمرها في ذلك الحين 16 عاماً فقط، ولم يكن للأهل أي علم بتواجدها في أكثر من مظاهره معارضة لحكومة الجديدة، وبعد إسقاط حكومة الشاه في ايران.

الاستثنائي في هذه الحكاية القادمة من سجن رهيب شبيهة بالفنتازيا التي صورتها مارغريت اتوود في نصها الذي أشرت إليه. فالشابة ذات الست عشر ربيعاً، تقاد إلى السجن، ويجري التحقيق معها، وتختضع للتعذيب الشديد، بالضرب بالسوط "الكبل" على أسفل قدميها إلى أن تسقط مغرياً عليها. ثم

يصدر بحقها حكم بالإعدام بالرصاص.

المحقق الأول "حامد" يكرهها ويريد التخلص منها سريعاً. أما المحقق الثاني "علي موسوي" فيقع في غرامها منذ اللحظة الأولى. يتعاطف معها رغم أنه يعرف أنها "مسيحية مؤمنة" وهو متREWع لخدمة الحكومة الجديدة والتخلص من أعداء الإسلام والكفار. يحاول الفرار من حبه لها، يغيب عن السجن فترة ويذهب للالتحاق بالخطوط الأمامية حين اندلاع الحرب الإيرانية - العراقية. ثم يعود بعد إصابته في قدمه. وينظر أنه كان سجيننا سابقاً في نفس هذا السجن وعانياً أشكال التعذيب وأثار سيطرة "الشاه" ماتزال ماثلة على ظهره.

تختضع مارينا للتعذيب ولا تعرف عن قدرها ومستقبلها شيئاً. تعيش في الزنزانة رقم "246" مع نساء آخريات. تعرف أن بعضهن ذهبت إلى حتفها وتجد أن بعض السجينات يختفين ولا يعرف عنهن شيئاً، وترى أيضاً سجينه تجب داخل السجن وترى ولديها في أقسى الظروف.

ذات يوم يطلب حضورها مع نساء آخريات عبر مكبر الصوت، فتخرج للنداء... تساق مع الآخريات وسط الثلوج إلى رقعة ما، محمضة العينين. تسمع صوت طلق الرصاص وهو يقضى على صديقتها التي في جوارها والتي حاولت الفرار وهي في مثل عمرها. إنها محكومة بالإعدام من غير محكمة حقيقة. في اللحظة التي يحاول المحقق "حامد" أن ينفذ حكم الإعدام بها، يصل المحقق الآخر "علي موسوي" ويعطيه ورقة ليقرأها فيجدها قراراً من "آية الله الخميني" بتخفيف حكم الإعدام إلى السجن المؤبد.

هذه الخطوة التي أنقذت حياتها من الموت قام بها المحقق علي الذي يحبها من غير أن يتعرف لها بهذا. وهو قد طلب من والده، الذي تربطه علاقة وثيقة "بالخميني" للتدخل في شأنها.
لماذا فعل المحقق علي ذلك، وماذا يريد مقابل إنقاذهما من الموت؟

تغير ديانتها وقبول الزواج من المحقق ثمناً لحريتها

يطلب منها الزواج بشرط أن تعلن إسلامها أولاً. ويعدها بأنه سيتحقق لها كل ما تحلم به. ويشترط عليها ألا تخبر أحداً من السجينات. يهددها بأنها إذا رفضت طلبه، سوف يقوم بتعذيب والديها، وكذلك الشاب "اندريه" الذي كانت تبادله حباً صامتاً منذ أن التقى به وهو يعزف الأورغ في الكنيسة.

الكتاب يقع في 274 صفحة من القطع الكبير، تسرد فيه تفاصيل من حياتها مع أسرتها، رفاقها في المدرسة، الكنيسة، السجن، ثم ألمها وخوفها من هذا المصير الجديد "أن تصبح سجينه على إلى الأبد". بعد طول عذاب ومرض وهزال، تخضع لشرطه وتقبل الزواج من "المحقق علي" ذو السلطة الكبيرة. تجري مراسيم "شهر إسلامها، ثم تتعرف على عائلة زوجها المستقبلي، وتتعرف على البيت

الذى اشتراه لها. تتزوج، أو يتم اختصابها بعد عقد زواج رسمي في منزل والد العريس وبحضور أهل العريس.

يجري هذا كله سراً تقريباً، ويبقى عليها أن تواصل حياتها موزعة مابين السجن، وما بين بيت الزوجية السري.

يقوم زوجها، الضابط في السجن بتقديم التماس آخر لدى المحكمة الدينية، لتخفيض مدة سجنها.... باعتبارها قد أصبحت امرأة " مسلمة صالحة " زوجة ضابط مخلص للدين والحكومة الجديدة. ثم يتم النظر في أمرها وتحظى بتخفيض العقوبة من المؤبد إلى ثلاث سنوات.

تصور في كتابها السيري / السجالات والحديث بينها وبين زوجها، والألم الذي تعشه في داخلها، كونها خانت دينها ووالديها والمصديق الذي كانت تشعر بحبه الكبير، والذي وعدها أن ينتظرها حتى تخرج من السجن. خلال هذه الفترة العصيبة، لا يعرف أهلها عنها شيئاً سوى " أنها أصبحت مسلمة " دون أن تخبرهم بأي تفصيل آخر.

أرملة ووحيدة خارج السجن

تأخذ حياتها مجرى آخر، إذ يقتل زوجها بتدبير غادر من إصدقائه. وتكون معه لحظة إطلاق الرصاص عليهما، لكن علي يدفعها إلى الخلف ويتألق صدره الرصاصي، فيما يموت بين يديها. كأنه ينقذها من الموت للمرة الثانية. وتكون حينها في بداية حملها، فتجهض الجنين أثر الصدمة والخوف. على ، زوجها لحظة موته يوصي والده "أن يعيدها إلى عائلتها ويحسنوا معاملتها". تعود إلى السجن لتكميل المدة المقررة. يتدخل والد زوجها وأسرته التي تكن لها محبة كبيرة، ويتم الإفراج عنها بعد أن تكون قد قضت في سجن "أفين" سنتين وشهرين و12 يوماً.

تتحدث باحترام وحب حقيقي عن عائلة زوجها التي كانت كريمة وطيبة معها منذ البداية وحتى النهاية. تصف لحظات قلقها وارتباكتها اتجاه مشاعرها الحقيقة. يأتون لوداعها حين تخرج من السجن. تقرر أن تعود إلى أهلها، فيربح والد زوجها بقرارها، لأنه كان الوصية الأخيرة لإبنه الوحيد.

تعود إلى بيتها الأول، وتصف غربتها ومشاعرها الداخلية، صمتها وحزنها وهي تحمل كل هذه الآثار من تعذيب زواج وإجهاض وهي لم تبلغ بعد الثامنة عشرة من العمر. يصمت الأهل ولا أحد يطلب منها شرحاً عن حياتها في السجن، فتستغرب ذلك كثيراً. الكل يخاف ويتهرب من معرفة الحقيقة وهي كذلك. تبقى الحقيقة الوحيدة أمامها أن الشاب الذي التقه عدة مرات قبل دخولها السجن مايزال يحبها وهي تبادله الحب أيضاً. وتقدم لطلبه للزواج أخيراً. وسط الجدل والخوف والقلق، تقرر أن تتزوج من "اندريه"، رغم أنهما يعرفان بأنه هناك تحظير وخطر على حياتهما، إذا أقدما على الزواج. فهي الآن

امرأة مسلمة ولا يحق لها الزواج من رجل مسيحي، وإنما فهي معرضة للموت. لكنها تغامر هي وحبيبها ويعيشان معاً وينجبان طفلة. تسرد أيضاً مرحلة أخرى من حياتها بعد السجن، إلى أن استطاعت بصعوبة الحصول على جواز سفر لها ولزوجها وطفلها الجديد. تهاجر وتصل إلى تورنتو كندا عام 1991، حيث تقيم الآن مع زوجها وطفليها.

قد تكون القصة مناسبة لفيلم "هندي أو كلاسيكي" لكنها فانتازيا الواقع بكل ما يحمل من ألم وأمل، استطاعت أن تحتمله الشابة الصغيرة وذلك من خلال إيمانها الديني وإيمانها بالحب. نجحت الكاتبة في جعل السرد مشوقاً يلامس القلب بعبارات سلسلة ولغة بسيطة، مرصعة بتصاوير شفافة في وصفها للمكان وللروح من الداخل.

التفيت الكاتبة في أكثر من مناسبة أدبية في تورنتو، لكنني لم أكن أتصور أن هذه المرأة "الصغيرة الحجم" قد تخفي تحت جلدها وذراً كرتها كل هذا الألم والتجربة المريرة. وأكرر ما قالته أتتودد في نصها "هذه ليست فانتازيا، إنها تاريخ وحديث"

Title: Prisoner of Tehran

Author: Marina Nemat

Penguin, Toronto, 2007

حين قرأت نصاً شعرياً كتبته مارغريت أتتودد في الثمانينيات، اعتقدت إنه نفحة من مبالغاتها الرمزية والأعيبها الفنية في إيصال فكرة عن المرأة والقمع. كان النص يدرو حول مصير امرأة سجينه حكم عليها بالإعدام شنقاً، وهذه المرأة ليس أمامها منفذ لإنقاذ حياتها سوى أن تتزوج الجلاد. الجلاد أيضاً كان سجينًا سابقًا، ولم يكن أمامه من منفذ لإنقاذ حياته سوى أن يقبل بهذه المهنة، إعدام المساجين. وضمن هذا السياق يتزوج السجينان. تكرر أتتودد في نصها أن "هذه ليست فانتازيا، إنها تاريخ". وبقيت في ذهني فانتازيا نص أدبي، رأيته يتكرر بصورة مختلفة قليلاً وفي سياق آخر، في سيرة حياة الشابة الإيرانية "مارينا نعمات"

الشرق الأوسط 9 نوفمبر 2007

أفكار اليوم... عن تجربتي الشخصية مع الكاتبة مارينا نعمات في تورنتو، 2023

التفيت بالكاتبة أول مرة في قراءة أدبية في مكتبات تورنتو ولم يكن كتابها قد صدر بعد. كانت

تلبس ثياباً سوداء، وفي عنقها سلسلة وصليب من ذهب. ثم صدر لها أكثر من كتاب والمأساة في السجن وتفاصيل رحلتها المشوقة جعلتها شخصية معروفة بسبب نجاح الكتاب ومشاركة الكاتبات في المهرجانات وإلقاء كلمات وحديث عن تجربتها في مناسبات عدّة. صارت ناشطة وتحدث في مؤتمرات عالمية وكندية عن الحرية وعن نظام الدولة الإسلامية في إيران وعن معاناة الشباب والنساء في حقبة الانتقال من نظام الشاه إلى نظام الدولة الإسلامية المتزمتة اتجاه المرأة والحريات بشكل عام. وسبق أن قدمت تقريراً عنها لإذاعة بي بي سي- عربي للحديث عن الكتاب.

ثم التقيت بها حين كنت عضوة في منظمة القلم الدوليّة، مجموعة كتاب المنفى وكان هناك اجتماع شهري دوري يجمع صحفيين وكتاب من العالم. وكانت الكاتبة مارينا نعمات مديرّة تطوعية للإشراف على برنامج اللقاءات. كنا نلتقي شهرياً على مائدة العشاء في بيت اللاجئين في غرب تورنتو (روميو وهاوس)، وهو بيت مخصص لاستقبال اللاجئين خلال فترة انتقالية قصيرة وإلى أن يستطيعوا تأمين السكن والاستقرار في كندا... ابتعدت فترة سنة وعلمت لاحقاً أنها تخلت عن كرسيها التطوعي في المجموعة بعد ذلك وانتقلت للعيش في مدينة أخرى. حضرت لها أكثر من لقاء عام وكانت تتحدث عن حالتها النفسيّة وأثار التجربة الشخصية (تروما) التي ترافقها بعد نجاتها وعيشهما في كندا مع زوجها وأطفالها.





كتاب تدت الحصار، وحق اللجوء



سجناء من العالم ترتطم صرخات ألمهم الملونة بأذنيك وأنت تقلب صفحات كتاب عن السجن والحرية. سجناء من الشرق ومن الغرب، من العرق الأسود، الأصفر، الأبيض والملون. نساء ورجال في بلاد على مدى الخارطة الدولية يتحكم بأنفسهم ورقباهم ديكتاتورين من العالم لأنهم يحملون قضية أو فكرة يدافعون عنها بالورقة والقلم. مقالات وأشعار ورسائل شکوى وشكر أدرجت في انطولوجيا بعنوان "كتاب تحت الحصار/أصوات الحرية حول العالم" بابشراف منظمة القلم الدولية التي تعنى بإخلاء سبيل السجناء السياسيين والكتاب حول العالم.

شهادات تختلف عنمة السجون. كلماتهم المغمومة برانحة البول والدم والرصاص تنغرز في جلدك وأنت تقرأ عن سيرتهم وفزع الشهادة على طلاقات الاعدام التي تتم على مرآهم وتحصد رفاقاً لهم في الزنزانة. تتوحد أصوات الناجين منهم فوق صفحات هذه الانطولوجيا، فتشعر بالمرارة حين تدرك أن الحرية التي قضى وتعذب من أجلها الكثيرون، لم تصل إلى أي عتبة من عتبات الشرق العربي- المفترض أنه على موعد مع الخلاص.

في كتاب "كتاب تحت الحصار، أصوات الحرية من حول العالم" القلم مكسور لايسيل منه حبر بل رشقة دم أحمر. القلم قلب يحمل حلم الحرية. القلم سجادة سحرية يحلق فوقها الكاتب السجين ويهرب لوهلة من دواليب التعذيب في دهاليز الديكتاتوريات المنشرة في كل ركن من هذا العالم. هنا القلم يقارع العنف والتهديد بالتصفية الجسدية، بمزيد من الإصرار على فضح انتهاكات أبسط حقوق الإنسان. هنا الكلمات تأخذنا في رحلة مؤلمة مع تجارب كتاب من العالم، يحملون في حبرهم صرخة المطالبة بحق الحياة الكريمة والإصلاح الاجتماعي، ولا تشتيتهم عن عزيزتهم رصاصات الغدر وعتمة

السجون. في هذه الانثولوجيا التي أعدّ لها وأشرف على تحريرها منظمة القلم الدوليّة الإنكليزية في سبتمبر 2007 ، يجد القارئ نفسه في رحلة موجعة يتذوق فيها جرعة فانضة من الألم والعذابات ويعيش مع أصوات الكتاب السجناء. يرافقهم بين زنزانتهم، يشاركون رسائلهم الشخصية ويتعرف على أحوالهم الصحية،اليائسة والمنهكة. 275 صفحة من أدب السجون وباقلام كتاب من دول العالم تم اختيارها وترجمتها باشراف منظمة "القلم الدوليّة الإنكليزية". بعض الكتابات جاءت على شكل رسائل واعتراضات شخصية، بعض الكتابات أدبية، مقتطفات من قصائد وروايات وسير ذاتية. بعض هذه الكتابات كانت سبباً في الحكم بالإعدام على كاتبها. القاسم المشترك للمشاركيين في هذا الكتاب هو التعرض لخطر الموت بسبب كتاباتهم وانتقادهم لسياسات بلادهم بشكل أو بأخر، بعضهم خرج من السجن بعد انقضاء فترة الحكم، بعضهم مايزال قابعاً في السجون، وبعضهم تمت تصفيته جسدياً مثل الكاتبة الروسيّة أنا بوليتوكوفسكايا التي قُتلت عام 2007 ، والكاتب النيجيري كين سارو ويو الذي قُتل عام 1995.

الكتاب يتضمن شهادات ومحارات لكتاب كبار واجهوا بالرواية والمسرحية والشعر، حكومات بلادهم، ومن هذه المختارات هنا قصائد مختارة للشاعر والكاتب الإنكليزي "هارولد بنتر" الحائز على جائزة نوبل للآداب، وكذلك أورهان باموق وتطرقه للمسكوت عنه من مجازر ارتكبت في ظل الحكومات التركية. كما هناك مشاركات لكتاب حازوا على جائزة نوبل للسلام.

يقال: أنَّ كاتباً واحداً في السجن، يعني أنَّ جميع الكتاب مساجين. فماذا يشعر القارئ والكاتب حين يعلم أنَّ كاتباً(ة) في السجن يعتبر الحصول على حبة الاسبرين معجزة، ويعتبر رؤية السماء آخر الحلم، بل ويقرأ بالتفصيل كيف أنَّ كاتبة امرأة تغتصب أمام الآخرين، وأخرى تعالج نفسها بأنَّ "تشرب وجبة البول الصباحي" كوسيلة للوقاية وعلاج البدن. وهذا ما تصرح به إحدى السجينات في رسائلها!

يبدو أنَّ القاسم المشترك بين دول العالم هو السجون ولغتها. فقد شارك في هذه الانثولوجيا كتاب ونشطاء سياسيون من: من كوبا، بورما، الهند، ايران، سيريلنكا، نيجيريا، زمبابوي، الصين، بيلاروس، سيراليون، يوغوسلافيا السابقة، روسيا ، بيرو، اوزبكستان، تركمانستان، المكسيك، فيتنام. وجنوب كوريا. كما هناك مشاركات من دول شرقية وعربية منها تركيا، سوريا(فوج بيرقدار)، تونس(سهام بن سيدرين)، والسعوية(على الدميني). بعض هؤلاء الكتاب تم تحريرهم بحملة واسعة النطاق أشرف عليها منظمة القلم الدوليّة من أجل حرية التعبير، ومتازت المنظمة تواصل حملاتها من أجل تحرير آخرين من سجناء الرأي والضمير، وذلك عبر شبكة مراكزها المنتشرة حول العالم والتي تضم 144 مركزاً في دول الشرق والغرب. ويجرد هنا أنَّ نذكر ونجيبي الفروع الجديدة

لمنظمات القلم العربية التي تم تأسيسها مؤخراً عام 2007 في بعض الدول العربية ومنها تأسيس فرع للقلم الأردني والبحريني والعراقي لينضموا إلى دعم حرية التعبير وخاصة في منطقة الشرق الأوسط التي يزدهر فيها القمع وتتكاثر السجون، وتتوالى الفتاوي المجنحة في حق الكتاب والشعراء والروائيين والصحفيين.

ولاشك أن الكتاب لم يحمل ولن يكون بامكانه أن يشمل جميع أصوات السجناء في العالم، وكما يحصل دائماً في كل عمل انتلوجي، لابد أن يسقط الكثير وخاصة تلك الأصوات التي لايمكن الوصول إليها وترجمتها. كما أن هناك كتاب لهم تجربة في السجون، لكنهم لم يفضلون إلا يكتبوا عنها بسبب الخوف، أو رغبة في الهروب من تلك المساحة المرّة بلاشك. ونعلم أيضاً أن سجناء وسجينات في العالم لا يجدن الكتابة الصحفية أو الأدبية، وتجربتهم أيضاً تستحق الالتفات إليها وتدوينها من قبل كتاب آخرين.

لا يمكن الإمام بكل الجوانب التي نصادفها في هذا الكتاب لذلك ساختار فقرات من "قصة آسيا" وهي ناشطة سياسية تركية حكم عليها بالسجن كونها محررة لصحفية إشتراكية تركية. قضت الناشطة آسيا عوزال فترة في السجن منذ عام 1997 وحتى عام 2002، ثم خرجت وفرت لتعيش حالياً في السويد. صدر لها كتاب بالإنكليزية عن دار الساقى عام 2003. تسرد فيها تجربتها والتعذيب الذي تعرضت إليه، والاغتصاب ضمناً.

قصة آسيا:

"... كانت الأرض اسمنتية في الغرفة التي أخذت إليها. أستطيع أن أتصور ذلك رغم أنني كنت معصبة العينين. لم يكن هناك شيء يعطي الأرض.

" هل تريدين أن تتعرّي لوحدك، أم أنتا ستفعل ذلك؟"

عزّيت نفسي، وهكذا لن يستطيعوا هم أن يلمسوا جسدي.

خلعت غطاء الرأس، البلوزة والقميص، وأجلسوني على كرسي. لم أكن قد خضعت للتعذيب من قبل. ولكن من خلال ما سمعت وقرأت، أدركت بأن العملية ستبدأ.... هناك كنت معلقة في الهواء، الألم في أصابعى، قفصي الصدري على وشك أن ينفجر، التنفس أصبح معضلة. كنت عارية في عرائى. كنت أشعر بالعار. أنا التي كنت أشعر بعدم الراحة فيما إذا كانت تنورتي قصيرة قليلاً، أنا عارية الآن وأمام الرجال. لقد أخذوا مني كل وسائل دفاعي عن نفسي. تذكرت زوجي... حاولت أن أتذكر مقطعاً سطراً من أغنية أغنيها لنفسي، ولم استطع. الشيء الوحيد الذي كان في ذهني ذلك الصوت الذي يقول "إنت عارية" أقول: لابأس، كنت أعرف أن هذا سيحصل... ولكن "أنت عارية، لشيء يستر جسدك... أنت

عارية" وأقول لنفسي: ول يكن، أنا عارية، لكنهم ليسوا بشراء..." كنت أتعرق رغم أنهم كانوا يدلقون سطولاً من الماء على. لم أكن لوحدي كانت آسيا في داخلي تتصارع مع "... وهذا يتواصل صراعها وتصف الاختصار، وما بعده من تحذيب وإجبار على كتابة أقوال تحت تأثير التعذيب و "السيكارة" التي أجبروها على أخذها...

ختام رحلة القلم الصلب المعدب الحر، هي للكاتب النigerيري كين سارو- ويوا، الذي أعدم في نوفمير 1995 بعد سنوات من السجن والتعذيب. يقول في رسالة كتبها إلى منظمة القلم الدولية بتاريخ 12 أيار 1995: إن عشت أو مت، هذا ليس مسألة. يكفي أن أعرف أن هناك ناس كرسوا وقتا ونقودا وطاقة لمحاربة هذا الشر الذي ينتشر حول العالم. وإن لم ينجحوا اليوم، سوف ينجحون غدا. يجب أن نبقى في توق لجعل العالم مكانا أفضل للإنسان. كل واحد يقدم ما باستطاعته(ها)، بطريقته(ها). أحياكم.

* *

مشاركتي في قراءة قصائد شاعر سوري سجين احتفاء بصدور هذا الكتاب وضمن فعاليات "أسبوع حرية القراءة" في تورنتو كندا كان هناك أمسية كبيرة كما يجري في كل سنة وينظمها قلم كندا بالتعاون مع "المكتبة العامة للبحوث" وذلك وقد تم تكليف عدد من الكتاب لقراءة بعض النصوص من هذا الكتاب نيابة عن كتابها، ومن بين المشاركين في هذه النصوص المترجمة إلى الانجليزية: توماس كينغ، جيل كارتر، كارولين رودي، ببندكتا ماداو، وكاتبة هذه السطور. تخللت القراءات وصلات موسيقية قدمها وليد عبد الحميد كوش، ولورنس ستيفنسن. هذا واشرف مذيعي راديو كندا على تقديم الأمسيّة، وبيعت الكتب للقراء في هذه المناسبة، وكما يحصل عادة تذهب قيمة المبيعات لـ "تحطيم" حملات الدفاع عن الكتاب السجناء في أي مكان من العالم.

*

فضاءات أخرى... 2024
الشاعر بعد الخروج من السجن السوري إلى أوروبا

الشاعر الذي هربت قصائده من السجن قبله، وصلت إلى بلاد الثلج تبحث عن ملجاً. وصلتني حين وصلتني كتاب سيرة ونطouch قصائده مترجمة إلى الإنكليزية كتبها سجناء الرأي حول العالم،

قرأتها ورميت الكتاب أرضاً بنزق وحزن قاتم. كان كتاباً يجمع كل سجون العالم في صور متفرقة من أشكال معاناة الرجال والنساء، تعذيب، اعتصاب، رغبات مؤجلة.

تم الاتصال بي من قبل الجهة المنظمة للمهرجان، وطرحت فكرة أن أقرأ القصائد بالإنكليزية في تورنتو عام 2006 كي ألقى القصائد باليابانية عن شاعر سوري في مهرجان كبير تقيمه منظمة قلم كندا لحرية التعبير، شعرت بالرهبة، والقلق لكنني وافقت. ليس سهلاً أن أقرأ قصائد ليست لي، بلغة ليست لفتي الأم، ولجمهور كبير من الخليط الكندي. عادة يحضر هذه الأمسيات نخبة تهتم بالشأن الإنساني. وحين وافقت على المهمة الصعبة كان لا بد أن أتدرب جيداً على إلقاء النصوص الجارحة كي ألقيها ضمن فترة زمنية محددة بالثواني وأعطي للغائب صوتي. تجاوز الحضور 300 شخص في مكتبة البحوث في داون تاون تورنتو. كان هناك مشاركات كثيرة وقرارات من العالم، من كتاب بعنوان "كتاب تحت الحصار". كان شتاءً والثلج على الأرض، وكانت تباع البطاقات كي تقدم تبرعات لحملات من أجل السجناء في العالم.

قرأت مقدمة الحفل قصيرة عني وعن الشاعر وتأهبت للوصول إلى المنصة. ساد صمت شديد وأنا أقرأ. نصحي صديق خير في العمل المسرحي والإذاعي أن أتمهل في القراءة، رغم أنني كنت أريد أن أنهي من الوقوف في تلك البقعة من الضوء وأرمي الكتاب أرضاً وأخرج كي أمشي في البرد وحدي وأنسى كل الصور التي في رأسي. لقد أديت مهمة أن أقرأ لمن غاب صوته ولم يسقط صوتي في العراء بلا صدى .

أتى بعض الحاضرين وصافحوني وشكروني. وأذكر صديقاً شاعراً من صربيا "غوران سيميك" تقدم مني وقال: برأفي، لقد تدربيت على الإلقاء، أليس كذلك؟ كانت القراءة جميلة ومولمة. انتهت الأمسية بتغطيات إعلامية. أنا أيضاً قمت بكتبة بعد ذلك مقالاً للصحافة عن الأمسية.

**

أفكار اليوم: الشاعر الذي كان في السجن، تحرر منه وصار صاحب شأن وسلطة ثقافية في أوروبا، وله أنشطة ومداولات وليس لدي اتصال به. أذكر بأنني في ذلك العام (2006) كتبت له ايميلاً وأخبرته عن المناسبة ورد شاكراً وانقطع الاتصال. لقد صار قائلاً من المتابعين وأنا لا أتبع أحداً.

*

الشاعر الذي أطعموه فأرا في السجن، لن يكتب عن عصافير الدوري قبل أن يصير له أجنة وفم آخر وفضاءات حرة من كل تبعيات الأول والآخر.

*

حين انتهيت من تقديم الفقرة، شربت قنينة الماء التي كانت في حقيبي. نحن نعطش حين نخاف ونتعرق أيضاً حين نشعر بالقلق.



7

المهاجر العربية والاقتalam في الرواية المهاجرية الكندية

عاد الروائي اللبناني الكندي راوي حاج إلى صدارة الساحة الثقافية في كندا إثر صدور روايته الجديدة والثانية في سبتمبر 2008 عن مطبوعات "أناطاسي برس" في تورنتو وباللغة الانكليزية في 306 صفحة، تحت عنوان "صرصار". على الغلاف الخارجي تطالعنا صورة بالوعة المغسلة، ولا شيء آخر سوى عدد الترشيحات النهائية التي وصلت إليها الرواية وهي: القائمة النهائية لجائزة سكوتتشكيا غيلر. القائمة النهائية لجائزة "غفرنر جنرال الأدبية"، والقائمة النهائية لجائزة "روجرز ترست لكتاب الفيتشن" مع الإشارة إلى حصوله على الجائزة العالمية "إيمباك" عن روايته الأولى "العبة دونيرو" والتي وضعت الكاتب على سلم الشهرة منذ صدورها عام 2006. ولم تسفر هذه الترشيحات عن فوز ساحق، عدا حيازة اتحاد كتاب كيبيك.

في هذا العمل الروائي، المهاجر يصبح صرصاراً في عين ذاته، الصرصار يسرد حيات شريحة من المهاجرين إلى كندا، يعيشون في مونتريال تحديداً. صرصار بكل دونيته وعوالمه السفلية ينتصر على شخصية المهاجر العربي في هذه الحكاية. الصرصار يتراءى للراوي عملاً كبيراً، يسخر منه، يرعبه، يصغر من شأنه إلى حد يجعله أسيراً لأوهامه ومرضه النفسي الذي يذهب به إلى مشفى المجانين مرة، وإلى الانتحار مرة، وإلى جلسات المعالجة النفسية الطويلة مرات. المهاجر عربي لا اسم له، من بلد لا اسم له، محاط بمضيه الجريح وذاكرته التعسفة، غارق في حاضره الأسود المخيف، صادف حلقة من المهاجرين الإيرانيين، نساء ورجالاً، فقدوا أيضاً بوصلة الحياة الصحية الكريمة الإنسانية وها هم يعيشون على هامش المجتمع، في أسفل السلم الاجتماعي والاقتصادي. إنهم عاجزون عن تحقيق ذواتهم في المجتمع الجديد الذي هاجروا إليه، وعجزون في الآن ذاته عن التملص من ذاكرتهم المحملة بالخراب والتتعذيب والاغتصاب في سجون الحكومة الإسلامية الإيرانية.

ثانية المنفى والوطن، ثنائية الحلم وانهيار الأمل، العنف والتمير الذاتي والخارجي، ثيمات تشكل محور هذا العمل السردي الشيق، العنيف، المؤلم والصادم، الذي يشرح كافة فئات المجتمع الكندي بكثير من القسوة والتعرية الخالية من الرحمة. قسوة تفضح المهاجر الضيف والبلد المضيف، والبلد الذي قدم منه المهاجر الشرقي. سرد دائري يتقمص أسلوب "ألف ليلة ليلة" والشهريار هنا هو السارد المتibus بشخصية صرصار، فشل في الانتحار، فقضت المحكمة عليه بالتردد على عيادة المعالجة النفسية للعلاج. الدكتورة "جنفياف" أيضاً تبدو قاصرة عن استيعاب هذا الشخص الطيب، العنيف، المعقد، الفقير، العاطل من العمل والذي يسرق حين الحاجة، الوحيد الذي يتحدث عن دواخله بلغة رشيقه دقيقة التفاصيل عارية تجمع ما بين مهارة الفكاهة المزرة، العمق، القسوة والاغتراب الوجودي القارس.

يقول الرواи في السطر الأول: "وَقَعْتُ فِي حُبٍّ "شَهْرَةً". لَكُنِّي لَمْ أَعْدْ أُنْقَبْ بِعَوْاطِفِي بَعْدَ لَمْ أَعْشَ مَعْ اِمْرَأَةً، وَلَمْ يَصُدِّفْ أَنْ صَادَقْتُ وَاحِدَةً. وَأَنَا غَالِبًاً أَسْتَغْرِبُ حاجتِي لِإِغْرَاءٍ وَامْتَلَاكُ كُلِّ أَنْثَى مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَقْعُدُ فِي طَرِيقِي". عندما أرى امرأة أشعر أنّ انساني صارت أكثر حدة، طولاً، وأشدّ تدبّياً... ربما آن الأوان لاذهب وأرى طبيتي النفسية. هي أيضاً امرأة... حين وضعت يدي على ركبتيها وهي جالسة على الكرسي قبالي، أبعدت يدي عنها، سحبت كرسيها بهدوء إلى الوراء وقالت: اوكي، دعنا نتحدث عن انتحارك"

بطل الرواية في عيادة المعالجة النفسية

انطلاقاً من عيادة المعالجة النفسية يبدأ القص الذي يمتد على مساحات متداخلة مكانية وزمانية. يعود في فقرات إلى بلده الذي قدم منه ويحكي عن تاريخ الأسرة والجوار ومصائرهم في أعقاب الحرب الأهلية والعنف المحلي، البلد هو لبنان على الغالب. الأم امرأة مغلوبة على أمرها، الأب سكير، العائلة فقيرة، الأخ تتزوج في سن مبكرة من رجل يكبرها سنًا، يعمل في الجيش فيذيقها العذاب والإهانة وينتهي به الأمر إلى قتلها حين قررت أن تهجره وتعود إلى بيت أهلها. الشاب الذي كان يراقب كل هذه الخراب ويعجز عن تقديم حل، انحرف في سن المراهقة والشباب وصار "الصاً" على يد المعلم "أبو رورو" الذي كان يدير عصابة تختطف وتسرق وتقتل وتعتدي على السكان الآمنين، تبتزهم، تمارس العنف عليهم بكل صوره، في بلد يخلو من قانون أمني يحمي المواطن ويحفظ كرامته وسلامته. وحين هاجر هذا الشاب إلى كندا محلاً بكل هذه التفاصيل، لم يجد نفسه قادرًا على افتتاح المجتمع الكندي ولم يجد فرصة للعمل. بقي أسير الشيك الشهي الذي يصله من مكتب الخدمات الاجتماعية، وكان هذا حال بعض المهاجرين الإيرانيين العاطلين من العمل الذين كان يلتقطهم في المقهى. هناك يطالعنا "

البروفسور رضي" الذي يقضي نهاره في المقهى يتحدث عن مجده السالف، ويمارس ابتسازا على صحبه ليشتروا له فنجان قهوة أو ما شابه. وفي إحدى الحلقات يلتقي بـ "شهرة" المرأة الإيرانية العاملة والتي تقضي وصاحتها، العطلة في السهر والشراب والرقص، اقتناصاً للملائكة وهرباً من ضغوط الحياة اليومية. هذه المرأة التي عرف سريرها قبل أن يعرف عنها أي شيء آخر. في إحدى المرات تكون في صحبة صديق "مثلي جنسياً" في المطعم الإيراني الذي يشتعل فيه السارد وذلك في إطار سهرة خاصة على شرف شخصية إيرانية مرموقة تعيش في مونتريال. هناك تصاب المرأة بالصدمة، تشعر بالغثيان وتضطرب معدتها، إذ تكتشف أن الشخص المتحفي به، ما هو إلا السجان الذي عذبها واغتصبها مراراً حين أدخلت السجن في إيران. وهذا الشخص يعيش هنا محاضراً بحماية كندية وأمنية لأنّه شخص مهم. تقرر المرأة أن تتبع هذا الرجل كي تقتلته وتنتقم لماضيها. تطلب من بطل الرواية حبيبها "الصرصار" أن يساعدها في المهمة، فيوافق. وبما أنه متخصص في السرقة، فيستطيع أن يحصل على سلاح من أحد بيوت الشلة الكندية التي كان يرافقها. لكنه يعجز عن قتل هذا الشخص المهم، محاولته باعت بالفشل.

الطبقة أو الشريحة الكندية "الراقيّة" التي يعرضها في هذه الرواية لا تخلو من البوس والتعرق والفقر الروحي. أنهم مجموعة من النساء والرجال الميسورين، يقضون أوقاتهم في اقتناص المتعة العابرة. يخونون بعضهم بعضاً جنسياً، وهو يخونهم كلهم، يضاجع نسائهم حين تتاح له الفرصة. يشتعل سمساراً ويحضر لهم الحشيش الرخيص، يأكل من بقايا مطابخهم ويرافقهم إلى المطاعم الفاخرة والسهورات العامة، وحين تنسد في وجهه الأفاق، يسرق محفظتهم وفلوسهم ثم يختفي من حياتهم لشعورهم بالملل والقرف من مجتمعهم التافه-الميسور.

مونتريال... فرنسا... روما

تجري أحداث الرواية في مونتريال، خلافاً لرواية "لعبة دونيرو" التي تتوزع أحداثها بين بيروت وحربها الأهلية، فرنسا وروما والمحطات التي ارتحل إليها البطل بحثاً عن حياة. هنا المكان كندي وفيه تختلط قسوة الحياة المهاجرية بقسوة وعنف الطبيعة والطقس الشتوي البارد الذي يفرد ظلاله الكئيبة على مساحات من السرد، فتبعدوا الصورة شديدة الأسى. تجتمع الوحشة والغربة والفقر والجوع مع قسوة البرد والثلج والاعتلال النفسي وتمزق الفرد بين ماضيه الأليم وحاضره المغلق. إنها حالة عواصف روحية نفسية وطبيعية. انكسارات وشروع في عمق الذات المهاجرة-المنفية عن إنسانيتها وبيتها الأم الذي يفتقد أيضاً الشرط الإنساني.

في لقاء مباشر مع الروائي راوي حاج في تورنتو ضمن إطار مهرجان الكتاب العالميين، تلقى الحاج أسللة المضيفة والحضور، وتحدث عن سبب اختياره للصرصار في الرواية، فابتسم وقال:

حين كنت أكتب، رأيت صرصاراً يمشي في الغرفة، فقلت لنفسي: ولم لا، وفتحت له باب الرواية. يستمتع القارئ وخصوصاً المقيم في كندا بالأسلوب القصصي الجذاب الذي اعتمدته راوي حاج في عرض تجارب مهجرية شرق أوسطية. ولا أدرى إن كان السؤال ممكناً: هل كان للرواية أن تحظى بهذا النجاح والترشيحات للجوائز، لو تعرضت لحياة مهاجر عربي متزن عقلياً ونفسياً وقدراً على بناء أسرة جديدة تساهم في تشكيل بنية مجتمع كندي أنيق ومتنوع الأصول؟

ويذكر أن راوي حاج، كاتب ومصور فوتوغرافي هاجر من لبنان إلى قبرص، درس الفنون الجميلة في أمريكا، ومن ثم استقر في كندا، حيث اشتغل سائق تاكسي وفي أعمال أخرى لا تمت إلى الفن بصلة، وذلك إلى أن حالفه النجاح الأدبيمنذ صدور روايته الأولى عام 2006، ومن المنتظر أن يتم إخراجها سينمائياً، علاوة على ترجمتها إلى لغات أخرى. (نشر في صحيفة الحياة)

**

كلمة اليوم... 2023

حضرت مهرجاناً أدبياً وسمعت الكاتب راوي حاج يقرأ ويناقش ويجيب على أسئلة الحضور، وبعد انتهاء العرض تقدمت منه مصافحة وقدمت نفسي. تبادلنا الكلام العاجل وانصرفنا. لاحقاً طلبت الإيميل لم ناشره في كندا كي أجري معه حواراً. وكان لي ذلك. وصلني نسخة من الرواية هدية من الدار كوني صحافية كم. وحين كتبت للراوي عن رغبتي بإجراء حوار، رحب بالفكرة واتفقنا على موعد للحوار هاتفياً. وتم ذلك ونشر الحوار أيضاً في كتابي الذي صدر بعنوان: حوارات على مرايا الهجرة عام 2023. وصدر للكاتب عدة إصدارات بعد ذلك كلها باللغة الانكليزية وبعضها ترجم إلى العربية والفرنسية ولغات عالمية أخرى.



8

الهوية والانتعاد الجديد بأصوات مهاجرات من العالم

كلما تعرضت البلادـ أي بلـادـ لحروب قصيرة، طويلة، حامية أو باردة، حزم المواطن البانس أحزنه وحقائبـه ولجاـ إلىـ أيـ مهـجرـ متـاحـ. كلـماـ أمعـنـ الـديـكتـاتـورـيـونـ فيـ خـرابـهـمـ وـقـعـ مـوـاـطـنـيـهـمـ، كلـماـ تـرـاءـتـ الـبـلـادـ الـبعـيدـ بـأـنـهـ الـمـكـانـ الـأـصـلـ لـلـعـيـشـ بـكـرـامـةـ وـحـرـيـةـ. منـ الصـعـبـ التـهـكـنـ بـمـاـ تـحـمـلـهـ هـذـهـ التـجـارـبـ منـ إـشـكـالـاتـ ضـارـبـةـ فـيـ العـمـقـ وـبـالـغـةـ التـعـيـدـ.

هنا نعاين بعض الحقائق من خلال حكايات كتاب "عندما يصبح لصوتك مذاق الوطن" فنقرأ مقالات وقصاصاً وأشعاراً كتبتها نساء من جميع القرارات، من الصين، الهند، ايران، فلسطين، البرتغال، ايطاليا، نيوزيلاندا، باكستان، جنوب أفريقيا، الاورخواي، هولندا وغيرها من دول العالم. جميعها كتبت في الأصل باللغة الانكليزية. بعضهن كن يعملن في مهن جيدة وأغلبهن متعلمات وحائزات على شهادات علمية وخبرة عمل في البلاد الأم. قامت بتحرير الكتاب سيدتان مقيمتان في كندا، هما نيلا سميهة كارتون من كينيا وبرابجوت بارمان من الهند، العاملتان في حقول حقوق المرأة والإنسان، معاينة شؤون الأسرة والحد من العنف الموجه إلى المرأة.

ومن هناك ولدت فكرة تحرير هذا الكتاب، فالتجربة العيانية الميدانية دعتهما للعمل على دعوة النساء المهاجرات من أصول متفرقة للكتابة عن تجربتهن. هذا وأن مايسى بالصدمة الثقافية التي يواجهها المهاجرون الجدد من أي بلد إلى شمال أمريكا، أدى إلى تأسيس مايسى بمراكيز الجالية، افتتاح جمعيات وروابط لتوفير المعلومات القانونية والإجتماعية والميدانية العملية التي تساعد المهاجرين على كسر حاجز العزلة والضياع والبحث عن الهوية والعمل. كما وجدت مراكز خاصة لتقديم العون للمرأة تحديداً وللأسرة بشكل عام، وذلك لما تواجهه من صعاب جراء الاختلاف في العادات والتقاليد التي تتصادم غالباً مع أعراف وقوانين البلد المضيف.

شهرزادات المهاجر الجديد:

في هذه الحكايات نجد الطبيب الجراح يشتغل قصاباً، الممرضة المختصة تشتغل في تنظيف المشفى. المهندس والتكنولوجي، الطباخ وزمین الشعر... كلهم يحتاجون إلى "كورس" جديد لتعديل خبراتهم وتأهيلهم للعمل من جديد وفق أبجدية وأحكام البلد الجديد. ونجد الأمل والنجاح والرغبة في الاندماج حاضرة أيضاً. السنوات الأولى تفرض على المهاجر(ة) مجازفة وانحرافاً في أشغال يعف عنها أبناء البلد الأصليين، إلى أن يكتسب المهاجر "خبرة" ويتقن اللغة الجديدة، بما فيها اللهجة والأعراف. وتواجهنا أيضاً صور أصبحت نمطية ويعرفها كل من يعيش تجربة المهاجر وهي العلاقة الشائكة بين أفراد الأسرة والاختلاف بين الأجيال، بين الأبناء الذين يولدون في هذه البلاد، يتعلمون لغتها ويكتسبون تقاليدها، فيبدأ الصدام بينهم وبين الوالدين، وخاصة الملتزمين منهم المتمسكين بشدة بـتقالييد البلد الأول.

المأساة والتفرقة الجنسية ضد المرأة تورث للبنات والاحفاد بعد الهجرة

تزداد الاضطرابات قسوة في قصص نساء قادمات من باكستان وايران وافغانستان، حيث التراتبية الذكورية والتفرقة الجنسية متوارثة. نقرأ في إحدى هذه القصص تبايناً ثقافياً واجتماعياً حاداً بين ثلاث أجيال وذلك من خلال قصة تحكي تجربة الجدة في افغانستان، والتي تم تزويجها من قبل أهلها لطفل صغير، وذلك فقط كي تقوم بخدمة الأسرة ووالد الزوج، بعد أن توفيت زوجته. هذه الجدة التي عاشت مثل هذه الظروف البائسة، تقدم إلى كندا كي تشرف على التعاون مع حفيتها على تربيتها مولودها القادم. الإنبلة في هذه القصة، تضطر للهجرة إلى كندا بعد عقد زواج مع أحد الأشخاص، كي تسرع بالخلص من حملها الذي كان نتيجة اغتصاب تعرضت إليه الفتاة في سن مبكرة. وبقي هذا الجرح يحفر خارطة الألم في روحها وكيانها. أما الحفيدة التي ولدت وعاشت في هذه البلاد فتفع في مأزق الخلاف مع والدتها ووالدتها في مرحلة المراهقة والشباب، ولا تستطيع تقبل توصياتهم لها وتدخلهم في طريقة حياتها وتأديتها الشعائر الدينية والاجتماعية. تعيش الحفيدة في صراع مع محيطها الأسري، تقيم علاقة غرامية مع شاب من غير دينها وبلدها، وتتمر العلاقة عن حمل، لكنها تقرر وصديقتها إجهاض هذا الحمل "الغلط" فتواجه المشكلة مع والدتها التي ترفض فكرة الإجهاض، وتواجه الخلاف مع جدتها التي تجد في كل هذا عاراً كبيراً لا يمكن السكوت عنه. تحكى هذه الأسرار من خلال شخصية الطبيبة النفسانية التي تعقد جلساتها الفردية مع كل امرأة على حدى.

مأساة الهجرة والعمل المناسب للكفاءة.. الطبيب يعمل قصاباً

في قصص أخرى نقع أمام مسألة العمل في المهاجر، وهي مسألة شائكة ما زال نقرأ عنها المقالات في الصحف اليومية، ومتزاول مطروحة للنقاش على مستويات حكومية متفرقة. بالتأكيد ليست كندا بحاجة إلى سائق سيارات يحمل شهادة طبيب أو مهندس، ولسنا بحاجة لحراس بنيات يحملون شهادات جامعية وخريجي فنون وأداب. ولسنا في حاجة إلى عامل(ة) تنظيفات في مقدمي يحمل شهادة في علم النفس أو الاجتماع. بعضهم يتمكن من اجتياز امتحان "تعديل الشهادة" والدخول في ميدان العمل الطبيعي، وبعضهم تنهك به المحاولات ويقع في الإحباط وينصرف إلى تحصيل لقمة العيش أيا كان مصدرها. وهذا ما نقرأه في قصة كاتبة إيرانية تصور معاناة الطبيب الذي يعمل قصاباً، والأثر الذي تحدثه الصدمة حين يتعرف ابنهما على حقيقة عمل والده الذي "كذب" عليه ولم يخبره شيئاً عن طبيعة عمله الجديد.

ظلال الإزدواجية والفشل على العلاقات الأسرية

هذه الإشكالات تترك ظلاً ثقيلاً على العلاقة الزوجية والحب الذي كان يربط بين أفراد العائلة، كما يتمدد ظل هذه العلاقات لينعكس على شبكة العلاقات الاجتماعية مع الأفراد والأصدقاء الذين هاجروا باختيارهم وبعضهم طلبوا اللجوء الإنساني هرباً من عسف حكومات بلادهم، وهرباً من الحروب أو الاضطهاد الديني والعرقي والقومي.

وفي قصص أخرى تبرز إشكالية الثقة المفقودة بين الأم والأب والابنة، التلتصص والمراقبة التي تلاحق كل خطوة تقوم بها الفتاة عند خروجها من البيت وعودتها. هذا إلى جانب رغبة الأهل بتقديم ابنتهم أمام المعارف والأصحاب كمثال للالتزام بالعادات كما هي عليه في بلد المنشأ. وفي كل الأحوال تناول الأم تكريعاً من قبل الأب، كونها المسؤولة عن تربية وتوجيه الأولاد.

طالعنا إشكالية أخرى في حكايات المهاجرين، وهي المراوحة مابين فكرة العودة إلى البلد الأم، وعدم المقدرة على ذلك. وبالطبع هناك من يختار العودة بعد أن تضنه الطريق ويكتشف أن البلد بكل مواصفاته المناخية والاقتصادية والاجتماعية، لم يكن على مقاس الحلم الذي جاءوا من أجله مختارين أو مكرهين. ويطالعنا هذا في مقالة تكتبها امرأة عن تجربة والديها الذين قدما من البرتغال وفي ظن الوالد أنه سيعمل بعض السنوات ليجمع المال الكثير ومن ثم يعود إلى بلده الأول. لكن الوالد يقول لزوجته فيما بعد "لو كنت أعرف أن هذه هي الأحوال في كندا لما قدمت من الأصل". وبعد سنوات من المعاناة يقرر الوالدان العودة إلى هناك، وتبقى الابنة هنا، وبينهما الهاتف والذاكرة. وفي قصص وقصائد النساء الصينيات تطالعنا مسألة الحنين إلى البلد الأم والارتباك حيال الظرف

السياسي في هذا البلد وذاك، مسألة التفرقة العنصرية، والرغبة في الهرب من بلد "كولونيالي سابق" إلى البلد الأم الذي كان واقعاً أيضاً تحت سطوة كولونيالية.

القيمة الابداعية والحكايات

قصص وكتابات متفاوتة في قيمتها الابداعية، ترفع صوتها وترسم الصورة باللغة الانكليزية وباللهجة "المكسورة" لتكون صوت الذين وقعوا في التجربة. تقدم صورة عن تجربة الذين تخطوا إشكالات السنوات الأولى ووضعوا أقدامهم راسخة في لبنة المجتمع الجديد، وأصبحوا جزءاً فاعلاً في ثقافة البلد الجديد وأدبه واقتصاده أيضاً.

ويمكنني القول أن المهاجر العربي قد نجح في ترويج نكهة "الشاورما، الحمص، التبولة، المشاوي الكبب والفطاير.." إلى جانب الرقص الشرقي. وحتى الصحف العربية المطبوعة في قسمها الأكبر مخصصة للإعلان عن هذه البضائع. ولا يستغرب القارئ إذا أتى يوماً إلى مطعم عربي ووجد في خدمته شاعرة أو مهندساً.

إنها السنوات الأولى وما بعدها. "السنوات الأولى"! جملة حانtera تستحق التأمل. لامقياس زمني لهذه السنوات الأولى. وقد تمضي سنوات تتعدى نصف قرن ويبقى المهاجر-المنفى، كأنه "قادم جديد" من حوله كل أصناف التجارب الحسنة والحزينة، وفي قلبه بوصلة تتجه دوماً نحو ذاك الذي يسمونه "البيت الأول". ذاك البيت الذي سرقه أبناء الصراصير.

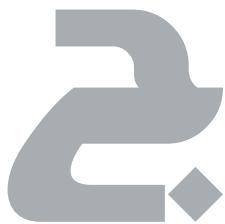
نشر في المستقبل اللبناني

أفكار اليوم، عن أجدادنا المهجريون الأوائل:

هذه الحكاية التي تدرج في خانة المضحك المبكي عن شعراننا الكبير المبدعين الذين وأضافوا إلى دواوين الشعر العربي، الشيء الكثير، ومن بينهم ميخائيل نعيمة الفروي، رشيد سليم الخوري، واخاه الملقب بالمدني، قيصر سليم الخوري ونسبيب عريضه. رشيد اイوب - وايليا ابو ماضي وأمين الريحاني..

كان يا ما كان...كان هناك (الرابطة القلمية) تضم مبدعي المهرج في أمريكا ولديهم مجلة اسمها "السانح" وبسبب الفقر وشظف العيش وعدم قدرة الجماعة على سداد مصاريفها، قام صاحبها الشاعر (عبد المسيح حداد) بالسفر إلى منطقة أخرى لغرض التجارة وإنقاذ المجلة من ورطتها المالية ..فأوكلها إلى أخيه (ندره حداد) وبافي الشعراء، وحين طال غيابه ولم يعد، لم يعد ممكنا

وصول الكهرباء والغاز والتلفون إلى مكتب الجريدة!
اجتمع مرة الشعراًء إيليا أبو ماضي ورشيد ايوب ونسيب عريضة، وكتبوا استغاثة إلى (حداد) الذي
لم يعد ولم يرسل مالا
”قف بالمطي على ربا (التونة) وقل السلام على الذين هجر علينا
الغاز مقطوع ونور الكهرباء يا ولهم من ربهم قطعونا
ندرة يطالب ، إنما لا سامع لا قاشع ... قد مات مشتروكونا ”
وهو الورقة نقلًا عن مجلة ”النادل“ الشهيرة التي كانت تصدر في الثمانينات.
الحكمة: لقد تغيرت إحداثيات الهجرة وتعددت أسبابها، وتعددت أشكال المعاناة وبالطبع لم تعد بمثل
قسوة الماضي وفقره وقيوده.





خطاب نقدی للحكومة من قبل رئيسة اتحاد كتاب كندا



هل ينتصر الفن والأدب على السياسي؟ هل يحتاج السياسي إلى أصوات المثقفين كي ينتصر؟ هنا مفارقetas وخطابات وأحزاب وكتاب كنديون أتعلمن منهم كيف أفك الأفقال عن صوتي وعن أحلامي الصغيرة والمضمرة. حضرت جلسة حوار في تورنتو وكان الوقت شتاء وكان عنوان الفعالية: أسبوع حرية أن تقرأ. وهو تقليد سنوي يدوم أسبوعا واحدا في كندا، حيث يتم تداول موضوع الحرية والرقابة والحديث عن الكتب الممنوعة في الغرب ومن خلال تجارب كتابات كنديات وامريكيات. كانت الكاتبة سوزان سوان صوتا بارزا. رفعت يدي وتكلمت في فترة الأسئلة والتعليقات. وهناك افترحت على الكاتبة الانضمام الى اتحاد كتاب كندا. ترثت سنوات ثم أصبحت عضوة في الإتحاد. ولدي بعض الصور الفوتوغرافية في تلك المناسبة. كنت أحمل كامييرا صغيرة اشتريتها وكانت رفيقة مشاوريري في المدينة.

وخلال السنوات كنت أتابع ما يحدث في الساحة الأدبية الكندية، وأحياناً أكتب عمما رأيت وصادفت واختبرت. ومن تلك المشاهدات هذه الورقة التي نشرت في صحيفة القدس العربي، 21 أكتوبر

2008

الروائية الكندية البارزة 'سوزان سوان'، رئيسة اتحاد كتاب كندا في دورات سابقة، ألقت كلمتها الموجهة إلى رئيس الحكومة الحالي، معتبرة بقوة على قرار الحكومة بإجراء اقتطاعات في قطاع الفن في كندا، تقدر بـ 45 مليون دولار. حين انتهت من قراءة الصفحة رمتها على الأرض، دعستها بحذائها وهي تقول: 'عفوا من السيد رئيس الوزراء هاربر'. تابعت تلاوة رسالتها الشديدة اللهجة وسط تصفيق الحضور المدوّي.

الحضور المكتظ في قاعة مسرح معتمة لا تكيف فيها، وكذلك الحضور المحتشد واقفاً أو جالساً على الأرض في مدخل المبنى يتابع عبر شاشة ما يجري داخل الصالة، والبعض في الشارع يتابع ما يصله عبر المايكروفون.

الكل يصفق ويصقر، وأنا ألتفت حولي عاجزة عن التصديق، أقول في سري: أين المخابرات؟ هذه الكاتبة نالت من هيبة الدولة أهانت - أقصد انتقدت - رئيس الوزراء ستيفن هاربر، رئيس وزراء كندا الشاسعة الواسعة، يا لهيبة كندا التي أصبحت الآن تحت قدم سوزان سوان!

هل تخسر حكومة هاربر المحافظة الانتخابات القادمة؟ إنهم في وضع حرج. لقد خرج إلى الساحة الفنانون والكتاب، الطلبة والمهتمون بالسياسة والثقافة والرياضة والمطاعم.

في أونتاريو كندا وفي كيبك أيضاً، خرجن إلى الشوارع يحملون لافتاتهم التي تتحدث بقوة عن هيبة أو خيبة رئيس الوزراء الحالي. إحدى اللافتات تقول: ما الذي يستطيع أن يفعله الفنانون؟ يستطيعون أن يرسموا طائراتك الذاهبة إلى الحرب. ومن المعلوم أن شريحة واسعة من الكنديين ترفض سياسة المشاركة في أي حرب، وتريد إبقاء كندا في خانة قوى 'حفظ السلام'.

هناك رفض واضح للسياسة الأمريكية الحالية، وهناك من يبنش خطابات ستيفن هاربر ويبحث عن التقاطع بين جمل قالها بوش وأخرى 'قلدها' هاربر في خطاباته. هذه الخطابات التي انتقدت رئيس الوزراء، تمت تغطيتها في جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وجرت نقاشات طويلة حولها في الإذاعات. على اثر خطبة حزب المحافظين بخصوص الفن، تشكلت حركة اعترافية ثقافية في تورonto وبقي المقاطعات.

تم التنسيق لمعارضة تدعو الناس للتظاهر في أي مدينة يتواجد فيها ستيفن هاربر في خضم حملته الانتخابية، وللعلم حكومة المحافظين، حكومة أقلية نجحت في الانتخابات الدورية الماضية. وتتنافس حالياً ثلاثة أحزاب رئيسية على مقعد رئيس الوزراء. هناك حزب الليبرال، حزب الديمقراطيين الجدد، وحزب الخضر-البيئة.

الحركة الاعترافية تواصل توزيع المنشورات المفيدة للخطط التي سيقوم بها هاربر في قطاع الفن، في محطات المترو الرئيسية في ساعات الذروة. ولم ينج هابر من خطبة لاذعة جريئة ألقتها الشاعرة الروائية المهتمة بالسياسة، والمرشحة لنوبيل منذ سنوات، مارغريت أتوود في إحدى التجمعات الاعترافية، تناولت سيرة هاربر وممارسته الفظة منذ استلامه للحكومة الجديدة. ذهبت أتوود في السخرية من كلمة هاربر عن 'الناس العاديين'، الذين لا يهمهم الفن، والاقتطاعات لن تؤثر عليهم.

راحت توضح له بالتفصيل من هم هؤلاء 'الناس العاديون'، الذين يكتبون ويمثلون وي safرون ليتمثلوا دولة كندا وثقافتها، التي كانت غائبة عن الخارطة العالمية، والتي أصبحت حالياً قوة حاضرة. أتوود تقول: لقد أقدمت على هذه الاقتطاعات لأنك تعرف أن الفنانين لسانهم طويل ولن ينتخبوك، لن يعطوك

أصواتهم. وتفضح جهل السيد رئيس الوزراء أو تناسيه بأن قطاع الثقافة والفنون في كندا، ينبع سنوياً ما مقداره 46 بليون دولار تصب في الاقتصاد الكندي. وأن هناك 600 ألف عامل يشتغلون في هذا القطاع. وأن راتب رئيس الوزراء نفسه وحاشيته يدفع من ضرائب الفنانين ومنهم أتوروود، التي قالت أنها واحدة من العشرة بالمائة من الكتاب الأغبياء في كندا، بينما هناك 90 من الكتاب والفنانين فقراء، ولا يجدون دعماً لمواهبهم، ولكنهم يرغبون في أن يتعلموا الفنون ويمارسوها لأن «الفنون جزء من إنسانية الإنسان».

أقف وسط هذا الزحام، أسمع هذه الاعتراضات ولا من أثر للمخابرات الكندية، ليس هناك اعتقالات وإفراج مراكز. عموماً، الاعتراض سلمي، بالكلام والأرقام ولغة الجسد والفن. ثم لا بد أن يكون لا بد من المخابرات للحفاظ على هيبة الدول من تطاول المعتدين*. نعم، يستطيع الفنان والكاتب أن يقرأ السياسة ويشتغل بالسياسة حين يكون حرّاً، دون أن تكون كلمة سياسة مرادفة للابتذال، وكلمة الكاتب والفنان عرضة للبيع والشراء للحاكم والمقاؤلة. لا بد من السياسة ولا بد من الفنون كي تفضح السياسة، وأن ترسم طائرات الحكومة الذاهبة إلى الحرب والوجوه العائنة من الحرب، والقامات التي تسقط في الحرب حروب الآخرين. وسط الزحام أقف، وأتألّفت حولي وأقول لصديق يمشي في جواري: تعرف، هذه الأنشطة ناقصة دون المخابرات؟ ينظر باستغراب ولا يجب. نمشي يصمت. اسمعه يقول: «البارحة دار نقاش بيني وبين (أكس) حضرته وقلت له أن يضبط لسانه ويكتف عن انتقاد حكومة بلاده، وقلت له أن للجدران آذاناً، وقلت له: دير بالك، لا تتصرّف أنتم لن يعاقبواك إذا تكلّمت على هواك...»، أمشي، لا أنظر إليه ولا أجيب.

يقول: أنا جائع، أريد أن أتعشّى كباباً مشوياً على الفحم في المطعم الإيراني، ألا تذهبين معّي؟ أقول: هل تحلم دائمًا بالبابا لأنك لم تشعّ اللحم هناك في البلاد؟ ينظر في الأرض بانكسار ويقول: لم أشبع خبزاً ولا حرية، لكنني مشتاق إلى بيتي الذي هناك. ثم زفر بشدة وأشعل سيكاره ومشينا بصمت ما تبقى من الطريق إلى بائع الكباب المشوي.

صحيفة القدس العربي

**

كلمة اليوم: إذا كان حزب المحافظين الكندي لا يغير أهمية للأدب ودعم الكاتب، ماذَا نقول عن حال الكاتب العربي الذي ينشر كتاباً ويدفع ثمن الطباعة للناشر، ثم لا يحصل على أي مردود فيقوم بتوزيع كتبه مجاناً!

مهما كان الإنفاق على الثقافة في تراجع في كندا، إلا أن الدعم العربي للثقافة والنشر يدلنا على مستوى من التدني لا سبق له. أين الغلط، ولماذا وصل المنتج الثقافي إلى هذا الحضيض؟



الطلاق وحضانة الأطفال في المحاكم العائلية الكندية

الفلاسفة، الشعراء والشاعرات، وحتى رؤساء الجمهوريات، العاملون في المقهى، المتدينون والملحدون، الفقراء والأغنياء، أطباء علم النفس، المحامون والقضاة، باعة الخضار والألبسة والأدوات الكهربائية، كلهم قد يقعون في تجربة الطلاق ويواجهون مسألة رعاية الأطفال وتقسيم الملك والوصاية. العلم والثقافة والإيمان ولا حتى الحب يستطيع دوماً أن يحمي بيت الأسرة من الانكسار، أو تغيير المسار الذي قد يتم بصيغة ودية أو عنيفة. وهذه المسارات والمخلفات المؤلمة والتوفيقية كلها يتم مناقشتها بعلانية في هذا الكتاب الذي صدر بالإنكليزية، أواخر شباط/فبراير 2009 في كندا بعنوان "شد الجبل" لقاضي المحكمة الأسرية" هارفي بروانتون" ينافق فيه مشاكل الطلاق ومحكمة الأسرة في تورنتو.

لعبة شد الجبل ومسألة الأطفال بين الوالدين عند الانفصال

يرى المؤلف أن الأهالي يستخدمون أطفالهم لاستعراض قواهم كما يحصل في لعبة شد الجبل المعروفة تاريخياً. أثار الكتاب الأول من نوعه ردود فعل متفاوتة في أونتاريو، سواء من قبل العاملين في قطاع الخدمات القانونية أو من قبل القراء والذين لهم تجارب مختلفة مع قرارات محكمة الأسرة وحضانة الأطفال وما يتبع ذلك من إشكالات. يكتسب هذا الكتاب أهميته من أنه أول كتاب يحرره شخص يحترف العمل في محكمة الأسرة، ويجد أن اللجوء إلى المحكمة آخر الحلول، وليس أرجعها. بل يقترح بدائل أخرى غير اللجوء إلى القضاء لحل المشاكل المادية والمعيشية المتعلقة بالأولاد والأبوين. القاضي هارفي بروانتون صرخ في لقاء مباشر عبر راديو "سي بي سي" أواخر شهر نيسان 2009 بأنه لا يشجع الطلاق عبر المحكمة، ويقول: "من ناحية الأبوين، ليس هناك رابح وليس هناك خاسر،

المسألة تتعلق بصالح الأولاد فقط". البحث عن تسويات بالتراضي بعيداً عن المحكمة وتتكاليفها وتعقيداتها يكون عانده أفضل على الأولاد وعلى الوالدين اللذين يقتتلان من أجل "الثروة والملكية". يشير القاضي إلى أن بعض الأزواج على استعداد للقتل من أجل غطاء مخدة، مقاعد في حديقة البيت وما شابه. هؤلاء يقولون انهم يريدون ثمن هذه الأغراض، فيما هم يدفعون للمحكمة مبالغ كبيرة وأكبر بكثير من هذه الأشياء التي يتشارعون عليها. القاضي لا يشجع ولا يدحض مسألة الطلاق، بل يناقش أهمية المحافظة على سلامة الأطفال في جميع الأحوال. لذلك يقول "أحبوا أطفالكم أكثر مما تكرهوا أزواجكم السابقين". أثناء الحوار المباشر على الهواء، اتصلت به فتاة شابة وقالت إنها أكثر سعادة بعد طلاق والديها.

هنا مقتطفات من مقالة عن صحفة تورنتو ستار للكاتبة سوزان بيج، بتاريخ 12 شباط / فبراير 2009 حول هذا الكتاب الذي يحقق الآن أفضل المبيعات في كندا ويعتبر درساً عميقاً للذين مرروا في التجربة، والذين هم في غمارها أو على وشك الدخول فيها."القاضي هارفي براونستون ليس متحيزاً إلى أي طرف، بل يعتبر أي طفل(ة) يعبر حياته من خلال محكمة العائلة في أونتاريو، بمثابة ابنه. خلال 14 عاماً من العمل في محكمة قانون العائلة، بروانستون تعلم أن يحيد نفسه عاطفياً وهو يعبر هذه المجازر "المسمومة" في حالات الانفصال وهو ينصت إلى أشخاص يقتلون حتى الموت من أجل شيء تافه كغطاء مخدة يمكن شراؤها من متودع رخيص" وول مارت". إنه يدرك بألم أن الأزواج القلقين والأحبة سابقًا يتوقعون منه أن يحکم على حکمة سليمان وميزان الحکمة في المهنة. كما أنه واع اتجاه حقيقة أن ضربة من قلمه ستغير إلى الأبد حیوات الأزواج المنفصلين.

القاضي يتكلم...

"لست أوجه دعوة للناس للقدوم إلى هنا" يقوم براونستون عن مكتب المحكمة في تورنتو هناك حيث يعمل القاضي على إنهاء حالة والبدء بأخرى.... " ولكن إذا طلبوا مني أن أحكم وأقرر، سوف أقرر ما أعتقد أنه صحيح، وسوف أنظر حينذاك إلى العالم بعين أطفالهم وعلى قدر استطاعتي. "أقول للناس: سيرتب عليكم أن ترقصوا معاً في حفل قران أولادكم، ستكونون هناك بانتظار ولادة الحفيد الأول. يجب أن تحبوا أطفالكم بالقدر الكافي الذي يمكنكم من القيام بهذا لأجلهم. براونستون يومن أن المقدرة على الطلاق "بشكل حسن" تعود إلى النضج، لكنه لا يرى كثيراً من هذا النضج في المحكمة هذه الأيام.

أول كتاب يصدره قاضي محكمة الأسرة في كندا

في المحطة الأخيرة التي يأتي إليها الأزواج الذين لم يستطيعوا أن يتتفقاً من خلال الجلسات الاستشارية مع أخصائيين في شؤون الأسرة، والعمل على تقاسم الممتلكات وحضانة الأولاد. لهذا السبب أصدر كتاباً يعتبر أول كتاب يصدر عن قاضي محكمة الأسرة، ويطمح من خلاله أن يعلم الأزواج المقبلين على الانفصال. حرب شدّ الحبل: يستعرض خبرة القاضي في قضايا الطلاق والانفصال، معارك الحضانة، والحقيقة المرة عن محكمة الأسرة. الكتاب يدحض الأكاذيب (عدا مصاريف مساعدة الطفل، حتى وإن حصل الحمل في حالة المضاجعة مرة واحدة عابرة) ويقدم معلومات كثيرة مثل (أجرة محامي الأسرة تتراوح، للساعة الواحدة بين 500-200 دولار بالإضافة إلى المصاريف) ويعرض الكتاب بدىائل تتراوح بين (طلب الاستشارات إلى جلسات التأمل والخدمات العائلية) هذه البدائل عوضاً عن محكمة الأسرة الشديدة الانشغال والمعتملة في تحضيراتها للتعامل مع الخلافات العائلية. القاضي براونستون -52 سنة-. ي يريد أن يبدأ الناس بالنظر في خلافاتهم الأسرية" كموضوع صحي عام" يكون فيه الأطفال تحت خطر الإيذاء العاطفي.

أنه باستمرار يشعر بأعباء هذه المعاناة المستمرة كما أنه شعر بالامتنان من القلب حين كتب له أحد الأطفال بعد المحكمة بزمن طويل يشكره على القرار الذي اتخذه بخصوص تأمين مصاريف الطفل بعد الطلاق، الأمر الذي ساعد هؤلاء على متابعة تحصيلهم الجامعي أو مكّنهم من بقاء بيتهما العائلي مسانداً من الخراب. ويقول أيضاً " كذلك تلقيت رسائل تقول: كان عليك أن تبعدني عن كلا الوالدين. حظي سيكون أفضل لو كنت أعيش في بيوت التبني". محور الكتاب يتلخص في أن "محكمة الأسرة سيئة للعائلة، وإجراءات المحكمة سيئة على الأولاد".

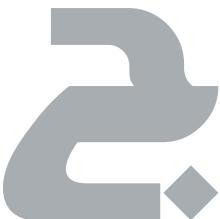
يستغرب القاضي كيف أن بعض الأزواج يعتمدون في تمزيق أطفالهم وتوجيه الإهانة والغبن إليهم عاطفياً ونفسياً. بعضهم قال له: إنهم كانوا يفضلون أن يروا الطفل ميتاً، أو في بيت الأيتام على أن يراه في حضانة الزوج أو الزوجة/الطليقة السابقة. يقول القاضي للأهالي: هل لديكم الشجاعة الكافية فيما بعد، لأن تقولوا لأولادكم بأننا كنا نكره بعضنا إلى درجة أننا احتجنا إلى شخص غريب كليةً كي يقرر أين سيعيش الطفل، وعدد المرات التي يحق له زياره ابنه ذلك أننا لم نستطع أن نقيم توازناً، نحن الذين أتينا بك إلى هذه الحياة، احتجنا إلى شخص غريب كي يحدد لنا ذلك. ومن الشواهد المؤلمة التي يذكرها القاضي كدليلة على عقلية الانتقام والحدق لدى بعض الأزواج المقبلين على الطلاق. دخل زوجان مهنيان إلى المحكمة الأسرية وراحَا يقتتلان بعنف. بعد محكمة أخذت نقوداً كثيرة من الوالدين خلال فترة زمنية طويلة، أعطيت الحضانة للوالد. وبعدها بأشهر توفي الرجل في حادث سير. بعدها بساعات أنت الزوجة الطليقة إلى المحكمة وكأنها تحتفل بسعادة وتقول "ما أردت أن تحرمني منه، أعطاه الله لي الآن،

وستصير حضانة الأولاد لي ويشير إلى تحكم عقلية الانتقام في بعض الحالات وللأسف.

أفكار هذا اليوم:

هذه جوانب من عالم العداء بين الأزواج بعد الطلاق. أعرف صديقاً كان يملك ثروة تزيد عن مليون دولار بما فيه ثمن البيت العائلي، وكان خلاف زوجته معه أنها تريد (جهاز الشوي باربكيو) الذي لم تستخدمه طوال حياتها، وأرادت منه حصلتها من المجوهرات التي تركتها والدته عند وفاتها له. كانت المرأة قد خرجت من البيت وعشقت مديرها في العمل، وذهبت للعيش معه بعد أن انفصل هو عن زوجته وأولاده أيضاً. هناك أشرار من الجنسين، الذكور والإإناث والعدالة عملة نادرة ولا قانون يشفى انسارات القلوب والعقول والأرواح من عدوانيتها وانتقامها، إلا العودة إلى درس المحبة والإقرار بحق الشريك والشريك على الاختيار والانفصال بالتراضي دون عنف وأذية متبادلة. أعرف الكثير من القبح الذي يرتكبه الرجال النساء بحق بعضهم حين الانفصال وقبله وبعده.

وحين صرث أشتغل في حقل الترجمة للعرب وفي محكمة العائلة ومراحل تحضير القضية والتداول بين المحامين المدافعين عن هذا الطرف أو ذاك، سمعت كل أشكال وأنواع العنف والابتزاز ضد المرأة والأولاد وأحياناً يعجز خيالي على تصور درجة الاحتطاط والسوء والعنف الكامن في كواليس بعض البيوت.



التباس الصوية الجنسية ورواية حازت على جوائز كندية مهمة

«فاكهة» - رواية عن ولد سمين وله حلمتان تتكلمان، أول إصدار للكاتب الكندي الشاب بريان فرنسيس دخلت المنافسة التي تجري في كندا كل عام لاختيار كتاب واحد يقرأه جميع الكنديين عام 2009. مسابقة «كندا تقرأ» مناسبة للتوقف عند أهم الكتب وأفضلها وليس بالضرورة أن تكون إصداراتاً حديثاً. تتم المناقشة عبر راديو «سي بي سي» من خلال مناقشة الأعمال الخمسة التي يقع اختيارها على ذانقة عدة نقاد يتم تكليفهم بالمهام، معروفين بعشاقهم للقراءة ومقدرتهم على تقييم العمل الأدبي.

خلال سلسلة من النقاشات الثرية يقوم كل ناقد بالدفاع عن أسباب اختياره لهذا الكتاب دون الآخر، وقد يضطر إلى إقصاء الكتاب الذي اختاره في البداية. تتم تصفية المنافسة عبر مناقشة نقاط القوة والضعف في كل رواية. وايضاً تكون الفرصة متاحة للقراء والمستمعين للمشاركة في اختيار كتابهم المفضل (أونلاين). الكتب التي تصل إلى القائمة القصيرة ترتفع مبيعاتها وتعاد طباعتها في فترة قصيرة. «فاكهة» الكتاب الذي بين أيدينا بعنوان «فاكهة» كان له حظ طيب من النجاح رغم أنه صدر عام 2004.

ما هي نقاط قوة هذه الرواية وهي الأولى لكاتبها بريان فرنسيس استثنائيتها وقوتها نابعة من كونه يتعرض لحياة مراهق يتحدث عن جسده وسمنته، وميله نحو الأولاد وأعمال المطبخ، أكثر من ميله نحو البنات، وكرة القدم والهوايات التي تجذب الذكور. نجح الكاتب بريان فرنسيس في استكشاف أغوار هذه الروح الفتية الفلتقة بطريقة فاكاهية، محزنة. الشخصية المحورية هي شخصية الولد السمين «بيتر» الذي يحل شخصيات أفراد أسرته وجيرانه ورفاقه في المدرسة كاشفاً النقاب عن الصراع الأسري الاجتماعي والنفسي، وعن الصراع الداخلي

الذى يعيشه الولد الملتبس الجنس.

حوار مع الكاتب في المكتبة ولماذا اختار حلمة الرجل...

كى يتم تسلط الضوء على الكتب المنافسة على المكانة الأولى تم ترتيب قراءة أدبية وحوارية في موقع مختلف ومنها «تورنتور فرنس لايراري» التي استضافت الروائيين وأجرت معهم حواراً. حين سأل مدير الحوار، المذيع مات غالوي عما جعل فرنسيس يختار موضوع الحلمتين مركزاً للرواية؟ أجاب مبتسماً: كانت الفكرة في رأسى وباعتقادى أن الحلمتين عند الرجل ليستا فاعلتين لذلك أردت أن أعطيهما دوراً وشخصية.

مدخل إلى عالم الولد السمين وفاكهته التي تونبه وتفضحه: «اسمي بيتر بدينغتون. تواً أصبحت في الصف الثامن مدرسة كلاك ديل الابتدائية. ستة أيام في الأسبوع، كنت أقوم بتوزيع صحيفة «سرينا اوبزيرفر» على الأهالى، وفي اليوم التالى، نبتت لي حلمتان. كان لي حلمتان دوماً، ولكن ليس كحلمة البنات، بل من شاكلة «يجب أن أخفف وزنى» لست مأخوذًا بهما، ومن السهولة إخفاوهما تحت القميص. إطلاقاً لا أمارس رياضة الركض، لذلك تجدهما في مكانهما. لن يبقيا هناك لمندة طويلة لأننى سأبدأ حمية غذائية وأصبح نحيفاً مع حلول عيد الميلاد». ترجمة كاتبة السطور.

هكذا يبدأ الفتى المراهق وصف علاقته الشائكة مع جسمه السمين، وصدره ومن ثم ظهور الشعر المزعج في المنطقة السريرية وتحت الإبطين. القائمة التي وضعها لنفسه في نهاية السنة عندما بلغ عمره 13 سنة، تتالف من عشر نقاط تبدأ وتنتهي بالتخلص من الوزن الزائد وقدره 204 باوند، ما يقارب **الـ100** كغم. إنها كال التالي: التخلص من الوزن الزائد - شراء ثياب أكثر - تعلم ممارسة الرياضة - محاولة النظر مباشرة في عين مستر هاناه - أن يصبح لي بوبي فرنز - الابتسام أكثر - أن أصير غامضاً - أن يصبح لوني أسمر - التصرف بثقة بالنفس - التخلص من الوزن الزائد ولكن مضى عام ولم يتحقق أي من هذا، فأخذت القلم وأضفت نقطة جديدة: أن تصبح حلمتاي طبيعيتين. ولكي يجعل الصبي حلمتيه طبيعيتين ويوضع حداً لنموهما، راح يلف الشريط اللاصق البلاستيك على مدار صدره بقوه وفوق حلمتيه. كل يوم قبل أن يلبس ثيابه ويخرج إلى المدرسة يقفل باب غرفته ويفعل ذلك ظناً منه أن هذا سيخفى مشكلته عن نظر رفاقه في المدرسة وأمام أعين أفراد أسرته المشتلة وأختيه اللتين تعانيان السمنة أيضاً، واللتين تعاملنه بقسوة وتؤذيان مشاعره كلما ستحت لهما الفرصة. يقول بيتر: «حالياً أربط البلاستيك اللاصق فوق حلمتى وحول صدرى ثلاثة لفات قبل أن اذهب إلى المدرسة. هذا النوع يمسك جيداً وأفضل من ذلك النوع الاسكتلندي لكنه يجعل التنفس صعباً. ولكن حين أفك اللاصق عن صدرى مساء، أتألم. الآن حلمتاي أصبحتا حمراوين حارقتين دبقتين، تشبهان الكرز.

الشعور بالعار والاضطهاد

يشعر بيتر بالاضطهاد في المدرسة وفي البيت. كريستين، الأخت الكبرى تمنعه من الذهاب لزيارتها في مكان عملها. دانيلا، ابنة الجيران المضطربة نفسياً هي الصديقة الوحيدة التي تتعامل معه وتشتكي له من سوء حظها وأسرتها. فتاة غير جميلة ولا مقدرة لها على التعلم، لذلك تعمل كنادلة في مطعم والدها الإيطالي. لغتها بذئنة وعدوانية. حياتها خالية من البهجة ومع ذلك تقرر المشاركة في مسابقة ملكة جمال المنطقة. تصاب بخيبة أمل ويزداد حنقها على المحيط حين تفشل. تتعامل مع بيتر كما لو أنه بنت. في هذا الفصل يجيد الكاتب تصوير تصرفات المراهقين، كشف عوالمهم الداخلية وطريقه تفكيرهم. لكنه يعود دائماً إلى مأساته مع حلمته فيقول: «الحقيقة أن المشاعر التي اتنابتي سينه، لأنني لا أستطيع أن أكون طبيعياً. أن أسعد والدي، حاولت ولم أصل إلى نتيجة». المخرج الوحيد من هذه المعاناة يكون بفقرة بعنوان «فيلم ما قبل النوم» يهرب الولد من واقعه بالفتازيا. يسرد الكاتب في نهاية كل فصل من الكتاب، عدة صفحات محورها بيتر المنتصر المتحقق المحبوب الناجح، الرياضي ومثار اهتمام الأولاد والبنات. يحلم الولد بذلك حتى يغرق في النوم. حلم ما بين النوم واليقظة يعكس الحرمان والصراع الذي يجري في عوالم بيتر الروحية. وهذه الفقرات مشوقة ومحملة بحس الفكاهة الآسر. بلا حادث لا تحمل الرواية حوادث مصريرية تغير حياة هذا الولد، ولعل هذا نقطة ضعف في الكتاب، إذ يبقى السرد يدور وينتهي بفيلم ما قبل النوم. عدا بعض الأحداث الاستثنائية التي تكشف التباس هويته الجنسية. عندما ذهبت عائلة بيتر في رحلة خارج المدينة شعر الصبي بالسعادة. أنها فرصة كي يمارس حريته. ذهب إلى غرفة الأم ولبس ثوبها، ثم بدأ يستخدم الكحل والماسكارا، أحمر الشفاه وكريم الوجه تماماً كما تفعل أي فتاة، ولبس حمالة الصدر أيضاً. القى نظرة إعجاب على نفسه في المرأة، كان يسمع أصواتاً من داخله، تثمن عمله تارة، وتديننه تارة. لكنه شعر بالإعجاب بنفسه ثم ذهب للرقص في صالة البيت. في لحظة ما شعر بالتجدد والرعب، إذ تراءى له أن حاله الذي يزورهم في العادة، كان واقفاً ينظر إليه من خلال النافذة، ثم اختفى فجأة. بقي الصبي كسيراً حزيناً خائفاً من افتضاح سره. لاحقاً أدرك أن الحال السمين (ادي) مثلي جنسياً لذلك لم يتزوج رغم تقدمه في العمر.

العلاقة مع الأسرة وزيارة الطبيب بشأن حلمته

ثم يتعرض إلى العلاقة الشائكة بين الأب والأم التي اعترفت باكية بأنها كانت تكثر من الحلويات والأكل اللذيذ وتقدمه لأولادها كي يقتربوا منها أكثر ويحبوها. أفراد الأسرة صاروا يعانون من السمنة ويتحدثون عنها كهمة يومي. لكن بيتر مثل أخيه يحاول أن يجد حلّاً ويمارس الرياضة، لكن جسده الكسول يخزله. وحين يمارس الرياضة في المدرسة يسقط ويغنى عليه فيسغوفه. يكشف الطبيب عنه فيقول له بيتر «كماترى يا دكتور، حلمتني نافرتان، ولم أكن أريد أن ينتبه إليهما أحد» ليبرر استعماله الشرط اللائق.

بينما هو هناك تقول له حلمتاي تهمسان لي من تحت القميص.. تجمدت في مكاني. حلمتاي لم تتكلمان أبداً في حضور أحد. وهنا حوار قصير بينه وبين طبيبه» دكتور لوكا، هل سمعت ذلك؟ سمعت ماذا؟ الأصوات، هل تسمعها؟ قلب الدكتور شفتيه وقال: هل بإمكانك يا بيتر أن تصف لي هذه الأصوات. الحلمتان تقولان: «أخبره» ...

لكنني تيقظت وقلت لنفسي، يبدو أنه لم يسمع، ويجب أن أتصرف بسرعة وذكاء، وإلا سيرسلني إلى مشفى المجانين... قلت: عفوا، ربما كنت اسمع صوت مسر لوكا، كأنها على الهاتف، يبدو إنها كثيرة الكلام، أليس كذلك؟ نعم، نوعاً ما. قالها بتنهى أجاب بيتر: منذ كم سنة أنت متزوج. منذ 37 سنة. بدأ يكثر الأسئلة على الطبيب كي يشغله عن السؤال عن مشكلة حلمتيه. لكن الطبيب فهم قصده وطمأنه على سلامته. رغم هذا لم يستطع أن يتصالح مع جسده حتى النهاية. هنا فقرة مترجمة أيضاً: يقول «أعتقد أن الشيء الذي لم يتغير هو حلمتاي الكرزيتان. ما تزال هنا، منتختين، حمراوين. بعض الأحيان أتصور أنهما صامتتان لأنهما غاضبتان علي، أحياناً أحاول أن أفهم هل هما حقاً تكلمتا منذ البداية. كم غريب ذهنتنا الذي يجعلنا نصدق حدوث أشياء لم تحصل في الحقيقة، وخاصة فيما يخص نواتنا». ص 275. لا بد من فيلم ما قبل النوم، وهذه فقرة يقول فيها «وجدت نفسي ألبس لباس رياضياً جميلاً، أدخل المدرسة بقوه وثقة... يتحقق من حولي البنات والأولاد... تقع عيني على كرة القدم... التقطها، وهذه المرة أعرف كيف أتصرف بها.... أركض وألعب لكنني أخاف أن يتمزق الشريط اللاصق الملتف على صدري ويرى الجميع فاكهتي التي حاولت أن أخربها... ثم أغرق في النوم».

السفير 02-09-2009

كلمة اليوم: كانت الاشارة إلى بوادر المثلية الجنسية في كندا وكتابها تم بخفر وبأقل ما يمكن من الوضوح والإشهار، والآن وصلنا إلى مرحلة غير معقول من التمادي في موضوع الجندر والتوعي الجنسي. صار الطفل في المدرسة معرضًا للسؤال: هل أنت بنت أم ولد، رغم جنسه الواضح شكليًا. كنت منذ أيام في المصعد مع امرأة ورجل. كانت السيدة تتكلم بغضب مع صديقها وتحكي له بأنها اشتكت من المدرسة وسحببت ابنته من الصف حين عادت إلى البيت وهي مرتبكة تسأل أمها: هل أنا بنت أم ولد؟

وهناك إشكالات كثيرة في المنهاج التعليمي الحالي الذي بدأ يطرح موضوع المثلية الجنسية وتغيير النوع البيولوجي أمام أطفال لا يملكون الوعي الكافي للفهم واتخاذ القرار. وهذا موضوع يحتاج إلى الكثير.

ما إذا تحكي لوحات الفنان التشكيلي العراقي هاشم حنون على جدران المعرض في تورنتو

جولة مع أعمال الفنان التشكيلي هاشم حنون. في اليوم الأول لرفع الحجر الصحي الطويل عن مدينة تورonto يوم 16 تموز قمت بزيارة غالري "ميبري فاين ارتس" وسط داون تاون تورنتو، للتمتع بمشاهدة أعمال الفنان هاشم حنون عن قرب، بعد أن تعرفت على بعض أعماله عبر الشبكة الالكترونية وفيسبوك.

كانت صالة العرض تستقبل القادمين بلوحة قبالة باب الدخول، ثم تتوزع الأعمال برفاهية على جدران مضاءة بكرم يعكس رونق وفنية ومهارات الفنان ريشة الفنان وهو يخلط ألوانه الزيتية على قماشتها، بدقة فنان محترف في اشتغاله، جرى في مزج الألوان أو تركها صافية كتلة صافية حررة وسط اللوحة. ومرات تجد طفولة مسرورة من الذاكرة، تتجلى في لمسات طفولية أحياناً تعيد المتألق إلى مراحل مختلفة من محطات العمر. كما في لوحة "حنين إلى الطفولة" ولوحات أخرى يطلع منها عضور أو رسم طفلة أو طفل في ركن من الرسم.

البهجة التي يخلقها اللون في عين المتألق، متعة لا يمكن تجاوزها. وهي متعة مضاعفة إذ أحد نفسي قبالة أعمال فنية جميلة تتسمى قليلاً نشرات الأخبار والموت والقتل الذي يقصد أرواح البشر في العالم، سواء بسبب فيروس كورونا أو قبح أعمال العنف والفوضى المستشرية في الشرق الحزين هذه الحقبة. هذه البهجة اللونية ثيمة بحد ذاتها بالإضافة إلى اشتغالات الفنان على مواضيع مهمة كالعلاقة بالمكان، بالمدينة، بالمحيط الشخصي والعام. وهو ما نراه حاضراً في بعض الأعمال المعروضة.

يقرأ الفنان المكان في المدن الكندية بلغة شعرية تعكس انطباعه الوجданى والشعورى، ثم يرسمها لوحة بخليط روحاني يغلب عليه الصفاء والهدوء والانسجام.

أثناء تجوالي في المعرض تحدثت مع شاب كندي كان حاضراً هناك، وتبادلنا الآراء حول الأعمال المعروضة فأول انطباع له كان: البهجة والصفاء والتوزيع اللوني الماهر في أعمال تستحق الضوء والوصول إلى واجهات أخرى في العالم. ابتسمت وقتاً هذا ما وصلني أيضاً.

انها سعادة مضاعفة أن نرى أعمال فنان عراقي في صالة فخمة للفنون الجميلة، معرض منذ منتصف شهر تموز وحتى نهايته.

وجهة نظر: الأمل، التفاؤل، عشق المكان، عشق الجمال والفرح هو جزء من حلم الفنان وأعمال مخيلته حتى في أقبح الظروف وأشرسها وأعتاها، أو هذا ما اعتقاده. أحياناً يسقط الفنانون في توسيع القبح والعنف برسم أعمال تظهر فيها الوجوه القبيحة، والشوراع الميتة والأحلام المتهاكلة، ولا أدرى أين تصلك تلك الأعمال. شخصياً، قلبي لا يتحمل أن أسمع نشرة الأخبار العربية وأرى كل هذا الموت والجوع والقتل، ثم أذهب إلى معرض فيه الدم والرعب ينزف من العيون والشفاه والشعر والشوارع!. بالطبع إذا عدنا إلى مراحل سابقة من حياة الفنان وأعماله، نجد ثيمة الوطن والشهيد، وقامات الوجع المتسرب في ثياب النسوة العاجزات الحزينات...كيف لا ، وصاحب الريشة كان جندياً إجبارياً في مرحلة الحروب العراقية التي لم تنته نتائجها على أرض العراق وشعبه وفنانيه.

ويذكر أن الفنان هاشم حنون من مواليد 1957 ، مدينة البصرة- العراق. درس الرسم والنحت في أكاديمية الفنون الجميلة في بغداد. هاجر إلى كندا عام 2009. نشط في تدشين مرحلة أخرى من الرسم من خلال الواقع المهجري الجديد واحتياطاته الجمالية والفنية.

استمر هذا العرض المتميز في هذه الصالة حتى نهاية شهر تموز 2021 ، وكان فرصة للأصدقاء ولعشاق الفنون للزيارة والإطلاع على عدد من الأعمال المميزة التي تدعوا إلى الأمل. فإن لم يكن الوطن سعيداً ولا الشعب ولا العالم بأسره في ظل جائحة كورونا، فلتكن السعادة لوحدة في متخل الفنان وريشه وكاتب وقلمه.

16 تموز 2021، تورنتو

كلمة اليوم: هناك العديد من الفنانين المهاجرين الذين استطاعوا الخروج من الكلاسيكيات والرموز الشرقية العربية في الرسم، بل تخطوه إلى ابتكارات جديدة وبخاصة في جيل الشباب. وبعضهم بقي محافظاً على الأسلوب واللون والرمز الموروث عبر الحضارات وهؤلاء تكون حصتهم من الحضور في المعارض الكندية محدودة على الغالب.

واثناء مشاهدة الأعمال قمت بتقديم فيديو قصير سجلت فيه انطباعي عن اللوحات المعروضة وأرسلتها للفنان المذكور، ولم أكن قد تواصلت معه من قبل.

السفر والعيش في الأماكن الجديدة بالضرورة أن ينعكس على الأعمال الفنية والأدبية إلا إذا كان الأديب مكتفياً بالواقعية التي حملها معه بعد خروجه من البلاد عنوة أو طوعاً.

يان مارتل رواني كندي يقوم بحملة تأثيف رئيس الوزراء الكندي

الكتاب الذي صدر بالإنكليزية والفرنسية للروائي الكندي يان مارتل عن (راندوم هاوس) بعنوان "ماذا يقرأ ستيفن هاربر؟" يضعنا في مواجهة أسئلة متشعبة عن علاقة القادة السياسيين بالأدب والفنون وأثر ذلك في سياساتهم وشخصياتهم، وعن أهمية القراءة وعلاقتها بارتفاع المجتمعات وقيمها الجمالية.

السيد ستيفن هاربر رئيس حزب المحافظين الذي يشكل أقلية، انتخب رئيساً لوزراء كندا عام 2004. حين سُئل هاربر عن كتابه المفضل أثناء حملته الانتخابية، كان جوابه " كتاب غينيس للأرقام القياسية". ومن الصعب أن يُهضم هذا الجواب الخائب، حين نقارنه بجواب الرئيس باراك أوباما الذي يقرأ أبراهم لنكولن، توني موريسون، وشكسبير.

يكتب هذا الكتاب أهميته من أنه يكسر حاجز التراتبية الهرمية السلطوية بين كاتب وقائد. لقد أخذ مارتل على عاتقه مهمة "تأثيف" رئيس الوزراء السيد ستيفن هاربر. اقترح عليه أن يقرأ أدباً عالمياً ليعطي لنفسه فرصة أن يجلس ساكناً لبرهة مع الكتاب. تعهد مارتل منذ نيسان 2007 بارسال كتاب إلى السيد هاربر كل أسبوعين مرفقاً برسالة يحكي فيها عن مضمون الكتاب وتاريخه، ويطرق إلى بعض القضايا المحلية الكندية وآراء رئيس الوزراء. يقول مارتل أنه سيوازن على إرسال الكتب ما دام هاربر في مكتبه. بلغ عدد الكتب التي تم إرسالها لحين صدور الكتاب (65). كما أنه قام بارسال نسختين إلى هاربر مرفقاً برسالة يشرح فيها أنه أراد إصدار الرسائل في كتاب كي يأمن حفظها في الأرشيف بأمانة. كما يتعهد أيضاً بنشر أي ردود رئيس الوزراء ومكتبه الذي آثر الصمت، واكتفى بمكتبه بارسال عدد محدود من الردود الرسمية التي تقتصر على إشعار بوصول البريد والشكرا.

السبب الذي دفع مارتل لهذه المبادرة الغريبة: في بداية عام 2007 وبحضور شخصيات رسمية علية وممثلين عن الثقافة والتراث، أقيم احتفاء رسمي ببعد من الكتاب الكنديين الذين نالوا منحة أدبية من قبل مجلس الفنون الكندي في أوتاوا العاصمة. يقول مارتل أن تكريمه والفنانين الآخرين جاء بتقديم سريع لكل منهم، كان هاربر هناك غير مبال بما يجري حوله، لم ينظر في وجوههم، لم يقل كلمة. كان يكتب بضيق صبر أوراقاً أمامه. ومن هنا ولدت فكرة الحملة التثقيفية مرفقة بموقع الكتروني ينشر فيه الرسائل وعناوين الكتب المرسلة والردود. ورغم وجود هذا الموقع على الشبكة إلا أن الكاتب يقول في رسالته إلى هاربر أن الموقع الإلكتروني غير مضمون وقد يتم مسحه عن الشبكة لذلك لا بد من توثيق الرسائل في كتاب. يقول أيضاً: صحيح أن اسمك وارد في عنوان الكتاب، لكن الكتاب ليس عنك، إنه كتاب عن الكتب وعن القراءة.

يكتب مارتل رسائله بخفة دم ودرائية: صحيح أنني لا أحب سياسة هذا الحزب ولكن لا يمكن لفرد أن يكتب 65 رسالة فقط لأجل الكره. يكتب بحرية لا تهين، ولا يجد خصاصة في اقتراح قراءة كتاب ما يكل أغناطييف، رئيس الحزب الليبرالي في كندا. يرسل له "الأقل شرًا" وهو بحث سياسي تاريخي عن طرق مكافحة الإرهاب وما آلت إليه الحرب في أفغانستان والعراق وغيرها. يذكره بضرورة قراءة كتابات "معارضه السياسي" كي يعرف ما يجري في ذهنه ويفهم كيف يماحكه وخاصة أنه يلتقي به كثيراً في ردهات وجلسات البرلمان. يذكر بأن له "اغناطييف" 16 كتاباً بينها 3 روایات، وكان مذيعاً وصحفياً سابقاً.

إن كتاب "ماذا يقرأ ستيفن هاربر؟" مناسبة للاحتفاء بالكتابية والقراءة ولذلك فهو موجه لعشاق القراءة من كل المشارب، كتاب يكرّم الأدب الكلاسيكي والحديث، الكندي والعالمي. أول كتاب في القائمة كان "موت ايفان ايفانوفيتش" للروسي ليو تولستوي. كما أرسل لهاربر ملحمة جلجامش، يوليوس قيصر وكتب له: فولتير، همنغواي، مارغريت أتوود، أليس مونرو، جين أوستن، فيليب روث، "انتظار البرابرية" لـ ج.م. كويتزي، هيروشيماما مون امور لمارغريت دوراس، سيرة ذاتية مصورة عن بطل التمرد عند الهنود الحمر في كندا "لورييس ريل"، بالإضافة إلى أشعار تيد هيوز، نورث روب فراي،.. الخ. ولم ينس أن يخصه بكتاب عن رياضة الهوكى التي يعشقها هاربر. كما لم يقصر قائمته على كتب كنديين من القوا خطابات ناقدة شديدة اللهجة حين أصدر هاربر قراراً بالحد من المساعدات المالية المخصصة لدعم الفنون في كندا. القرار استدعى في حينه قيام حملة ومسيرات استنكار في عدد كبير من مدن كندا.

يذكر أن يان مارتل مواليد 1963 له إصدارات معدودة لاقت شهرة كبيرة أهمها رواية "حياة باي" التي ترجمت إلى 40 لغة عالمية وصارت فيلماً لاقى نجاحاً كبيراً. ترجمتها إلى العربية سامر أبو هواش، وصدرت عن دار الجمل.

نقول أن فكرة الكتاب جرئية ولنيمة. ولكن ماذا لو خطر لكاتب عربي أن يقوم بحملة تثقيف لرئيس جمهوريته وأرفقها برسائل ودية نقديّة تتحدث عن أحوال البلاد من وجهة نظر معارضة، وعن ظروف الكاتب الفقير والصافي الملاحق والشارع المفتقر للخدمات الأولية؟!

صحيفة الأخبار اللبنانية 2010

فضاءات أخرى عام 2021

الكاتب الكندي يان مارتل صاحب رواية "حياة باي" يتقدّم وسام حاكم كندا
أعود إلى الكاتب الكندي مرة ثانية بعد أكثر من 10 سنوات على نشر مقالتي الأولى عنه وبتفاصيل
جديدة بعد تغيير السلطة ورئيس وزراء كندا. لماذا؟

مع نهاية كل عام في كندا يتم تقدير وسام "حاكم كندا" كرتبة تعتبر الثانية في التسلسل الهرمي الأهم، وهي رتبة مدنية تُشريفية تمنح لعدد من المبدعين الكنديين الذين عملوا على إغناء حياة الآخرين بطريقة ما وتركوا بصمة إيجابية في الميدان الاجتماعي القريب والبعيد. هذه الحقوق تتضمن الإبداع والتميز في ميادين مثل: الآداب الاجتماعية والعلوم الإنسانية، الموسيقى والتأليف والتمثيل، النجاح في المجال الاقتصادي، التميز في المجال العسكري، والعمل الخدمي الاجتماعي الرسمي أو التطوعي. وهناك مراحل تتبعها جهة حكومية عليا حيث تتقى الترشيحات في كل الحقوق، وتتم دراستها إلى أن يتم الاتفاق على إعطاء الوسام لشخص واحد متخصص في مجاله.

كان الإعلان عن نتائج التكريم هذه السنة في 29 ديسمبر 2021. وكان للجالية العربية في تورونتو نصيب في هذا التكريم في المجال الاقتصادي المهني. كان الوسام من نصيب الكندي اللبناني محمد فقيه، لدوره في خدمة الاقتصاد الكندي والجاليوبي. حيث يمتلك السيد فقيه عدداً من المطاعم في تورونتو وكندا وله نشاط جاليوي مميز ويحث على التضامن والحضور الفاعل في الساحة الكندية. إلا أنني أتوقف اليوم أتوقف بالتفصيل مع المنصة الثقافية.

يان مارتل كاتب رواية "حياة باي" يتقدّم وسام حاكم كندا

Yan Martel, Life of Pi

في خانة الآداب والعلوم الإنسانية حصل الكاتب الكندي يان مارتل على التكريم وذلك لشهرته الواسعة في العالم من خلال روايته المترجمة إلى 40 لغة ومنها العربية. صدرت الترجمة منذ سنوات عن دار الجمل، ترجمة سامر أبو هواش. وأخرجت كفيلم سينمائي لاقى نجاحاً منقطع النظير. عدد النسخ التي بيعت من روايته 50 مليون نسخة، كما فاز بجائزة بوكر للأدب الدولي للرواية.
هناك نجاحات كثيرة وخطوات مميزة تضع هذا الكاتب على قانمة الشهرة والتأثير. وهنا نبذة مختصرة

عن سيرته الإبداعية:

يان مارتل موايد إسبانيا 1963 لأبوين كنديين كانا يعملان لصالح الخارجية الكندية. انتقل مع والديه للعيش في عدة دول حول العالم منها: إسبانيا، البرتغال، وفرنسا، إلى أن استقر في كندا في مرحلة الدراسة الثانوية. وحين أكمل تحصيله الأكاديمي في كندا، صار استاذًا جامعيًا مرموقًا، وكان يدرس منهاجاً يعني بـ "الحيوانات في الأدب".

ورد في سيرة التعريف بمكانته، إنه في بداية شبابه اشتغل في أعمال شتى كغسل الصحفون في المطعم، وزرع الشجر، كما اشتغل حارساً في السفارة الكندية في باريس. طبعاً النظرة إلى نوعية العمل التي يوطيها الفرد في الغرب تختلف تماماً عن المهن وطبقاتها الهرمية عما هو عليه الحال في البلاد العربية.

بدأ (مارتل) الكتابة والنشر بمجموعة قصصية، ثم صدرت أول رواية له عام 1996 في إنكلترا والمانيا، وكانت الرواية الثانية (حياة باي عام 2001) إلى جوار روايات أخرى بعد ذلك. ولكن حياة باي أحدثت ضجة هنا في الغرب واتهم للكاتب بتطفله على فكرة كتاب آخر بعنوان (ماكس والقطط) وفيما بعد كتب مارتل رسالة لمعلنة وأعرب فيها عن إطلاعه على الكتاب وإعجابه وتأثره به.

أما قصة يان مارتل مع رئيس وزراء كندا السابق "ستيفن هاربر" الذي كان رئيس حزب المحافظين فهي الأكثر شهرة وفكاهة وجراة، ولم يسبق لها مثيل في العالم. إذ تجراً يان مارتل على افتتاح "نادي القراءة" أحدى الجانب بينه وبين رئيس وزراء كندا عام عام 2001.

حكم حزب المحافظين في كندا منذ عام 2001-2007 بقيادة رئيس الوزراء ستيفن هاربر. خلال تلك الفترة قام رئيس الحزب الحاكم باقتطاع الكثير من الخدمات المقدمة للبرامج الفنية والثقافية والإعلامية في كندا. وعرف عنه عدم تعاطفه مع الكتاب والعلوم الإنسانية عموماً. فقرر مارتل أن يعمل على يحثه على القراءة والإطلاع على أداب الشعوب من خلال الكتب التي أراد أن يرسلها إلى مكتب رئيس الوزراء مرة كل أسبوعين وتكون منتفقة من الأدب العالمي الكلاسيكي والحديث والكندي بالطبع. استمر في هذه المبادرة إلى أن وصل عدد الكتب المرسلة مجاناً 100 كتاب. حينها قرر أن يتوقف ويغلق النادي.

ولم يستسلم سوى رداً واحداً من قبل القارئ المفترض(رئيس الوزراء). والجدير ذكره أنه اختتم هذه الحملة التوعوية بكتاب مسرحي عنوانه "الحارق" لمسرحي كندي من أصل لبناني يكتب بالفرنسية وهو وجيدي معوض. لاقت مسرحيته النجاح وأصبحت فيما يتطرق إلى الحرب الأهلية اللبنانية والعنف والخوف والهجرة.

أما أول كتاب في قائمة المراسلة فكان للكاتب الروسي "تولstoi، موت ايغان ايفانوفتش"

كان يان مارتيل يرسل الكتاب إلى ستي芬 هابر مرفقا برسالة هي عبارة عن عرض لكتاب، وحكياته وأهميته. فيما بعد قام باصدار كتاب يضم هذه الرسائل وعناوين الكتب المختارة التي لاقت ضجة اعلامية جيدة على الصعيد الكندي، عنوان الكتاب "ماذا يقرأ ستي芬 هابر؟"

لو نظرنا إلى ثقافة الحكام العرب سنصاب بالخيبة! حيث حصة الديمقراطي لم تصل بعد الحد الذي يسمح فيه بانتقاد صورة الرئيس مهما كان قبيحاً ومجرماً بحق شعبه، وإن فيكون العقاب مريعاً.

صرح مارتيل مرة للصحافة الكندية بأنه محظوظ لأنّه يعيش في بلد ديمقراطي، يفعل هذا ولا يُعقل. أؤمن أن الأدب وثيقة إنسانية مؤثرة وجاذبأ وإن حملت محتوى سياسيا. بعض رؤساء الدول في الغرب يتفاخرون بقائمة الكتب المفضلة لديهم. على سبيل المثال يقوم الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما كل سنة بالإعلان عن قائمة الكتب المفضلة لديه والتي يرشحها للقراء.

سيزدهر ويتقدم أي بلد يعمل على تكريم الطاقات الإبداعية لأهميتها في دفع عجلة الحضارة إلى الأمام. أما البلاد التي تكثر فيها السجون والتهديدات والتفرقة ستبقى في آخر الركب وتتطلع إلى الوراء وتقتلن الحاضر والمستقبل.

نشر في صحيفة الصباح العراقية بتاريخ 21-1-2022*

كلمة اليوم:

قرأت أول مرة للروائي يان مارتيل (حياة باي) مترجمة إلى العربية، ووجدتها ممتعة ومؤثرة، تحمل ذلك الصراع من أجل البقاء والصراع والألفة بين الإنسان والحيوان الوحيد الذي بقي على القارب حين دمرت السفينة التي كانت تقل الكثيرين... وبعد ذلك بسنوات، أصبحت الرواية فيلماً بنفس الإسم وذهبت لحضوره مع صديق. كان الفيلم مشوقاً وبالطبع الثلاثية التي ترى من خلال العدسات التي يضعها المشاهد على عينيه أثناء العرض. لن أنسى اللقطة الأخيرة في الفيلم حين يصل القارب إلى اليابسة، ويغادر النمر القارب إلى الغابة دون أن يلقي نظرة على صاحبه الذي تقاسم معه أهواه البحر والعيش على حافة الموت.

كلمة اليوم: حين تغادر بيتك أو حبيبا لا تكون خاتنا وتثير ظهرك دون كلمة وداع. كن شهماً حتى وإن كنت قد فقدت الحب والعنق والإيمان بجدوى ذلك الشخص أو المكان الذي عشت فيه أو عشنته يوماً.



سيرة الحركة النسوية الكندية، أين بدأت وإلى أين، تسردتها جودي ريسيلك

الثامن من آذار عيد المرأة العالمي وحركة "أنا أيضاً_مي تو" : الحصيلة التاريخية لمنجزات الحركة الفeminستية تشير اليوم إلى أن المرأة ما تزال تعيش تحت سطوة القانون الذكوري السلطوي القمعي. ما تزال المرأة تتعرض للاغتصاب والقمع والعنف المنزلي والتحرش الجنسي في العمل، في البيت، وفي الطريق. كما قد تتعرض للقتل إذا خرقت عن العرف السائد اجتماعيا. مثل: شاب كندي من أصول شرقية حمل الخنجر وقتل طليقته في تورنتو هذا الشتاء.

الحركة العالمية التي قامت منذ سنوات "أنا أيضاً" مثل واضح على ذلك، وال Shawahid كثيرة شرقاً وغرباً. هارفي واينستين، المخرج السينمائي الهوليودي، تعرض لمحاكمة طويلة ومعقدة وانتهى به الحال مؤخراً إلى السجن في أمريكا بعد أن تم التثبت من صحة الادعات ضده، كالاغتصاب والتحرش الجنسي. المتحرش جنسياً يجب أن يعاقب قانونياً، ولكن الغريب في الشرق أن نجد أحياناً في حال اغتصاب طفلة أو امرأة، أن المغتصب يحل لهـ أو يجبرـ على الزواج من الضحية. كانت وما زالت الحركة النسوية الاجتماعية تسعى لتمكين المرأة من حقوقها ومساواتها مع الرجل في فرص العمل وحرية التعبير واتخاذ القرار فيما يخص حق الإنجاب والإجهاض، وحق السفر بحرية، حق الكتابة والقراءة والتعليم العالي، وحق تقرير المصير في الزواج والطلاق وحضانة الأولاد إذا حصل الانفصال أو الطلاق بين الزوج والزوجة.

في الثامن آذار أردد مع نساء الأرض: ما زلنا نحن النساء نريد الخبز كما نريد الورد، كما نريد الحرية والعيش بكرامة وسلام في كل مكان. ونريد للحرب أن تتوقف عن قتل أبنائنا وبناتنا وأحلامهن الشاسعة الإنسانية التي لا جنس لها.

قالت "عندما تخرجت من جامعة (ميغيل) في مونتريال عام 1967 وأردت العمل كصحفية، ذهبت مع زملاني للتقديم للعمل في محطة الراديو المحلي. حين التقائي مدير القناة الإذاعية قال "نحن لا نعين نساء في غرفة الأخبار"

كتاب الثورة النسوية الكندية

"عشرة آلاف وردة" كتاب يورشف للحركة النسوية في كندا، 2005 للباحثة والناشطة النسوية الكندية "جودي ريبيك" منشورات "بنغوان".

حضرت حفل توقيع الكتاب في تورنتو 8 آذار 2005 حيث غصت القاعة بالحضور من كل الألوان والأعمار. تم تسلیط الضوء خلال الحفل على عدد من الناشطات النسویات الکواتی لقصصهن حصة في هذا الكتاب، واقت کاتبة کلمتها موجهة تحية خاصة إلى والدتها المسنة التي حضرت الحفل، إلى جانب بعض النساء المتقدمات في السن، الکواتی کرسن حیاتهن لخدمة هذا الجانب من حیاة المجتمع. وتخلل الحفل بعض الموسيقى والقاء قصائد "ملونة" تحفي بالجدات والحب والسلام.

*

التقطت صوراً المناسبة وللكاتبة جودي ريبيك الناشطة النسوية المعروفة بنضالها وتحدىت معها على هامش اللقاء حين كانت توقع الكتب. استقرت لاحقاً من المكتبة العامة وقرأتها بشغف وكتبت عنه مقالاً أرسلته لصحيفة الشرق الأوسط. ونشر في شهر آذار في مثل هذه الأيام سنة 2006. لم يكن في حقيبتي نقود لشراء الكتاب، وانسحبت بحسرة أتنى لن أشتريه الآن.

*

كنت في مدينة عمان الأردن، مدعوة للمشاركة في مؤتمر من قبل منتدى الفكر العربي. فاجأني أحد الأصدقاء العاملين في المنتدى حينها بالصحيفة والمقال المنشور، وأعتقد كان بداية تعاؤني الطويل مع جريدة الشرق الأوسط حيث كان الاستاذ فاضل السلطاني محرراً للقسم الثقافي، ربما حتى الآن. في إحدى الأيام ذهبت إلى مكتبة تبيع الكتب المستعملة بأسعار زهيدة. وجدت الكتاب ينتظرني هناك. وفرحت بخلافه الأحمر الساطع. اشتريته ووضعته على رف المكتبة.

أول مرة شاركت في القاء الشعر في كندا ، كان احتفالاً بعيد المرأة وكانت الخطابات بالعربية والإنكليزية والفارسية كلها تطالب بحقوق المرأة في الحرية والكرامة والمساواة الاجتماعية والاقتصادية.

*

تلقي الكاتبة عبر صفحات هذا الكتاب "التاريخي السيري" بعدد كبير من الناشطات النسويات اللواتي صنعن الحركة الفمنسية في كندا ومازلن يناضلن لتحقيق مكاسب أخرى تخص رعاية الأطفال والحد من العنف والفقر والاضطهاد وتحقيق الأجر المتساوي لقاء الأشغال نفسها لكل من الرجل والمرأة.

كما يؤرخ الكتاب لسيرة نضالاتهن وما توصلن اليه من منجزات وحتى عام 1995. والمهم من ذلك، الكيفية والوسائل التي تم من خلالها تحقيق هذه المنجزات التي تنعم بها نساء اليوم، والتي لم تكن سهلة إطلاقاً، بل مرت بصراعات واحباطات وعوائق شتى وخاصة فيما يخص موضوعات منع الحمل والإجهاض وظروف العمل التي تفتقر إلى الشروط الصحية... الخ.

هذه الحركات التي تبلورت وقامت على يد غالبية يسارية لم تتوقع على نفسها بل التقت مع كافة قطاعات المجتمع، باختلاف توجهاتهم السياسية أو الدينية او العرقية فسجلت بذلك ارشيفاً يمكن دراسته والاقتداء به من قبل نساء العالم اللواتي ما زلن يعملن بعزم وصبر على تغيير القوانين الشخصية والمدنية واحلال العدالة والمساواة والكرامة للجميع وبناء مستقبل سليم لكافة ابناء المجتمع مستقبلاً، اذ أن العمل من أجل سلامه المرأة هو نضال يصب في سلامه رجال المجتمع وأطفاله وينقل المجتمع الى الامام بخطوات ثابتة ومدرسة لايمكن أن تتحقق بالفردية المطلقة وبدون التضاضر والعمل المشترك.

عبر هذه الصفحات نقع علاً كثير من الأقوال والشهادات التي تكشف لنا الفارق بين جيل وآخر، وبين متطلبات الحركة النسوية في جيلها الأول والثاني والجيل الثالث الحالي.

وهذه فقرة من مقدمة الكتاب تقولها احدى السيدات وتلمس من خلالها مقدار التطور الهائل الذي تحقق خلال نصف قرن من الزمن في كندا والعالم :

عندما تخرجت من جامعة (ميغيل) في مونتريال عام 1967 وأردت العمل كصحفية، ذهبت مع زملائي للتقديم للعمل في محطة الراديو المحلي. حين التقاني مدير القناة الإذاعية قال " نحن لا نعين نساء في غرفة الأخبار " قلت مستفسرة : ولماذا ؟

فأجاب : " لأن الرجال هنا يشعرون ولن يشعروا بالراحة اذا كانت النساء حاضرات في المحيط " فأجبت : " أنا لا يهمني اطلاقاً هذا الخراء..." فأبعدوني عن العمل، ليس فقط لأنني امرأة، بل وأمرأة وطويلة اللسان أيضاً. فلننظر ونتذكر كم تقدمنا خلال جيل واحد، ولنحاول أن لا نعود الى الوراء اطلاقاً"

*

لماذا نحن جزء من حركات تحرير المرأة؟

الإجابة على هذا السؤال جاءت في الكتاب بهذه الصورة التفصيلية القاسية التي تكاد تنطبق على نساء الشرق والغرب على حد سواء، مع اختلاف مراحل انجاز هذه الحريات أو الحقوق، بعضها أو جزء منها: هذه ترجمتي:

" لأن عمل المرأة لا ينتهي أبداً ولأنه غير مدفوع الأجر، ولأنه ممل، ولأنه تكراري، ولأننا أول من نطرد من الأشغال حين نعمل خارجاً، ولأن ما نظهر عليه يكون أكثر أهمية مما نقدمه كعمل، ولأننا إذا تغرضنا للاعتصاب، فإن ذلك غلطنا نحن ويبجب أن نضرب ونعامل بالسوء، وإذا ضربينا من المفترض أن نخفي ذلك وننفخنا عن الفاعل أما إذا رفعنا أصواتنا فذلك لأننا "منحطات". وإذا استمعنا بالمارسسة الجنسية فأتنا من صنف المرضى بعشق الجنس، أما إذا أعرضنا عن عدم رغبتنا بالجنس فذلك لأننا "باردات" وإذا أحبينا امرأة فذلك لأنه لا يوجد رجل " حقيقي ". وإذا سألنا الطبيب كثيراً من الأسئلة فهذا لأننا ثرثارات، وإذا توقينا أن نحصل على رعاية وحضانة أطفالنا فذلك يعني أنا أناينات، وإذا وفقنا من أجل حقوقنا فهذا يعني أنا " وقحات وتنتقدنا الآنوثة " وإذا تغاضينا عن هذا فأتنا نكون نساء تقليديات وضعيفات. وإذا كنا في مرحلة الزواج، فإن خروجنا هو فقط لصيد الرجال، وإذا لم نتزوج نكون غير طبيعيات، ولأننا لم نستطع بعد أن نحصل على مانع حمل مناسب. وأما الرجال فأتمهم يستطيعون الصعود إلى القمر. وإذا لم نرحب بذلك أو كانت لدينا الرغبة في الحمل فيجب أن نشعر بالذنب مخافة الإجهاض و... وكل هذا ولأسباب كثيرة كثيرة أخرى نحن جزء من الحركة التحريرية النسوية"

*

والكتاب قيم ويقع بالأمثلة والشهادات والأحداث الواقعية التي شهدتها النساء اللواتي كن الجزء الفاعل في صنع التغيير وتحقيق الكثير من المكافحة حتى بات الحديث اليوم عن "الفeministe" يواجه بشيء من الاستئناف او الحرج او عدم الوضوح، لأن نساء اليوم في شمال أمريكا وبعض بقاع اوروبا لا يجدن أي ضرورة لهذا العمل النسوبي، لأنهن ينعمن بما حصلت عليه الأجيال الأولى والثانية من الحركة النسوية.

*

وتسعى الكاتبة جودي ريبيك كما قالت في حديثها أثناء حفل توقيع الكتاب بأنها ما تزال تنتصب للنساء الشابات وتأمل منهن حمل الشعلة والسير بها إلى الأمام ذلك أن مستجدات العصر متزاول تخلق نوعا

جديداً من العلاقات التي لا تخلو من الاستغلال والاعتداء والعنف وتسلیع المرأة بالإضافة إلى أن إحدى مهام النساء في هذه المرحلة، هي السعي لتكريس السلام والوقوف ضد الحروب والفقر في جميع بقاع العالم.

*

أما إذا نظرنا إلى واقعنا العربي وما تحمل القوانين الشخصية من تخلف وتفرقه جنسية فسنجد أن الطريق ما تزال طويلة وعسيرة، ولا بد من أن نقف فرداً وجماعات لصنع ثورتنا الشخصية وال العامة. لأجل الخير والورد الذي قبضت من أجله نساء كثيرات.

لماذا العنوان: عشرة آلاف وردة؟!

تقول الناشطة النسوية والباحثة الاجتماعية "جودي ريبيك" في مقدمة كتابها، أن اختيار هذا الاسم كعنوان لكتاب جاء تخليداً لمناسبة استثنائية جرت في كيبك/كندا، عام 1995، حيث قامت النساء بالمسير من مونتريل إلى كيبك، وذلك من أجل الحد من الفقر، وكان عددهن حوالي ثمانية ألف امرأة، وحين عبورهن بالقرى والضواحي في كيبك، كان الناس يخرجون إلى الشوارع للتحية والمشاركة، وكانت كذلك أجراس الكنائس تقرع تهليلاً ومناصرة لهن. كان هناك رجل يملك مزرعة خاصة للعنابة بالأزهار، وعندما عبرت المسيرة في جواره في منطقة (درومنفيل) تأثر كثيراً وسحره المشهد فحمل "عشرة آلاف وردة" إلى مركز مدينة كيبك، وهناك وزعها على الحضور من الرجال والنساء كتحية ومعاضدة.

نشر في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 5/4/2006

*

أفكار هذا اليوم:

كانت لي متعة المشاركة كل سنة في هذه المناسبة الخاصة والهامة والتي تذكرنا بالمنجزات التي حققتها الحركة النسوية في كندا وفي العالم، لتذكرنا بأنه ما يزال القسم الكبير من نساء العالم يرزح تحت ضغوط الحرب والفقر والقمع وجميع أشكال الاضطهاد المعنوي والجسدي وبدرجات متفاوتة. يقام الاحتفال كل عام بتنظيم وشراف" النساء العاملات مع النساء المهاجرات" حيث يتم الاجتماع في قاعة كبيرة في داون تاون تورنتو/كندا ، وتلقى الكلمات والخطابات وفقرات موسيقية يشارکها فيها السود والبيض والهنود الحمر ونساء ومنظّمات مدنية وعمالية من جميع قطاعات المجتمع. وبعد مسيرة طويل في شوارع المدينة. ثم يلتقي الجميع في نهاية المسيرة في ساحة أخرى مكتظة بالكتب واللوحات الفنية وطاولات جمع التوقيع لنصرة قضايا المرأة والإنسان في كل مكان.

تأريخ رمزية شعار الخبز والورد

أصبح الخبز والورد، الصورة والأغنية الرمزية للحركة النسوية العاملة والساعية لتحقيق مطالبيها واحتياجاتها الجسدية والروحية، والتي ظهرت كشعار رفعته إحدى النساء المتظاهرات في معامل النسيج، والمضربات عن العمل بسبب سوء الأحوال الصحية في المعامل والتي كانت تودي بحياة عدد كبير من النساء في مقتبل أعمارهن. كان ذلك في نيويورك عام 1908، حين تظاهرت أكثر من 15 ألف امرأة عاملة، بعد الحريق الذي وقع في أحد مصانع النسيج ولم يتم إنقاذ النساء العاملات، وتوفيت في ذاك الحادث 128 امرأة عاملة. تم تلحين هذه الكلمات وغناها بعده لغات عالمية، حتى أصبحت ما يشبه نشيداً "أمميّاً" نسويّاً ترددت نساء العالم في مسيراتهن السنوية يوم العيد العالمي.



رواية النساء المضطهدات والمانخيستو، الحكاية والغilm

بمتابعتي للجوائز الكندية وقوائمها الطويلة والقصيرة والكتب الفائزة، عثرت على هذه الروائية، وحين قرأت بعض رواياتها وجدت ذلك العمق البسيط واللغة الشفيفة، بالإضافة إلى تركيتها على حكايات تعكس صوراً من واقعها العائلي والاجتماعي. ومن بين الكتب التي قرأتها هذه الرواية. وبعد نشر المقال، أصبحت الرواية فيلماً وعرض في كندا لأول مرة عام 2023 فذهبت لحضوره في اليوم الأسبوع الأول للعرض. وكان قريباً جداً من أجواء الرواية كما قرأتها ويحمل الفيلم نفس الإسم. وفي عام 2024 حضرت لقاء مع مخرجة الفيلم سارة بولان" وكانت تدبر حواراً مع شاعرة ورائية كندية في مهرجان تورonto العالمي للمؤلفين. استمع، أكتب ملاحظات أثناء الحوار عند العودة إلى البيت. أتعلم وربما بالكتابة عنها أنقل معرفة أخرى لقراء العرب في العالم. رواية "نساء تتكلّم" للكاتبة الكندية ميريام تيفز اعتبرت حسب صحيفة "نيويورك تايمز" واحدة من أهم مائة رواية كندية 2019. ويدرك أن روايات ميريام تيفز حققت أعلى المبيعات وفازت بجوائز أدبية كندية مرموقة عن رواياتها الخمسة التي نشرت في كندا وأمريكا بعد أن هجرت الصحافة وتفرغت للكتابة الإبداعية المتخلية.

الرواية كما جاء في مقدمة الكتاب تستمد الحدث الأساسي فيها من قضية اغتصاب حقيقة حصلت بين 2009-2005 في "بوليفيا" في تجمع صغير في مقاطعة "مانیتوبا" حيث تقيم طائفة مسيحية متشددة في التقاليد والطقوس، إذ تعيش عزلتها عن المحيط المتقدم تكنولوجياً والمختلف في وسائل المعيشة والحياة. هذه الجماعة عانت من الاضطهاد تاريخياً وهي منشقة عن البروتستانتية وتدعى "مانونايتيس" ولهم أصول جermanية.

الكاتبة ميريام تيفز ترجم في أصولها إلى هذه الطائفة التي لها تواجد في عدة رقع من كندا ولكنها

انشقت بدورها عن الطائفة وتابعت دراستها في مدينة مونتريال وتقيم حاليا مع أمها في مدينة تورونتو. ويدرك أيضا أن حياتها الشخصية كانت مأساوية حيث شهدت انتشار اختها ووالدها هناك بسبب الاكتتاب.

كيف تعالج الرواية حادثة الاغتصاب التي طالت منات من نساء جالية الـ "مينونايتيس" تكررت حوادث الاغتصاب وانتشرت أنباء في تلك الجالية عن تكرار حدوث شيء غامض وغريب يحدث للنساء والبنات الصغيرات وكبار السن في الليل. يستيقظن مع شعور بالدوخة والآلام وأثار التحرش الجنسي على السرير والثياب الداخلية دون أن يعرفوا ما الذي جرى. كانت النساء تشعر بالخوف والرهبة من الإفصاح أمام الرجال، وحين تكلمن كانوا يعزون ذلك إلى تحرشات "الشيطان" واحتلامات المخلية اللاواقعية.

لماذا لم يقبض أحد على الجناة؟

تبين أن الجناة من الطائفة وكانتوا يستخدمون نوعا من المخدرات القوية من مصدر نباتي.. ترش المادة المخدرة على نوافذ البيت الذي سيذهب الجاني إليه مما يؤدي إلى غيبوبة جميع سكان البيت. فيرتكبون فعلتهم ويخروجون دون أثر سوى ممارستهم البشعة من النساء، وإلى أن حدث مرة واستيقظت الضحية وصرخت واستطاعوا القبض على الفاعل الذي أعلن عن عناصر الجماعة الثمانية الذين كانوا يمارسون هذا الفعل الشنيع مرارا.

رد فعل القبيلة الحقيقي على هذه الجريمة

هذا يستدعي الاحاطة بالختصار بمقاهيم هذه الطائفة. الجماعة تقوم على نظام بطريكي متسلط وذكوري يضع المرأة في الدرجة الأدنى. يقتصر عمل النساء على الأعمال المنزلية والعناية بالحيوانات الأليفة وبالأولاد وتلقينهم الديانة والتقاليد. النساء لا يتعلمون القراءة والكتابة. النساء يتكلمن لغة شبه منقرضة وغير مكتوبة. الرجال في هذه الطائفة يقومون بالعمل في الزراعة وتبادل المنتجات الزراعية مع السوق المجاورة. هذه الجاليات تخضع لحكم ذاتي مستقل مدنيا وقانونيا عن المحيط العام. ويحكم التطرف الديني لم يسمح للنساء بالشكوى إلى الشرطة في القضاء المجاور. بل طلب من النساء أن تغضن النظر عن الحدث وـ "تسامح" الفاعلين لأن هذا من صلب المفهوم الديني المسيحي كما يعتقدون. لكن الموضوع تسرّب وتدخلت الشرطة أخيرا وأخذ الجناة إلى السجن في بوليفيا والمحاكمة الجنائية.

ورغم ذلم الرجال يلومون النساء ويدهبون للسعي لإطلاق سراح الجناة من السجون وإعادتهم إلى حضن القبيلة تحت ذريعة المسامحة الدينية ومعالجة القضية حسب تقاليد طائفة المينونايتيس.

رد فعل النساء في الطائفة

عدد من النساء رفضن الإلقاء بأقوال حول الموضوع بسبب الشعور بالعار والخوف والتربيبة المتزمنة؛ ولكن ثمانية نساء من جيل الصغار بالعمر والشابات وكبار السن تمردن ولم ينكرن ما حصل لهن وستنكرن الظلم وطالبن بتحقيق عادل كي لا يتكرر حدوث هذا لهن ولبناتهن ثانية. قررت النسوة عقد اجتماع بينهن لمناقشة المصير والخطوات التالية وذلك حين تغيب رجال القبيلة جميعاً لمدة يومين في مهمة إخلاء سبيل المجرمين سجن المحافظة. ومن هنا تبدأ الرواية حيث تخيل الكاتبة ما حصل بين النساء من حوار في علية فوق استبل أحد البيوت.

وضعت أمام النساء ثلاثة خيارات هي التالي: -1- ألا يفعلن شيئاً وتستمر الحياة كأن شيئاً لم يحصل. -2- أن يغادرن القبيلة ويتركن العار والمحاكمة خلفهن ويبدأن الحياة من مكان لا صلة له بما حدث. 3 - أن يبقين في القرية ويقاتلن من أجل حقوقهن. هذا مع العلم أن النساء يعشن في عزلة تامة عن الخارج، لا يعرفن القراءة والكتابة، ليس لديهن احتكاك مع العالم المتمدن والمختلف كلّياً. ولكن كيف سيتم الاتفاق بين النساء الثمانية حول القرار في غضون يومين وقبل عودة رجال الجالية الألى القرية مع مرتكبي الاختصاب؟

من هو "أوغست" ولماذا لم يذهب مع الرجال إلى المدينة؟ أوغست اسم الراوي الذي يسرد ويكتب محضر جلسات النساء بخصوص الوصول إلى قرار. وهو معلم القرية الذي كان قد اضطهد مع والديه الذين طردا من القبيلة وذهبوا للعيش في إنكلترا حيث اكتسب هناك تعليمه وثقافته. ثم عاد إلى مسقط رأسه شاباً وأوكل إليه تدريس الأولاد. كان مضطهداً من قبل رجال الجالية ولم يأخذوه معهم لأنّه أقلّ قدرًا من أن يكون رجلاً مساوياً لهم وهذا ما وضعه على مقربة من الانتحار في ذلك الحين.

انتبهت "أونا" إحدى السيدات المفترضيات إلى حاله وتعاطفت معه وطلبت منه أن يحضر الجلسات ويبدون ما كلام النساء. يقبل أوغست المهمة. وتأتي الرواية كاملة من خلال تدوينه للمشادات الكلامية والتعاضد والسخرية والاستهجان الذي كان يحصل بين النساء إلى أن وصلن إلى "مانفيستو" وقرار من ضمن الخيارات الثلاثة التي طرحت سابقاً. ولن انذكر القرار كي لا أفسد متعة العودة إلى الرواية لما فيها من تشويق قصصي بارع، ودقة في وصف الخارج مع الغوص في العالم الوجداني النفسي للنساء المعموقات. كل ذلك مع مراعاة عدم تجريح مشاعر أتباع هذه الديانة وطقوسها التي تعتبر من طقوس العصور الوسطى والتي لم تحتملها الكاتبة. ميريام تيفز وهربت منها.

مانفيستو النساء المغتصبات

محضر الجلسات هو صلب الرواية المكتب على لسان "أوغست" في 216 صفحة وهو يترجم كلام النساء من لغتهن الخاصة المحكية ليكتبه بالإنكليزية. وعلى هامش الحديث كان يدون انتطاعاته الخاصة حول الموضوع ومنها تعلقه العاطفي بالمرأة "أونا" التي أوكلت إليه المهمة رغم أنها تعلم أن لا أحد من النساء يجيد القراءة.

توصلت النساء في النهاية إلى قائمة من القرارات المتفق عليها وهي ما أطلق عليه الكاتب: المانفيستو الذي بدأ بتنفيذها واتخاذ الخطوات الأولى نحو مستقبل مختلف. باختصار، براعة القصة التي بين أيدينا تأتي من قوة المتخيل وحبكة الحوار الذي لا يخلو من فكاهة ومواجع تستمدّها الكاتبة من صنيعها المعرفي كروائية مهمة في كندا، وأيضاً من ارتباط جذورها العائلية إلى طائفه "مينونايتيس" حيث عاشت طفولتها ومراها قبل أن تنتقل إلى مدينة تورنتو. الخليط الثقافي المتعدد الأثنيات.

Book Title: Women Talking
Author: Miriam Toews

نشر في صحيفة الشرق الأوسط اللندنية عام 2022

أفكار هذا اليوم:

ثقافة التلصص: اعتقاد أن الشعب العربي يحب التلصص. رجال كثيرون نشاؤا على استراق النظر إلى كاحل امرأة، وإلى شعرة من جبينها. وكان هناك التلصص على الجارة وبنت الجيران وتزداد هذه الحركات شدة كلما ازداد التلصص في الخلية الاجتماعية والدينية التي ينتمي إليها العربي. واستطيع أن أسرد الكثير في حقل التلصص على الآخر. يسمى في حقل الإبداع "التناص" وهناك سرقات أدبية جهورية. والأدب عادة يقول للمتلصص، تعال هنا كشف المستور....

وهناك على الجانب الآخر من التلصص، الخوف من استكشاف أمر المتلصص. يعيش جيل كامل وهو "يخاف" ويخشى ويحذر أن يتم الكشف عن حقيقة سيرته الذاتية الشخصية. القمع الهرمي والفراغ والإملاءات الخارجية تلعب دورها في حياة الفرد، في الأدب، في الشارع، في العمل المهني، في العلاقات المسرودة. والمقارنة مع هذه البلاد، ممكنة وجائزة أحياناً. في مثل هذه الرواية هناك واقع نسووي معموم، وهناك كاتبة تجرأت على قطع صلاتها بمجتمعها كي تستطيع أن تكتب وتعبر عن رأيها خارج التيار والقبيلة المحافظة.



الذكاء الاصطناعي والمجمعم الإنساني وصولاً إلى نوبل

كي تكتب ما يؤثر على الآخر ويشد انتباهه يجب أن تولي اهتماماً لمشاعرك قبل الكتابة وأنشاء وعند تنقيح الكتابة. الشعور فعل إنساني بالدرجة الأولى وهو ما يميز البشر عن باقي الكائنات وهو ما يدل على إبداع ينتجه البشر وليس الآلة التي تقلي. هذا يقتضي الصدق وعدم الخوف من رفع عتبة المحرمات المشرقة.

*

الذكاء الاصطناعي لن يحل لك إشكالية ما يجب تدوينه انطلاقاً من فكرك وشعورك ورسالتك الخاصة عبر مشروعك الفني والإبداعي في أي حقل من حقول العمل وال العلاقات والتسيير.

*

الذكاء التكنولوجي لا يبدع فكراً وأدباً بل يكرر ما قاله الآخرون بصيغة أو بأخرى . نعم، سوف يتقدم علمياً ويختبر حلول للمشاكل والتقييات بلا رادع أخلاقي أو إنساني من قبل الآلات، والذين يصبحون عبداً للآلية بعد أن كانوا سادتها.

*

كنت أتكلم مع امرأة شابة تدرس علمياً الذكاء الاصطناعي والبنس في جامعت الغرب فقالت: إنها مصابة بالصدمة والتخوف من هذا الحقل، كلما اكتشفت أكاديمياً إلى أين قد يتوجه بنا هذا العالم التكنولوجي من الناحية الأخلاقية والإنسانية.

*

الترويج لعقيرية الآلة التكنولوجية والروبوت الذكي، مرحلة خطرة نحو تجريد الإنسان من خصوصيته الوحيدة المفارقة لكل الأجناس الحية في الطبيعة والتي هي: الوعي والشعور

*

ماذا يبقى للإنسانية حين يكتب الكمبيوتر الذكي بدلًا عنك وعنِي؟! حدث هذا العام 2024، أن دعيت للترجمة لطالبة ووالدها الناطق بالعربية. كانت إدارة المدرسة تتهمنها باستخدام الذكاء الاصطناعي في كتابة(الوطيفة) أو البحث المطلوب لعبور الامتحانات. ووفق مقارنات لمراحل تحضير البحث في المرحلة الثانوية، تبين لهم أن الطالبة تغش عبر تقنية الذكاء الاصطناعي وتم تنبيهها.

الطالبة لم تكن بحاجة لمساعدتي في الترجمة لأن لغتها جيدة، ولكن الأب كان بحاجة لفهم ماذا حدث في المدرسة، من خلال صوت حيادي- صوت المترجمة. وليس فقط لصوت الطالبة التي تدعى التظلم أمام أسرتها والآخرين، بسبب التفرقة العنصرية ضدها وضد البنات من قوميتها العربية والإسلامية.

هل دخلنا العصر التطبيقي لحيونة الإنسان والآلة، ولن أقول حيونة الإنسان وأنسنة الآلة؟ أنا مع مسألة: كي تعرف عدوك، يجب أن تعرف لغته. وفي هذه الحالة يجب علينا أن نعرف لغة هذه الآلة ولكن قدراتنا محدودة ونحن نرکض من أجل لقمة العيش. نحن عبيد الأنظمة الرأسمالية والإيديولوجيات المتناحرة من أجل السلطة.

*

ما مستقبل القيم الإنسانية؟

هل سيستعير الذكاء الاصطناعي عاطفي وعقلانيتي ليعيد كتابتي بطريقة أخرى، أم ستقرض مفردات من شاكلة: التعاطف البشري، الذكاء العاطفي والاجتماعي التي بحث فيها الدكتور الباحث في العلوم الاجتماعية والنفسية "ديفيد غولمان"؟ على سبيل المثال. كانت كتابه تدرس في المناهج الجامعي الكندي، فهل ستحل أدبيات الذكاء الاصطناعي، محل كل شيء آخر؟
اعتقد، ستتغير فلسفة الأجيال القادمة فيما يخص القاموسي اللغوي اليومي الذي يتعلق بالعلاقات بين الأفراد والمؤسسات والدول ليصبح كل شيء خاضع لمنطق الآلة والمادة.
طبعاً، هناك شريحة كبيرة دخلت هذا المنطق وتعيشه تماماً، ولكن ما زال بعضنا على الحافة يحلم.

ثانياً، جيل مستخدمي الكمبيوتر الذكي سيلغي أخلاقيات وقيم ما قبله من أجيال لم تستخدم التكنولوجيا. هذا الجهاز الذي بين أيدينا لا يعرف تاريخ أجدادنا الشفاهي ولا حكايات النساء الصامات ولا العمال المقهورين الخائفين من التسول مستقبلاً إذا أخذ (الروبوت) مكانهم في أشغالهم وأقللوا عن العمل.

ما زال الذكاء الاصطناعي يحيط به العالم العربي، وهو أمة ما تزال تتسوق الثياب والعطور والسيارات الفاخرة والكمبيوتر والسلاح الحربي والأجهزة الذكية من العالم الآخر - الغربي الذي يصنع الشيفرة ويحللها ويتحكم بالسوق عبرها.

نشر في الحوار المتمدن، 14/4/2024

كلمة اليوم:

فاز العلماء بجائزة نوبل 2024 . لقد منحت جائزة نوبل للباحثين البريطانيـالكندي جون هوبيفيلد والأمريكي جيفري هينتون لأبحاثهما في مجال «التعلم الآلي» المستخدم في تطوير الذكاء الاصطناعي، ما يعني تدريب أجهزة الحاسوب من خلال شبكات عصبية اصطناعية. أي مستقبل ينطرنا، وهل ستتفوق الآلة على الإنسان وتتصبح القيم سلعة كاسدة والأخ الأكبر المنتصر هو رأس المال الجشع!





7

أفكار على سياج الرأسمالية العالمية

ليس العنف الوجه الآخر للاختلاف. العنف وجه من وجوه البصيرة العمياء والكراهية.

*

الفنون تهدب الروح والنفس وتحض على التفكير بطريقة إنسانية وبأدوات الفن. أما الطغاة شرقاً وغرباً فلا لغة لديهم سوى العنف بكل الصور.

ماذا لو أصبح الفنان والمثقف الحر صاحب سلطة، هل سيصبح طاغية آخر بحكم المنصب، أم سيخلق روحانية إنسانية في إدارة إدارة الحكم؟!

*

الدين ورقة رابحة في حرق الشعوب عند افتلال المعارك. أما السلطات الدينية والمدنية، الرأسمالية والجاهلية في ثوب المدنية، فهي عبد لقوة رأس المال الذي لا دين له سوى التسلط والنهب وسحق الشعوب. وتلك السلطات تغير واجهة عملها حسب المصلحة والمرحلة وتستخدم ورقة الدين لأنها عاطفية وجامعة للتيار العام. ومن شذ عن القاعدة يرجم بالكلام والفعل.

*

حين لعبوا بأوراق الطائفية والدين جعلوا سورياً محروقة ومقطلة ودماراً مايزال عياناً إلى الآن. وهذا ينطبق على ما حدث في العراق، ودول أخرى من هذا الشرق المنكوب كالعراق والآن فلسطين.

*

خريف 2023 دموي يعرى العالم والبشرية. خريف يبكي على قتلاه حين صارت أرواح البشر مجانية وقرايبين على مسرح العنف الدولي. خريف سبقه ربيع الزلازل والفيضانات والحروب الصغيرة المتفرقة والكبيرة التي صارت خبراً عادياً.

أوراق العالم خاسرة ومكشوفة والتسوييات الكبرى خلف الكواليس.
وحده الإنسان أعزل كقدر سوري أو فلسطيني وجد نفسه في عين العاصفة، أو في فوهة البنديقة وبقضة الظالم.

*

قيل: اختر معركتك. وحين تقدم على الاختيار يجب أن تتقن أصول اللعبة الفدراة وال الحرب. وهناك كتاب لكاتب صيني بعنوان: فن الحرب.

وأقول إذا كان لا بد من الحرب، فلتكن لها أخلاق الحروب السارية على الجميع.
ولكن هل يمكنك أن تكون أخلاقياً في الحرب قبل وبعد!
لا شك أن العقيدة الدينية والإيديولوجية الفردية هي التي ستحكم وتشهد.

*

وقال "لا طريق إلى السلام، السلام هو الطريق" المهاتماً عدنى لكن الفقراء لم يختاروا الطريق الأقرب إلى احتياجاتهم الصغيرة، بل ذهبوا ضحايا، خسارات متراكمة في خيارات الآخرين وأضابير التاريخ الصفراء.

السوري اليوم، يجوع في بيته وتحاصره عيون الرفيق إذا قال أنا ميت على قيد الحياة.
الفلسطيني يموت أمام الكاميرا وتحت الأنفاس بلا ذنب سوى أنه ولد في تلك الرقعة الجغرافية التي تنازعتها الأديان التوحيدية الثلاثة وأنهكتها بالحروب على مدى القرون.

أين أرض معركتهم.. هم قادة الحروب المستترین النائمين في بيوت وثيرة ومواعق آمنة؟
هم... هؤلاء الذين يشعرون بالحروب ولا يعرفون كيف ستنتهي. ولا يفهمون كيف. وإلى أن تصبح الحرب عادة يومية. انظر قليلاً... ترى الشعب السوداني يقتل على دفعات. الشعب اليمني يقتل كل يوم بيد الطوائف والجهلة، وتستمر السلسلة المرعية من فلم اللاعدالة.

*

يسقط جميع الطغاة من المحيط إلى الخليج ومن الشرق إلى الغرب . ومن كل جهات الأرض
وصولاً إلى طغاة الكواكب الأخرى الذين لديهم صخون طائرة ومعدات مخيفة.
البشر يستحقون الفرح والكرامة.
الكرامة قيمة عليا وقتها يصاحب موت البشرية .

*

فيلم العنف القبيح: حين يكون الذين يتعاركون في الفضاء ويدمرون العالم، هم أنفسهم الذين يتعانقون خلف الكواليس وهم يدونون احصائيات القتلى، وآثار الدمار الشامل.

فيلم مكرر والفرق بين بلد وآخر أن الصحايا في كل مرة مختلفون وأبريء حتى وإن قالوا في حضرة الموت هذا ما أردناه فداء للمعتقد والمقدس.

*

مسرح هزيل، عالم بذئي
الأول: تكلم، قل رأيك كي أعرف في خندق أنت.

الثاني: لا لغة مشتركة بيننا لذلك أراهن على الصمت إلى أن أفهم الفيلم
الأول: افتح فمك كي أقطع لسانك إذا اختلفنا.

الثاني: هل تعلم لماذا تعوي الكلاب حين يصير القمر بدراً

الأول: إذا أنت تفكّر بالقمر ولغة الكلاب، الآن ونحن في حرب. لا شك أنك تستحق القتل قبل أن يكمل القمر دورته الشهرية.

*

تواتر يخ وعدوان هذا القرن: كان يا ما كان...كان هنا عرب يطالبون أمريكا بوقف سوريا وبوقف العراق من أجل تحرير البلد من العدوان الداخلي والاستلاب الداخلي للشعب وللبلاد.
خرجت أكثر من مرة في مظاهرات ضد الحرب.

فيما كانت السيدة سين العربية ترفض أن تخرج إلى العلن، حيث قد تقييد صورتها في الكاميرا الخفية وفضلت أن تذهب للعب القمار للتوفيق عن النفس. فالمراحل مقيدة وكل يعني نفسياً ويحتاج إلى تنفس.

...

قيل: أوقفوا الحرب القادمة ، الآن.

لدي كتابات تؤرخ صورا من هذا الواقع منشورة في كتابي (المحبرة أنشى)
الذي تعلنته من حوار "بيرس مورغان وباسم يوسف" بعد 7 أكتوبر وحرب حماس وإسرائيل،
إننا نستطيع تقاسم الخبز والزيت والزعتر حتى وإن اختلفنا في الرأي وإلى الحد الأقصى.

...

هناك مظاهرات في كل مكان
حتى الصامت في رأسه ألف حكاية ومحاكمة.

*

لا تحتاج اليوم أن تصبح مكارثيا أكثر من جوزف مكارثي نفسه وتخوين الآخرين الذين لا يتفقون

معك. لقد اتهم بالخيانة والرشوة في آخر عمره ومات أسير العزلة والإدمان. أفعل ما تراه مناسباً وبشكل سلمي بالدرجة الأولى والأخيرة، إذا كنت تحسب نفسك في عداد المفكرين والمثقفين الذين يبحثون عن عالم أكثر رحمة وكرامة للجميع.

نشر في موقع الحوار المتمدن نوفمبر 2023



8

هل يحدث في الشرق الانتقال السلمي للسلطات

مرة سمعت أن بإمكان أي شخص أن يذهب للعمل يوم الانتخابات الرسمية في كندا كي يساعد في إدارة كل ما يلزم من إجراءات كي يتم الاقتراع كما هو معروف بسرية تامة. ذهبت وقدمت طلباً وتم التحقق من هويتي، وتم تدريبي في ورشة عمل قصيرة لمعرفة مادا يتربّ على كل شيء بالتفصيل خلال ساعات الاقتراع.

ذهبت إلى المركز المخصص لي للعمل مع عدد من الكنديين. ولأن اللغة الرسمية هي الانكليزية والفرنسية، فكان علينا أن نحيي كل مواطن قادم للاقتراع بكلمة (هلو & بونجور).
ولا يمكنني شرح تلك التجربة في سطور. كل شيء كان يحدث في رأسي وأنا ابتسم وأقوم بما يجب، كمواطنة كندية صالحة سوف تستلم حوالته لقاء ساعات العمل. نحن الذين في الغرب، أعتقد لا نستطيع إلا أن نجري مقاربات بين العالم هنا والذي هناك حتى لو كان ذلك بمنتهى الصمت.

*

تعافت الحكومات الكندية على استلام مقعد الحكم 23- مرة. بين الحاكم الليبرالي والمحافظ.
وشهدت بنفسى حقبة انتقال السلطة من حزب المحافظين بقيادة ستيفن هابر المحافظ إلى الحكم بين عامي (2006-2015) وحين سقطت حكومته، استلم السلطة، الحزب الليبرالي بقيادة "جستان ترودو" الذي ما يزال في منصبه - رئيس وزراء كندا

*

مقاربات بين الشرق والغرب وآلية انتقال السلطات في هذا العصر- القرن 21
كيف سقطت حكومة ستيفن هابر عام 2006؟
حدث السقوط أو التغيير دون إراقة دماء. دون مخططات إرهابية وأياد دخيلة. دون قمع المواطنين

المتظاهرين والخائفين من المشاركة في الاعتراف على ممارسات السلطة ضد الشعب. ودون الإفراط في إطلاق الدموع والرصاص استنكاراً أو اتهاجاً. دون اعتقالات دون تكسير بيوت المسيحيين وحرق الكنائس، وترهيب الأفراد من الطائفة الأخرى، أو اعتصاب نساء وبيعن، وسلح أفراد من الشعب في الشوارع.

دون اعتصامات ورفع أعلام وشعارات مع وضد... دون أي شعار يقول: الشعب يريد إسقاط النظام.

دون تدخل أمريكي وتآزر حلف الناتو والأمم المتحدة واستخدام حق الفيتو في النقض. ودون أن يتغير إيقاع الشارع الكندي على الإطلاق. تابعت السيدات المشي مع الكلاب لقضاء الحاجة، وتابعت الطريق إلى العمل مثل ملابسهن من الكنديين في أونتاريو، وكندا. دون أن يتغير لون الثلج، ودرجة الحرارة. دون اتهامات بالطائفية. دون صفحات جديدة على الفسبوك مدرومة بتمويل أجنبي أو عربي. تدعوا لنصرة أو للوقوف ضد هذا وذاك.

وفيما كنت منغمسة في عملِي اليومي، في نهاية النهار ذهبت لاشتري اللحوم والخضار والشمع العطرية.

*

قرأت الأخبار... لقد تمت إقالة الحكومة الكندية عبر التصويت البرلماني. لقد سقطت حكومة رئيس الوزراء الكندي ستيفن هاربر المحافظة بعد تمرين تصويت بحجب الثقة عنها في البرلمان وأجري الاقتراع بطلب من الحزب الليبرالي المعارض وبتأييد من قبل اثنين من أحزاب المعارضة الأخرى. وجاء الاقتراع بعد أن صدر حكم يوم الاثنين يقضي بأمر الإقالة. لماذا؟

السبب الأول: عدم شفافية الحكومة في الكشف عن ميزانية البلد. و لأن حكومة هاربر، صرفت مبالغ كبيرة على شراء طائرات حربية، على حساب قطاعات خدماتية تعنى بأمن البلد واحوال السجون.

وأذكر أن حكومة المحافظين تلك كانت تدير شؤون البلد، حتى عام 2015 الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة الأربع، بدأت بالترويج ل برنامجهما في إطار حملة انتخابية منافسة يتبادل خلالها المتنافسون، الاتهامات والسخرية وبيع الكلام إلى أن يأتي يوم الحسم عبر انتخابات نزيهة ولا يستبعد ان تعود الحكومة نفسها إلى استلام السلطة من جديد، إذا حصلت على ما يكفي من الأصوات.

أما في الجانب الشرقي أوسطي العربي، فالحاكم أزلي. فهو هذا خلق كي يحكم إلى الأبد. وكى

يكون سيد العرش إلى الأبد. ولن ينتهي حتى يعطي المبررات المناسبة لدخول القوات الأجنبية
بحجة دعم المواطن المسحوق وتحرير البلاد وتصدير الديمقراطية للشعب المنكوب.

*

السلطة واللاعنف

جميل أن هناك حكومات تسقط أو تتنحي بكل هيبتها دون أن يجعل الثلوج متسخاً بالدم، وتدمير الشوارع والأبنية وتسحق كل مختلف. دون أن تغض السجون بالمعقليين والمعتقلات. دون أن تهرب ثروات البلد إلى الخارج وإلى البنوك الدولية الأجنبية.

إذا عدت إلى الحالة السورية ومشاهداتي لبعض صور شعراً وكتاب سوريين حول العالم، رأيت صوراً لهم يحملون السلاح في زيارة طارئة عاجلة وغير مناسبة. لمناطق الاقتتال فقط لأخذ صورة في مناطق حدودية بين سوريا كندا. وفي تلك الصورة للشاعرة سين الشاعر عين... تأكيد للمسيرة العنفية في إحداث الانقلاب. وتبيّن خلال السنوات أن ذلك العنف أجهز للأسف على قطاعات كبيرة من الشعب السوري، ليس إلا.

هل النضل اللاعنفي، ممكن؟

فلسفيًا وأدبيًا ، ممكن وهناك من يناصره مثل المفكرة الألمانية جوديث بتر، وليس حصرًا. ويناصره الكثيرون ومن لا يقرأون ويكتبون، ولكنه يخالف فلسفة شركات تجارة السلاح في العالم، وهو لاء قوة خارقة تتتفوق على الفلسفة والشعر والكلمة.

نشر في الحوار المتمدن 28 مارس 2024





لماذا خانت آليس مونرو ميثاق الأمومة وابنتها القاصر... فضيحة ما بعد وفاة الأم

الشهرة الأدبية والخيانة وتناقض الكاتب مع رسالته

هل كانت صاحبة نوبل في الأدب الكاتبة الكندية آليس مونرو خائفة من أن تتشوه صورتها الشخصية أمام القراء وهي حية فخانت ابنتها؟ وهل كان محتملاً أن تخسر جمهورها العريض في كندا والعالم وتتخفض المبيعات والدعوات والجوائز فأثرت الصمت بخصوص قضية التعدي الجنسي على ابنتها الصغيرة من قبل زوجها الثاني؟ وهي التي حذفت تلك الواقعة من كتاب سيرتها البيوغرافية التي يعرفها كاتب سيرتها والناشر وأفراد الأسرة. وقرأت في مصادر كندية أن ثروتها وأملاكها من الجوائز ومبيعات الكتب والحوارات تقدر بـ 20 مليون دولار كندي. أسأل: من هو الأهم، سلامة البنات والأولاد أم الثروة والشهرة أم الخوف من العار الاجتماعي؟! وهذا يطرح أمامي تداعيات كثيرة عن الجانب الأخلاقي لرسالة الكاتبة أو أي كاتب في العالم، وإلى أي مدى يمكن الفصل بين رسالة الكاتب وسلوكه على أرض الواقع؟ إذ كيف يمكن أن تتحدث كاتبة عن العدالة والإنسانية وحقوق المرأة في امتلاك جسدها وفي الآن ذاته تُغضض عينيها وقلبهما عن معاناة ابنتها التي من لحمها ودمها وتفضل حماية المعدي (الزوج الثاني- وليس الأب البيولوجي) على جسد ابنتها الصغيرة البالغة 9 سنوات؟ فهل هي الأنانية، وهل هي الإزدواجية الفكرية والمصلحة الشخصية؟ بل تقووني للسؤال: هل كل الأمهات حاضرات للبنات بحب وبلا قيد وشرط؟! قراء من العالم العربي وقرأوا شيئاً لكاتبة كندا الوحيدة التي حازت على جائزة نوبل للأدب عام 2013، القاصة الشهيرة آليس مونرو ، والتي توفيت في مايو 2024. وكان الاحتفاء بذكرها وما ذرها الأيداعية يفوق الوصف في كندا كندياً إلى أن فجرت ابنتها قبلة أطاحت بتلك الصورة النقية لكاتبة تناولت حكايات النساء والفتيات والخيانات وتفاصيل المنطقة الجغرافية التي كانت تقيم

فيها في أونتاريو كندا لفترة من الزمن. ماذا حصل ولماذا؟

الفتاة أندرية سكينر مونرو تتعرض للتعدي الجنسي عدة مرات من قبل زوج أمها البنت الصغرى لليس مونرو أخبرت الصحافة الكندية بسرها ومعاناتها موقفها من والدتها ومقاطعتها لها بعد شهرين من وفاتها عبر رسالى إلى صحفة "تورonto ستار" الكندية وعبر تسجيل فيديو وثائقى سجلته أختها الأخرى. محتوى التسجيل يشرح الأثر النفسي والكاتب والعصاب الذي حل بالضحية الإبنة(أندرية سكينر/عمرها 49) الذى تركه عليها حادث التحرش الجنسي الذى تعرضت له الإبنة حين كان عمرها 9 سنوات عام 1976، وحين كانت قادمة لزيارة والدتها.

سيرة عائلية وقفزة من الفقر إلى ثروة تقدر ب 20 مليون دولار في حوار مع لليس مونرو جاء التالي: الزوج الأول تعرفت عليه في السنة الأولى في الجامعة حين كانت في المكتبة وكان الشاب هناك ومعه شوكولاتة، وقعت حبة من يده فالتقطها ولم يأكلها. كانت مونرو جالسة هناك فأخذت الشوكولاتة كما اعترفت للمذيعه(صوت وصورة) بأنها كانت جامعة ولم تكن تملك ما يكفي لسد الرمق في تلك الفترة. وتتطور الحديث بينها وبين زميل الدراسة، وبعدها حصل الزواج وأنجبت معه أربعة بنات توفيت واحدة منها بعد الولادة.

تزوجت لليس مونرو ثانية وعاشت مع زوجها الثاني وهو فنان كندي وشاعر وأكاديمي إلى أن توفي 2013. عاشت معها في نفس البيت ابنتها (شيئاً وجيئي)، بينما ذهبت الأخرى (أندرية سكينر) للعيش مع والدتها في فانكوفر، وكانت تزور أمها إلى أن حصل الاعتداء الجنسي من قبل الزوج الثاني للكاتبة حين كانت خارج البيت.

أخبرت الإبنة (أندرية سكينر) والدتها عن التحرش الجنسي حين كانت 25 سنة، ولم تفعل الأم شيئاً بل وأعلنت حياديتها وبقيت مساندة لزوجها. بل أحالت القصة إلى خيانة البنت لها واعتبرت ان تلك علاقة بين البنت وزوج الأم وهي لا علاقة لها بالأمر. كما جاء في مقال الإبنة- كانت الأسرة والأخوات على علم بهذا السر وتم التكتم عليه رغم أنه أدى إلى مقاطعة البنت لأمها حتى موتها. تقول أندرية سكينر، بأنها أرادت أخيراً أن تضع قصتها تحت الأضواء الآن كي ترتبط بسيرة والدتها الشهيرة وهي بذلك تحث البنات على عدم الصمت في مثل هذه الحالات. شرحت في الفيديو معاناتها النفسية بعد حصول التعدي.

لماذا لم تتكلم الإبنة عن مأساتها قبل رحيل لليس مونرو

كما ورد في الصحف الكندية كان هناك محاولات من قبل البنت لإيصال الخبر إلى الصحافة الكندية ولكن لا أحد اهتم بالأمر وأخذه على محمل الجد إلى أن رحلت مونرو وذلك لشهرتها الباهرة. وكل هذه التفاصيل كانت سببى محضر شكوى ونكران لولا التحقق من أن الإبنة تقدمت بشكوى للبوليس وتم التحقيق من الأمر في محاكم في أونتاريو واعترف زوج الأم بالذنب (في 11 مارس 2005 كما جاء في الصحف) وأدين قضائياً بالبقاء تحت المراقبة القانونية لمدة عامين، وكان عمره حينها 80 سنة، وتوفي بعد ذلك بـ 8 سنوات. الذي استغربه الصحافة في إنكلترا وكندا، كيف تم إخفاء الملف القضائي عن الأضواء.

الخلان واستياء القراء من الخبر وتأثيرات القصة الصاعقة
كان هناك صدمة ودهشة بالإضافة إلى الشعور بالاستياء العام من كون الكاتبة لم تأخذ موقفاً قوياً معنوياً يناصر ابنته رغم ثبات التهمة على زوجها قضائياً ومن خلال رسائل بخط يده كان قد أرسلها حين اشتكت الإبنة لوالديها وتم تقديم تلك الرسائل إلى البوليس، وجاء فيها أنه كان يهدد البنت بالقتل إذا فضحت أمره إلى البوليس. وجود ملف قضائي بهذا الموضوع في سجلات المحكمة الكندية ينفي الشك فيما إذا كانت البنت تدعى شيئاً لم يحصل بعد وفاة المؤلفة.

جامعة ويسترن الكندية في أونتاريو تتخلّى عن دعم منحة أدبية باسم مونرو
كانت مونرو طالبة عام 1949 وبعد فوزها بنobel للأدب خصصت إدارة الجامعة كرسياً ومنحة دورية باسم تكريمية لطلاب من الجامعة لتشجيعهم على تطوير مهارات الكتابة والتعليم الأكاديمي. وإثر الخبر طالبت بعض الجهات بازالة هذا الكرسي وتم ذلك فعلاً. ويدرك أن أليس مونرو ولدت وعاشت في مدينة (وينغهام-أونتاريو). وقامت بعض المكتبات العامة والخاصة بسحب البوستر والصورة الكبيرة للكاتبة من الواجهات.

الكاتبة التي تحدثت كثيراً في قصصها عن الخيانات وعن حياة البنات والنساء خانت في البداية والنهاية رسالتها كأم وكاتبة لها أثر في التاريخ الأدبي والحضارة العالمية. ولا شك أن مثل هذه القصص تحدث في كواليس بعض الأسر في الشرق والغرب، وهناك يتم تعنيف الضحية بدلاً من مناصرتها ومحاسبة الجاني. وتبقى رسالة الأديب في هذا العالم أن يكون عادلاً وإنسانياً في حياته كما في كتاباته، وإلا فقدنا العدل وعم الخراب الذي يأتي على يد الطغاة وسماسرة الكتب والسلاح والفلسفات التي تكرس العنف والاضطهاد الجنسي والقومي والديني.

كانت أليس مونرو قد طلبت من ابنتها (شيلا مونرو) كتابة سيرتها الذاتية لكن الإبنة لم تتحمس للأمر، ولاحقاً أصدرت كتاباً على شكل مذكرات ومحطات تتكلم فيه عن العيش مع أليس مونرو.

وصدر منذ عدة أعوام. وهذه سيرة تحتاج إلى إعادة كتابة على ضوء العنف المضاعف الذي وقع على الإبنة. ذهبت إلى طلب الكتاب للاستعارة من المكتبة العامة في تورنتو، كان هناك قائمة طويلة من القراء الكنديين الذين يريدون العودة والنبش في سيرة الكاتبة التي خللت ثقتهم وخسرت مكانتها العالمية في قلوبهم. يبدو أن كل فضيحة حول كاتب أو كاتبة تزيد من إقبال القراء على معرفة تفاصيل أكثر وقراءة الكتاب على ضوء المستجدات.

29 سبتمبر 2024





أيقونات الفكر والأدب العالمي

المذكر الإيطالي الروائي امبرتو إيكو في تورنـتو

كان لي متعة اللقاء بالكاتب الروائي العالمي الإيطالي عام 2005 في مهرجان أدبي في تورنـتو كندا "إميرتو إيكو" الذي رحل عن عمر 85 سنة. هنا مقتطف من مقالة كتبها عام 2005 ضمن سلسلة قراءات ومهرجانات عالمية في الشعر والرواية ومختلف الإصدارات الثقافية الحديثة، احتفت تورنـتو بحضور الكاتب الإيطالي المعروف إميرتو إيكو في قراءة وتوقيع لكتابه الأخير الصادر عام 2004 بعنوان: *اللهب الغامض للملكة لاونا*. المكان: هيريرفرونت سنتر، أحد المجمعات الكبيرة المفتوحة للثقافات العالمية على مدار العام. التاريخ: 22 حزيران 2005. كان حضور القراء والمهتمين أكبر بكثير من إمكانية الصالة على استيعاب العدد. بيعت البطاقات المخصصة للأمسية وقسم كبير من المنتظرين على شباك التذاكر، انصرفوا خائبين...تنوع القراء مابين جيل الشاب وحتى المستنين جداً. كانت مبيعات الكتب الجديدة والقديمة للكاتب إميرتو إيكو، فوق العادة. بعد الأمسية قام الروائي بتوقيع الكتب الذي أخذ وقتاً لأيأس به. كان يحمل السجائر بين شفتيه أثناء توقيع الكتب، فاللتختين من نوع في الصالات المغلقة في كندا والتقطت له أكثر من صورة ولم يكن الزحام يسمح بأن أطلب صورة لي معه. هنا إضاءات على أكثر من دولة وفكرة.

1

رواية "اللهب الغامض للملكة لاونا":

محور الرواية يرتكز على شخصية رجل ستيني "يامبو" صاحب مخزن الكتب القديمة "الإنتيك" والقارئ بغارقة. يامبو يفقد ذاكرته الشخصية والعائلية في حدث غامض، أما ذاكرته العامة "فتبقى حية. يتذكر الكتب التيقرأها والمقولات التي حفظها لكنه ينسى حتى اسمه. تقترح عليه زوجته ارساله إلى بيت الطفولة لعله يكتشف نفسه ويعود إلى شخصه عبر القراءة

من جديد. في بيت العائلة العتيق والمكتظ بالكتب والأوراق العائلية والتسجيلات الموسيقية والمجلدات والصحف اليومية التي حفظت سليمية، يقضي "يامبو" جل وقته ليعيد ما قرأ في فترات سابقة. كان قد طرد أثناء الحرب فيقرأ صفحات في التاريخ وفاشية موسوليني. يبحث طويلاً عن الحب، الذي عبر حياته، وهل حقاً أحب ومن؟ يقرأ قديمه ليستيقظ فيه حس التذكر. جزئياً ويساعده على ذلك، خادم مسن يتمتع ذاكرة قوية، وهو الوحيد الذي بقي في البيت. المتحف العائلي في مدينة "سولارا" خلال قراءاته وبحثه عن نفسه، يعثر صدفة على كتاب، يفك غلافه الخارجي ليقع على "اللهب الغامض للملكة لاونا" ويبدأ بالقراءة. هذه الكتاب. "رواية اللهب الغامض للملكة لاونا، يمكن قراءتها كرسالة حب إلى الأدب، تنقيب أثري عن حياة طفل إيطالي عايش فترة الأربعينيات من القرن العشرين، وفيها التأمل الماكر والحكيم في وعي الكائن البشري.." يختلط الخيال والعلم والفلسفة والموسيقى والصورة، في عالم ايكو الروائي الباحث الذي كتب في الفلسفة وعلم الجمال وأثر التكنولوجيا الحديثة علوم العصر وأدابه وفنونه. حق ايكو شهرة عالمية وترجمت كتبه إلى لغات عديدة وبخاصة روايته الشهيرتين "اسم الوردة" و"جزيرة اليوم السابق" ويعظى باحترام وتقدر كبير بين قراء العربية والعالم.

هاربرفرونت سنتر، 2005.

2

محطات أخرى وأداب الشعوب وثقافات عالمية من جزر الدومينيك إلى أيرلندا 150 كاتباً من كندا والعالم في مهرجان الكتاب 29 في جلسات الحوار خلال مهرجان تورonto للمؤلفين من العالم الكاتب الأمريكي من جزر الدومينيك "جونو دياز" الحائز على جائزة بوليتزر لعام 2008 تحدث بفكاهة للصحافة الكندية وقال: حين فزت بالجائزة لم تعلمني اللجنة بذلك، وصلني الخبر من أصدقاء لي، ربما. لو كنت فتاة جميلة لأختلف الأمر. كما أنه تطرق إلى شعوره بالتفرقة الموجهة إليه في أمريكا، فهو رغم حيازته على هذه الجائزة المرموقة عن روايته الجديدة الأولى "حياة أوسكار واو المشردة باختصار" فإنه لم يحظ باهتمام ودعوات للقراءة بالكتافة المعهودة، ويعزي ذلك إلى كونه يصنف ضمن خانة "الكتاب الملتوين" من غير البعض. تطرق دياز إلى أنه يحب البحث في "الفجوات" من التاريخ الذي لا يوجد له أرشيف، عن زوايا الحياة الشخصية المعتمة. يذهب إلى تلك المناطق الصعبة التي يجفل الناس من الحديث عنها. وكمثال على ذلك، يتطرق في روايته إلى الديكتاتور الرهيب رافائيل تروجيلو، الذي أعدم عدداً كبيراً من سود الدومينikan فقط لأنهم لم يستطعوا ان يلفظوا كلمة بقدونس،

الأدب الإيرلندي ضيف تورنتو في مهرجان الكتاب

استقبل المهرجان 15 كاتباً بولونيا، ورثة جيمس جويس، صاموئيل بيكيت، شيموس هاينه، ويستس، هؤلاء الذين رفدوا المكتبة العالمية بروائع في الشعر والرواية والمسرح. وكان لهم حلقات خاصة تحت عنوان "أنه ايرلندي" تحدثوا فيها عن تاريخ ايرلندا وحاضرها. ولاحظنا من بعض القراءات أن مسألة الشتات والبحث عن الهوية والمكان، ثيمة مطروحة ومعالجة في هذا الجانب من العالم أيضاً. لأن البحث عن الهوية والذات ثيمة العصر وأدابه. من الأسماء المهمة التي حضرت موسم القراءة في هابرفرونت سنتر لهذا العام، الكاتبة الإيرلنديّة "آن إينرايت" التي حازت على جائزة بوكر 2007، قرأت الكاتبة مقتطفات من عملها الروائي الأخير "التلاقي" كما شاركت في جلسة حوار مشتركة مع عدد من الكتاب حول مسألة المكان في حياة الكاتب. كان عنوان الحلقة "المكان هو حيث تجري الحبكة". حضر المهرجان 150 كاتباً من 15 دولة. الغالبية من كندا، أمريكا، ايرلندا، وإنكلترا. وبعض الأسماء من المهاجرين المقيمين في إنكلترا: محمد حنيف، ونديم اسلام. وكاتب واحد من كل من: فرنسا، إسبانيا، وجنوب إفريقيا. أغلب المدعويين شاركوا في قراءات من أعمالهم الجديدة، وكان لهم مشاركة في حلقة نقاش أو حوار هي مع الحضور والمضيف. ويلاحظ أن دوره المهرجان لهذا العام أعطت مساحة لكتاب الرواية البوليسية والغموض، مع حضور متواضع للشعر والشعراء.

هامش اليوم : هذه اللقاءات والحوارات اذهب إليها بمفردي وحسب جدول عملي. أتنزه في المنطقة المحيطة بالبحيرة حيث تحيط بالمركز الثقافي الكبير من المقاهي حيث يمكنني أن أشتري وجة وشراباً، ثم هناك البحيرة وسفنها التي تقل الناس لرحلة صغير عبر البحيرة ويعينا عن اليابسة. التقط الصور وأتأمل العالم وأعود مرهقة وممتلئة بالأفكار في نهاية اليوم محملة بتجربة ثرية وأفكار تحتفي على الكتابة، ونادرًا ما أجده أصدقاء عرب مهاجرين في تلك الصلات.

فكرة اليوم: الكتابة، حفر تعرية وتعزييل وترميم وليس نقاهة واستجماماً في حوض الكلام وذلك حين تستطيع شخصيات الكتاب ان تثير امتعاض الرقيب الاجتماعي والديني وما بينهما. الفن القصصي، بناء لا يسكنه الا المؤمنون بالحرية. حرية الخلق الابداعي وحرية القراءة .



2

لويس بورخيس ناقداً وباحثاً في جذور القصة الانكليزية

من هو بورخيس؟

عاش بين 24 أغسطس 1899 - 14 يونيو 1986. ولد بورخيس في بوينس آيرس (وكان والده خوري غويارمو بورخيس محاميا وأستاذًا لعلم النفس، وكان مصدرا للإلهام الأدبي حيث قال عنه بورخيس: «حاول أن يصبح كاتبا ولكن حاولته فشلت»)، وقال أيضاً: «كتب مقاطعا شعرية جيدة جداً». أما والدته ليونور أسيفيديو سواريز فقد تعلمت الإنجليزية من زوجها وعملت مترجمةً. عائلة والده كانت ذات أصول إسبانية وبرتغالية وعائلته والدته كانت إسبانية وربما لها أصول برتغالية. كان عائلته في المنزل تتحدث الإسبانية والإنجليزية ولذا فقد نشأ بورخيس قادرا على أن يتحدث لغتين. كانت نشأته في ضاحية بالرمو في بيت كبير به مكتبة ضخمة.

كان والده قد أجبر على التقاعد في سن مبكرة نتيجة لتدحره بصره، وهي نفس الحالة التي أصابت ابنه فيما بعد، لتنقل العائلة إلى جنيف لتلقي العلاج من قبل اختصاصي عيون هناك بينما كان خوري وأخته نورا (ولدت في 1902 م) يدرسان في المدرسة. وفي جنيف تعلم خوري اللغة الفرنسية كما تعلم بنفسه اللغة الألمانية وتخرج من كلية جنيف في عام 1918 م. (مقطف عن ويكيبيديا كخلفية ثقافية لم بدايات المؤلف موضوع البحث)

2

كتاب عن محاضرات بورخيس بعد وفاته

هذه جولة في كتاب مثير للاهتمام صدر بعد وفاة الموسوعي الارجنتيني لويس خوري بورخيس مترجمًا إلى اللغة الانكليزية نacula عن الإسبانية بعنوان "البرفسور بورخيس، منهاج دراسة الأدب الانكليزي" ويضم عدداً من البحوث المتعلقة في جذور الأدب الانكليزي. هذه المحاضرات ألقاها

الكاتب الارجنتيني جورجي لويس بورخيس امام طلابه في حقل الدراسات الانكليزية شفاهيا في جامعة بونيس آيرس وذلك عام 1966 وتم جمعها وعادت الى الصدارة لما لهذا الكاتب من أهمية أكاديمية وابداعية على المستوى.

مقططفات مما جاء في تقديم الكتاب: ترجمت هذه المحاضرات إلى الإنجليزية لأول مرة، وهي مصحوبة بملحوظات موسعة وغنية بالمعلومات كتبها الباحثان في أدب بورخيس وهما مارتن أرياس ومارتين هاديس. كتب إدغاردو كريبيس لمجلة هاربر في وصف البروفيسور بورخيس: "هذه مجموعة من خمسة وعشرين محاضرة ألقاها بورخيس في عام 1966 في جامعة بونيس آيرس، حيث كان يدرس الأدب الإنجليزي. يشكل الكتاب الكتاب مشهدًا من الأسلاف"، والاستعارات عبر الثقافات، وأنواع التعبير التي ربطها بورخيس جميعًا في شبكة تفسيرية واسعة. وهذا هو أكثر أعمال بورخيس إثارة للدهشة والإفادة التي ظهرت بعد وفاته."

العودة إلى محاضرات بورخيس المسجلة بالاسبانية وترجمتها إلى لغات عالمية منها الانكليزية ليس إلا شهادة تقدير لهذا العقري الذي أغدق المكتبة العالمية بكنوز الابداع في القصة والشعر والمحاضرات والدراسات الأدبية. هذه المحاضرات تعتبر وثيقة مهمة في دراسة الأدب الانكليزي وجوهره منذ القرن 17 وصولاً إلى القرن العشرين. تناول بورخيس في هذا الكتاب سيرة حياة "روبرت لويس سيتفسون" الذي اشتهر في كتاب لليافعين "جزيرة الكنز" بالإضافة إلى دراسة شعر وليم بلوك، صاموئيل جونسون، وجذور الأدب الجermanي، وشعراء الرومانسيّة وفترة من الأعلام.

جورجي لويس بورخيس، البروفيسور الموسوعي (الكيفي) قال في إحدى حواراته كما جاء في مقدمة الكتاب: "أعرف، أو بلغني، بما أنتي لا أستطيع أن أرى هناك طلاب يأتون إلى صفي أكثر وأكثر، والكثير منهم ليس مسجلًا في المنهاج. لهذا نستطيع أن نتخيل أنهم كانوا يأتون لأنهم يريدون أن يستمعوا إلى. أليس كذلك؟"

توقف بشكل خاص أمام القصة في هذا الكتاب، العضوية في نادي الانتحار وحكايات أخرى الانتحار والقتل يأخذ محور القصص الثلاث في المجموعة والتي استقاها الكاتب -كما يشير بورخيس- من أجواء "الف ليلة وليلة" والتي تعرف غالباً في الانكليزية بـ "الليلي العربية" بعد أن قرأ النسخة المترجمة إلى الانكليزية. يشير بورخيس أن الكاتب الانكليزي هام في ليالي لندن مستذكراً الخليفة هارون الرشيد الذي كان وأعوانه يهيم في ليل بغداد ليسمع الحكايا ويزجي عن نفسه الضجر، فكتب قصصاً خيالية مشوقة ومثيرة وغريبة الأطوار، بعد أن قدم إليها من ادبناه /انكلترا.

حكاية الحكاية والقاص الانكليزي ستيفنسون

في قصص الانكليزي ستيفنسون نتوقف عند قصة شهيرة "نادي الانتحار" حيث ابتكر الكاتب شخصية "فلوريزل -أمير بوهيميا" ومساعده "الكولونيل جيرالدين" الذين تخلوا عن حياتهم وانصرفا للتيه في شوارع لندن. أبدع الكاتب شخصية فانتازية وساخرة لرجل يدعى "مالثوس" كان يريد أن ينتحر ولم يستطع فوجد نادي الانتحار. رئيس النادي رجل أراد الاستفادة من أعضاء نادي الراغبين في الانتحار كي يرتزق منهم. وضع للنادي شروطا منها دفع رسوم عضوية مادية عالية نوعا ما، كما فرض على الأعضاء السرية التامة حيال الموضوع. أما الأعضاء فهم من شتى الاعمار والمقامات. أشخاص وجدوا أن حياتهم لا معنى ولا قيمة لها فاردوا أن يتخلصوا من وجودهم وماسيهم وكان النادي وسيلة لتحقيق غایتهم.

شخصية مالثوس، هو رجل كان يعاني من الشلل ولم يبق لديه في الحياة ما يخسره، وأدرك أن أصعب التحديات التي تواجه الإنسان هي الخوف. وكان يعتقد بأنه قد تغلب على فكرة الخوف وأصبح همجياً فظاً.

الأحداث والحبكة

الأحداث في "نادي الانتحار" تدور في محيط مدينة لندن. يحتمع الأعضاء أسبوعيا، يشربون الشمبانيا، يتبادلون النكات في أجواء تشبه أجواء كتابات القاص "ادغار الان بو" وتنتمي اللعبة على الشكل التالي: يتحقق الأعضاء حول طاولة اللعب. الرئيس يقوم بالتأكد أن لا جواسيس في الجلسة، ثم يبدأ بتوزيع أوراق اللعب 52-ورقة. يوجد بينها 2 اس أسود. يتحقق كل فرد الورقة التي تصله. إذا حصل العضو على الأس الأسود الأول، سيترتب عليه قتل العضو الآخر الذي يملك "الأس" الثاني.

ويجب أن يقتله بشرط أن يبدو كما لو أن موته مجرد انتحار لا يد لأحد فيه. في الجلسة الأولى تضع الأقدار السيد "مالثوس" في خانة الشخص الذي سوف يقتل. ورغم كونه صاحب الفكرة إلا أنه في لحظة سماعه الحكم وقف مذهولا على رجله لدقائق وهو مشلول أساسا، ثم انهض في كرسيه بأثر الصدمة. وفي اليوم التالي وصل إلى الإهالي خبر انتحار "مالثوس" الموقر وسقوطه عن أحد الجسور في لندن. تأخذ القصة مجرى مشوقا ويبدا التحري ويقرر "الامير فلوريزل" أن يقتل رئيس النادي ويمنع انضمام أحد إليه بعد.

القتل ثيمة الحكايات

ثيمة القتل ترد في القصص الأخرى لمجموعة "الليالي العربية الجديدة" وهناك القتل من أجل الحياة على "جوهرة راجا" التي يُبذل الدم غزيرا من أجل الحصول عليها. وحين تكون في حياة الأمير الذي يقول للمحقق وهو جالس على ضفة نهر التايمز " حين أفر بالدم الذي أريق، والجرائم التي ارتكبت من أجل هذه الحجرة، أعتقد يجب أن نلعنها حتى الموت" ثم يضع يده في جيبيه

وبسرعة يرمي الجوهرة في "التأييز وتضيع إلى الأبد".

العودة إلى محاضرات بورخيس المسجلة بالأسبانية وترجمتها إلى الانكليزية ليس إلا شهادة تقدير لهذا العبقري الذي أغدق المكتبة العالمية بكنوز الإبداع في القصة والشعر والمحاضرات والدراسات الأدبية. هذه المحاضرات تعتبر وثيقة مهمة في دراسة الأدب الانكليزي وجذوره منذ القرن 17وصولاً إلى القرن العشرين.تناول بورجس في هذا الكتاب سيرة حياة "روبرت لويس سيتفنسون" بالإضافة إلى دراسة شعر وليم بليك، صاموئيل جونسون، وجذور الأدب germanي، وشعراء الرومانسية.

ويناقش أهمية الإلهام والحلم في كتابة أقدم القصائد الانكليزية والقصص. إذا هناك انبثاقات من عوالم غير مرئية يلتقطها الشاعر أو الأديب ليؤسس عليها وفق مخلصة وعيه الثقافي ومقدار معرفته وقدرته على خلط الواقعية بالخيالية.

وإذا أردنا أن نتوسع في أفكار بورخيس حول الشعر، الصنعة والإلهام والتحليلي النقدي، يمكننا العودة إلى كتاب ترجمه صالح علماني بعنوان "صنعة الشعر" صدر عن دار المدى عام 2007

ويحوي محاضرات للبروفيسور بورخيس حول الشعر وعوالمه.

الآداب عبر العصور تتلاقي، تؤثر وتتأثر بآداب الشعوب البعيدة والقريبة، بعضها يحيى وبعضها يأكله النسيان. بعض الشعوب تتعلق بكاتب أولى اهتماما لأن هذا يداعب ذلك الشعور بالتفوق والتأثير. ولأسباب عديدة يجد القارئ العربي ما يهمه في أدبيات بورخيس الثرية.

المراجع الانكليزي:

Professor Borges: A Course on English Literature

Jorge Luis Borges (Author), Martin Arias (Editor), Katherine Silver

((Translator

نشر في الحوار المتعدد 30 يناير 2024

هامش اليوم: حين كنت حديثة العهد في كندا كنت أقرأ الكتب باللغة العربية فقط. استعرت كتاباً عن بورخيس، فقمت بنسخه في المكتبة وتغليفه كي أحافظ عليه. وكان ذلك عام 1999. وما زلت أحافظ به مع كتب أخرى تم نسخها وتغليفها.

٣

وول سوينكا في كندا يتحدث عن الرقابة والإبداع مع ازار نخيسي وآخرين

«حرر الكتاب المساجين. روج للأدب. دافع عن حرية التعبير. إمنع الرقابة.»

ماذا وأين ولماذا يتحدثون عن الرقابة؟

تحت عنوان «بلا رقابة»، أقيم المهرجان العالمي الكبير في تورنتو يوم 20 أكتوبر (تشرين الأول 2006) برعاية منظمة «قلم كندا» من أجل حرية التعبير، وسط حضور ولهفة جمهور عريض، تجاوز عدده الآلاف.قرأ كتاب من العالم ومن كندا، مقتطفات من أعمالهم الإبداعية، في حضرة كرسى فارغ نصب على المسرح ووضعت عليه صورة كبيرة للصحفية الروسية «آنا بوليوكوفسكايا»، التي دفعت حياتها ثمناً لجرأتها ومناصرتها للحقيقة، هي التي «لم تكذب في عملها» رغم تعرضها للتهديد بالقتل.

جرى في هذا الحفل الكندي، الذي يريد العالم حراً «بلا رقابة»، تكرييم أيضاً لجراة أورهان باموك، الروائي التركي، الذي حاز أخيراً جائزة نobel، ومساعيه الشجاعة والمسؤولية في خلع الحجاب عن حقائق تاريخية، ارتكبت في حق أقليات إثنية في تركيا العثمانية. للكلمة المكتوبة والمسموعة صداتها وقوتها وأثرها الكبير في زعزعة أمن واستقرار الدكتاتوريات منذ الأزل في شرق العالم وغربيه، تلك الكلمة التي دفع ثمنها الكاتب النيجيري، وول سوينكا الحائز جائزة نobel للآداب عام 1989، سنوات في السجن وفي المنفى. الشاعر وول سوينكا اعتقل عام 1967 بسبب موافقه من حكومة بلاده. هذا الكاتب المسرحي والروائي، الشاعر والناقد،

حضر أيضاً المهرجان، واستقبل بتصفيق حار من جمهور تورنتو، حيث قرأ مقطوعات من كتاب لم يصدر بعد. ومن الجدير ذكره أن وول سوينكا Wole Soyinka شغل منصب بروفيسور في تدريس الأدب في جامعات إنجلترا وأميركا ونيجيريا، وخلف للمكتبة العالمية كنزاً خالداً تواجهت بعض طبعاته على منصة بيع الكتب خلال هذه الأمسية الاستثنائية.

افتتحت الأمسيمة الكاتبة كونستانز بروك Constance Brook، رئيسة «قلم كندا»، ومحررة ثلاثة كتب مهمة، ذهب كامل ريعها لصالح «قلم كندا»، لدعم مسيرة المؤسسة في عملها، من أجل حرية التعبير في العالم، واطلاق سراح السجناء من الكتاب. قدم جون رالستون سول John Ralston Soul العضو الفخري في منظمة القلم، كلمة أشاد فيها بدور الكلمة الحرة، وانتقد الرقابة التي سلط سكاينها على رقب الكتاب في العالم وفي كندا، وفي هذه المناسبة قدم جائزة الصحافة التشجيعية للصحفية كيم بولان Kim Bolan المقيمة في فانکوفر كندا، لقاء تحرياتها في قضية شديدة التعقيد والسرية والغموض، التي تخص تفجير طائرة على الخطوط الهندية التي وقعت منذ حوالي عشرين عاماً، وقتل خالها جميع من كانوا على متنها. أما الجائزة التشجيعية الثانية فقدّمها سول، إلى كاتب صيني، تم تحريره من السجن في الصين، وما يزال من نوعاً من السفر والالتحاق بأسرته المقيمة في كندا.

تحدث الصحافية كيم بولان، عن مسيرتها وعن التهديدات التي تلقتها في داخل كندا، بلد الحريات والديمقراطية، وذكرت مشقة إكمال ملف البحث الذي اشتغلت عليه بسبب رفض بعض الأطراف البوح بالأسرار، خوفاً من القتل. وذكرت أن اثنين من الشهود قتلا في كندا، وذلك لطمسمحقيقة هذه الكارثة، ومن وقف خلفها. أكدت بولان أنها ستواكب على مهمتها بشجاعة، ولن تتردد في الخوض في القضايا والمسائل التي تتجاهلها الصحافة العامة وتقبع في الكواليس.

شارك في الأمسيمة عدد من المبدعين الكنديين الحائزين جوائز أدبية مرموقة، و منهم الكاتبة Miriam Toews التي قرأت من عمل غير منشور بعد، وقرأ الكاتب الكندي الصيني Wayson Choy فصولاً من كتاب السيرة الذاتية، قيد الطباعة. شارك أيضاً في القراءة كندي من أصول هندية، قدم للجمهور مقتطفات من كتاب « يحدث في الهند». M.G Vassnji

ووسط تصفيق حار وقفت الكاتبة الإيرانية الأصل، المقيمة في أميركا آزار نيفيسي Azar Nafisi

Nefisi، التي نشرت كتابها في السيرة الذاتية «يقرأون لوليتا في طهران» عام 2003، وترجم إلى 32 لغة من لغات العالم، وبيعت منه ملايين النسخ ووصل إلى 26 طبعة باللغة الإنجليزية فقط. حيث الكاتبة جمهورها وبدأ عليها الارتياب، وهي تتفصّح عن «كرهها لقراءة ما تكتبه رغم عشقها ل القراءة وسماع الآخرين من الكتاب». قرأت نفيسى من كتاب أتوبوغرافي آخر في طور الإعداد بعنوان «أشياء صمت عنها»، وتعود فيها إلى طفولتها حين كانت في الخامسة من العمر، وإلى سيرة والدتها التي توفيت حين كانت تعد كتابها الأول، ولم تستطع أن تراها، وتطرح كذلك ومضات من سيرة جدتها ووالدها. تعمد نفيسى، كما قالت، في كتابها هذا إلى «الكذب التخييلي» لتخلط ما بين الحقيقة والحقيقة.

عريفة الأممية آن ماري ماكدونالد الممثلة والكاتبة الكندية، قدمت كلمة شكر في ختام المهرجان وشكرت الكتاب على حضورهم وذكرت الجميع بمضمون رسالته وهدف «قلم كندا» ووجهت تحيتها الثانية إلى روح الصحافية الروسية، التي قتلت ودعت الجميع إلى توجيهه رسالة مكتوبة إلى الرئيس الروسي بوتين للبحث في القضية ومعاقبة الفاعل.

الجزء الثاني من الأممية، كان في إحدى الصالات الأنيقة في مبنى جامعة تورنتو، حيث أقيم حفل خاص حضره كبار الكتاب والشخصيات العاملة في حقل الصحافة والأدب، مما أتاح للصحافيين الحضور والدردشة مع الكتاب ضيوف الأممية. وكان من بين الحضور الكاتبة أدريان كلاركسون، التي شغلت منصب حاكم كندا لعدة سنوات، والمرشحة للفوز بجائزة «غيلار» للأدب الكندي.

خلال السهرة جرى مزاد على أشرف عليه المحامي Clyton Ruby صاحب أرفع مقام في الدفاع عن حقوق الإنسان في كندا. اقتصر المزاد على بعض القطع الفنية والصور الفوتوغرافية لبعض الواقع الكندية الحديثة والتاريخية وبطاقة إقامة في إحدى البيوت الأثرية العريقة الباذخة.

وعلى يافطة حمراء منصوبة في صالة القراءة الأدبية كتب ما يلي: «حرر الكتاب المساجين. روج للأدب. دافع عن حرية الكلام. إمنع الرقابة». وفي الجهة المقابلة علقت صورة أورهان باموك، العضو الفخري في «قلم كندا».

الشرق الأوسط 1 نوفمبر 2006

*

فكرة اليوم:

يسألني صحفي عربي، لماذا لم تجر حوارا مع وول سوينكا أو آزار نفسي، هذه فرص لا تتكرر؟
الجواب: من سيدفع لي ثمن وقتي ومن سيدفع لكاتب الضيف، ومن سيقوم بالتصوير والتحرير
والتنقيح. أنا أفعل ما أستطيع بمفردي وعلى هواي وحسب ظروفه ووقتي.

للأسف لم يكن لدي هواتف ذكية في ذلك الوقت كي نتصور مع كاتب حاز على نوبيل وآخر وول
سوينكا أو آخر من أهم مفكري العالم (جون رالستون سول) وأخرى شغلت العالم بحكيتها عن لوليتا
وقرائتها في طهران /آزار نفسي: ولن يكن لدى سوى كاميلا صغيرة تساعدني على توثيق الحدث
دون أن تكون عالية الدقة ثم احترق كل شيء في الكمبيوتر القديم ونجوت أنا.

أعود إلى هذا المقال وأنذكر ما حدث بعد نشره وكان حدثا استثنائيا. ماذا حصل؟
قامت الصحيفة بترجمته إلى الإنكليزية مع إضافات وأسماء لم أشر إليها. فحين قرأت المقال مترجمـا
صـدمـتـ منـ التـغـيـرـاتـ التـيـ ظـهـرـتـ فـيـ النـسـخـةـ الـإنـكـلـيـزـيةـ.

كتبت لهم عن المفارقات والشطط الذي قام به المترجم، وأشارت إليهم، كيف سأرسل هذا الرابط إلى
منظمة القلم الدولية وفيه هذه المبالغات على لساني.

وفعلا، لم تتردد الصحيفة في الاعتذار وتم حجب المقال المترجم إلى الإنكليزية.
حين اشتغلت أنا نفسي بالترجمة، أقسمت وأقسم كل يوم أن أترجم بصدق وحيادية، دون تحريف
ودون حذف ولا إضافة مهما كانت طبيعة الحالة التي أمامي: إيمان، الحاد، تغيير دين، تغيير جنس،
معارضة...عنف، بذاعة وشتائم. أتعهد بالأمانة وأفي بوعدي، وهذا واجبي المهني الأخلاقي.





رواية يتيمة تخوز جائزه مرموقة في أمريكا... نلي هاربر لي

أن تقتل الطائر المقلد، تم تصنيفها بأنها إحدى أهم روايات القرن العشرين. والمسرحية مأخوذة عن هذه الرواية العالمية التي كتبها الكاتبة الأمريكية "نيللي هابر لي" من مواليد 1926 وهي روایتها الوحيدة والتي حصدت جوائز عالمية كبيرة ومنها جائزة "بوليتز" عام 1961. نشرت الرواية عام 1960 بعد أن توقفت الكاتبة عن وظيفتها التي كانت تعمل بها، وحصلت من أحد أصدقائها على دعم مادي يساعدها على العيش لحين إنجاز كتابها. لم تكن تتوقع "هاربر لي" أن تتبع من كتابها النسخ الكثيرة، لكن المفاجأة فاقت توقعات الكاتبة والناثر وبعد منها ملايين النسخ وترجمت إلى أكثر من 40 لغة حية، كما تم إخراجها في فيلم سينمائي حاز على جوائز أوسكار، ومن ثم تم إخراجها مسرحياً، بالإضافة إلى أنها دخلت المنهج التعليمي في المدارس والأكاديميات وذلك إلى جانب "روميو وجولييت، عطيل ... " وغيرها من كنوز الأدب العالمي. ومن الجدير ذكره هنا أن بعض شخصياتها الرئيسية فتية صغار، والشخصية الأساسية فتاة في السادسة من عمرها، صوتها ينطاطع مع السيرة الحقيقية للكاتبة. كما تشير الكاتبة في إحدى حواراتها هذه الفتاة الصغيرة أبدعت في تمثيل دورها على المسرح وحازت على إعجاب الحضور وتصفيقهم الحار، وأبدت براءة في التمثيل ورسم ابتسامة على وجه الحضور، رغم تراجيديّة الحدث الأساسي في المسرحية والذي يرتكز على محاكمة غير عادلة لشاب أسود، متهم باغتصاب فتاة بيضاء قاصرة. ومن الجدير ذكره أن والد الكاتبة كان يستغل محامياً في الواقع وكانت هذه الحادثة أو محور الرواية مأخوذه عن حدث حقيقي تابعه الكاتبة من خلال مهنة والدها وصحف المدينة التي كانت تعيش فيها، وصورة المحامي في المسرحية فيها بعض من صورة الأب. يرد هذا في إطار دراسات كتبت عن خلفية الرواية وشخصياتها.

يرد على لسان الأب المحامي وهو يحاول إقناع الأطفال في الحارة بعدم إيذاء المخلوقات البرئية فيقول "إذا أردت أن تقتل طائر أبو رزيق، فليكن، لكنها خطيئة أن تقتل الطائر المقلد" وذلك في ترميز إلى براءة الشاب الأسود الذي حوكم ظلماً عن جريمة لم يرتكبها.

ثيمات الرواية:

إنها ليست رواية أو مسرحية عن الحقوق المدنية بشكل خاص لكنها أقرب إلى حقوق الإنسان وتعكس صفحات من الصراع الطبقي والعرقي والجنسى التي شهدتها المجتمع الأمريكية في مراحل استتكاره للعرق الأسود واضطهاده لآخرين بسبب لونهم وانتهاهم الطبقي المختلف. قد يكون ذلك مطروحاً اليوم على صعيد واسع لكن الرواية في زمان كتابتها وأسلوبها ربما كانت السبب في حيازة كل هذا النجاح الذي لا يحصل إلا نادراً في الساحة الأدبية شرقاً أو غرباً. تتجلى مسألة التفرقة العنصرية والتمييز العرقي هنا في قضية الشاب الأسود الذي اتهم زوراً ودفع حياته ثمناً لجريمة لم يرتكبها، وهي اغتصاب الفتاة البيضاء القاصر. ونرى كيف قام والد الرواية المحامي الأبيض "اتيكوس" بالدفاع عن الشاب الأسود "توم روبنسون" فلتحق الغبن من قبل أبناء جلدته الذين رأوا أنه "لا يختلف عن الزنوج، الزبالة". كما تطالع الحالات التفرقة على صعيد آخر وهو النبذ الذي يتعرض إليه أبناء العرق المختلط/الخلاسي، فجد أنه غير مرحب بهم من قبل المجتمع الأبيض وكذلك من قبل المجتمع الأسود، رغم أن المنطقة التي تقع فيها أحداث القصة كانت خليطاً من أعراق بيضاء وسوداء، وهي جنوب أمريكا في ثلاثينيات القرن العشرين. تظهر بعض الإشارات "الجذرية" والتقطيع الجنسي فيما يخص المرأة وطريقة لباسها وحضورها الحفلات العامة والتزامها بدور اجتماعي جاهز وتقاليدي ساربة كي تحافظ على حضورها الاجتماعي وتحظى بقبول عريض من طبقتها. وهذا ما كانت تحاوله حالة الطفلة الصغيرة "سكوت" تلقينها إيه من ذطفولتها لكنها لم تكن مهيأة لهذا الدور. كما أنها لم تستسلم للتنبيهات التي كانت توجه إليها من قبل خالتها والأخرين بعدم الاختلاط ومصادقة الأطفال الفقراء الذين لا ينتمون إلى طبقتها. وتبقى شخصية الأب المحامي هي الميزان الذي يعدل كفة التفرقة من نواحي كثيرة، فنراه يعامل الأطفال جميعاً بطيبة ورقة ومساواة، كما يظهر تفهمه لأسئلته ابنته الصغيرة التي لا تكف عن المشاكسة والأسئلة والفضول كمثل سؤالها البريء له "ماذا تعني كلمة اغتصاب" هذه الكلمة التي سمعتها في الحارة وبين طلاب المدرسة الصغار. ونذكر أن والدة الطفلة، زوجة المحامي كانت متوفاة، وكانت المربيّة التي تعنى بها امرأة سوداء طيبة وحنونة. والثيمة المحورية الأخرى في هذا العمل هي التأكيد على المسامحة وقبول الآخر، وربما تجلّى ذلك في أغانيات البليوز والترانيم التي تخللت فقرات المسرحية من خلال وقوفات كان يؤديها

קורס من السود بروحانية خالصة ومحمل ديني يدعو إلى الحب والتعايش والانسجام. بقى أن نقول أن الأداء المسرحي كان مشغولاً بدقة ومهارة من حيث إعداد الديكور البسيط الذي يعكس الواقع الاجتماعي، ومن خلال الملابس الخاصة بتلك الحقبة الزمنية، وموسيقاها، وبالمحافظة أيضا على "لهجة الجنوبية" القادمة من المكان الذي جرت فيه أحداث هذه الرواية التي وقفت مع كتابات الخالدين في العالم. واللافت للنظر أن الكاتبة "هاربر لي" حاولت إنجاز كتاب آخر بعد روايتها "أن تقتل الطائر المقدّ" لكنها لم تظهر للوجود، وبقيت تلك الرواية هي الأخيرة لها. كتابها الأول والأخير والذي حصد جوائز ومايزال، هل كان تمريناً على الكتابة أم إشراقة مكتملة وكل ما يأتي بعدها نقصان ودوران في فك تلك الدفقة الإشتثنائية؟ سؤال يخطر في البال ونح نسمع بعض شعرائنا وكتابنا يتذكرون لعملهم الأول من الناحية الإبداعية، وقد يحبون فيه ما حقق لهم زهو تحصيل لقب شاعر أو روائي فور انتقال المخطوط من الأدراج الشخصية إلى الحيز العام. يبقى سؤال الكتابة والنشر والنجاح والخيبة، يبقى سراً محيراً قد تعجز الكاتبة وهي في عدتها الثامن عن معرفته وبعد مرور أكثر من نصف قرن على كتابة روايتها العالمية. وهذا يضمنا أمام مسألة يعاني منها الكاتب وتسمى Writer's Block قد تستمر طويلاً أو لفترة وجية، ويكون مردتها الخوف من الكتابة أو إشكالات نفسية وشخصية يمر بها ذهن الكاتب/ة، في مسيرته الإبداعية، وهذه حالة حساسة ولم يعطها الباحث العربي أي اهتمام بعد.

بحثت عن اسم هذا الطائر، لأجد أنه طائر يعيش في شمال أمريكا وهو طائر مسالم جميل لا يقوم بشيء غير الغناء وتقليد أصوات الطيور الأخرى التي يسمعها لذلك سمي "مكينغ بيرد". وأقتطف ماورد على لسان الأب المحامي وهو يحاول إنقاص الأطفال في الحرارة بعد إبداع المخلوقات البرئية "إذا أردت أن تقتل طائر أبو زريق، فليكن، لكنها خطينة أن تقتل الطائر الساخر". عرضت الرواية المسخرية مؤخرا في مدينة "ستاتفور" الكندية ولم يكن في الصالة مقعد شاغر وهذا دليل على اهتمام المواطن الكندي بالفنون كالمسرح والأوبراء، ومؤخرا صارت هذه الزيارات مكلفة ولا يستطيع كل مواطن أن يخصص من دخله للرافاهية، وهو يكاد يعجز عن دفع الإيجار وتتكاليف المعيشة.

Title: To Kill a Mockingbird
Author: Nelle Harper Lee, 1960

ديسمبر 2007 صحيفة السفير

الرواية على المسرح في مهرجان ستاتفورد الكندي

كنت أطالع كتاباً بعنوان "الكتاب الذي غير حياتي" عبرت بأسماء كتب كثيرة أثرت في حياة كتاب كبار في أمريكا وكندا. قرأت عن كتب وأسماء لم أسمع بها من قبل وكان من بينها رواية بعنوان "أن تقتل الطائر المقدّ". بحثت عن خصوصية هذا الطائر، لأجد أنه طائر يعيش في شمال أمريكا وهو مسلم جميل لا يقوم بشيء غير الغلاء وتقليل أصوات الطيور الأخرى التي يسمعها ويعدها. ثم وصلتني بطاقة دعوة للسفر من قبل منظمة قلم كندا لحرية التعبير، مع عدد من الأصدقاء الكتاب إلى مدينة ستاتفورد الكندية حيث يقام المهرجان السنوي في دورته السبعين لحضور مسرحية "أن تقتل الطائر المقدّ". ذهبتنا في سيارة كبيرة وتجلوتنا في المنطقة المشهورة بجمالها الطبيعي وأنفاقها ومكانتها في دعم الفنون والمسارح والمعارض من خلال مهرجان ستاتفورد. وقرأت أن الكاتبة مارغريت أتوود وزوجها كانوا من رواد ذلك المهرجان بشكل سنوي قبل رحيله مؤخراً. ويعد مهرجان ستاتفورد السنوي أحد أهم وأضخم المسارح العريقة في شمال أمريكا وكانت دورته الأولى في عام 1952، وتمتد عروض المهرجان من شهر أبريل إلى نوفمبر كل عام. يستقطب المهرجان حضوراً كبيراً كل فصل يصل إلى 600 ألف زائر كما تشير الإحصائيات. ويُتسع مسرح ستاتفورد لحوالي 1826 مقعداً مابين الصالة الرئيسية والشرفات. تهتم إدارة المهرجان التي استضافت عدداً كبيراً من أهم فاني وكتاب العالم، بكتاب ومسرحية كندا ومبعيها. هذا إلى جوار عروض المسرح العالمي كمسرحيات: شكسبير، موليير، بيكيت، تشيكوف، إبسن، المسرح الإغريقي العريق. كما تحتفي المدينة بزوارها باستقبالهم في حضن حدائقها الجميلة، شوارعها، مطاعمها، ومراكمها الثقافية المتنوعة. كانت صالة المسرح محشدة حين تم عرض المسرحية المأخوذة عن الرواية والتي استمرت ساعتين ونصف. بعد المسرحية عام 2005 ذهبتنا معاً لتناول العشاء في أحد المطاعم الفارهة، وتحدثنا عن المسرحية بلهجاتنا المتنوعة. كان هناك كتاب من أوروبا ومن إيران ومن دول أخرى من الصحفيين الذي تعرضوا للنفي من بلادهم أو طلبو اللجوء والحماية في كندا. بعد تلك الحقبة، تراجعت نشاطات منظمة القلم الكندية لأسباب غير معلومة أو معلنة. وكنت شخصياً مشاركة كقارئة وكاتبة ومحadora في عدد من الأنشطة التي كانت تقام على مدار العام ومنها زيارة المدارس للحديث مع الطلاب في الثانوية العامة أو الجامعات.

فكرة اليوم: هل يستطيع الكاتب الأبيض أن يشخص معاناة العرق الأسود أو العكس؟
نعم، يستطيع رغم أن بعضهم يقول بأن الخارج عن جماعة لا يستطيع أن يرى ويفهم ويفك رموز
التراث الشفاهي والمعاناة الوجدانية لتلك الشعوب.





5

سيرة كاتب نسي كيف يقرأ ويكتب بعد تأليف عدد من الروايات

بالطبع، لم أشعر بالدهشة حين قال صديق، إنه لا يحب القراءة، وإن آخر قصة قرأها كانت قصة ليلى والذئب، وقصة ساندريلا والأمير، ومن الشعر يحفظ فقط مقاطع من قصيدة استظهرها حين كان طالباً في الإعدادية. هذا الرجل يبدو سعيداً، تزوج وأنجب أطفالاً ويرى «الحياة ممتعة». ولكن ما الذي قد يفعله روائي قضى عمره في تأليف الكتب والقراءة، حين يجد نفسه فجأة غير قادر على قراءة كلمة واحدة؟ ماذما يفعل كاتب وضع مخطوط كتابه على الطاولة مساء، وحين استيقظ في الصباح رأى الأحرف غريبة مستعصية، واللغة لم تعد تجد طريقها إلى رأسه وعينيه وقلبه؟! هذا ما حصل مع الكاتب الكندي «هاورد مانغل» الذي كتب 12 رواية بوليسية حققت أعلى المبيعات، وترجمت إلى لغات عدة، وبعض رواياته تم إخراجها سينمائياً. الكاتب مانغل كان متفرغاً للكتابة ومنها مصدر عيشه، متعته ومعنى وجوده، حين ألمت به هذا المحنّة الكبيرة الشاقة لتقلب حياته رأساً على عقب. في هذا الكتاب، السيرة الذاتية التي عنوانها «الرجل الذي نسي كيف يقرأ» صدر عام 2007 باللغة الإنجليزية، نعيش مع الكاتب تفاصيل هذه الرحلة الصدمة، والدهشة، والضياع والذهول مع فقدان المقدرة على القراءة، في حين بقي الكاتب قادراً على الكتابة. يستطيع أن يكتب، ولا يستطيع أن يقرأ ما كتبه بعد دقائق. نطالع في سيرته أنه في الصباح استيقظ بشكل طبيعي وتناول صحيفة اليوم، لكن الأحرف كانت تهرب من أمامه، فراح يتخيّل أن أصدقاءه قد لعبوا معه لعبة لنيمة ساخرة، وقاموا بتخريب الصفحة الأولى من الصحيفة واستبدال الحروف الإنجليزية بحروف لغة أخرى، وراح يفكّر كيف سيرد عليهم «المقلب» حين يلتقي بهم، ولكن سرعان ما ازداد فلقه، حين ترك الصحيفة وذهب ليجرّب القراءة في كتاب من مكتبه، فواجهته المشكلة ذاتها. الكاتب لم يعد قادراً على فك الحرف. يخفي قلقه ويتجمل بالهدوء الحكيم، يذهب ليوقظ ابنه

جاك (10 سنوات) ليذهبا معاً إلى المستشفى. يطلب سيارة أجرة، وفي طريقه يرافق الشوارع التي يعرفها جيداً، ويرى الحياة تسير طبيعية كما في كل يوم. حين يصل إلى قسم الطوارئ يلتقي صديق قديم، يعرف وجهه جيداً لكن الذاكرة لا تسعه بالاسم بالسرعة العادلة. بعد الفحص والتحاليل الدقيقة الكثيفة، يتبين أنه قد أصبح بجلطة دماغية أثناء النوم، أثرت على نقاط معينة في الدماغ، وخررت منطقة الأعصاب المسؤولة عن القراءة، دون أن تتأثر نقطة المقدرة على الكتابة. وهذه الحالة النادرة الحدوث تدعى باللاتينية *Alexia sine Graphia*. يبقى الكاتب في المشفى عدة أسابيع لا يكاد يتعرف خلالها على أسماء ووجوه الأصدقاء الذين يزورونه، ولا يكاد يعرف ابنه، وأحياناً يفقد المقدرة على تذكر اسمه الشخصي. كل شيء في ذهنه، وعلى طرف لسانه، لكنه غير قادر على التواصل بشكل طبيعي. ويسأل نفسه بين ساعة وأخرى: وماذا الآن، ماذا سأعمل، كيف سأعيش دون قراءة وكتابة؟! من سيدفع فواتير ومصاريف معيشته ومعيشة ابنه الذي في حضانته. لا يجد أجوبة على هذه الأسئلة، ولكنه يعرف أن ابنه ذهب ليقيم مع عائلة صديقة، وهناك الابن الأكبر الذي قدم ليساعددهم في هذا المأزق. الأصدقاء لا ينقطعون عن تقديم الخدمات ودفع فواتير العلاج والأدوية. لا يستسلم «هاورد مانغل» لقدرته، بل يحاول أن يحتفظ بدفتر مذكرات، يكتب فيه مواعيد الأدوية والعلاجات، وأسماء الممرضات والأطباء، وشينًا عن مشاعره. يكتب ولا يستطيع أن يقرأ لنفسه. يكتب لكن خط يده يبدو مختلفاً في كل صفحة. بعد المعالجة الأولية والاطمئنان على سلامته حياته ودماغه وذاكرته التي لم تتعرض للتلف الكلي، يخضع لمعالجة دقيقة بإشراف أساتذة متخصصين، لمساعدته على إيجاد أفضل الطرق للقراءة ولتطويرها من جديد. يتقىد المريض تدريجياً، ويبدا بموازنة رياضة بدنية، يبدأ بالتعرف على المرضى في نفس الجناح ويقضى معهم أووقاتاً ظريفة، يتداولون خلالها أحاديث عن حياتهم وأسفارهم، والبلاد التي زاروها. كان مانغل يصمت أحياناً خشية أن يفقد المقدرة على تجميع جمل وكلمات مفيدة ومتراقبة. ومع الوقت يسمح له بالخروج من المستشفى ليجرب إن كان يتذكر كيف يسير في الشوارع والhabitat التي عاش فيها سنوات طويلة. ويرى أن تلك تجربة لا تخلو من الصعوبة. لكنه دائمًا كان يجد طريقة لكتابة رموز وإشارات في دفتر يومياته تساعد على التذكر والقيام بالمتطلبات اليومية. بعد فترة من البقاء في المشفى يجد الأطباء أنه يستطيع أن يعود إلى بيته. وهناك تبدأ مرحلة أخرى من التحديات والقلق بشأن القراءة والكتابة والطبع وتدارك شؤون البيت. فلا يستغرب هو أو ابنه حين يجد علبة أقلام في الثلاجة، أو يجد علب المأكولات الجاهزة في الغسالة. لم يعد يجرؤ على لمس الصحيفة والأوراق المتراكمة التي تصل عبر البريد. كما أنه بقي خائفاً من صديقه «الكمبيوتر» ولم يعد يعرف كيف

يبدأ العمل عليه. بعد تجارب كثيرة ومساعدة من ابنه، وكتابة الكثير من الملاحظات، استطاع أن يبدأ علاقة شائكة مؤلمة مع الكمبيوتر والكتابة من جديد. هذا التطور التدريجي لم يكن سيحصل لولا مساعدات خاصة من مشرفين وأساتذة مختصين بدراسة هذا المرض، ومن أصدقاء تبرعوا ببعض الوقت ليساعدوه على إعادة ترتيب حياته. دفتر اليوميات الذي احتفظ به منذ دخوله إلى المشفى ساعدته كثيراً على اجتياز المحنّة وتحقيق تقدم ملموس، جزء منه نابع من تصميمه الشخصي على التمسك بالكتابة والقراءة التي تغدو حياته بدونها فارغة من كل معنى وقيمة. ولكن بقي سؤاله شائكاً، وقد يستطيع أن يقرأ ويكتب في الحد الأدنى، ولكن هل سيستطيع العودة إلى كتابة الرواية التي تحتاج إلى ترابط أحداث وابتکار شخص وتحريك الحدث بطريقة مثيرة؟ وهل سيستطيع العودة إلى رواية التحري والكتابة البوليسية تحديداً، وماذا سيفعل مع الناشر الذي كان متعاقداً معه على إنجاز رواية جديدة؟ لم يفقد الحيلة والحظ أيضاً، إذ تعاطف معه جميع أصحاب الشأن وساعدوه على إنجاز عمله. كان يجد من يقرأ له فصولاً مما كتب، ليكتشف نقاط الضعف واللاترابط، ويسجل أثناء القراءة ملاحظاته ليصححها فيما بعد. وبصعوبة ينهي المسودة الأولى من كتابه، الذي يخضع للتنفيذ. التصميم على الشفاء دفعه إلى البحث عن كل سبل المعالجة والتقدم. سافر إلى أكثر من طبيب إخصائي في أميركا وكندا، وتبادل معهم نتائج الأبحاث وتكلم عن حالته، وحقق صدقة طيبة مع أحد الإخصائيين، كلفه فيما بعد بكتابه مقدمة لهذا الكتاب. يقول في مقدمة السيرة: «اسمي هاورد مانغل، أكتب قصصاً بوليسية. هذا ما كنت أجيب به الناس حين يسألونني ماذا أعمل. كنت أستطيع أن أقول إنني روائي أو كاتب، لكن ذلك يخلق صدى مخادعاً في ذهني، وأكون أكثر سعادة بالتصريح بأن كتاباتي بوليسية. وقبل أن أبدأ الكتابة، كنت قارئاً. كنت قارئاً شرعاً...». ثم ينتقل في المقدمة للحديث عن هذا الكتاب تحديداً فيقول: «هذا كتاب حول الدروب التي قطعتها. حول كيف تعافت، حول الناس الذين ساعدوه، حول اكتشافي أشياء غريبة عن أسرار آلية القراءة والكتابة. هذه قصة نجاح، لأنني في نهاية المطاف، أجدني هنا وقد أجزت هذا الكتاب، بل ونشرت أيضاً كتاباً بوليسياً جديداً. قد تبدو هذه القصة نوعاً من الدعاية والترويج لكن هذا ليس السبب الذي من أجله كتبت سيرتي. بالنسبة لي من المهم جداً أن أذكر الخطوات التي ساعدتني على أن أكون ما أنا الآن. وهي أتذكر الجيش الصغير من الناس الذي ساعدوه على ارتفاعه هذا الدرب بكل خطواته». ويتابع السرد بلغة جذابة لا تخلو من السخرية والفكاهة والهدوء والحكمة.

يتحدث «مانغل» عن تجربته مع الكمبيوتر والعودة إلى الكتابة بعد مرحلة من التدريب الشاق فيقول: كل شيء يساعد على البداية الجيدة. ولكن هل سأستطيع أن أكمم جملة بالإنجليزية؟ هل سأستطيع أن أكتب فقرة، مقطعاً؟ هل بمقدوري كتابة صفحة كاملة؟ هل أستطيع أن أبقى على خط

يربط بين الفقرات والجمل؟ هل يجب أن أتوقف عن كتابة الرواية، وأنصرف لكتابة شعر الهایکو؟...
لقد كتبت أكثر من اثنتي عشرة رواية، فماذا أريد أن أثبت من جديد؟ ليس هناك من حاجة أن أضع
ثانية أصابعي على الكي بورد. ولكن، الكتابة كانت مهنتي. كنت مدمناً على الكلمات. ولم أكن متأكداً
بعد إن كنت ما أزال قادراً على كتابة أدب الجريمة من جديد... لكنني أستطيع أن أبدأ رفقة جديدة مع
الكلمات رغم الإعاقـة التي أنا فيها.».. ص 108

صحيفة العرب القطرية عام 2008

**

فكرة اليوم: تخيل أن تستطيع ذات صباح وتفقد ذاكرتك ومقدرتك على موصلة القراءة أو الكتابة إذا
كنت من عشاق الكتب!





روحانيات وصوخيات فصل الشتاء في الشمال الأمريكي

الثلج جزء من الهوية الكندية والشمال الأمريكي. الثلاج هوية قابلة للذوبان. ماذا سيفعل الكنديون وقد تأخر الثلاج وارتفعت درجات الحرارة في القطب المتجمد؟ لقد قطعْتُ إحدى جبال الجليد أواصر اتصالها مع ركناها الأولى المعمد من قرون. الجبل الجليدي المنحل عن بيته شارد يبحر على عماه في عتمة المحيط اليوم. ماذا سيفعل الكنديون بـ "هوية" قابلة للذوبان بفعل الطبيعة والترفع الحروري العالمي! أين ستذهب الدببة المدللة، وجماعة الفنون القطبية، ورياضة التزلج والكتابات الغارقة في الحكمة البيضاء وعزلتها المهيبة والمفرغة؟ كمانعلم أن سيرة الشتايات ممتدة في الوعي الجماعي والفردي، موغلة في قديم الأزمنة وأساطيرها، متعددة في تحولاتها ورموزها وأساليب التعبير عنها. حين يحل الشتاء طويلاً وثقيلاً على جغرافيا المكان، لا تتجو القصيدة والرواية من تقلباته، تلوجه وعواصفه المدمرة. الشتاء والإيغال في أعماق الروح وال الحاجة لالاتصال بالآخر، تبادل الأسرار والحكايات في بيوت محكمة الإغلاق دافئة، وبالبؤس سكانها حين ينقصها الشرط الإنساني المعتمد، الحطب، المازوت، الكهرباء، الحب. ما أشد قسوتها، وما أشد جمالها ووحشتها. الفصول أوراق شعرية إبداعية حارة وباردة. الخريف الأسر الذي ينتشر بكثافة حزناً ورقة وشعاعية ملونة، المتدرج من الصفرة إلى الحمراء القرمزية إلى العراء البني والشحوب وحتى حلول الشتاء، حيث التجمد والبياض والوحشة والمجاجات غير السارة التي تفرض اشتراطاتها على حركة الطيران، هجرة الطيور، سبات بعض الجنادات. ويتجفل هذا بطريقة ما في حضن الورقة البيضاء الميتة أو الذاهبة إلى مقارعة للموت لاستجداء الدفء والالتصاق بمكونات الخصب المرتقب الكامن في طيات العتمة. بانتظار انبعاث "أوزيريس" المتواجد في بيوت الفراعنة، انبعاثات أسطورية تمتد في لوعي الشعوب، أساطيرها وحكاياتها الشعبية. وتتوالى الانبعاثات في قيامة المسيح من موته تجديداً وتمجيداً الدورة الحياة في الأرض.

للشتاء سيرة وجدت انعكاسها الروحي في أقدم الكتابات الفاسفية والصوفية وأشعار القرون الوسطى والحديثة، وهذا ما نجده في كتاب بعنوان "الشتاء، بيوجرافيا روحية لهذا الفصل" الصادر بالإنكليزية من تحرير غاري شميت وسوزان فليش. يتناول الكتاب سيرة الشتاء في عدة أبواب إذ الشتاء فصل الحزن والدفن، الشتاء وقت للغوص في الروحانيات والإقتراب من الآلهة مع الثقة والإيمان بقدوم الربيع. في هذا الفصل من السنة تزداد الحاجة إلى الشحنات العاطفية ويصبح تقديم العون الروحي للمقربين والأصدقاء متعة متبادلة وحميمة. سيرة الشتاء تدل على أنه كان أيضاً فصل النقاء الروحي وتقديم الشكر، فصل اللعب والسرور، إلى جانب كونه فصل الكآبة والوقوف على حافة الجنون المرتبط برمانية وسوداوية الطقس، ندرة الشمس وقصر ساعات النهار التي يعيشها بعض سكان الشمال الأوروبي والأمريكي. وتقول الدراسات أن الانتحار في هذا الفصل يرتفع.

أقلام ونصوص شتوية:

نصوص متنوعة تدلنا على سيرة الشتاء في الشمال وبعض بقاع العالم، كالصين والهند وغيرها. ترد تفاصيل الروح والمكان في نصوص ومقطفات من القصة والرواية والأشعار، وهي تصف هول البرد وقوسته على البيوت الفقيرة والأفراد الذين لا يملكون مصادر للتغذية وثياباً تحميهم في هذه المرحلة القاسية من السنة. كما وترد نصوص تتبلور فيها الحميمية والإيمان بالنور الكامن خلف المنعطف البارد المتجمد المعتم الذي يضيئ لنا بيت الحب. بيد أن الحب لا يزهر في الربيع فقط، بل أن الشتاء أيضاً يوقد قناديل الحب ويمخر بأهواهه وعواصمه وحناته في طيات الروح العائشة، شيئاً مشاغباً مبدداً عتمة البيت والجسد. النصوص السردية والشعرية مقتبسات من كتابات متفاوتة في التاريخ والمكان، لتبلور باتوراما المشهد. بين طيات الكتاب تذهب لإضافة زيت إلى قناديل الشاعر الصوفي الهندي "سلطان باهو" 1691 تقاسم معه نعمة الحب والإيمان به كخلاص مقدس ناجع حين تشتد الوحشة ويغمر الخوف والضعف والضياع الكائنات. وهنا يقترن اسم الشاعر بـ"باهو". وهذه الفقرات من إحدى نصوص الكتاب:

في الليلة الحالكة العتمة يومض الحب فنديله.

الحب رأي ضعيفاً قدم إلى، احتل بيتي.

كتفل مشاكسن، لا ينام ولا يدعني أنام.

إنه يطالبني بالبطيخ في الشتاء، فمن أين أحضره له؟

كأن الأفكار المنطقية جميعها تذهب يا باهو، حين الحب يصفق بيديه!

....

كل إنسان يطلب أن يكون إيمانه ثابتًا، وقلة تطلب ثبات الحب.

يسألون عن الإيمان ويخجلون من الحب، يا لهذه القلوب المتعجرفة!
الإيمان لا تصور لديه عن الأمكنة التي يأخذك الحب إليها.
أحلفك بيامي، يا باهو، أن تحفظ حبي ثابتاً.

سيرة الشتاء في النصوص المهجوية العربية:

ما يخطر لي وأنا أتحدث عن الشتاء والكتابة، هذا الركن الإستثنائي من الكتابة المهجوية، فلتذكر قصيدة شتوية حفظناها عن ظهر قلب وعلى مقاعد الدراسة للشاعر المهجري رشيد أيوب. يقول فيها "يا ثلج قد هيجت أشجانى/ ذكرتني أهلى وأوطاني/ بالله قل عنى لجيراني/ مازال يرعى حرمة العهد.." في هذه المقطوعة كان الثلج خلفية للمشهد ونداء الحنين نحو الماضي-البيت الأم. أما الذي أن أطربه كسؤال: هل كان الشتاء والعلاقة بالمكان وتحولاته الطبيعية والحياتية حاضر مقيم في أشعار وكتابات المهجريين الأوائل؟ أم بقي خلفية للمشهد الرئيسي القادم من الذاكرة والذهن المبحر خيالياً في رحاب الشرق والحياة التي ابتعدت ووتسعد في الذاكرة والأجدية. ربما نجد في جميع النصوص وبقوة ثيمة الحنين والعودة الخيالية صوب الشرق، إلى جانب الحس الصوفي والفلسفي، لكن المكان بطقوسه وشتاءاته المتقدبة قلماً تحضر وتشكل "ثيمة" ومحوراً في بيت القصيدة. هذا مع العلم أن أغلب المهجريين الأوائل عانوا شظف العيش وقلة الموارد ولا بد أنهم عاشوا المعاناة الحقيقية في هذا الفصل. هذا ونلاحظ أن لكل بلد طقوس شتوية تختلف عنها في المجتمعات الأخرى وذلك تابع لتدرجات حدة الصقيع، ومدنية المجتمع ورخائه الاقتصادي والتكنولوجي الذي يفرض أجدية شتوية بنكهات مختلفة. لاشك أن لسعة البرد في سوريا تختلف عن صفة وقرصنة العاصفة الشتوية الكندية والتي تزداد حدة كلما توجهنا نحو القطب شمالاً وإلى بيوت الهندوں الحمر! فهل ينتبه الكاتب العربي لهذا الجوار ويكتب بعضه؟ هل تحرّر خدود القصيدة، أو يتقبّب جلدها أو تمشي منكمشة على نفسها في معاطفها الثقيلة، أم أنها تمضي في أسرارها غارقة في الضباب، مبتلة بمطر الحنين والشجن والتوق إلى الماضي الذي لم يكن نعيمًا؟! أعتقد أن الكتابة العربية في هذا المجال لم تتجز "خصوصية شتوية" عدا عن نصوص المهجريين الأوائل. بينما نجد في تورنento قراءات أدبية ثيمتها الإحتفاء بالشتاء وفضحه واللعب بثلوجه. وما بين نوافذ الروح المطلة على الداخل ودفعه وشقائه وجنوته، وبين الخارج الرمادي الضبابي الصقعي تستيقظ الأرواح والأقلام عند درجات الحرارة الناقصة جداً، وتحتم شهوة الإنساب في جسد الآخر، في حضن الدفتر أو يحملها التوق للنور. الكتابة فصول وحياة، من أجلها نحرق الشتاء

لينبعث العالم من رحم الموت إلى الخصب والقيامة والربيع.

نشر في صحيفة السفير اللبنانية

فكرة اليوم: العلاقة بالمكان والجلد في القصيدة ، 2002

الذي أخذه المهجـر مني ساحات الطفولة، دروب وتفاصيل عمر كامل يعج بكل الجمال والألم والنزف.
أبعد عن حيز مشاهداتي اليومية صور الأطفال وطلاب المدرسة إذ يذهبون للتظاهر بمناسبات لم يدركوا عنها شيئاً، صور عشاق صغار بين شجيرات الياسمين المعرض على الشرفات والحدائق والشرطي يعوي عليهم. رقصة الكروم وشجيرات التفاح على أنغام عود شرقي. أمي وانتظراتها لربينا بعيد، ملتقى الأصدقاء مودة، وشقاءات، محبة، وطعنات.
وأعطاني هذا المكان الكندي مساحة للتعبير عن نفسي، أبجدية حياة جديدة لغة وتفاصيلاً، بوتقة واسعة يومية من الصراع مع المجتمع الجديد، مساحة أوسع للالتقاء بعالم كثيف، أناس من العرق الأصفر أو الأسود أو الملون.

ومع أن الإبداع إنساني بالدرجة الأولى ولكن لا ضير من النظر إلى إبداع المرأة بخصوصية منطقها الإختلاف وليس الانتقاص. اختلاف في الأسلوب واللغة والطرح يستمد عمقه من الإختلاف الجندرى والمؤثرات الاجتماعية والدينية الأخلاقية التي تحيط بعالم المرأة العربية والكاتبة تحديداً كونها تحت المجهر وفي المواجهة وبطريقة مغایرة لما يقع على الرجل من رقابة ومحظورات وحربيات لها أبعاد أخرى.

في أحيان كثيرة نكتب ونحن نخاف، نخاف من أن نخدش الحياة، أن نخدش الخراب، أن نخدش القبيلة، أن نخدش السلطان أو حفيده، أن نخدش الأب أو الزوج أو الصديق أو الأبن وأن نخدش الورق فننظر بحكمة من الثدب في جسد القصيدة أو في قعر الروح، قد تكون مرتبكة وظاهرة أو مستورة بعناية.

هرمية من القمع في المجتمع البطريركي الذكوري وهذا له فعله في إنتاجنا الأدبي بكل أبوابه، ومع ذلك لا تخلو ساحة الأدب من نتاج سليم وخالٍ من الأورام أدبياً وجمالياً.
لأدري ربما لكل هذا الصقiqu الذي في كندا فعله في قصيدي. وأكتبهما أولاً لأشعر بالدفء، كتنور افتراضي لما غاب ولما يغيب، كتحدى لجدران من جلد وجدران ليست من جلد، لوجوه الشارع

الحجرية والشمعية، وأترك لنفسي عزلتها بعيداً ما أمكن عن الرقابات ومصطلحات الحشمة المزمنة،
ولا أدرى إلى أي مدى أنجح في ذلك ولكنني أستطيع القول، أن قصيدي كما طفلة تحبو وبين الصخو!

فكرة اليوم: إذا جلست قبلة الباب في الشتاء، ستصفعك الريح والبرودة كلما فتح الباب وأغلق.
ويزيد الأمر عسرا حين تكون في غير بيتك والمكان مفتوح للعامة.
اختر كرسيك، بعيدا عن الباب الذي تأنتي منه الريح إذا كان لديك حرية الاختيار.





7

تونى موريسون في الرواية والنقد الانكليزى

حين بدأت الكتابة عن هذه الرواية لتونى موريسون، ذهبت للبحث عن آراء الكاتبة الروائية التي حازت على جائزة نوبل عن أول رواية لها بعنوان: العيون الأكثر زرقة. وضمنت بعض أقوالها من الكتب أو حوار اذاعي يوتىوب. ايضاً في المقال مترجمة عن الإنكليزية. كما بحثت عن آراء نقاد كبار في تصنيف وقراءة الروائية تونى موريسون ومنهم الناقد الانكليزي المعروف هارولد بلوم. وضمن سياق العرض ترجمت فقرات من الانكليزية إلى العربية من الرواية ومن مقولات الآخرين... وهكذا يغدو المقال، ليس عرضاً لحكاية /الرواية بل بانوراما متعددة الجوانب، وفي ذلك متعة لي أولاً ومتسع لبعض الضوء على عالم المعاناة في عصر العبودية وخصوصاً ما تعرض له العرق الأسود من اضطهاد وبشكل أكثر خصوصية، المرأة والتي هي محور المعاناة في هذه الرواية . في شهر فبراير من كل عام يحتفل الكنديون بمنجزات الأفارقة والأدب الأسود وتقام المهرجانات والقراءات التي تتخذ من هذه الثيمة موضوعاً طوال الشهر. هنا بعض ملامح تجربة الكتاب السود في كندا وأمريكا، وأفكار حول إشكالية النقد الأسود، والقارئ الأبيض. من كتاب بعنوان: ماذا على النقد الأسود أن يفعل؟ هذا الفصل من الكتاب تأخذنا إلى بيوت الكتاب السود، على مائدة المطبخ أو في المكتب تفتح أوراق الذكرة والكتابة والثقافة والتجربة. في حوار مع الروائية تونى موريسون الحائزة على نوبل، تتحدث تحديداً عن نظرتها إلى ذكرية المجتمع والرجل الأسود بشكل خاص، وما تحمله بعض شخصيات روایتها "المحبوب" وتبدي موريسون انزعاجها من النظرة التي يأخذها القراء عنها، في أنها "تكره الرجال السود" فتقول: حين كنت أقرأ مرة، قال لي أستاذ جامعي "أنا أقول لجميع طلابي، بأنك تحبين الرجال السود" فتجيب موريسون: طبعاً أحبهم... بل إنهم أجمل المخلوقات على وجه الأرض والجميع يحبهم" وفي موقع آخر تشير الكاتبة إلى: أنه غريب ومزعج، النظرة الشائعة عن السود

بأنهم الأكثر عنفاً. فتجيب موريسون: "نعم، لقد تم تصنيفنا بالأشرار وال مجرمين، في الوقت الذي كنا نحن الذين نهرب ونحاول أن نحمي أنفسنا من التعرض للعنف. عندما كنت صغيرة، كنا نهرب من وجه أي طفل أبيض. كان هذا هو الحال الإعتيادي" وتضيف الكاتبة: أغلب النساء كن يرغبن في إرسال أولادهن الشباب إلى الحرب، التي تعتبر أكثر أماناً من البقاء عرضة للحرب الأهلية..."

تونى موريسون كما قرأتها وكما يراها الناقد الامريكي هارولد بلوم الامريكي الشهير

اعتبر النقاد رواية «رحمه» للكاتبة تونى موريسون واحدة من أفضل عشر روايات صدرت في سبتمبر 2008. وطبعت في كل من نيويورك وتورونتو. في هذا العمل القصير نسبياً تعود الكاتبة الأمريكية الأفريقية الأصل تونى موريسون إلى موضوعها المعروف، إلى الحفر في بئر العبودية المظلم ونبش العذابات من جذورها، انطلاقاً من نقطة بدايات التاريخ الحديث الأميركي، الرحلة ما بين أفريقيا والشمال الأميركي. تنقلب صفحات تاريخ بدايات ما يسمى اليوم بأميركا، مازجة الخيال بالاحتمالات الممكنة لفهم آلية تكون هذا المجتمع الذي صار القوة الأولى في العالم اليوم. يقول الناقد الانكليزي المعروف هارولد بلوم في معرض تقديمه لكتاب نقي خاص بآدابات تونى موريسون: تونى موريسون روائية تملك موهبة غير عادية. يمكنني أن أقسم نتاجها إلى مجموعتين. الأولى: العيون الأشد زرقة، سولا، أغنية سليمان. والمجموعة الثانية الأحدث: جاز، فردوس. ومن الملاحظ أن المجموعة الثانية تعكس بقعة توجه موريسون وتأكيدها على أنها أميركية - أفريقية، قومية، فنансية ماركسيّة. هذه الأعمال الأخيرة تحمل ايديولوجياً و موقفاً سياسياً قد لا يتافق حرفيًّا مع الشخصيات والأحداث. ولكن موريسون تقول في حوار معها حول الكتاب: ليس هناك كاتب وكتابة بلا سياسة. «رحمه» عنيفة وقاسية ومشتبكة. متعددة الطبقات والأصوات، تدع القراء في حيرة وخاصة في صفحاتها الأولى، ثم تبدأ تدريجياً في الكشف عن أعماق الشخصيات والأحداث في حياة كل فرد، بالعودة إلى بدايات القرن السابع عشر، بداية الهجرة من كل صوب وتشكيل هذه الرقعة التي كانت مشاعاً كائناً «لم تطأها قدم منذ نوح»، وكانت البدايات مع استقام العبيد للعمل كمأجورين في هذه الأرض. وأيضاً تقول موريسون في حوار صحافي تلفزيوني معها حول الرواية: بالتأكيد أن جميع الحضارات عبر التاريخ، اليونانية، الرومانية، الفرعونية وغيرها قامت على استغلال الطاقة العاملة واستبعاد العمال، ولكن الشيء اللامعقول الذي حصل في أميركا هو هذا الربط الجائر ما بين العرق والعبودية. وهنا تقصد العرق الأسود وهذا ما حاولت أن تضع يدها عليه في الرواية.

*

الحكمة الروائية

خذ ابنتي، تقول المرأة...

الشخصيات متعددة الأصول والأعراق تجد نفسها مجبرة على العيش في بيت واحد في مزرعة جاكوب فاراك، وتجد نفسها مجبرة على التصرف كعائلة، رغم كل الاختلافات بين هذه المجموعة من البشر الذين وجدوا انفسهم ضحية صفقات لا علاقة لهم بها، وجدوا انهم سلع متبادلة من أجل ايفاء ديون مترتبة على المالك الأول، أو على أفراد الأسرة. هنا الأم البرتغالية الملونة تقايض ابنتهما ايفاء للدين، والأم نفسها، تمت مقاييسنها في البداية من قبل سيدها في افريقيا، وينسحب ذلك على زوجة مالك المزرعة «ريبيكا» القادمة من انكلترا، مثخنة بذاكرة مرة شاهدت مراحل العنف والقتل في تلك الحقبة، تجد نفسها بلا خيار لتصبح زوجة صاحب المزرعة. الرق يسود على الجميع، بمن فيهم «لينا» الهندية التي شهدت دمار قريتها وأبناء عرقها، و«سورو» المختلة عقلياً. هنا يتعادل موقف المالك الذي يتصرف بحيوات العبيد الذين في خدمته، مع موقف الأم والأب الذي يتخلى عن فلذة كبده، وكل مبرراته. الأم التي نعرف عنها بأنها كالقطة تدافع عن ابنائها، هنا ترجوهم أن يأخذوا الابنة حين يأتي صاحب المزرعة للمطالبة بديونه. «رجاء سنهور، ليس أنا، خذها، خذها، خذ ابنتي» ص 26، وحين وافق الرجل على تصرعاتها «المرأة التي راحتها ثوم احنت على الأرض وأغمضت عينيها» تشكر ربها. ثم كتبوا ورقة وافقوا فيها على أن ثمن الفتاة «فلورنس»، 15 باوند انكليزي، أو ما يعادله من التابع. وكانت حينذاك دون العاشرة من العمر.

فلورنس تكتشف أهمية الحروف والكلمات والكتابة.

في بداية القصة تقول: لا تجزواني. لن يوذيك ما أقوله. على الرغم مما مررت به... ما أخبرك به، يمكن اعتباره اعترافاً إذا شئت ولكن الأشياء تبدو مختاطلة لأن الذاكرة ليست مخلصة، والمخيلة تلعب دورها. الابنة تتذكر، تتراءى لها صورة أم تحمل ابنها الصغير وتقف أمام الباب وفيجيب مريلتها حذاء الطفلة. الطفلة فلورنس التي كانت من صغرها مولعة بالأحذية والكتعب العالي. لم تكن قدمها الصغيرة تطيق عراء الأرض، حتى وإن كان الطقس حاراً. هذا ما جعل الأم قلقة من رغبات ابنتها الطموحة والتي ستكبر ولن تجد أمها قادرة على تحقيق حلمها، بل ستكبر ولن يرحمها الآخرون، وهم يعainون أنوثتها تتضخم سريعاً

العنوان: رحمة

عنوان الرواية مستمدٌ من موقف هذه الأم التي وجدت خلاصاً بمجرد قبول صاحب المزرعة أن يأخذ الابنة، رحمة بالطفلة والعائلة. الأم اعتقدت أن هذا هو السبيل الوحيد الذي قد يمنحها حياة أفضل مما لو بقيت في جوار أمها الفقيرة، العبدة التي تعرضت للاغتصاب وللبيع وانجبت ولدين لا تعرف أباهما.

العنصرية الامريكية اتجاه السود

إنها أميركا، وإن قلنا إن تاريخها «أسود» فسنجد أن مفردات اللغة تمارس تمييزاً عنصرياً لونياً. فلتتوقف على وجه الخصوص عند قراءة حال الأم والابنة في هذا القصص الصادم والمترقب، المتقطع، المحمول على وهج لغة شعرية وتعرف إلى أين تذهب. تنشئ المواقف في ختام الرواية القصيرة نسبياً. يحضر بوح الأم وهي تشرح موقفها في رسالة مؤثرة إلى ابنتها، ولكن الرسالة لن تصل. كما أن صوت الفتاة لن يصل إلى الأم من خلال سرد يكشف انفعالات الروح ومواجعها. تقول الأم في نهايات الرواية لابنتها، بأنها تعرف ما ينتظرها وتعرف مزاج الرجال، تعرف أنها لا تستطيع أن تأمين عليها لحظة بعد أن بدأ ثدياتها بالظهور باكرا وسريعاً. حتى الأولاد السود الذين يعملون في نفس الرقعة لا يمكنها أن تأمن شرهم ورغبتهم فيها. وتقول «حقيقة لا أعرف من هو والدك. كانت عتمة الليل، أتوا وأخذوا ثلاثة نساء منا... لم يكن هناك وقاية». «أن تكوني امرأة في هذا المكان يعني أن تكوني جرحاً مفتوحاً لا يندمل. حتى لو يكن هناك ندب، فالولوج يمتد إلى الأعمق» ص 163.

رحبٌ بالحيتان...

كما تصف الأم ما حصل في الخطوة الأولى في درب العبودية فتقول: «قدموا واشتبكوا مع رجالنا، أحرقوا البيوت، أخذوا الذين لم يتمكنوا من قتلهم. عدة مرات تم الاتجار بنا، نقلنا من مكان إلى آخر. كانت أعدادنا تتزايد. هناك التقينا برجال اعتقلا أنهم مرضى أو موتى. ولكن يبدو أن هذا لون جلدهم - الذي أصبح أبيض - التبس علينا. الرجال الذي كانوا يقودوننا ويتجارون بنا، كانوا سودا. وأكدوا لنا أن «الرجال البيض لن يأكلوننا» فصلوا بيننا وأخذونا كل إلى جهة، إلى بيت يسير فوق الماء. كانت الحيتان حول القارب تنتظر وجة. «أنا رحت بالحيتان التي تدور، ولكنها تجنبتني. كان الحيتان كانت تعرف أنني أفضل أن يقرضوا بأنبيائهم السلسلة التي في عنقي، في رسفي وفي كاحلي». حين انطلق القارب، بعضنا قفز إلى الماء... هنا لا سبب ولا قانون لحدث أي شيء، من يعيش ، من يموت؟ إنها مسألة واحدة، أن تعيش على أوساخك، أو تعيش على وسخ الآخرين.....وصلنا إلى بربادوس. هناك وجدت أن رقصي، ثوبى، لغتى، عاداتي... كل شيء كان مخلوطاً بلون جلدي. لقد أخذوني من حقول قصب السكر في قارب إلى الشمال كي أعمل في حقول التبغ. وقبل العمل كان يجب أن يعاشروني جنسياً، أخذنا رجال في العتمة، وبعد ذلك أعطونا برقيقة. وفي كلتا الحالتين، لا بأس، كانت النتيجة أنت وأخاك. وتضيف «أردت أن يأخذك الرجل الطويل، فقد ينظر إليك كـ«طفل انسان» كنت أبتغي حصول المعجزة. ثم قال نعم، وكانت المعجزة. رحمة قدمت من قبل انسان. جلست على ركتي، طويلاً في الغبار، وحيث سبقي قلبي هناك كل ليلة وكل يوم، حتى تفهمي ما مررت به وما أردت إخبارك به. آه، يا فلورنس، يا حبي... واسمعي...». لكن فلورنس التي عشقها الحرف تعيش حزنها أيضاً وتقول: شيء واحد حزين سبقي. كل هذا الوقت لم أستطع أن أعرف ماذا كانت تقول أمي. وهي أيضاً لم تكن تلتعرّف ماذا أردت أن أخبرها» (ص 161).

ليست هذه أول قصة تكتبها توني موريسون عن الأم التي تقتل أو تبيع أولادها لتجنبهم شر العبوية والفقر. لكنها في قصصها لا تتوقف عند مصائر النساء فقط، بل تخرط في تعرية المجتمع بكل طبقاته، رجاله ونسائه، أفراده السود والبيض، والملوئين. يختلط بين سطورها العنف بالكره، بالحب، وبالألم. موريسون، المرأة السوداء الأولى التي حازت جائزة نobel عن روايتها الأولى «العيون الأشد زرقة» لم تتردد في الإفصاح عن إعجابها العالي برئيس أميركا الأسود الأول، باراك أوباما في حوار متلفز معها. كما تشيد بموهبة في كتابة السيرة. ومن الملاحظ أن هذه الرواية كان لها وقع واهتمام مميز إذ طرحت في الأسواق تزامناً مع حملة الانتخابات الأميركيّة وفوز باراك أوباما.

نشر في صحيفة السفير بعنوان: المرأة في هذا المكان جرح لا يندمل بتاريخ 27-3-2009

فكرة اليوم:

سؤال الهوية والجنسية والانتماء

دائماً أتعرض لإشكالية السؤال عن اسمي وهوتي وبلدي الأول، هل أنا سورية أم كندية أم سورية كندية مع شحطة؟ أنا امرأة من العرق الملون في الصنيف الكندي الحديث. أي لست من العرق الأبيض.

أجيب بأنني أشعر بالانتماء إلى هذا المكان، هذا البيت، الشارع، الثقافة الملونة المتنوعة. إلى حد بعيد مع شعور مواز بالفقد للمكان الأول بكل مكوناته. فهنا أمارس صوتي الإبداعي وصوتي الانتخابي بكل الإلتقادات والانتصارات والحقيقة والحب والقلق. هنا تختلط الألوان وهناك طبقات من الهوية التراكمية الموروثة والمكتسبة. ويبقى لكل قوم تجربة ولون وأغنية وتاريخ شفاهي ومعن.

وهذا أقبس رأي الروائي الكندي الاسود أوستن كلارك إذ يأخذنا إلى إشكالية التصنيف الجغرافي والإبداع، هل يصح أن تكون الكتابة مصنفة تبعاً إلى البلد الأم، أم إلى البلد الذي يقيم فيه الكاتب وتجري فيه أحداث الرواية ومنطقوتها؟ يشدد أوستن على أن روايته يعتبرها رواية كندية وليس تابعة لمكان ولادته "جزر البربادوس" والكاتب، بحسب رأيه يصبح ابن المكان الذي يعيش فيه ويمارس تقاليده وثقافته.

اوستن كلارك، روائي كندي حاز على جوائز كندية مهمة ومنها جائز غيلر لعام 2013، وتوفي عام 2016 وله من العمر 81. مواليد جزر البربادوس.

NATIONAL BESTSELLER

TONI MORRISON

Winner of the NOBEL PRIZE

A
New York Times
Book Review
BEST BOOK
OF THE YEAR

a mercy

a novel

"Spellbinding... Dazzling... [A Mercy] stands alongside *Beloved* as a unique triumph."
—*The Washington Post Book World*

الحجاب والبرقع والاندماج مع الآفافات الأخرى ..

آراء نسوية من العالم

حين تجتمع 21 كاتبة شرقية وغربية، يهودية وMuslimة ومسيحية ومن ديانات أخرى بين دفاتي كتاب ثيمته الحجاب يصبح لوقع الكتاب وصوته صدى وبخاصة للمنتقى والباحث الغربي الذي يتطلع في هذا العقد من الزمن بفضول وربيبة إلى كل ما يمتد إلى الشرق والإسلام بصلة وبخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر التي شكلت نقطة فارقة في التاريخ المعاصر سياسياً واجتماعياً، وأديباً إلى حد ما. صار البحث في الإسلام والمرأة هوساً ومواضعة معاصرة قد يكون مرده الخوف من الآخر، أو الرغبة في كشف ما احتجب من سيرته وربما بانت هذه المعرفة ملحمة بسبب هجرة أعداد هائلة من المسلمين والشرقيين إلى الغرب وذلك بسبب الحروب والقمع والفقر. لقد عكف بعض الكتاب الأجانب على كتابة روايات عن نساء أفغانستان، بعضهم تفرغ لزيارة تلك البلاد "الأكزوتيكية" لتحرير كتابات حسب متطلبات السوق. في الواقع أخرى قامت نساء شرقيات بكتابية سيرتهن الذاتية وشهادتهن على تاريخ بلاد تعاقب على حكمها الدكتاتوريات، كالكاتبة الإيرانية آزاد نفيسى، والكندية مارينا نعمات. فليس غريباً أن يحظى حجاب المرأة المسلمة اليوم بهذا القدر من الاهتمام على الصعيد الدولي الغربي والأوربي. لقد صدرت في الآونة الأخيرة كتب عديدة حررها باحثون غربيون عكروا على دراسة هذا الحجاب وما يحمله من دلائل سياسية، أو اجتماعية أو جندية كمثال الباحثة الأمريكية البروفيسور جوان والاك سكوت في كتابها "سياسة الحجاب" تتناول فيهخلفية التاريخية لهذا الرمز ولماذا يتم تناول حجاب المرأة اليوم في فرنسا وعدد من الدول الأوربية بهذه الحدة، ويتم التغاضي في الوقت ذاته عن إشكالات أخرى تخص حجب الرجل، أو تخص الرموز الدينية التي تتعلق بالعادات اليهودية والمسيحية.

توقف هنا لنعain كيف تقرأ المرأة سيرة المرأة والحجاب تاريخياً واجتماعياً في هذا الكتاب الذي

صدر عام 2008 عن مطبوعات جامعة كاليفورنيا، بعنوان "الحجاب. نساء يكتبن عن تاريخه، معرفته، و سياسته" والذي قامت بتحريره الباحثة "جينifer هيث" صدر لها 8 كتب ابداعية

وعدد من الكتب التي تصب في خانة المرأة في الإسلام وأحوال نساء أفغانستان بصورة خاصة. تتطرق الأستاذة مهجة كهف، مساعد بروفيسور في قسم الأدب المقارن جامعة اركانساس في شهادة مطولة إلى حجاب المرأة في العصر اليوناني والروماني والبابلي والأشوري والهندي. كما تبحث مسألة الحجاب والتقطيعي الطبعي تارياً. لكنها لا تكتفي بتصوير شخصي لوضع المرأة في بلد عربي واحد بل تدرس خصوصية كل بلد عربي على حدة بشيء من التفصيل. تقول السيدة كهف "من الممكن أيضاً أن ترى المرأة المسلمة حريتها بشكل مختلف عما تراه تجمعات النساء المدنيّة الفمنتيّة، وعما تصوره الميديا. فبدلاً من النقاش حول نزع الحجاب او عدم نزعه قد تفضل النساء في دول النفوذ والخليج، حل المسائل المتعلقة بالزواج وحصول الزوج أو الزوجة على حقوق المواطنة العادلة. وقد يكون اهتمام المرأة الفلسطينية أكثر بأن ترى جدار الفصل العنصري والاحتلال قد زال. وربما نساء مسيحيات في بعض من الدول العربية قد يكن مشغولات أكثر بالبحث عن حقوق متساوية لحضانة الأطفال حين يتزوجن من رجال مسلمين. قد يكون هناك دوما إشكالات جندية أشد أهمية من الحجاب" ص 39. كما تشير في موقع آخر إلى أهمية أن تسعى وتجادل المرأة والرجل، المسلم والمسيحي لرفع الحجاب عن المرأة، ولكن ليس بالعنف. وحين يفعل الغرب ذلك فهو يتقطع مع ما قامت به بعض المنظمات الشبابية في سوريا في الثمانينيات، حيث تم خلع حجاب بعض النساء بالقوة في شوارع دمشق وبإيعاز وترتيب من قبل رفعت الأسد. في موقع آخر تتحدث عن معنى الحجاب الذي يختلف من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر. وتقول "أنه بالنسبة لي كجلد ثان، فيه جمال وكرامة عندما ينزاح ويتساقط أرضاً. سعادة ارتданه أعرفها أنا لي وليس أنت". الكتاب غني ومتتنوع ولا يفوته أن يقدم لنا شهادة امرأة أمريكية "باميلا تايلور" اعتنقت الإسلام وصارت تدافع عن حجاب المرأة المسلمة. الشاعرة ايف غروبين، أستاذة الشعر والأدب في جامعة أمريكية، درست العبرية والأدباء اليهودية في قسم الدراسات اليهودية في القدس، تتحدث عن تجربة حياتها الشخصية والعائلية كشاعرة محاطة بالشعراء قراءة وكتابة وتدريساً، جعلها عارفة بالشعر، وجاهلة لليهودية وخاصة أنها ترعرعت في كنف أسرة يحيط بها النشطاء السياسيون، الشعراء، الكتاب حيث كانت العائلة تقيم في مانهاتن وجل اهتمام الجميع منحصر في الفنون والعدالة الاجتماعية. تقول أنها فيما بعد صارت تذهب مع صديقة لها إلى منطقة تقيم فيها عائلات متمسكة باليهودية طقوساً وعادات، فلمست الفارق والفراغ الروحي الذي كانت تعشه رغم ما يوفره الشعر للنفس من روحانية. تقول: لاحظت أن النساء والرجال اليهود يولون اهتماماً لستر أكبر قسم من الجسم حين الخروج إلى الأماكن العامة. حتى في الصيف، النساء اللواتي عرفتهن كن يلبسن بثابة ولكن دون إثارة. تذهب الشاعرة إلى تحليل قصة آدم وحواء والأكل من شجرة

المعرفة التي فتحت عين حواء على حقيقة جسدها عضواً عضواً، وهذه المعرفة التي تكشفت بعد أن انزاح حجاب عن عينيها. تتطرق في بعض الأمثلة إلى مقاربات الظاهر والباطن عند الشاعرة إيميلي ديكنسون التي ترى أن ثمة رابط وشيق بين جمال الداخل والخارج. وتتطرق كذلك إلى مقطوعات شعرية للشاعر الانكليزي كيتس ورويته للجمال والحقيقة بقوله "الجمال هو الحقيقة، جمال الحقيقة". هذا كل ما نعرف على هذه الأرض، هذا كل ما نحتاج أن نعرف" كما تحيلنا إلى إشكالية التورية في التوراة والتلمود حيث الكشف غير صريح. كتابتها التي تخوض في مسألة الكتابة الشعرية والكتب السماوية التي تعتمد التورية والإيحاء بدلاً من الكشف والتصريح. وهذا ينحسب على الديانات التوحيدية الأخرى الإسلامية والمسيحية. وفي شهادات أخرى من الكتاب نرى إحالة إلى بعض طقوس الحجاب الذي تمارسه بعض النساء في المجتمع اليهودي، حيث تقوم المرأة بارتداء باروكة من الشعر المستعار عوضاً عن شعرها الأصلي. كما هناك مقاربات مفصلة حول لباس الراهبات المسيحيات والهنود وغير ذلك. تقدم شهادة الباحثة السورية سميرة استيفان صورة مفصلة عن واقع العائلات المسيحية في دمشق حيث تعيش المرأة حالة من الحجب الاجتماعي بموجب التقاليد التي يخضع لها الجميع من باب التعايش السلمي القائم على المؤاخاة والاحترام. الأساطير أيضاً تحضر في هذا الكتاب وتحضر رقصة سالومي والتعري الذي يتراافق مع فقدان السلطة على الآخر، إلى جوار حقائق وشهادات عن تجربة نساء معاصرات من باكستان. تقول الكاتبة الهندية عانسة لي فوكس شهيد، جدي الأكبر لم يكن يريد بناته أن تلبس الحجاب، جدي شجع أمي وأخواتها على الدخول إلى الجامعة وكان يعتبر السلوك هو المفتاح. تتحدث عن شيفرة اللباس المختلفة بين بلد اسلامي وآخر، فما هو مقبول في مصر، ليس مقبولاً في الهند. الساري الهندي لا يتقاطع مع البرقع وغطاء الرأس في سوريا ليس كغطاء المرأة السعودية. بين هذه الشهادات تكثر المتناقضات، فهناك من تجد إسقاطاً وتؤليلاً فرقاً لمسألة حجاب المرأة، وهناك من تنفي قطعاً وجود مثل هذه التصريحات. وبعضهن يراه عيناً ثقيلاً مفروضاً عليهم كما في السعودية تقول الأستاذة الباحثة شريفة زهر في مقالتها التي بعنوان "من حجاب إلى آخر" : توأ نفشت عن عباعتي، وأنا في مقعد الطائرة. هذا الثوب الطويل المصنوع في الكويت، له مسحة محلية، أطراقه مذهبة. القطع المعدنية لغطاء الرأس- الشيلة. كادت تخنقني منذ أن غادرت الأولي في الرياض. والآن بسعادة طويت هذه الأشياء في حقيتي. تقول في شهادتها أنها كانت تزور الرياض عام 2005 لتدرس فيما إذا كانت رياح التغيير قادمة. أنها باحثة ولها ما يزيد عن 10 كتب في موضوعة المرأة والاسلام والجender، تعمل كبروفيسور في جمعيات بركل، وكاليفورنيا. تتحدث عن لقائها بعد من نساء الاعمال السعوديات، وعن دعوتهن لها لحضور مهرجان الجنادرية، وكيف تعرض المطاعون لامرأة ضيفة قادمة دون عباءة. تتحدث عن التقسيم الذي يحدث بسبب اللباس وتضرب مثالاً عن مشاهداتها في جامعات اسرائيل وفي المناطق التي يعيش فيها البدو العرب مع الاسرائيليين. تخلص السيدة إلى القول: لدينا أمل في أن مستوى حقوق المرأة الذي يجب أن نعلن عنه، يجب أن يذهب إلى

بعد من قضية اللباس، وأن نتمكن من تلبية احتياجات المرأة التي تفضل الحجاب والتي لا ترغب به. أما محررة الكتاب الباحثة جنifer هيث، فتخصص مقالتها للبحث في تفاصيل حجاب الرجل منذ أقدم العصور بما في ذلك الطقوس الكنسية وحجاب راعي الكنيسة. وتتوقف بشكل خاص أما حجاب رجال "الطوارق والبدو والبربر في إفريقيا". كما تشير في شهادتها إلى جانب من حياتها الشخصية وأمها الراحلة التي كانت مغمرة بجمع الأقنعة من كل الألوان والأشكال والبلاد. تتحدث عن طفولتها وكيف كانت الأم تخاف عليها من تلك الأقنعة التي تحمل مدلولات سحرية ومخيفة. تختم جنifer شهادتها المؤثرة: الآن وبعد رحيل أمي ما يزال لدي عدد من الأقنعة أقوم أحياناً بوضعها أمام المرأة. أجري بها كلها كما كنت أفعل وأنا طفلة، وحين أتعب أضعها جانباً وألف أكتافي بالشال الأسود الذي لبسته أمي في جنازة أبي، وأرقص حتى أسقط أرضاً. أغطي وجهي بوشاح أمي الأسود، وأبكي بهدوء إلى أن يغادرني الألم. لعل هذه الشهادات التي تحمل صدق التجربة وعمق القراءة والتجربة والبحث تفتح أمام القارئ الغربي نافذة للنظر في الموزاييك الشرقي الغني والمتنوع والذي يستحيل حصره في كتاب لم تحاول صاحبات القلم فيه أن تجعل منه ساحة معركة وتصفيحة حسابات مع التاريخ والحاضر الذي يوسع الشقاق بين عالمين قطبين، رغم أن المعركة حول الحجاب والبرقع متحدة على أرض الواقع في عدة دول عربية. (نشر في الجزيرة نت عام 2009)

**Book title: The Veil- Women writers on its history, lore, and politics
Edited by: Jennifer Heath, 2008**

2

امرأة البرقع في مدينة تورنتو سيرة اليوم... 2023 حول عزلة المهاجرين والاندماج في المجتمع

الإشكالات التي يعيشها المهاجرون في الغرب وأوروبا لها بداية وليس لها نهاية. لا تقتصر على الصدمة الثقافية بسبب اختلاف المفهوم الحضاري والثقافي، الاقلاع من اللغة الأولى والمكان الأول، الاغتراب والعزلة وفقدان شبكة التواصل الاجتماعي والروابط العائلية والقبلية والدينية. كل من هذه الأركان تشكل صراعاً وصدىً للفرد المهاجر، للمرأة والرجل على السواء. إضافة إلى كل هذا نقف إزاء المظهر الخارجي الذي يحمل رسالته الفارقة والفاقة بعض الأحيان. أورد هذه المقدمة العمومية لأصل إلى صورة الفتاة المبرقة العارقة في سوادها والتي استوقفتني هذا الأسبوع فيما كنت عائدة من عملي وانتظر الباص. لفت نظري بالدرجة الأولى نظاراتها الشمسية التي تغطي البرقع الأسود المنسدل على كامل وجهها وعينيها أيضاً. برقع ينسدل على كامل الوجه، يعلوه غطاء الرأس السميك الذي ينسد على ظهرها. غارقة في

عباءة سوداء فضفاضة تعيق حركة قدميها المحشورتين في حذاء رياضي، تحت العباءة يظهر جزء من بنطالها الأسود الطويل الذي يلملم الغبار. وكذا حال كفيها المحشورتين في قفازات سوداء طويلة سميكه.

وفي يدها حقيبة كبيرة بنيّة اللون. قرأت كتابة أفغانية على واجهة المحل الذي خرجت منه الفتاة مسرعة، وتبعها عدد من الصبايا والفتیان الصغار. رغم ازدحام المنطقة ، كان وجودها علامه فارقة، مرتبكة كانت تمشي، وكأنها تهرب من ذاتها، كأنها مطاردة من الداخل ومن الخارج، كان قوامها يفصح عن كائن هش غض قلق رغم طبقات السواد الكثيفة. وقف دقیقة بجانبی على موقف الباص، ثم مشت مسرعة. أكثر من سيارة عابرة أطلقت زمرةً حادةً، لكن الفتاة سارت من خطها وإلى الأمام. مع الملاحظة أن استخدام "الزمور" في كندا يأتي عوضاً عن شتيمة يريدها أن يوجهها سائق إلى آخر تعبيراً عن نفور أو تذمر. من الركن ذاته خرج عدد من الصبايا المراهقات والفتیان الصغار، بعضهم يحمل كتاباً في يده. الفتیات الأخريات يلبسن عباءات سوداء وأغطية على الرأس، ولكن الوجه مشكوف. أحد الفتیان كان يلبس جلابية بيضاء قصيرة قليلاً وعليها بعض البقع الدهنية، ويظهر من تحتها حذائه الرياضي ، على رأسه قبعة صغيرة مشغولة باليد. وإلى جواره يسير شاب آخر، ذقنه فتية، يلبس جلابية طويلة سوداء، وحذاء "أبو أصبع" الفتیات الأخريات كنّ أصغر سنًا، أكثر مرحاً، يضحكن ويقطعن الطريق سوية. تفقدت حقيبتي لكتني لم أجده الكامييرا. قلت في نفسي "لكان هؤلاء الصبية قادمون من جبال وقرى أفغانية ولم يتعرفوا بعد على تفاصيل الحياة الجديدة وما شابه. وصل الباص في موعده، وفي الموقف الثاني، رأيت الفتاة المبرقعة ذاتها قد استقلت الباص. تعثرت حين دخلت وأخذت بعض الوقت كي تعثر على بطاقة الأجراة. جلست في المقعد الشاغر بجوار عجوز شقراء، توجّهت بنظراتها إلى أرض الباص، وكانت النظارة الشمسية ما تزال تغطي البرقع المنسدل على كامل وجهها. بقيت نظراتي معلقة بهذا الفتاة. انتابني شعور مزيج من الحزن والإستنكار. بقيت الصورة في رأسي بكل تفاصيلها، وأثارت في أسللة وسيناريوهات إلى أن قرأت مقالة لعباس بيضون في ثقافة السفير تاريخ 11 تموز 2009. في السطور الأولى وجدت أنه يتحدث عن ذبح امرأة مبرقعة في ألمانيا. قلبت الصفحة ولم أر غب في قراءة "حكایة مروى" والعنف ضد المرأة مرفوض بالتأكيد. عدت للمقال في اليوم التالي، وجذته يعرض حادثة فتاة مصرية تعرضت للذبح في ألمانيا على يد غريب، وليس السبب معلوماً، فهو عنف ضد فئة من المسلمين المهاجرين الملتحفين بثقافة البرقع، أم هو عنف ضد السامية، أم عنف ضد المرأة وحضورها في المجتمع! وفي هذا السياق نستطيع أن نقول أليس هذا البرقع الذي تلبسه هذه الفتیات ومثيلاتها صيغة أخرى للعنف الموجه إلى وجود المرأة وكيانها البشري، وانسلاخاً عنيفاً عن المجتمع المحيط، ورفضاً له؟ لن نقول ما يقوله المثل الانكليزي "إن كنت في روما، تصرف كما أهل روما" لكننا نقول أن السماح للشمس بالقاء التحية على الجسد، ضرورة للجسد وتساعد على امتصاص فيتامين "دي" الضروري لتغذية خلايا

الدماغ وتتطورها، ويساعد أيضاً على امتصاص الكالسيوم المفید للعظام ولبناء الجسد والذهن السليم! هامش اليوم: كثنا أكثر دول الغرب تسامحاً مع ثقافات الأقلیات وخیاراتهم الدينية والمدنية، وهذا يستدعي

تسامح أهل ثقافة البرقع مع نسائهم، أجسادهم ومستقبلهم في البلاد الجديدة التي إتخذوها موطنًا بديلاً.

فكرة اليوم: المجتمع بحاجة إلى نساء يصبحن معابر سلام ولا يصبحن قابلن موقوتة. نساء يحرزن على الفرح والمحبة وليس على القتل والثأر والتصفيق للرجال ذوي الدم الفاتر.

المجتمع بحاجة لنساء لسن صدى أحزاب وايدلوجيات.

نساء لسن صدى العادات والتقاليد العصبية القبلية الطائفية.

نساء، أمهات عاشقات، سيدات، حبيبات، طبيعتيات بل نساء. نساء. نساء سلام

وبالتأكيد نحن بحاجة إلى رجال-رجال يثمنون الإنسان والكلمات... فالكلمات تمثل في بعض حالاتها السلاح والقذيفة والساطور.



الحياة السرية للملابس الداخلية السورية وتصميمات الإثارة.

ما بعد سميراء أميس

أنا من بلد الملكة السورية سميراء أميس

الملابس الداخلية السورية وحياتها السرية، صارت منشورة على الملئ في كتاب توثيقي من تحرير البنائية رنا سلام المقيمة في إنكلترا، الصحفية مالو هالاسا المهتمة بثقافة الشرق الأوسط وعدد من المصورين والمصورات السوريات، وعارضات الأزياء، منهم: جيلبرت حاج، عمر معتم، إيمان أبراهيم، نور كيفوركيان. الكتاب عن "الحياة السرية للملابس الداخلية السورية" في 179 صفحة مثيرة. صدر بالإنكليزية في سبتمبر 2008 عن "كرونيكل بوكس".

المذيع الكندي - الباكستاني الأصل "جيانت غوماشي" على أثير راديو "السي بي سي" الكندي الوطني، قدم مفاجأة للشعب الكنديولي كمستمعة مدمنة، وهو يستضيف في الاستوديو مؤلفة الكتاب الصاردة حديثاً بالإنكليزية. يبدو نهاري اليوم سيأخذ نكهة مختلفة. سوريا اليوم لن تحضر في نشرة الأخبار والحوارات من خلال شخصية ماهر عرار الشهيرة وحكايات سجناء آخرين أقل شهرة من عرار، ما يزالون يحتلون حيزاً من أثير كندا وهم يتحدثون عن موضوعهم الشائك، عن زجهم في السجون السورية وتغذتهم، وتورط الجهات الكندية والأمريكية في الموضوع، اشتباهاً. لقد صار اسم ماهر عرار مترابطاً مع سوريا بالنسبة للمواطن الكندي-المحدود المعرفة - فحين يسألني أحد من أي بلد أنت؟ أجيب: من سوريا، فيأتي الجواب مع رفع الحاجب قليلاً: من بلد (Maher Arar)! ولا وقت لديهم لأقول: لا، أنا من بلد سميراء-أميس، زنوببيا، كليوباترا، أو غادة السمان. جميل، لقد انتهى زمن عرار ورفاقه، الآن سوف يعرف الشعب الكندي أن للسوريين شهرة عريقة في تصميم وتصدير الملابس الداخلية الفاقعة المثيرة جنسياً، وبنوعية تفوق الملابس الداخلية

الأيطالية والأمريكية. رجالات دار "فيكتوريا سикرت" للملابس الداخلية الأمريكية فشلت مخيالاتهم مقارنة بمخيلة الرجل السوري في التصميم. المفارقة أن الشعب الذي يلبس "فيكتوريا سيكرت" شعب لا يكيل للنستر حرمة، فيما "الحرير" السوري الذي يستهلك الجزء الأكبر من هذه البضاعة الغالية الثمن، هو من القسم الذي يلبس الجلباب والعباءة. والمستهلك(ة) من كافة البلاد العربية، والسعوية والخليج على وجه الخصوص. وبالتالي لن أتوقف زبان من العراق في مثل هذا الوضع. هؤلاء الجاهلين بتاريخنا الجنسي ومتعة بيوت الحرملك، أمامهم الآن فرصة اكتشافنا، تعالوا انظروا إلى الملابس الداخلية الأنثوية، قماشتها، مراحل تصميمها، موقف المرأة السورية من لباسها الداخلي، أهمية الحياة الجنسية عن العرب، وتفاصيل أخرى حول: من يشتري هذه السراويل، وفي أي عمر ومناسبة هذا اللباس كي يكتمل فهو يستعين بمواد خارجية لإضافة متعة وبهجة للعين والحواس. حتى التكنولوجيا صار لها نصيب في هذا الإبداع. هناك لباس داخلي، وسوتنيان يعني إذا لمسه الحبيب، ولباس مثبت عليه "موبایل بلاستيكي" يصدر نغمات أيضاً. لم يقل الكتاب فيما إذا كان "الكلسون" مبرمج برئات شبيهة بتاك التي تحدث عند النشوة الجنسية، وسيكون جميلاً لو أطلق اللباس الداخلي إنذاراً إن كانت صاحبته على غير استعداد للمعاشرة يوم الخميس أو الأحد. سأحمل الكتاب معه أينما ذهبت لأحدث صدمة واستثنارة في أذهان هؤلاء الذين لم يكتشفوا نكهة الشرق. وهناك مقالات عن المطبوع في عدد من الصحف الأمريكية والإنجليزية. الغرب لن يتهمنا بالإرهاب بعد اليوم. هنا نحن نحب الجمال ونقس الجنس ونبعد ثياباً داخلية (توكل)، تصدر روانح، مزينة لأوراق شجر، والفاكهه والريش). سأتذكر بهذا الكتاب لأنه بالإنجليزية ولن أحمل كتاباً يتحدث عن أديبتنا المترددة الأدبية غادة السمان. فكتاب من هذا المعيار وبالعربية لن يصل إلى المواطن الكندي المنشغل ببعضه. بحماية الدب القطبي والفقمة من الانقراض. سنقول تطورنا. صورة المرأة العربية الشهزاد، نساء ألف ليلة وليلة، ومخلفات الاستشراق، ست Hollow محلها الآن امرأة عصرية، امرأة الملابس الداخلية المثيرة الصارخة، والمضحكة حقاً، عدا عن أنها غالية الثمن. لكن الكتاب يريد أن يقدم صورة النساء السوريات والعربيات عموماً بأنهن جميعاً مبرقعات، وبعد الحجاب والعباءة مشغولات بثيابهن الداخلية التي تصل إلى 30 طقماً ملوناً تضعه المرأة في "جهاز العروس". لباس لكل يوم من أيام الشهر. كل لباس لا يقل عن 10-16-60 دولار، هذا إذا علمنا أن كيلو لحم الغنم السوري قد يصل إلى 600 ليرة سورية، ولحم البقري حوالي 400 ل.س. هذه المنتجات واسعارها عام 2009 تجدونها معلقة في أكشاك ومحلات سوق الحميدية الشهير في الشام، وشارع الحمرا في بيروت، وأيضاً في لندن. واقتراح أن تفتح المصممة فرعاً لمنتجاتها في منطقة الجزيرة السورية، لعل الشعب السورياني والكردي يأخذ فرصته من المتعة والمعرفة، وكيف عن الانقراض والهجرة إلى الداخل السوري والخارج المغربي.

الكتاب وثاني يحمل شهادات نساء في أسواق الحميدية في الشام، والحرما في بيروت. يقدم شهادات وأراء أصحاب البزنس، المصممين الذكور في الغالب، وزباتن من طبقات وثقافات متفاوتة. يحتوي على مقالات، قصائد، صور فوتوغرافية، ماركة سورية حرّة بامتياز.

نشر عام 2009 في صحيفة السفير، وأعيد نشره في عدة مواقع الكترونية.

*

2

محطات... 2022 مقارقات وعودة إلى ملكات الحضارة السورية

من هي سميرا أميس !

سميراميس هي ملكة آشورية 800 ق.م. واسمها سمورامات ومعناه الحمام. ارتبطت تسمية "سميراميس" بالعديد من المعالم الأثرية في غرب آسيا والأناضول بعد أن فقدت أو نُسِيت أصولها، بما في ذلك نقش بيشتون لدار الأولى. ينسب لها هيرودوت الفضل في بناء الضفاف الاصطناعية التي حضرت نهر الفرات. وعرف اسمها لأنَّه مكتوب على باب بابل. سميت العديد من المواقع في جميع أنحاء بلاد ما بين النهرين، وميديا، وببلاد فارس، والشام، والأناضول، وشبه الجزيرة العربية، والقوقاز باسمها الذكرى. على الرغم من أن الإنجازات المنسوبة إلى سميراميس تكمن في المقام الأول في عالم التاريخ الأسطوري الفارسي والأرمني واليوناني، إلا أن الشخصية التاريخية شامورامات موثقة بقوة. من المحتمل أنها تولت بعد وفاة زوجها دور الوصي على ابنها أداد نيراري الثالث. وبالتالي، من الممكن أن تكون شامورامات قد مارست السلطة على الإمبراطورية الآشورية الجديدة الممتدة (911-605 قبل الميلاد) خلال تلك الفترة التي امتدت فيها الإمبراطورية من جبال القوقاز في الشمال إلى شبه الجزيرة العربية في الجنوب، ومن غرب إيران في الشرق إلى قبرص في الغرب. في مدينة آشور على نهر دجلة، شيدت شامورامات مسلة نقشت عليها عباره: "مسلة شامورامات، ملكة شمشي أداد، ملك الكون، ملك آشور، أم أداد نيراري، ملك الكون". ملك آشور، زوجة ابن سلمنصر، ملك أقاليم العالم الأربع". وهذه معلومات وردت في ويكيبيديا.

سيرة اليوم: لماذا تكتبين المقالات؟

سألني أحد الصحفيين: لماذا أكتب المقالات وأبعث جهودي دون مردود يذكر. أذهلني السؤال لأنني لا أعتقد بأن الكتابة الصحفية لا قيمة لها ولا مردود معنوي وفكري وثقافي للعمل الصحفى. أؤمن أن هذا ما يجعلنا نتعرف على كتب وأحداث وأفكار ويعطينا الفرصة أن نضيف شيئاً إلى القارئ العربى. مع الأخذ بعين الاعتبار أن الكتب التي اختارها تكون عادة بالإنكليزية ومن خلال العرض أترجم بعض الفقرات وأعرض ما ينقطع مع الواقع من أعلام وقصص تأخذ حيزاً من الفضاء الإعلامي في ذلك الحين فهي بذلك شهادة على مرحلة تشبه يومياتي في قراءة الواقع وتاويله. وحين انفعس في مقال ما، ليس غايتي عرض الكتاب منفصلاً عن الواقع، بل أقوم بإسقاط الأفكار التي في الكتاب على ما لدي من معاينات وتجارب وخبرات في الحيز الاجتماعي والثقافي والسياسي والأدبى. ففي مثل هذا المقال، ليست الملابس الداخلية هي المحور الأهم، بل هي واجهة كي أتطرق إلى النظرة الجنسية والجندرية للمرأة في الشرق وفي الغرب، وكيف نساهم في الشرق وفي الغرب على قوبلة النساء في خانة المتعة دون الخوض في عمق المأساة والعلاقة بين الجنسين على أكثر من صعيد.

لماذا أكتب المقالات؟

إنه الشغف أولاً وأخيراً والغنى الذاتي الذي تضفيه الكتابة على عالمي. لقد أعطاني المكان الجديد واللغة الانكليزية وكل هذه المسافات مقدرة لأرى بشكل أنصع وأكثر احترافاً وكثيراً ما كنت أستيقظ من سهوي وأنظر إلى النوافذ أنظر وأقول: يا ترى أين أنا؟! ولماذا؟ وإلى متى هذا الحنين والموت اليومي، والصراع من أجل عالم أفضل وأسمى؟ فلا أجد سوى الكتابة والمزيد من الحكايات والكتب كي أقحم الحياة وأترك بعض الآثار أو كي أكون ما اخترت أن أعيش وأقول فيما العالم يتراجع وينهار أمام أعيننا بلا رحمة، وكان لا شيء أصبح أفضل مما كان عليه في الكتب. لماذا أكتب رغم كل هذا؟ الواقع سلفي ومعتم ومتى مثل غيري من المبدعين يحاول كل من أنا يكون حداثياً بأسلوبه ولغته ومواضيعه (هو-هي) وأنا أأرى أن الإبداع النسوى مميزاً متعثراً قليلاً، أو مغيّباً قياساً إلى صوت الرجل، وذكورى في حالات كثيرة ويحصل أحياناً أن أقرأ نتاج نساء فارى رجلـاً "سيدة" وراء القلم. ربما مازالت بعض الكاتبات تفعل ذلك وكما أرادت "مي زيد" بقولها "فنكتب كما الرجال"! ولذلك أريد أن أكتب كما ت يريد جاكلين وليس كالرجال. أكتب كي أردم الغرفة التي أنا فيها حتى وقعت في بطن الحفرة ورحت أكتب كي أخرج وأنتصر عليها وما زلت أحاول.

فكرة اليوم:

ما بين القلب واللسان خطوط تتجه شرقاً وأخرى تتجه غرباً.
 وأخرى تتقطع على محيط الدائرة وتكمل الدوران والالتفاف.
 خطوط أخرى مستترة لا تفصح علناً لكنها تشفّ عما استتر.
 أيتها القلوب - والألسنة كوني حقيقة الحلم الآتي،
 كوني الآن معبراً إلى الغد الأجمل...





المحاضرة الأخيرة في حياة عالم ينهره السرطان

كي نتعلم كيف نموت بشكل جيد، يتوجب أن نعرف كيف نعيش ونحتفي بالحياة. هذا ما يحضرني وأنا أتأمل هذا الكتاب "المحاضرة الأخيرة" للدكتور راندي باوش. مازاً أراد أن يترك من أفكار وذكريات ولماذا حاز على شهرة عالمية! البروفيسور الشاب راندي باوش تلقى النبأ الصاعق عن موته القريب. كان مصاباً بسرطان الكبد، العالم النشيط المتفوق في تخصصه العلمي والسعيد في حبه وحياته الأسرية، المحاط بزوجة شابة وثلاث أطفال صغار دون السابعة. بدأ التحضير لرحلته في هذه الحياة خلال هذه الأشهر المعدودة. الصدمة النفسية المرهقة، جعلته يذهب هو وزوجته لطلب الاستشارة والمساعدة من قبل أخصائية في علم النفس ومساعدة الأفراد والأسر التي تمر بمثل هذه الحالات الأليمة. خلال هذه المرحلة يتم تكليف البروفيسور راندي باوش الذي يعمل محاضراً في إحدى الجامعات الأمريكية بتقديم محاضرة تكون بمثابة "المحاضرة الأخيرة" وفق تقليد يجري في هذه الجامعة، ويترك للأستاذ المحاضر تقديم مايشاء من الحكمة والمعرفة لطلابه والحضور. الأستاذ البالغ من العمر 47 سنة يواجه ققا شديداً وصعوبة في اتخاذ قرار سريع بخصوص هذا التكليف. رغبته الداخلية الشخصية بالقبول كانت قوية لأنه يريد أن يعتلي المنصة للمرة الأخيرة ويترك صورة وصوتاً ودرساً في الحياة لأطفاله الصغار حين يكرون، وهذه الرغبة كانت تتصادم مع رغبة زوجته التي تريد أن يعيش معها ومع الأطفال كل دقة متباعدة من عمره. وبعد مناقشات حميمة تتعاطف الزوجة مع رغبته وتتفهم عمق دوافعه. وفي إحدى الزيارات وبعد الحصول على نتائج التصوير التي تشير إلى انتشار المرض الخبيث في خلايا جسده الأخرى، ينصرف إلى جهاز الكمبيوتر-الlap توب ويكتب رسالة إلى الجامعة يخبرهم فيها عن قبوله التكليف ويحدد لهم عنوان المحاضرة ومحورها. يرتكز موضوعه الأساسي على أهمية تحقيق ما يحلم به الشخص في الطفولة وأهمية مساعدة الآخرين

على الانتباه لأحلامهم والعمل على جعلها حقيقة. وترتكز المحاضرة هذه على الاحتفاء بقيمة الوقت والاحتفاء بالحياة بالحب، بالأسرة، والتواصل مع الآخرين حتى في أشد ساعات العمر قتامة. المحاضرة الأخيرة يبتعد فيها عن مأساوية القدر والحزن والخوف من هذا المرض الذي يخشى العالم النطق به. يذهب راندي أستاذ المعلوماتية وعلوم الكمبيوتر- والتواصل الإنساني، النبش في أرشيف العائلة والذاكرة للبحث عن النقاط المحورية والسعيدة التي كان لها أثر كبير على تطوره النفسي والعلمي فيما بعد. وهو المعروف بتفوقة العلمي ومخيلته الباهرة التي مكنته من العمل مصمماً في ديزني لان، وضمن فريق "التخييليين" كما عمل استاذًا مشرفاً ومبتكراً لبرنامج سماه "الحقيقة الافتراضية". وعمل كخبير في عالم التكنولوجيا متعاوناً مع "غوغل" ومع شركات أخرى لها بريقيها. كما له إسهامات بمقالات لكتاب السيكلوبيدي العالمي، وغيره من الإبداعات العلمية التي أنجزها بالعمل المثابر والإصرار واحترام الوقت. يتحدث الدكتور راندي من خلال الصور الفوتوغرافية عن طفولته وأهم الأحلام والأحداث التي يحملها في ذاكرته. يتحدث عن والديه. يذكر واقعة مهمة، حين أراد أن يرسم على جدران وسقف غرفته ويزينها بصور من مخيلته. حصل على الموافقة بعد مناقشات طويلة معهما، بدأ بتنفيذ حلمه وراح يرسم على الجدران ويكتب معادلات رياضية بتنسيق جمالي وصور على الجدران والسلف تعبر عن حلمه. يتحدث عن السعادة البالغة التي جناها من تحقيق هكذا حلم كان يحسده عليه أصدقائه الصغار حينها، ذلك أنهم غير قادرين على ممارسة هذه الحرفيات في بيئتهم. كما يتحدث عن تجربة هامة أخرى في شبابه وهي الدخول إلى غرفة تكون فيها الجاذبية الأرضية معدومة. يقدم تجربته مرفقة بتصوير حي على الفيديو، وبسخرية مرحة تجذب الحضور لمتابعته بشوق وتصفيق حار. يكتم وجعه ويبتسم ويقول للحضور الذي تجاوز الـ4000 شخص: أعتقد إن كنت خبيث أملكم، إذ إنني أبدو سلیماً ومعافى تماماً. ينبطح أرضاً ويجرى بعض التمارين التي تحتاج إلى لياقة بدنية عالية. ولكن هذه هي صور الأشعة والسرطان الذي ينشط في داخلي، ولم يبق لي هنا أكثر من 3-6 أشهر. يعرض الصور ويذكر جملة هامة تعلمها من والده الذي كان يقول له "إن كان في الغرفة فيل، قدمه للآخرين "وها هو يقدم "الفيل-السرطان" للآخرين. يشير أيضاً في كتابه إلى أهمية هذه المحاضرة بالنسبة إليه، فيقول لزوجته: هذه المحاضرة هي فرصة للأسد ليجرب إن كان مايزال يستطيع الزئير. وأيضاً يشرح لها أهمية أن يترك

تسجيل الفيديو وحصليلة تجربته في الحياة لأولاده حين يكبرون من دونه، ومن دون أن تكون له الفرصة بأن يعلمهم شيئاً ويساعدهم على ابتكار أحلامهم أو تحقيقها. كما أنه يرغب أن يترك لها ولهم ذاكرة طيبة قوية ومرحة تساعدهم على اجتياز صعاب الحياة. تفهم الزوجة رغبته، بينما تقوم هي برعاية شؤون المنزل والأطفال ورعايته شخصياً، والكافٌ عن الشكوى منه ومن استهتاره بترتيب ونظافة البيت وغيرها من الأمور اليومية التي تن ked حياة النساء.

يقول في محاضرته: "هناك أشياء كثيرة أريد أن أخبرها لأطفالى الآن ولكنهم صغار جداً ولن يستوعبوا

الأمر. ديلان أصبح من العمر 6 سنوات، لو غلن 3 سنوات، البنت الأصغر شيلو، 18 شهراً. أريد أن يعرف أطفالى من أنا، وما الذي كنت أؤمن به، الطريقة التي كنت أحبهم فيها. أتمنى لو يستوعب الأطفال كم تمنيت أن أبقى على قيد الحياة من أجلهم. "جاي" وأنا لم نقل لهم بعد بأننى سأموت، لقد نصحنا الأطفال بأن نؤجل ذلك لحين ظهور الأعراض المرضية، فانا الآن في الظاهر سليم... يؤلمني بأنهم سي Krishnan بدون أب، وأحياناً أبكي وأنا استحم، لا أبكي لأنني لن أraham ، بل أبكي لأنهم سي Krishnan بدون أب." ثم يبدأ بالحديث عن تجربة أطفال يتامى كانوا يتحدثون عن أهمية أن يعرف الأولاد أن أهلهm كانوا يحبونهم. ولا ينسى في بداية المحاضرة وختامها الإشارة إلى الجهد الخارق والعناء الكبيرة التي تقدمها الزوجة الحبيبة له ولأولاده فيقول: كأي عائلة تعامل مع السرطان، نعرف أن الذين يخدمون المريض يتذمرون لمطالبهم الشخصية، يجعلون المريض مركز اهتمامهم. إنهم يحملون العبء الأكبر، ويدعون حزنهم وألمهم جانبًا. وهكذا زوجتي "جاي" كانت تحمل في يدها أكثر مما تستطيع. وحين أقدمت على هذه المحاضرة أردت أن أشير إلى مدى حبها لها وتقديرها وامتناني لها. لقد تعلمت من الحياة أن ذكر الآخرين بدل أن تكون ذاتنا هي فقط محور اهتمامنا" كان ذلك في 18 سبتمبر 2007. وهذه المحاضرة الأخيرة تم نقلها إلى كتاب صدر بهذا العنوان وبمساعدة كاتب في جريدة "وول ستريت" جيفري زاسلو" ربيع 2008 ، كما وضعت المحاضرة على الانترنت على "يوتيوب".

هذا الكتاب درس في عشق الحياة، تعزية النفس والاحتفاء بالحلم وبالساعات التي لنا على هذه الأرض الطيبة-القاسية.

*

سيرةاليوم 2020

هذا الكتاب عدت إليه في عصر الكورونا والفايروس الذي يهدد المعمورة والبشر بطريقة مرعبة وغير مسيطر عليها 2020. في العزلة القسرية بسبب وباء كورونا نستطيع أن نعود إلى التفكير في قيمة عمل الفرد وأهمية الذاكرة في تكوين الفرد. نحن ما نصنع من ذكريات مع الزمن مع من نحب ونكره. التاريخ الذي ننتمي إليه يبدأ مع المخطوطات والرقم والارشيف الذي خلنته الحضارات القديمة السومورية والفرعونية، والاغريقية وحضارة المايا وغيرها، هي الوثائق التي ندرسها كي نعرف تاريخ الإنسان القديم. وسيبقى كتاب وتاريخ هذا الوباء الذي نعيش تبعاته اليوم وثيقة للأجيال التي ستأتي بعدها. أما اليوم فما علينا إلا أن نجتهد في تمجيد العيش معاً وصنع ذاكرة طيبة تليق بأولادنا والأجيال القادمة، بأهلنا وأخوتنا في الإنسانية.

كيف حصلت على كتاب "المحاضرة الأخيرة"؟

كنت في المكتبة العامة أتصفح الواجهة وجذبني هذا العنوان فرحتُ أقلب صفحات الكتاب وقررت استعارته وقراءته ومن ثم الكتابة عنه (العرب القطرية) والموضوع مبني في المصميم لأن طليقي (والد ابني) كان قد توفي مصاباً بالسرطان في تلك السنوات وله من العمر 45 سنة. كنت أقرأ وأفكر بمستقبل ابني وكيف يمكنني أن أبعده عن خسارته لوالده، وكيف يمكنني أن أبني معه ذاكرة وذكريات سعيدة رغم كل شيء.

هامش اليوم: لا شخص يحل محل آخر، وكل ما نفعله أنا نفتح في قلب الكتاب بوابة للنور في هذا العالم الذي يوشك على العماء ويوجّل في القتل وابتکار طرق جديدة للموت والقتل في شرق الأرض وغربها.



الصراع عن أجل الدب في عصر الانقراض وتلوث البيئة

رئيس مشروع الطاقة النظيفة يحذر أميركا في كتابه عن كوارث التلوث

الكائنات التي أنقذها فاك نوح من الطوفان مهددة اليوم بالموت. ولنلا ينقرض واحد من كل زوج من الكائنات البرية في القرن الـ 21، قرن الانقراض، يتوجب على أميركا أن تكاف عن تلوث البيئة وأن تخصص بلايين الدولارات كل سنة من أجل تطوير تكنولوجيا مصادر الطاقة النظيفة. القيام بعمل من أجل استقرار البيئة يبدأ بالسياسة وانتخاب ممثلي الشعب في المجالس والبرلمان والبيت الأبيض. حكومة الولايات المتحدة يجب أن تلعب سريعاً دوراً في خلق هذا التوازن. بالسياسة وعشق كائنات هذه المعمورة يكون الطريق لحماية الكائنات من الانقراض، بالإضافة إلى تثقيف الإنسان حول دوره في الحفاظ على البيئة وسلامة الطبيعة. هذه هي الثيمة الأساسية التي يبشر بها ويحارب من أجلها البروفيسور في الاقتصاد، الأميركي «ابن غودستين» في مؤلفه الجديد الذي يحمل عنواناً رئيسياً «النضال من أجل الحب في قرن الانقراض» وعنواناً فرعياً «كيف يمكن بالسياسة والغيرة أن نوقف الترتفع الحروري العالمي». ومن المعلوم أن غودستين له سلسلة من الكتب التي تعنى بالبيئة والاقتصاد، بالإضافة إلى كونه رئيساً لمشروع الطاقة - النظيفة ومشهوداً له بدفاعه الغيور على سلامية الأرض ومخلفاتها التي نزحت أزواجاً منذ طوفان نوح لتبث عن هذه الأرض وفيها تحط رحالها وتواصل الخلق والإنجاب. في هذا الكتاب الذي يتوزع ما بين التجربة العلمية والمشاهدات العيانية والميدانية نقف إزاء حقائق صادمة في ما يخص عمر هذه الكرة وسكانها، بما فيها من دببة وحشرات وغبارات وجبار جليدية. في الكتاب نجد أن أميركا مسؤولة عن مستقبل المعمورة وعن الهواء الذي يتنفسه البشر. ولكن العلماني والملحد والمتدين يمكنهم أيضاً أن يجتمعوا حول هدف واحد وهو الحفاظ على سلامية البيئة، ومهمماً تباينت معتقداتهم وتوجهاتهم الروحية.

تقع تفاصيل الكتاب في سبعة فصول تم عرضها في 164 صفحة من القطع المتوسط وهي: قرن الانقراض - الثروة - المعرفة - الروح - السياسة - الحلول - النضال من أجل الحب. للطبيعة سحرها ومجدها الخاص. بعض الكائنات الحية أساطيرها التي يعجز الخيال عن تصوّرها وتفسيرها، وقلما نعرف عن تلك الحيوانات شيئاً وكلما توصلنا إلى مملكة حيوانية ننذهل أمام سحر هذا العالم ونشعر بتواضع معرفتنا. وليس رحلة أسماك السلمون المعروفة إلا مثلاً على أسطورة الخلق. فدورة الحياة القاسية التي تواجهها هذه الكائنات وهي تساور آلاف الأميال عكس التيار كي تضع بيوضها وترى ذلك. هناك أمثلة مذهلة أخرى نقرأ عنها في الكتاب ونشاهدها في هذا العقد الأخير، حيث ازداد الاهتمام بالبيئة والنظر إلى فيها سياسياً وإبداعياً وأخراجاً سينمائياً. أفلام حازت جوائز تقديرية لما تحمله من نداءات للحد من خراب المعمورة. ومن الأمثلة على ذلك فيلم وثائقي جميل يعرض صراع طائر البطريق من أجل البقاء باسم «مسيرة البطريق»، وهو قطعة جمالية مذهلة يصور دورة حياة وتکاثر هذه الكائنات الجميلة. ولكن، هل يلزمها بقاء البطريق والبعوض والحيتان والغابات وكل هذه الكائنات التي لا نعرف أسماءها وتعيش بعيدة عنا ملايين الأميال! نعم يبدو أن البقاء رهن عمل الأفراد والجماعات ومن هنا كان ابتكار قانون أخلاقي للتصرف مع الطبيعة وكائناتها. ومن هنا وجدت أخيراً أحزاب سياسية «حضراء» تقارع من أجل الوصول إلى السلطة والعمل على تنفيذ أجندات بيئية متطرفة. يرى الباحث أيضاً أن ما نملكه من معرفة متطرفة ومن ثروة وتقدم تكنولوجي يجب أن يكرس لإطالة عمر الأرض وكائناتها وكل رقة فيها من ماء أو يابسة وبما تحتويه في أعماقها من حيوات سرية ومحفوظة. وهذا لا يتحقق إلا ب التربية النفوس والأجيال الجديدة على احترام البيئة في كل خطوة ومشروع. في الصفحة 122، يختم المؤلف كتابه بفصل الشغف بالحياة وحمايتها بالعودة إلى كلمة شهيرة قالتها القائدة العمالية والناشطة الاجتماعية الإصلاحية الشهيرة في ذاك الوقت «الأم - ماري جونز» في حادث مقتل امرأة عاملة «احزنوا على الموتى، ولكن قاتلوا حتى الجحيم من أجل الأحياء» ويقول غودستين: «نحن هنا نعيش صراعنا الخاص من أجل الأحياء، وهذا بحد ذاته معنى وجودنا». يحاورنا الكاتب بشغف وحكمة وأرقام، مستخدماً قوله التعبيرية الشفيفة التأملية، قناعاته الروحانية ومقدراته العلمية، تاريخه الشخصي في العمل والتدرис في هذا الحق، ويترك بين أيدينا خلاصة فكره وحلوله المقترحة لإنقاذ هذه الأرض من جريمة ترتكب بحقها.

*

مقطع من الكتاب

عندما أمشي قرب الجبال القريبة من بيتي، أدرك بأن هذا الجوار سوف يختفي، المائة سنة من الترتفع الحروري سوف تقضي على جبال الجليد، الأسماك، الحيوانات، الأنهر والمستنقعات، وسوف تحرق

عشرات الغابات التي تغطي المستنقعات، ورغم ذلك كل يوم أشعر بأن الحياة من حولي قد أصبحت أثمن، وأغنى في محتواها وما تكشفه من أسرار هذا الكون، وتعودنا بأشياء ثمينة في المستقبل. ولأنني أشعر بهذا فانا ممتن لمقدرتني على النضال من أجل هذا الحب، ولكوني فرداً في هذه الحركة التي تعمل على إيقاف الترتفع الحراري العالمي. العقد الجديد من هذا القرن سيكون أكثر إنسانية من كل ما فات. نحن نقف الآن في لحظة تاريخية، نحمل عالياً في أيدينا هدية حقيقة لأحفادنا وأولادهم. هدايا مضيئة من الرمل والمرجان، هدايا من طبقات الجليد والتلوج بحجم القارات، هدايا من الدببة القطبية والفقمة وأسماك المسلمين، ومن الغابات العتيقة. يالها من هدايا رائعة. ياله من زمن للعيش! ص 12.

نشر في صحيفة الشرق الأوسط

فكرة اليوم:

حين تقع العواصف والأعاصير الشرسة في كندا وأمريكا وفي الجوار، وحين ترتفع درجة الحرارة بشكل غير مسبوق، نشعر جميعاً بأننا ارتكبنا خطأً كونياً بحق الأرض وكائناتها من بشر وطير وحيوان وطبيعة. ومن العسير أن تكون شاهداً سالباً في زمن الكوارث الكبرى!







المجموعة القصصية الأخيرة «أرض غير مألوفة» للكاتبة جومبا لا هيри وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة السنوية الأميركية «جائزة القصة» و وسلمت مبلغا قدره خمسة آلاف دولار في احتفالية كبيرة أقيمت في نيويورك في الرابع من مارس 2009. حيث حضر وقرأ المرشحون الثلاثة للجائزة والذي وقع على كتبهم الاختيار منافسة مع 73 مجموعة لقصص الصادرة بالإنكليزية، خلال الدورة السنوية الأخيرة. ضمت القائمة القصيرة كلاما من جومبا لا هيри، جو مينو، وتوببياس وولف الذي تسلم الجائزة الأولى وقدرها 20 ألف دولار عن مجموعة «قصتنا بدأت». وما تزال «أرض غير مألوفة» مدرجة في القائمة الطويلة لجائزة «الكوندوليث» إلى جوار كتاب كبار من أفريقيا، جنوب آسيا، أوروبا، كندا، والأميركتين. والجائزة تعنى بالأدب العالمي المكتوب أو المترجم إلى الإنكليزية وسيعلن عنها هذا الربع. كيف استطاعت الكاتبة الهندية المشارب - الشرق آسيوية السخنة والمدم أن تحصد الجوائز الأميركية وتصل إلى العالمية ترجمة ومبיעات في قربة عقد من الزمن ومن خلال ثلاثة إصدارات فقط؟ ولم تتناول أعمالها أيّاً من التابوهات، لم تكتب جنساً زاعقاً، لم تتناول مسألة الإسلام أو الهندوسية، ورغم ذلك نجد كتبها تجاور كتب سلمان رشدي في قوائم الجوائز والترشيحات. قصص لا هيри حققت نجاحاً منقطع النظير لم تشهده القصة القصيرة منذ زمن من خلال كتبها الثلاثة التي حازت على جوائز عالمية منها جائزة بوليتزر عام 2000 عن مجموعة لها الأولى التي حملت عنوان «مترجم الألام» الصادرة عام 1999. ثم تلتها رواية أولى بعنوان «من أجل الاسم» وكان لها نصيب فتم تحويلها إلى فيلم سينمائي، قامت الكاتبة بتمثيل دور فيه. فيما صدرت «أرض غير مألوفة» عام 2008 ووقع عليها الاختيار لتكون ضمن قائمة أهم الكتب التي صدرت في 2008. فازت كذلك بجائزة القصة في ايرلندا «فرانك اوكنر». المجموعة التي تقع في 333 صفحة من القطع الكبير، تضم تسعة قصص موزعة على فصلين. بعض القصص تزيد عن 50 صفحة.

القصة عند لا هيри في مجموعتها الأخيرة زاخرة بالتفاصيل على أكثر من محور. لا تقف عند توصيف المكان، الشيء، الشخص، بل تذهب أبعد وتقدم لنا بانوراما عن الانفعال الداخلي والمشاعر والتقلبات التي تعتري شخصياتها التي تحاول العيش في واقع ملتبس غريب، هجين غير مألف. هذه التفاصيل بكل دقتها ودهشتها تجذب انتباه القارئ وهو يتبع تفاصيل الحكاية التي تصعد إلى الذروة، وتكون النهايات على الغالب غير متوقعة. وهنا تكمن بعض أسرار نجاح هذه الكاتبة الشابة التي خطت لنفسها درباً مميزاً - إن وجد فيه النقد، حاجة إلى أصوات انكليزية أخرى - وذلك دون أن يجعل من الدين أو الجنس موضوعة تتغزّل عليها.

الثيمة الأساسية التي تشتعل عليها الكاتبة هي الخوض في حياة المهاجرين الهنود تحديداً، الموزعين ما بين البلاد التي قدموا منها حاملين عاداتهم، روانحهم، ثيابهم، أطباقيهم، وما يجري في داخلهم وهم يسعون للتآلف مع المحيط الخارجي والمكان الجديد. هذه الرقعة المهجوية لا شك غنية بالمتناقضات والصدام والاستثنائية، وتتجيد الكاتبة تسخيرها في عملها الإبداعي. أرض غير مأهولة في «أرض غير مأهولة» تتعرف على مشاكل الشباب المهاجر الممزوج ما بين تقاليد العائلة وبين الرغبة في الاندماج في المجتمع الجديد وذلك من خلال علاقات الحب، الصداقة، الزواج المختلط، علاقة الوالدين بالأبناء، الإدمان على الكحول، الخروج عن طوع العائلة... الخ. القصص تنتصر مرة للشخصية الهندية، وتنتصر مرة للشخصية الإنكليزية أو الأميركيّة. لا تحاول أن تصدر أحكاماً أخلاقيّة وتميّزاً بين مجتمع دون آخر. تعتمد لغة بسيطة خالية من المقولات الكبرى الفكرية والفلسفية. تتحلى الكاتبة عن ثقافتها الشخصية، لترسم لنا شخصيات فقيرة، جاهلة، طيبة، ذكية، ومتقدمة. وتستفيد بالتأكيد من تجربة حياتها كونها ابنة عائلة بنغالية عاشت ودرست في الغرب، تزوجت من صحافي مختلط الهوية، لتنجب أطفالاً بهوية كونية، وكتباً تتسلّم طريقها في العالم. كتابتها خالية من الانفعال، وتلامس عوالم النفس من الداخل بهدوء وحكمة إلى حد ما. قصة «أرض غير مأهولة» تأخذ صفة من الكتاب، تفتح قلب الحياة المهجوية وما تفرضه من ازدواجية في المعايير. الشابة هندية متزوجة من أمريكي، تبدو سعيدة باختيارها وتقبل أسرتها لهذا الخيار. يبدأ صراعها مع ذاتها بصمت حين تصبح أمًا وتتخلى عن عملها الذي حصلت عليه بالدراسة والعمل الشاق. تربية الأطفال والتفرغ للبيت، تفقدها الخبرة في سوق العمل، تحرمها من كونها امرأة منتجة مادياً، إذ ينحصر دورها إلى العناية بالأولاد، الطبخ، إرضاء الزوج ومراقبة نجاحاته. هذه التفاصيل كانت أمّها تقوم بها، من غير شهادات جامعية ولغة إنكليزية متقدمة.

القصة تقدم صورة متمدنة عن الأب الذي يقوم بزياراتها في بيتها الجديد، بعد وفاة والدتها. يبدأ بانتقادها ببطف، يلفت انتباهها إلى أهمية العودة إلى العمل وعدم الاكتفاء بدور الأم - الزوجة. بين سطور الحكاية نكتشف مشاعرها اتجاه كل من والدها وموته والدتها الذي ترك حزناً يليغاً في نفسها. الزمن في القصة

ليس هنيئة وساعات، بل يغطي حقبة زمنية جوانب من طفولتها، شبابها علاقتها بأهلها، زواجها، وتقادع والدها الذي طاله التغيير أيضاً وصار عنده «صديقة هندية» ولا يبدو عليه الحزن لوفاة زوجته. أما قصة «الجنة - الجحيم» تأخذنا شهرزاد الهند إلى عائلة بنتالية أخرى. شاب مهاجر لا أهل له في البلد الجديد، ينضم إلى أسرة عرفها بالصدفة. يعامله الجميع كفرد منهم. يدعونه للأكل معهم والاحتفالات ، فيما هو يجري بحوثه التي قدم من أجلها. الشاب الهندي يتعرف على صديقة أميركية. حين يقرر الزواج منها تقع الحبكة «الهندية الكلاسيكية» يبدأ الخصام بينه وبين والديه المقيمين في الهند، الرافضين كلية فكرة زواجه من أجنبية. على أمل أن ينهي دراسته ويعود ليتزوج من فتاة خطبها له. تصور في القصة امتعاض الجالية الهندية من هذا خيار الزواج بأجنبية، من خلال نسيمة النساء أثناء تجمعات الجالية الهندية التي يحضرها الشاب وصديقه. كلهم ينكرون بأن الغريبة ستخونه، ستتخلى عنه بعد أن تشبع رغباتها. ويحصل بعد الإنجاب العسير ومرور السنين أن يخونها الرجل ويتعرف على شابة هندية بعد أن يحقق حضوراً ونجاحاً مادياً. ونراه هو الذي يتملص من علاقاته بأصدقائه الهنود حين يكتفى عن الاحتياج إليهم كخلية اجتماعية بدلاً عن الأهل. في قصص أخرى كـ«الإلهة فقط» تتزوج الشابة الهندية رجلاً أميركياً يكبرها بسنوات، تعيش معه بحب وسلام إلى أن يحضر أخوها الأصغر ليقيم في بيتها أيامًا معدودة. يحصل خلاف حاد بينها وبين زوجها بسبب تصرفات أخيها الأربع عن الذي تخلى عن دراسته ووقع أسيراً للكحول منذ أن كان طالباً مراهقاً. في هذه القصة تتطرق إلى الخداع والكذب الذين يمارسهما الولد والبنت على والديهما. البنت تشتري الكحول لأخيها الأصغر وتختفي عن أهلها. يمكن الكحول من دم الشاب، فيفقد توازنه ومستقبله العلمي، يتم توقيفه من قبل البوليس أكثر من مرة بسبب الشراب وسياقته السيارة بسرعة. أثناء زيارته الأولى لأخته المتزوجة التي رزقت بطفل صغير، يتذبذب تصرف الأخ ما بين الجميل والأتique إلى أقصى اللامسؤولة والتي كانت تودي بحياة طفلهم الوحيد. الشاب يبدي اهتماماً وحباً جماً للطفل. يطلب من أخيه وزوجها أن يقتتنسا الفرصة ويداهما لحضور فيلم، فيما هو يعتني بالطفل. حين يعودون إلى البيت يجدون الشاب نائماً مخموراً فيما الطفل الصغير متراكماً في مغطس الحمام لوحده والماء بارد. وفي القسم الثاني من المجموعة يتبدل شخصان السرد والحديث عن ذكريات الطفولة والفترات اللاحقة. فنوع على لوحات دقيقة عن انطباعات الأولاد والأهل ومشاعرهم اتجاه الفقر، لون الثياب واختلافها عن الآخرين، زواج الأب بعد وفاة الأم...الخ. على هذا المنوال تدور قصص «أرض غير مأهولة» التي تلتقي بشدة مع أجواء مجموعتها الأولى «مترجم الآلام» التي تقع في 200 صفحة وتضم أيضاً تسع قصص. شخصياتها من كل الطبقات الاجتماعية، وتحمل اسماء هندية قد يرفضها الأبناء كما يجري في روايتها «من أجل الاسم» التي تتناول مشكلة شاب هندي لا يحب اسمه ولا يراه مناسباً للعمل في البلد الجديد. يقول في إحدى فقرات الفيلم الدرامي الذي أخرج عام 2007 «أريد أن أغير أسمي. تخيلوا أن يظهر اسم «غوغل»

على بطاقة бизنس أو في السيرة الذاتية لطلب العمل». تكتب لايري وكانتها شهرزاد الهند في ثوب انكليزي وقلب «بوست مودرن». قصصها كحال امرأة تلبس بنطال الجينز الضيق وتضع دائرة حمراء على جبينها، فيما الساري بألوانه الزاهية يتلذّل برهافة تأخذه الريح ويتجاذل في ذهن العابر الأميركي والهندي على حد سواء. ويبدو أن «المهجر الهندي - اذا جاز التعبير - قد قدم أبداً مميزاً وغنياً، فهل يستيقظ القلم المهجري العربي ويقدم للعالم «ألف ليلة وليلة» بثوب العصر؟ (تورنتو)

صحيفة السفير 24-03-2009

2

محطات أخرى...كيف تعرفت على إبداعات الكاتبة جومبا لايري، 2023

حين كنت حديثة الإقامة في كندا وبدأت أتعلم التواصل مع المحيط، كنت طالبة تدرس وتعلّم بعد الظهر حتى الليل في مقهى في دوان تاون تورنتو 1998. في تلك الأيام تعرّفت إلى زبونة شرقية الملامح وربما إيرانية أو باكستانية كانت طالبة جامعية تسكن في البناء المقابلة للمقهى كي تشرب القهوة وتدرس. تبادلنا خلالها الأحاديث القصيرة فعرفت مني أنني أحب الكتابة القراءة. حدثتني عن مجموعة قصصية لجومبا لايري بعنوان: ترجمان الأوجاع. أحضرتها إلى القراءة وللنقاش حين أنتهيت منها. بعد أقل من أسبوع من إستعارة المجموعة القصصية وحين ذهبت ذات يوم وجدت المقهى مفلاً، وكانت الساعة حوالي الرابعة مساءً موعد عملي حتى الحادية عشر ليلاً. اتصلت بصاحب المقهى، قال: لقد أفسينا وأغلقنا المحل. كان ذلك صادماً وغريباً بالنسبة لي. سأله عن أجرة عملي لمدة أسبوعين ومتى وأين سيدفع لي، فلم يجب... وبعد الكثير من المحاولات والاتصالات الهاتفية فقدت الأمل في أن أحصل على أجرة عملي. ومع ذلك شعرت بالذنب لأنني لم أستطع إعادة الكتاب إلى صاحبته، لأنني لا أملك رقم هاتفها ولا رقم شقتها. كان "مستر كينغ" كما ي يريد أن ننادييه صينياً قصيراً قاماً هو وزوجته ويرونى علاقته طويلة حين يريدون مني أن أضع شيئاً على الرف الأعلى ويطلبون مساعدتي. كانت علاقتي معهم مبنية على الثقة. وتعلمت في ذلك المقهى الكثير، وبكيت مرات ومرة تعرضت للسرقة مرة ذات مساء. أحد الزبائن طلب مني قهوة وماء وبينما أنا أحضر طلبه، انقض على (الحصالة كاش) وقبض على ما استطاع من العملات الورقية وهرب. صرخت وأنا مصابة بالرعب، وركضت ورانه لكنه اختفى سريعاً. ثم اتصلت بصاحب المقهى والبوليس. ولم يتم القبض عليه. وبقيت أسيءة مخاوفي لفترة غير قصيرة حين أعمل في وقت متاخر. قرأت قصص جومبا لايري ولم يكن يخطر في بالي أنني سأصبح يوماً ترجمانة وأحمل أحزان الآخرين في قلبي ولسانني. تابعت كتابات أخرى لها وكان هذا المقال بعد سنوات من عملي في المقهى والمطعم

الكندي حيث كنا نعد الحلويات والقهوة والشاي والصندويشات الخفيفة على مدار 24 ساعة. وكان رواد المقهى، أساتذة وكتاب وطلاب وشرطة ومشردين بلا مأوى يتکاثرون في الليل وفي الأيام الباردة. ولن أنسى بأنني في تلك الأيام استعرت الجريمة والعقاب لدیستویفسکی وأعادت قراعتها وازداد خوفی في تلك الأيام وأنا عاندة إلى بيتي ليلاً بعد انتهاء العمل.

فكرة اليوم:

علاقتنا بـأهانة شانكة والعالم في ثوبه المعاصر شرير وربما كان كذلك دوماً. ولكن ينقصنا كتب ومعارف وأساليب جديدة في البحث عن الذات وتحقيق سلام مع دواخنا أولاً، مع هويتنا الروحية والفكرية والبيولوجية.





3

ما محتوى كتاب السر الذي يبع منه ملايين النسخ حول العالم

تقول الكاتبة بيرن في مقدمة كتاب الطاقة "أن تحقق أحلامك وكل ما تحب، أن تفعل وأن تحصل على ما تريده، في متناول يدك دائمًا وأقرب إليك مما تعتقد، لأن طاقة الحصول على أي شيء ترغب فيه موجودة في داخلك"

روندا بيرن الأسترالية من مواليد مارس 1951 كانت تعمل في الكتابة والإخراج التلفزيوني في بلدتها، إلا أن حياتها اتخذت منحى جديداً "دراما تيكيا" بعد أن أجزت كتاب "السر" وأطلقته. لم تكتف الكاتبة الأسترالية روندا بيرن التي اعتبرت واحدة من أهم مائة شخصية صاحبة نفوذ في العالم بإصدارها كتاب "السر" الذي حقق نجاحاً منقطع النظير، بل واصلت الحفر في بئر الأسرار الكبرى التي كانت ولا تزال مثار اهتمام الفلاسفة والعلماء وكتب الدين وعلماء النفس. وجاء كتابها الجديد بعنوان "الطاقة" الصادر عام 2010، مكملاً لما بدأته في إصدارها الأول عام 2006 في صيغة فيلم وثائقى معلوماتي وكتاب يحمل الاسم نفسه: السر. ووصلت مبيعات "السر" إلى 19 مليون نسخة في العالم، وترجم إلى 46 لغة عالمية، كما بيعت ملايين النسخ من الكتاب الأول والثاني في صيغة فيلم وتسجيل صوتي. فأي سر بين يدي الكاتبة الأسترالية لتحقق هذا الاستقطاب المدهش. وتجارب

تقول بيرن في مقدمة كتاب الطاقة "سيبقى يوم 9 سبتمبر/أيلول 2004 يوماً لا ينسى، فقد أعطتني ابنتي كتاباً عمره مائة عام لـ"والاك واتلس" عنوانه "السر" في أن تصبح غنياً"، وبعد قراءته اكتشفت أن السر معطى للبشرية منذ أقدم العصور، ولكن القلة القليلة

هي التي اختبرته، منذ تلك اللحظة اتخذت حياتي ونظرتي للعالم وجهة مختلفة تماماً". وتضيف أن كتاب الطاقة جاء نتيجة للخبرات والتجارب التي وصلتني من قرؤوا الكتاب واتخذوا من أفكاره مادة لتغيير حياتهم، فكتاب السر "يميط اللثام عن أهم قوة تحبط بنا وتحكم في مصائرها، وهي قانون الجذب الذي يمثل القوة الفاعلة في تسيير علاقتنا الشخصية المادية والصحية". وتقول بيرن في مقدمة كتاب الطاقة "أن تحقق أحلامك وكل ما تحب، أن تفعل وأن تحصل على ما تريده، في متناول يدك دائمًا وأقرب إليك مما تعتقد، لأن طاقة الحصول على أي شيء ترغب فيه موجودة في داخلك، وفي هذا الكتاب سأذلك على الطريق إلى الحياة التي تريدها، ستكتشف الطاقة في داخلك وستجد أن الحياة أسهل بكثير مما تتصور، لقد خلقت كي تعيش حياة مدهشة". الكتاب في طبعته الإنجليزية يتالف من 240 صفحة من القطع المتوسط، وهو مرفق بالرسوم، ولا تخلو صفحة من صفحاته من أقوال ملحوظة عن علماء ومفكرين وفلاسفة، بالإضافة إلى مقتطفات من آيات من القرآن أو الإنجيل، ومن قصائد شعراء وحكماء قديماء ومعاصرين. ويتناول في فصوله المتعددة ولعنه الآتية البسيطة الآسرة الأبواب التالية: ما هي الطاقة، ما هي طاقة الشعور، مستلزمات الشعور، الطاقة والإبداع، الحسن هو الخلق، الحياة تنقاد لك، مفاتيح الطاقة، الطاقة والثروة، الطاقة وال العلاقات، الطاقة والصحة، الطاقة وأنت، والطاقة والحياة.

سر المشاعر

وتتناول الكاتبة أهمية المشاعر التي تتناب الإنسان حول نفسه وحول العالم، وهذه المشاعر هي التي تستقطب الإيجابي والسلبي في كل خطوة وفكرة تعبر بأذهاننا، وهذه الطاقة محكومة "بقانون الجذب". وترى بيرن أن المشاعر هي خلاصة كل حياتنا عليهاتر تذكر مجريات حياتنا، ومانستقبله من نجاحات وإخفاقات يعود في المحصلة إلى الطريقة التي نتواصل بها مع العالم، و"ما نشعر به هو انعكاس لمانرسله" حسب بيرن. وتولي الكاتبة اهتماماً كبيراً لعمل المخيلة الإيجابية ومقدرتها على استقطاب الخير والحب والنجاح بل وحتى الثروة. أما مفاتيح استقطاب المال والنجاج والفرح فتتم وفق آلية بسيطة مفادها أن يتخيّل الإنسان ما يرغب فيه، ثم يدرّب نفسه على الشعور بامتلاك ذلك الشيء من خلال إرسال مشاعر الحب والامتنان والعرفان، إلى أن يتحقق ذلك الحلم على أرض الواقع. وتضرب الكاتبة أمثلة عن حيازة بعضهم فرصة العمل المثالية، أو حيازة آخرين ثروة لم تكن في الحسبان، وذلك فقط حين بدؤوا ممارسة قانون الجذب والتفكير الإيجابي. ولا تفوت بيرن فرصة للاستدلال على هذا عبر بعض الأقوال المقتطعة من نظريات الفيزياء الحديثة والكم، والأفكار المقتبسة من كبار علماء الفيزياء والفلسفة، بالإضافة إلى الشعراء الصوفيين والجدد.

قد تبدو هذه الأفكار أقرب إلى المعجزة، لكنها تمتلك في الآن ذاته أبعاداً دينية وروحانية شاملة، ومما يجعلها أقرب إلى القبول التجارب العيانية المروية من قبل أفراد عاديين وبعضهم شخصيات معروفة عالمياً وإعلامياً، مثل أوبرا وينفري مقدمة البرنامج الأميركي الشهير التي تحتفي بفكرة الكتاب. كما نجد في الجانب الآخر شخصيات تعارض هذا التوجه الروحاني الفكري الجديد. وترفضه جملة وتفصيلاً بعد أن أصبح الكتاب مثار جدل طويل في الغرب لسنوات.

الطاقة الكامنة

وتخلص الكاتبة في الأسطر الأخيرة من رحلتها مع عالم أسرار الحب والنجاح والفرح إلى القول "أنت أتيت إلى هذا العالم ومعك الحب، وهو الشيء الوحيد الذي ستأخذه معك.. في داخلك تكمن أعظم قوة في الكون، وبموجبها ستصبح حياتك مدهشة، الطاقة الكامنة في داخلك". الكتاب يطرح على الفرد تحديات روحانية متعددة، لكن في هذه الفترة التاريخية العصيبة في حياة الشعوب وبخاصة في الشرق الأوسط، كيف يمكن للفرد أن يكون مفتاح التغيير على مستوى فردي وعام؟ هل يمكن للإنسان أن يغمس عينيه ويتخيل بقوة ورغبة حارة أن جميع الدكتاتوريات التي على هذه الأرض ستزول، وسيحل الحب والسلام والفرح على هذه المعمورة التي أتى إليها الإنسان عارياً من كل شيء سوى الحب؟ ولكن مهلاً فثمة مخيلات شريرة ترجم كفتها عدداً ومقدرات مادية. إن المخيلة رحم الخلق، ولكن هناك من يحلم بالقبلة الذرية، وهناك من يحلم بسرقة آبار النفط، وحقول القمح والقطن، وهناك من يحلم برغيف خبز وكسرة كرامة وحرية.

نشر في الجزيرة نت عام 2011

سيرة اليوم:

مرة دعاني أبني سلام لمشاهدة فيلم صدر حديثاً ومتوفّر اونلайн، وهناك تعرّف على كتاب السرّ وكان بداية شهرته وناقشتني مسائل عدّة طرحتها الكتاب. وبعدها بسنوات، أهداني صديق فنان نسخة (سي دي من الفيلم نفسه) هدية في عيد الميلاد. كان فناناً المانيا مهتماً ذات وجودية عدمية. لولا التفاعل بين الأجيال والأفكار والحوارات العائلية والشخصية لما تقدم أيّ منا في الاستزادة من المعرفة العالمية التي قد نتقبلها أو نرفضها ولكن من الضروري أن نبحث عنها كي لا نسكن أفكارنا في بركة آسنة دون تجديد وتحديث. العالم يتتطور بشكل مذهل وبعض المعرفة تتقذننا من الجهل الشاسع.

فكرة اليوم:

الضحية أنت، والجلاد أنت، والسوط أنت. والسر في ذهنك وما يجول فيه.

كل خروج عن سجن الذات يشكل تهديداً لكل السلطات-الهرمية: السلطة، الدين، السلطة الذكورية، ثم الأعراف والتقاليد والوعي الجماعي المعمور. وكي أومن بالطاقة الكونية وطاقيتي الفردية لا بد من فتح قنوات التلقي بلا رقيب ولا اشتراطات.



كيف تربح جائزة نobel وتصبح مليونيرا

4

إذا حدث وخالطك الأمل في أن تصبح مليونيراً وتفوز جائزة nobel العالمية في الآداب عليك أن تقرأ طويلاً أرشيف الجائزة الذي لا يتوفر بلغتك العربية. عليك أن تنجز كتابك اليوم وخصوصاً إذا كنت من بلد ديكاتوره قضى نحبه كالجرذ، او هو على وشك أن يسقط عن عرشه، فيزول مجده الخلبي. الحاضر الراهن فرصة لتحرير القلم من الخوف الذي يدمر جدار الإبداع فيفقد الكاتب الموازنة بين الجمالي والمثالي والأنساني الحر. الفرصة مواتية والوقت ملائم ما بين ديكاتورية تنهار وأخرى قد تحل محلها بصورة أو بأخرى. وفي هذه المرحلة المقلبة وانهيار الديكتاتوريات الكبرى نجد عناوين روايات عربية تدخل حيز السباق في مضمار الجوائز العربية، ويكثر الخلط ما بين التوجه السياسي والتبعية لهذه الجهة او تلك على حساب الفنية والجماليات. ما بين "الديستوبيا" واليوتوبيا، هناك مساحة للكتاب الذي قد يصنع مستقبلاً مغايراً. ولكي تفوز بمنصب أبي وكرسي مرموق طوال الحياة في أكاديمية تتجه إليها أنظار العالم كل سنة، عليك أن تولد سويديا ويحالفك الحظ والحظوظ لأن تعين حكماً في هيئة قضاة nobel المؤلفة من 18 فرداً مختصاً في علوم شتى، كالآنسنية، التاريخ، الكتابة والإبداع والبحث الأكاديمي. وظيفة بمقتضها يقرأ الأعضاء نخبة الكتب الصادرة عالمياً، هذه الكتب التي لا وقت للحاكم العربي أو الغربي الذي يحاول البقاء في منصبه إلى الأبد أن يطلع عليها أو حتى يسمع بها. وهي الكتب ذاتها التي ترعبه فيخصص أجهزة رقابة وطوابير من المخبرين مدعى الثقافة والمعرفة لمراقبة كل إصدار أو مطبوعة تعبر الحدود أو تخرج من رحم المحيرة ومخلية الكاتب. هذه اللجنة التي تصبح معاييرها مقاييساً لتحديد جودة الكتابة و أهمية الكاتب وهذا ما حدث بالفليسوف جان بول سارتر، إلى رفض الجائزة لإيمانه بأن

الفردية الابداعية لا يحوز أن يحكم عليها ويصنفها (جمع من القضاة) يعطون لأنفسهم الأهلية المطلقة للحكم على جودة الإبداع أو عدمه. هذه وظيفة بمقتضاها يقرأ الأعضاء نخبة الكتب الصادرة عالمياً، هذه الكتب التي لا وقت للحاكم العربي الذي يحاول البقاء في منصبه إلى الأبد أن يطبع عليها أو حتى يسمع بها. وهي الكتب ذاتها التي ترعبه فيخصوص أجهزة رقابة وطوابير من المخبرين-مدعى الثقافة والمعرفة لمراقبة كل غصار أو مطبوعة تعبر الحدود أو تخرج من رحم المحبرة ومخيلة الكاتب. وكى تكون لديك فرصة التقرب من الجائزة عليك أن تتطلع على وصية السويدى "الفرد نوبل" والخطوط العريضة التي حددتها بخصوص الجائزة المخصصة للآداب والتي يحدد فيها أن الجائزة تعطى للكتابة التي تحمل توجها "مثاليًا" وتعلى من شأن "الإنسانية" ولا يمكن أن تعطى لهؤلاء الذين يدعون إلى "العنف" قد تكون هذه معايير صريحة في اختيار العمل أو الكاتب الفائز، لكنها تبقى معايير ملتبسة، إذ ان التصور المثالي للمجتمعات يختلف من جيل إلى جيل، ومن ايديوجيا إلى أخرى، وخاصة في شقيها الغربي والشرقي، الاشتراكي والامبريالي الذي درج الصراع بين شقيه على مر مدى قرن تقريباً. أمثلة كثيرة على كتاب عالميين حازوا على جائزة نوبل وهم منفرين من بلادهم، أو قضوا جزءاً كبيراً من حياتهم بعيدين عن بلد المنشأ، ومع ذلك يشتراك بالكتاب الفائز أن يكون مقرضاً وأثر يذكر على أبناء البلد الأول. تبقى هذه الخطوط العريضة مثابة ركيزة "نوبليه" يضاف إليها القيمة الجمالية للعمل الفني وتفرده في الأسلوب والصنعة الابداعية. فيما تغيب وتفتقد تماماً الخطوط الواضحة للتركيبة والمعايير التي تضج بها الساحة الثقافية العربية منذ سنوات. وعلى قلة تعداد هذه الجوائز الأدبية العربية التي تحيط بها الالتباسات والتعميم ويكثر حولها السؤال والتحليلات، نجد اهتماماً شديداً بهامن قبل الكتاب العرب. يحق لكل كاتب يمتلك الصنعة الفنية الجمالية أن يصبح مليونيراً أو يحمل الجائزة كبطاقة عبور إلى الشعوب الأخرى التي تقرأ حقاً. متى، ماذ، أين وكيف تكتب تكتب، إحداثيات هامة في شبكة الدخول إلى ميدان السباق في أي جائزة. ولا يغيب عن البال اختلاط الموقف السياسي بالقيمة الابداعية وطغيان جانب على آخر مهما أدعى لجان التحكيم، حياديتها وحكمتها وانحيازها للجمالي أولاً وأخيراً. أعتقد أن الفرصة مواتية للكاتب العربي لأن يطلق عنان مخيالته وجموح قلمه كي وينتج تحفًا جمالية مثالية أو أقرب إلى اليوتوبية في زمن يستعر فيه الخراب والقبح إلى منسوب يفوق مقدرة المخلية على التصور. فصل الجحيم الذي يعيشه الشرق اليوم بين قبضة الديكتاتور العربي والغربي و"داعش" وتوابعها قد تجعل أحدهم يطلق جائزة أدبية حديثة طازجة شرقية تثمن الإنسان وتضعه فوق مصاف الدين والإيديولوجيا والعصبيات المتأخرة قومياً وطائفياً وعرقياً. كى يكون لديك مقدار من الجنون وحلم الفوز بالجائزة عليك أن تتعرف قائمة الفائزين تاريخياً، منافسيك وقضاتك النобليين(المخلدين) ولا يضيرك أن تعرف على موقعها الإلكتروني، وأن تقرأ أرشيف الكلمات الملقاة في كل مناسبة سواء من قبل المبدع الفائز

أو من قبل هيئة التحكيم التي لا يتجدد دمها إلا بوفاة أحد الأعضاء بين فترة وأخرى. تاريخ الجائزة وملابسات القبول والرفض وكلمات الترحيب بالفائز من قبل أحد أعضاء الأكاديمية السويدية في لجنة التحكيم ومقططفات من كلمات الأدباء الفائزين أو رفضهم تجدونها في بحوث مفصلة في كتاب بالإنكليزية بعنوان "كيف تربح جائزة نوبل في الأدب" للكاتب ديفيد كارتر، صدر بالإنكليزية عام 2012.

فكرة اليوم:

الكتابة حرية ودفاع عن الإنسانية ضد القبح وضد الحرب. الحرية فراشات تحتن بروحها النار، وأنا أعيد كل يوم احتلال مقددي في الطريق إلى حرية التخييل والتعبير كما لو أني أنا ولست غيري. وأفعل ذلك من أجلني وتلك جائزتي ونجاتي من إسمنت هذا العالم وصواريخته القاتلة العابرة للقارات.





جورج أوروويل يجب ردا على سؤال "لماذا أكتب؟" يقول أوروويل "طالما أنا بحال جيدة وعلى قيد الحياة سأبقى أشعر بقوة نحو أسلوب السرد، وأحب وجه الأرض، واستمتع بالتراب وخردة المعلومات المهملة. لا جدوى من التكتم على هذا الجزء من روحي. العمل هو أن أصالح بين ما أحب وما لا أحب وبين أساسيات العامة، والأنشطة اللافردية التي يفرضها هذا العصر علينا". نقبل اليوم على تحدٍ جديد وأزلي يختص بالقراءة والسؤال الدائري هو أن يذكر الفرد أهم عشر كتبه غيرته. شهدنا الكثير من الأصدقاء قد أخذ السؤال على محمل الجد وتبارى الكتاب والقراء في صفحات التواصل الاجتماعي ذكر مصادر معرفتهم ومرجعيتهم الفكرية والإبداعية. وهذا يعدهني إلى تقصي أسباب شغفنا بالقراءة، وبجنس أدبي أو فكري دون غيره بالرجوع إلى كتاب صدر حديثاً بالإنكليزي بعنوان "لماذا أقرأ. المتعة الجدية للكتب" للكاتبة والناقدة الإنكليزية "ويندي ليسر" وهي محررة مجلة أدبية شهيرة "ثيري بنيز" وعدد من المؤلفات. الكاتبة تستعرض في فصول عدة أسماء روايات ومسرحيات شهيرة من الأدب العالمي الإنكليزي والروسي والفرنسي، وحين كنت أطّالع الكتاب، لم أجد متعة في القراءة عن أسماء وكتب لم تصلني مترجمة إلى العربية ولا أعرفها بالإنكليزية. كما تخصص فصلاً للبحث في ما للكلمة من سلطة، حتى وإن كان الإبداع أدبياً وهذا ما نراه من خلال كتب عالمية وعربية تم منها سحبها عن رفوف المكتبات، العدد لا يحصى في الشرق وفي الغرب. وفي بعض الحالات تعرض لمحاولات قتل بسبب ابداعه الأدبي. الكتب تتحدىنا بوضوحها وجمالياتها اللغوية المثيرة للفضول. للقراءة متعة قد تكون جنسية، وقد

تكون معرفية وقد تكون متعة مغموسة بالألم(الجريمة والعقاب، دستويفسكي) وشفف التحري ومعرفة أسرار الآخر-الرجل، المرأة، المجتمع. بعض الكتب صعبة وبعضها مملاة. بعض الكتب تشذنا وتشبهنا، ونكره بعضها لأنها تتفوق علينا وعلى سجوننا الشخصية ومقاسات أفكارنا الدينية والمجتمعية. وبعض الكتب تمضي بخفة كغيمات بين فصل ويخر ولا تترك فينا أثراً. ويصعب على أن أقبل فكرة أن القراءة هوایة وتزجیة ل الوقت. بل هي عملية حفر وتنقيب وبحث عن كنوز جمالية وفلسفية وتاريخية، في لباس السرد والتسويق وعلى أجنة الخيال الفاره، أو البحث العلمي الرصين والموثق. لذلك يصح الاعتراف بأن كتاباً أو كتاباً قد تخلق فينا إنساناً جديداً، وقد تخلق مجتمعات بإحداثيات متفاوتة. الكاتبة ويندي ليسر، توثق بحوثها باقتباسات لأسماء هامة تعرف بعضها مثل جورج اوروول الذي يجب ردا على سؤال "لماذا أكتب؟" يقول اوروول " طالما أنا بحال جيدة وعلى قيد الحياة سابقى أشعر بقوه نحو أسلوب السرد، وأحب وجه الأرض، واستمتع بالتراب وخردة المعلومات المهملة. لا جدوی من التكتم على هذا الجزء من روحي. العمل هو أن أصالح بين ما أحب وما لا أحب وبين اساسيات العامة، والأنشطة اللافردية التي يفرضها هذا العصر علينا". سلطة الكلمة هنا، مفارقة تماماً لما نعرفه من قبضة السلطات التوليدية والديكتاتوريات المعاصرة المنهارة والتي على شفا الهاوية. كما تأخذنا إلى عمق العلاقة التي تنشأ بين القارئ والكاتب، بعيداً عن السلطة إلا في نسقها الجمالي. وهذه السلطة الجمالية التي يمارسها الفن، قوامها العطاء والمشاركة، وتستمد ودودها وديومتها من ديمومة القارئ حتى بعد موت المؤلف. ستبقى الأساطير البابلية والاغريقية خالدة كما ستبقى كتابات دستويفسكي وكازانتزاكيس ونجيب محفوظ ورباعيات الخيام والروماني. أشك في أن هذه المكتبات الطاحنة بالاصدارات الشهرية ستبقى خالدة. القارئ مصفاة ويقطر الحبر في كل مرحلة لتبقى الجودة التي لا تحكم إلى سلطة الحاضر بما تمليه من توجهات سياسية، ودينية. تستشهد الناقلة بكتابات ومرجعيات من القرن التاسع عشر ويردنا بقلم "هنري جيمس" الذي تخصص له فقرات مطولة. "الفن هو ما يصنع الحياة، يصنع الرغبة، الاهمية لاعتباراتنا وطريقة ممارستنا لهذه الاشياء. ولا أعرف ان هناك بدلاً أيًّا كان عن هذه الجمالية، والقدرة، ومراحتها" تتوقف الكاتبة للمقارنة بين الخدع التي يمارسها "البهلوان" أمام جمهوره ليحصد التصفيق والاعجاب بشكل مباشر، وبين آلية عمل الكاتب الذي لا يأتيه المردود بهذه الطريقة وتستشهد بمسرحيات لشكسبير، حيث نجد ان الكلمة تحايل على المتلقى وتوقعه في الخديعة والضحك والبكاء أحياناً. وهذا يقودنا النظر في مسألة الحقيقة الأدبية والحقيقة التاريخية التي تتقاطع أحياناً ولكنها تفترق في الأسلوب والآلية والغاية. وهذه الحقيقة الأدبية أحياناً تبد كاتبها ثمناً باهظاً فيكون في انتظاره المنفى أو السجن، أو

الحظر من السفر، وكثيرة هي أسماء الشعراء والكتاب الذين حازوا على جائزة نوبل وهم في المنفى، ومنهم الروس والأغريق والأوربيين على السواء. يقول ويندي ليسر، اللغة الانكليزية هي سجنها الذهبي، وهذه الإعاقة اتجاه اللغات الأخرى تجعلها تعتمد على ما يصل إليها من ترجمات عن اللغات الأخرى" وتعبر عن تقديرها لما يقوم به المترجمون " يتعلمني شعور بالاعجاب العميق لهؤلاء - الشغيلة ناكي ذاهم، تلك الظلال الفذة، هؤلاء الناس الذين أبعد طموح لهم أن يبقوا في هامش الصورة. ولكن لا مترجم(هو/هي) يرغب أن يسرق إنجازه أو ينكر عليه، وبنفس الوقت، لا يرغب المترجم أن يطفو بصوته فوق صوت الكاتب الأصلي. إنه توازن حذر جداً..." وهي مناسبة للاعتراف بالشكر للمترجمين العرب الذين أثروا المكتبة العربية بروائع الأدب العالمي. وكان لهذه الترجمات أثر على الكاتب والقارئ الشرقي، كما كان للأدب الشرقي "بلياليه العربية الالف وأكثر من أثر على القصة في الغرب.

في فصل آخر من فصول الكتاب حول أساليب القراءة تأتي على مقاربة الكتابة كمادة صلبة في اليد ولها رائحة وملمس، والقراءة الالكترونية (اونلاين) أو عبر وسائل حديثة أخرى تخزن الاف الكتب الالكترونية في شريحة خفيفة يجعلها الفرد وهو مسافر أو مقيم في مكانه. وهنا نرجع على الجهود التي تبذل لتصنيف الكتب المهمة واعداتها إلى مكتبة الكترونية قد تعمم طويلاً (مشروع مكتبة الاسكندرية في مصر) وبذلك تكون الابداعات الإنسانية في مأمن من عنف وارهاب الفئات المنشغلة بالحروب والقتل وتدمير أي ارث إنساني. الناقفة ليسر، لا تعرف ولا تذكر شيئاً عن الأدب العربي وعن القارئ العربي المصنف من أكسل قراء العالم وفق الاحصائيات. فيما يصنف الشعب في (نيوزيلاندا) في المرتبة الأولى عالمياً من حيث الشغف بالقراءة. انهم يتبادلون الكتب في عيد الميلاد كهدايا بدل الشوكولاتات والعلوّرات والأحذية. شتاوهم طويل وممل كما صيف بلاد الشرق الأوسط مع فارق الفعاليات الذهنية والإبداعية نشر في ملحق الأثير الثقافي – صحيفة عمّان، 2 أكتوبر 2014

فكرة اليوم: الرقابة الحمقاء تدفع المبدع إلى التمرد والمزيد من الكتابة والحلم بإحداث التغيير سلمياً.

أعتقد لو لا الكتابة لكنت أشقي امراة ولكن اللغة تطلق أجنحة روحى وتجبرنى على التوازن والذهب أبعد.

قد تكون الكتابة خليط الشقاء الساحر وأنا مغفلة! لا يهم، إذ أتبع النبع الذي في داخلي وإلى آخر المحطات.





الأثر السينمائي للقراءة والكتابة كما يراها علم النفس

حصلت على هذا الكتاب منذ عدة سنوات وحاولت الكتابة عنه لكنه بدأ معقداً ولم يكن لدى ما يكفي من الوقت لكتابته بعد القراءة والتمعن. هناك كتب يصعب الحديث عنها باختصار فتكون الكتابة مدخلاً للقارئ الفضولي للبحث عن المزيد وعن الأصل. ثم عدت إلى الكتاب بعد مضي سنوات على القراءة الأولى وكتبت هذه الأوراق:

الحكليات أحالم معمرة ومعابر معتمة ومضيئة ندخلها بأكثر من طريق. تقول مارغريت أتوود «كل قصة، في البداية، تكون كما لو إتنا نفتح باباً على فضاء مجهول تماماً» فما الذي يحدث لنا كقراء في ذلك الفضاء وبعد العودة منه إلى واقعنا؟! حين يمارس الكاتب الخلق الإبداعي فهو يجرب حريرته في تشكيل علاقات أبعد من الواقع قد تثير التعاطف أو التحدي الذي يتجاوز الخصوصية الفردية إلى القاعدة الاجتماعية الغريبة. في الكتابة المتخيّلة يحرر الكاتب أحلامه، ينتقد الواقع ويغوص في خرابه ونواقصه وجمالياته ويأخذ مشاعرنا في المتأهّلات معه لو أنه يفتح المعابر الداخلية للنفس ويختار على المشاركة. عبر هذه القواسم يحفرُ الكاتبُ القارئ على الحلم بما يتاح له من تفاصيل توظّف انفعالات حسية وعاطفية، سياسية ودينية من خلال العلاقات بين شخصوص القصة. تلك المشاعر الملتبسة المكتوبة تعيش في ذهن القارئ فترة كما لو أنها واقع محتمل أو حالة وسطية مستمدّة من نماذج متخيّلة ومتشاركة بالحقيقة الواقعية. وعبر هذا النموذج يشتبك القارئ بعالم آخر يحاول الإمام به بالتعاطف أو النبذ.

نموذج من هذا الصراع الاجتماعي والنفسي المدون في التراث الفكري الأدبي العالمي وصلنا في أقلم أسطورة هي ملحمة جلجامش التي تقوم على ذلك الصراع الحاد في العلاقات، بشرية ونصف إلهية تأخذ أكثر من انعطافة بين جلجامش وانكيدو والمرأة الغاوية تحت ثيمة الصداقة، والعشق، السلطة، والموت كقطب آخر للحياة، وصولاً إلى البحث عن نبطة الخلاص التي قد تقدّر الموت وتعيد من نحب إلى الحياة وتترك معضلة الذهن البشري في بحثه عن باب للعودة إلى حيث كان ومنذ بدايات التكوين. ماذا يحدث في أذهاننا وعواطفنا حين نقرأ الأساطير والقصص والكتب المتخيلة؟ هل نعيّن نفس الآثار حين نقرأ مقالاً صحفياً أو كتاباً وثائقياً؟ أسلة كثيرة واختبارات ميدانية عرضها الكاتب الانكليزي «كيث أوتلي» في كتاب بعنوان «أشياء كالحلم، سيكولوجيا الكتابة المتخيلة». وانطلاقاً من خبرته في حقل التحليل النفسي يخوض في هذا البحث الشائك كونه باحث سيكولوجي شغل منصب رئيس فريق البحث العالمي في ميدان دراسة المشاعر وله كتاب في هذا الحقل بعنوان «فهم العواطف» كما انه اشتغل مدّرساً في حقل علم النفس في جامعة تورنتو في كندا وله عدد من الروايات وحازت روايته الأولى على جائزة الكومونولث لأفضل عمل روائي 1994. يعتمد الكاتب على اختبارات ودراسات سابقة في هذا الميدان، يدعم أفكاره بمقاطع وتصاوير مأخوذة عن الدماغ ومناطق الانفعال ورد الفعل الحاصلة بعد قراءة رواية أو مقطوعة وثائقية. كما يعتمد في قسم آخر من الكتاب على مقتطفات من الشعر والقصة والرواية وأحاديث الكتاب الكلاسيكيين بدءاً من شكسبير وصولاً إلى مارسيل بروست، جين أوستن، وانتهاء بتحليل سيكولوجي وأدبي لقصة قصيرة لراند القصيرة انطون تشيخوف الشهيرة التي يعنونها «السيدة وكلبها الصغير» التي تعتبر قطعة كلاسيكية معروفة عالمياً. يقدم للقارئ نتائج الاختبارات العيانية مشفوعة بدراسات ميدانية أجراها البروفيسور أوتلي على طلابه في الجامعة. كمدرس أيضاً المفارقات التي تحدث في الذهن حين وضعت سخنان من كتابة إبداعية، إحداها مكتوبة قصصياً، والأخرى مكتوبة على شكل خبر واقعي. لوحظ أن الانفعال الذهني والعاطفي متباين إنثر كل قراءة. يولي الكاتب اهتماماً عميقاً للمساحة المشتركة ما بين الحلم والكتابة فيعود إلى شكسبير في «حمل منتصف ليلة صيف» يسوق مقاطع على لسان شخصوص المسرحية، يخضعها للتحليل النقيدي والبحث العلمي متناولاً المسرح كمكان، ملعب، أقنعة وأحداث. يورد أمثلة عن اختبارات قام بها هو، بمعية باحثين آخرين، خلصوا إلى النتيجة التالية: حين نقرأ عن حدث أو نسمع عنه، يتم تسجيل هذا الحدث في المخيلة، وهذا يستدعي تفعيل مناطق معينة في الدماغ مسؤولة عن الإثبات بالشيء ذاته، الذي نقرأ أو نسمع عنه. هل قراءة المتخيل مفيدة لنا، وأي نوع منها؟ هل نصبح أكثر ذكاء، حين نقرأ أدباً وننغمض في الفنون؟ وهنا يتتناول مسألة الذكاء الاجتماعي والذكاء العاطفي وغيرها من العلوم التي باتت تشغّل حيزاً في علم النفس الحديث. يخلص إلى القول إن كتابة وقراءة المتخيل تقوى

الشعور الاجتماعي لدى الفرد، تقوى فيه مشاعر الإحساس بالآخر في حالاته المشتبعة: الحب، الحرب، الجوع، الموت، المتع الجندي، الطبيعة والكوارث، الهجرة والموت.

مغامرة الكتابة واكتشاف الذات في صراعها مع الآخر

يتسع الكاتب في الربط ما بين المتخيل والألعاب الطفولة، يعود إلى تلك المساحة العذراء التي فيها يبدأ الطفل باختراع حلمه وقصته. يربط بين الأحلام في مسرحيات شكسبير واللعب المسرحي، ومسرح الطفولة البرينية في سير المسرح نموذجاً عن العالم، وتصير وبالتالي النماذج الذهنية المكتوبة أساساً لعالم محتمل. هذه النماذج تهمنافي النهاية من أجل فهم العالم. الآخر الذي قد يكون حبيباً، أخاً، أما، معلماً، أو زعيماً أو متسولاً. مغامرة اللعب الفني تسمح لنا باكتشاف المتعة، تقوى التعاطف الذي يغينا ويساعدنا على فهم أنفسنا وما يجول في طبقاتها المعتمة. فـ«القدس يصنع جسوراً، الإنسان يصنع أصدقاء» كما يعبر الباحث أوتي. وكثيراً ما نقيم صداقه بيننا وبين كاتب(ة) ما، وبيننا وبين شخصيات معينة لها تأثيرها من خلال دور في فيلم، أو شخصية في رواية أو أسطورة. هل القراءة مؤثرة؟ هنارأي للروائي الفرنسي مارسيل بروست، صاحب رواية «البحث عن الزمن الصانع» حول متعة القراءة وجدواها «في القراءة تعقد الصدقة مباشرة، وبنقاء، مع الكتب لا يوجد إكراه اجتماعي. فإذا أمضينا الليلة مع هؤلاء الأصدقاء- الكتب. فهذا يعني أننا حقيرة نريد لهم. وعندما نغادرهم نفعل ذلك بشيء من الندم، ولكن حتى ونحن نفارقهم، لا شيء يغير في تلك الصداقات، لا شيء يموت» وهذا نطرح أيضاً السؤال: هل القارئ والكاتب كان اجتماعي أم انطوائي يهرب من الواقع إلى العالم المتخيل؟ وخاصة حين نعرف بأنَّ الزمن الذي يستهلكه الكاتب كي ينتج قطعة أدبية مهمة ثم ين وكم لا يقاس بالزمن الذي يقضيه القارئ مع الرواية أو القصة التي تخضع لمراحل طويلة بين التنقيح والتصحيف والإعداد للنشر في أجمل صيغة ممكنة. وذلك زمن غير ضائع إذا نجح الكاتب في خلق عالم تتبع القارئ وتثير فيه الأسئلة والإجابات التي قد تغير مجرى فكره وقناعاته. هذه المتعة والعلاقة المتبادلة ما بين المتلقي للعمل الفني وبين صانعه تولد لأننا في تلك اللحظات نشتراك في صنع الحدث، نختبر حال الآخرين وعواطفهم ونتمثلها بلا أقنعة. لكل كاتب أدواته وأساليبه في خلق عواطف تعمل على تفعيل متعة القارئ الذي ليس وعاء استقبال سلبي للمكتوب. ولا بد أن للقراءة متعة، مضافة إلى متعة الحديث عن الكتب، سواء من خلال مقالة أو من خلال نوادي القراءة والصالونات الأدبية، والجلسات التي تجري في هذه المرحلة عبر الانترنت ومنصات التواصل الاجتماعي التي تتيح للجميع إمكانية التعبير والنقد والحديث بشغف عن جدوى الأدب وعن احتلامات المخيالة التي تتجسد لتصبح جسراً يسهم في استيعاب المشترك الإنساني من خلال علاقات البشر ببعضهم، بالأرض، والطبيعة والأحداث الكبرى.

أنت كقارئ أي نوع من الكتب تحوز على اهتمامك، الروايات أم كتب التاريخ والسيرة

الذاتية، ولماذا؟ ولنذهب أبعد ونسأل: هل تقرأ 10 كتب في السنة، أم تكتفي بمشاهدة التلفزيون ومنصات التواصل الاجتماعي؟! وهل تعرف كم يكون عالمك محدوداً حين تحارب الكتابة القراءة. وربما في نهايات كل عام نستطيع أن نعيد النظر في أهمية الوقت، كيف نكسبه، وكيف نخسره وكيف نفتح أبواباً وأمسيات ندعوا إليها الكتاب القراء للحفر في تراث البشرية وإرث مفكريها. وفي نهاية كل عام يطرح بعض روؤساء العالم الغربي قائمة بأهم الكتب التي أثرت بهم. كان باراك أوباما يفعل ذلك، ولكن لا أعتقد أن هذا يدخل في اهتمام القادة العرب. عزيزي القارئ، ابحث عن كتاب، اقرأه وتكلم عنه بحرية ولن نندم.

نشر في الصباح العراقي بتاريخ 21/12/2023

فكرة اليوم: الكلمات هي المفتاح الذي به أدخل به إلى بيت ليس لي وقب مجھول يقرأني الآن ويجد بعض الصدى والتقاطعات ما بيني وبينه رغم المسافات التي بيننا.



7

ما الذي شدني في كتاب بعنوان: مت فارغا!

" حسرة على الذين لم يغنووا أبداً، سيموتون ومعهم الموسيقى"
أوليفر ويندل هولمز

شدني عنوان هذا الكتاب وأربكني عوانيه "مُتْ فارغاً، اطلق أقصى طاقتوك كل يوم" للكاتب "تود هنري" إصدار 2013 وخاصة في هذا العصر حيث العالم مصاب بالكراهية والخوف والوباء" فيروس كورونا". الكون يصارع الموت أمامنا في نشرات الأخبار الدولية شرقاً وغرباً. أقبل الكتاب واكتشف أن محتواه ينصب على قيمة الوقت وأهمية العمل الخالق لتحقيق الطموحات والأهداف التي نجد متعة في ممارستها ما دمنا على قيد الحياة. قدرات الفرد هائلة إن لم يتم توجيهها بشكل سليم قد تدمر الفرد وتقوده إلى الاكتتاب واليأس، الانكسار أو العداونية فيذهب إلى خط النهاية وفي قلبه وعقله تلك المشاريع الثمينة والقصص الخالقة والأفكار البارعة التي لم تأخذ نصيبها على أرض الواقع. فهل لديك غاية وهدف تعمل على تحقيقه؟ ما هو مخططك والوقت اللازم لتحقيق طموحك؟ ماهي أغنيتك وكيف ستحرر أمنياتك وموسيقاك، أحزانك ومسراتك على خشبة هذه الأرض، أيها الإنسان؟! الحياة رحبة والعالم لن ينتهي اليوم ولا بعد غد. أمامك بحث متواصل ولكن ضباب الحزن والفقد والحروب قد يثقل على عقلك وروحك ويرجك في عتمة القلق والكراهية، فتسقط في وحشتك وتكره الدنيا. فالشخص الذي يكره نفسه والعالم لن يغنى. لن يعشق، ولن يقدم للبشرية شيئاً عدا السلبية والعداء. الكراهية كما الغضب مشاعر تولد العنف الموجه خارجياً، أو المرتد إلى الداخل. وأول ما يفعله هذا الشخص هو أنه يقتل رغباته ويعيش بالمعنى الفيزيقي فقط. وهذه ليست كافية للشعور بالامتلاء والتحقق الشخصي. ليس بالضرورة أن نقوم بأشياء عظيمة،

ولكن من المفيد أن نعقد صلحاً مع مصالحنا وأهميتها بالنسبة إلينا وللمجتمع والأسرة الكونية.

تأملات في واقع العمل والعنف ضد المرأة

في جلسة عمل للترجمة الفورية في مكتب معالج سيكولوجي، انفجرت امرأة أمامي بالبكاء وهي تقول: لا قيمة لحياتي بعد، لا هدف لدي. ولا أعرف كيف أتحفف من القلق العصبي. لا أعرف طريقي ولدي إشكالات مادية وصحية ونفسية. أحتاج إلى تحقيق هدف يجعلني أكثر اتزاناً. ثم توقفت وهي تمسح أنفها وعيونها. كان كحلها ينساب مع الدموع خطوطاً على وجهها البائس. كانت امرأة في نهاية الخمسينات من عمرها، مهاجرة مستقرة في كندا، خرج الأولاد إلى حياتهم، رحل زوجها الذي كان عنيفاً معها طوال العلاقة الزوجية. الرجل الذي أحبته فيما بعد، خدعها ومضى إلى امرأة أخرى. شهادتها الجامعية لم يعد لها قيمة عملية في البلد الجديد. الشتاء طويل وبارد، الحياة الاجتماعية باردة أكثر بكثير مما تعودت عليه في الشرق. أين الفرح؟! ... كيف ستجد هذه المرأة مثلاً الطريق إلى الفرح من جديد. كان هذا موضوع الحلقة في ذلك اليوم. وما يزيد وجعها أنها ليست قادرة على التعبير عن نفسها - بطلاقة. باللغة الانكليزية.

الضياع وسط المتأهات الكبيرة مؤلم لا شك. ومهما كان موقع الفرد (هو-هي) ومركزه الاجتماعي والعلمي وموقعه الجغرافي لا بد أن يسعى ان تحرير تلك الطاقة الكامنة التي تدل على حضوره الفردي وتجعله في آخر الطريق يشعر بالرضا عن ذاته أمام مرآة ذاته أو يشعر بالكراهية والغضب.

هذه المشاعر بسلبيتها وايجابيتها سيصبها الفرد نحو ذاته أو الآخرين ممن يعتقد أنهم سبب بوسه وفشلها أو نجاحه. في هذا الكتاب الذي أمامي بحث عميق في كيف نعيش ونبعد كل يوم بكامل كفاءاتنا كي لا نموت في النهاية محملين بكتوز الأفكار والطموحات التي لم تتحقق. يقول الكاتب في المقدمة: أحد الأصدقاء سأله يوماً سؤالاً غريباً: ما هي أثمن بقعة على وجه الأرض؟ وكانت هناك اجابات متعددة، لكن الصديق قال: المقبرة أثمن مكان على الأرض، هناك حيث مناجم الأفكار والروايات والمشاريع والطموح الذي طمر ودفن مع موت صاحبه. لم تكن ابار النفظ والذهب في الشرق والغرب. في ذلك اليوم يقول الكاتب إنه عاد إلى البيت وكتب بخط عريض: "مت فارغاً". ضع مافي عقلك وقبلك في إطار التحقيق كي تصل إلى النهاية وقد تختلفت من الرغبات والأحلام.

نقاط على طريق النجاح الفردي

اقتلت الخوف في داخلك لأن الخوف قاتل شرس للإبداع. أحياناً كثيرة يكون داخل الرجل أو المرأة نبع

من التصورات والأفكار الخالقة على الصعيد الأسري والاجتماعي، لكن الخوف من الرقيب ومن أحكام الآخرين وتقييمهم، يحمل الفرد إلى العيش في كبت ومحدودية قاتلة، روتينية، قطعية تعمق غربة الفرد بينه وبين أهل بيته ومجتمعه.

اعمل يوميا على التحرر من محاسبة الآخرين ثم وتقليدهم في الوصول إلى الهدف الذي يحقق لك متعة ودهشة. اذا صار لك أن تحرر نفسك ستجد طاقات تفاجئك. حاول لا تستسلم لوضعك القائم حتى وإن كان صعباً أو مريحاً، لا شك أن الإقدام سيفتح لك أبوابا لم تكن تخطر ببالك. كفرد في هذا العصر الذي يشهد حقبة عصبية، أقصى ما تستطيعه هو أن تتحاز إلى ذاتك المبدعة في طينتها الأولى. فانت قادر على صناعة نجاح فردي، ووضع خريطة الطريق للوصول إذا بقيت على قناعة وإيمان بأن بناء المجتمع يبدأ من الفرد. كتب باركر بالمر "الشيء الوحيد الذي سنأخذه للمجتمع هو أنفسنا. الطريقة التأملية الوحيدة للتعرف على ذاتنا هي العزلة التي ليست أنانية أبداً. إنها أفضل هدية بامكاننا تقديمها للآخرين". العزلة الفردية القصيرة التي فيها محاكاة ذاتية وصادقة هي الطريق للوصول إلى الهدف الخاص. بعض النظر عن المعتقد والعقيدة والآيمان وعدمه. هناك مساحات خلقة تحت الحجر والقمع وخاصة للتهميش، طوعاً وقسراً. فكلما أزاحت خيطاً رمادياً وصخرة عن بصيرتك رأيت النور الذي ينبع من داخلك وينعكس على الجدران المظلمة المحيطة.

قد تكون الكراهية سلوكاً شخصياً أو جماعياً. وقد تكون عماء يحيط بالفرد والسلطات العليا ف تكون النتيجة خراباً مريعاً إن لم يستيقظ الفرد وينظر بصدق إلى ما تبقى في روحه من شغف. قليل من العزلة وليس مائة عام كما أراد غابرييل غارسيا ماركيز لشعب روايته الخالدة لن تضر بالفرد اذا استيقظ في الوقت المناسب. الكثير من الاهتمام والتواصل مع الآخرين متعة سواء في زمن الكوليرا، أو الكورونا، وسيعيد الموت إلى قمقمه كي نتفرغ للعمل وإعادة بناء ما ترهل وتداعى من الجدران والأنفوس والعلاقات.

كتب هنري ميلر "عمق شغفك بالحياة، كما تراها، وبالناس، والأشياء، الأدب والموسيقى. العالم غني جداً. تفاعل مع الأشياء القيمة، مع النفوس الطيبة، والناس الممتعين. انس نفسك"

فكرة اليوم: أكتب مقالاتي وأوراق بلا غاية. ثم أترجم شفاهياً عن بعد. أتكلم من البيت مع رجال ونساء وعاملات في مكان آخر من المدينة. أسيق الزريعة في البيت وخارجه. أقص الوردة اليابسة من الغصن الأخضر. الزريعة خير دليل على أن الأيام تمر بي ونكبر معاً ونتعرض للأمراض ونحتاج الشمس والهواء والرعاية. الزريعة لا تقرأ ولكنها تسمع الموسيقى كما يقال.



8

أفكار ملونة عن الجنة والجحيم عند جون ملتون

كتب جون ملتون في رانعته الخالدة "الفردوس المفقود" "العقل في مكانه، وبمحض ذاته يستطيع أن يجعل من الجنة حيماً، ومن الجحيم جنة" الفكرة طاقة لها ذبذبات ومدى، ولك أن تتحكم بأفكارك لأنها توثر على شعورك، وكى تكتب عليك أن تغوص في عمق مشاعرك، وهناك يكون الحزن والفرح والسلام والبغضاء. اختر ما تراه مناسباً لحالتك واكتب من هناك، ليكون الصدق المشع من ذاتك، ملامساً لذات شبيهة لك في مكان ما من هذا العالم.

*

في الواقع المعاصر، يبدو أننا نعيش في قوالب جاهزة عتيبة وضيقة يفرضها المتحكم بالسياسة والإقتصاد وكلما كسرنا ضلعاً من أضلاع القالب في هذه المنظومات أحدها ضجة مخيفة في منظومة الآخر فيشعر بالتهديد ويبداً باطلاق أحكامه الأخلاقية ويذهب إلى ما هو أشرس. يأخذ الأفراد إلى الجحيم الذي له أشكال عدة على الأرض: منها السجن، التعذيب، التعرض للشخصية وانتهاك سمعة الفرد (رجلًاً وأمراة). الشواهد لا تحصى في الإطار الاجتماعي والفنى في الشرق الأوسط.

*

الفرد في المجتمع العربي محكوم بالأخر ويبحث عن طاقة للنجاة فرداً أو جماعة. ولا أمل في شفاننا من هذا الشقاء والداء إن لم نقم بكشف مع الذات والأخر ونقلب المفاهيم لنصبح البلد أكثر حرية وعدلاً، وبموجبها يستطيع الجميع التوازن والعيش كما يليق بالإنسان في هذا العصر. تخفف من أحكام الآخر، عش لفكراك واعرض تربة روحك للنور والنار كي تتپهر.

ولكنا نعرف أيضاً أن كل خروج عن سجن الذات يشكل تهديداً للسلطات الهرمية: سلطة الحاكم، الدين والسلطة الذكرية، ثم سلطة الأعراف والتقاليد والوعي الجمعي الإزدوجي أخيراً.

*

هناك وجهات نظر وأفكار تدعم هذه الفكرة وهي أننا نستطيع أن نغير احداثيات وطبيعة الحالة الشعورية التي نحن فيها وذلك بتغيير طريقة تفكيرنا مع ذواتنا و مع الآخرين.
أفكارك ملكك، أعمل على تطهيرها من شوائب الآخرين، أفكارك غزيرة، وأنت فرد. اختر بوتقة الكتابة وادهب إليها بمحض اختيارك.

*

سيأتي زمان يحاول فيه الفرد الانزياح فيما تبقى من ذنه وذبذبات فكره لخلق سجادة للحب والسلام بكل صوره وتمثالياته على هذه الأرض ونقول على هذا مع كل سنة وبعد كل خيبة ودهشة.
أنت كنت كثيباً قبل نهاية السنة، وبعد نهاية السنة، قبل الحرب، وبعد الحرب، وفي الهدنة ما بين حربين ومعارك. السر ذهنك وما يقول فيه من أحداث تجري في الجوار.
فهل يعجبك هذا الجحيم وتريد أن تستبدل به بعض الراحة الروحية والفكيرية؟
نعم بإمكانك خلق البديل بدءاً من الفكرة إلى إطار الفعل الذي يقلب الجحيم جنة، أو بالعكس.

*

علاقتنا بذاتنا شأنكة والعالم في وجهه المعاصر شرير، منهجه وبيد قوى خارقة القبح والعدوانية.
ولكي ننتصر على أنفسنا، يلزمها حداثة أخرى و المعارف وأساليب جديدة في البحث عن الذات لأننا في تلك البوتقة نعيش ونأكل ونشرب سواء كنا في أوروبا أو في الشرق، محاطون بالرقابة، مهددون بالسجون والتصفيات الجسدية والمعنوية.

*

المكتبة العربية فقيرة ولا يوجد فيها كتب للعناية بالروح والذات ومن خانة العناية الذاتية.
في العقد الأخير بدأت تنتشر ترجمة الكتب الروحانية وكتب البحث عن السلام الداخلي وطريق التشفافي سواء بالموسيقى أو التأمل أو الرياضة، أو الانحياز إلى مراجعات غير مقدسة الطابع ولا تتناقض مع المقدس في الآن ذاته. خطاب مغاير لا يستند إلى مراجعات الثواب والعقاب. ولكن مثل هذه الكتب والأفكار تبدو مستعارة من الغرب ولم تلبس روحها الشرقية رغم أن الشرق منبع الروحانيات.

*

في الثقافة العربية تكون المرجعية الدينية الحازمة هي المسيطرة على العقل وربما فيها دعوة للصبر والشکر وقبول الوضع القائم وانتظار الموت والقيامة للذهاب إلى تلك الجنة الموعودة الغنية

بالمغريات. وهذا يفقد الفرد متعة العيش على هذه الأرض بفرح واحتفاء بالزمن الراهن. أنت بين مزدوجتين، ولكنك تملك الفكرة والأمل الذي لا يموت حتى يصل الإنسان إلى المحطة الأخيرة. الانتحاريون مسألة أخرى. إنهم الذاهبون إلى الفناء لأن جحيم أفكارهم الشخصية أكبر من طاقتهم على العيش بسلام في الحيز الراهن.

*

كل فقرة لها طاقة وذبذبة وجاذبية. وتلك الطاقة في المحصلة تحدد إحداثيات الجحيم والجنة، على هذه الأرض. كما أرد أن يصور لنا الشاعر جون ملتون في بداية المقال.

سواء أخذنا الشاعر إلى الفردوس نظرياً أو تركنا في منتصف الحلم إليه، لا شك أن لدينا من الطاقة الداخلية ما لا ينضب كي نسير إلى الأمام مهما كان الدفع نحو الخلف قوياً ومنهجاً من قبل السلطات الأعلى.

سيقول أحدهم: هذه طوباوية لا تناسب همجية العالم الراهن.

أقول: يكفي أن تؤمن بما في داخلك حتى تتغير إحداثيات كثيرة في نطاق حياتك اليومية. ومن هناك ستستمد قوة الدفع لإحداث تغيير على نطاق أوسع من شبكة العلاقات الأسرية والمهنية والعائلية. كل شيء يبدأ بفكرة، بكلمات تفكير بطلاقه.

*

ابحث عما فقدته في طفولتك، وابحث عما تركته منسياً بين جدران جسدك وذهنك في فترة الشباب وبديايات النضج. ابحث عن موهبتك المنيسية والأشياء التي تدل عليك دون سواك، وهناك قد تجد طريقاً للخلاص.

إذا كنت كاتباً، ابحث عن حلم راودك واتبع الأثر.

هذه المقوله ترجمتها نقلأ عن كاتبة امريكية هي "فلانري اوكونر" "أي شخص نجا من الطفولة لديه ما يكفي من المواد للكتابة مدى حياته"

ما دمت حياً وتقرأ هذه الكلمات هذا يعني أنك نجوت من تلك الطفولة ولديك ما تقوله بطريقتك.

*

الكتابة من ركن الطفولة يستوجب موت الرقيب. الأطفال لا ينتظرون أوامر الرقيب بل يتصرفون

عفوية. عد إلى هناك ذهنياً واقترب الرقيب أو دعه يتتحقق كي يمر الكلام بسلام دون مقصات من فمك إلى الكتاب بين يديك، إلينا.

كم رقيباً علينا أن نقتل كي نصل إلى تلك الجمرة، إلى بنور الأفكار التي نغرسها في تراب الخيال والحلم لتعطي ثمراً نتقاسمها مع سكان المجرة ونقتني بالعطاء.

نشر في صحيفة الصباح العراقية 8 كانون الثاني 2023

فكرة اليوم: أريد أن أقرأ كتاباً وقصائد لا تتغنى بالحزن، وتبكي وتندب. أريد أن أرمي قصائدي الحزينة تحت مزراب المطر. ولأنك تحب حزني الكثيف، سأتحرر من حبك وأبتسم ملوحة لعاشق ينتظري في آخر سطر من الأساطير السعيدة.



مع الكاتب البرتغالي الكندي البرتو مانغويل وجهاً لوجه في تورنتو



الرقابة الدينية والسياسية موجودة منذ بدء التاريخ ويجب محاربتها

محطات.. لقاءات مع كبار كتاب العالم في مهرجانات الأدب في تورنتو كنت محظوظة أو شغوفة بالآداب العالمية وروادها وكان لي فرصة حضور لقاءات مع كبار المبدعين والمفكرين أثناء زيارتهم إلى كندا ومنهم الإيطالي العالمي أمبرتو إيكو، سلمان رشدي، وول سويني، آذار نفيسى، مارغريت أتود، جون رالston صول، أليس مونرو، والبرتو مانغويل الذي هو محور هذه الورقة. التقىت مع المبدع الموسوعي البرتو مانغويل أيام مهرجان تورنتو العالمي للمؤلفين سبتمبر 2023 وكانت مشاركةً ومحاورةً حول موضوع (الشعر والحرية) ودار بيننا حديث طويل قبل وبعد المحاورة الرسمية في الصالة. كنت أستمع وأسأل وأكتب أقواله في دفترٍ مترجمة من الإنجليزية إلى العربية. وأقدم هذه البانوراما لأفكار البرتو مانغويل لقراء العربية وهو يعلم بأن له حظوة ومقاماً في الشرق الأوسط ويعظم بالتقدير، وقال بلسانه عن نفسه أنه محظوظ، ويعرف بعض المبدعين الجيدين الذين لم يحالفهم الحظ في الانتشار.

هل يمكن لامرأة أن تكتب كما لو أنها وحيد القرن

كنا عدة كتاب من كندا وإسبانيا والارجنتين، خلال حوارنا مع البرتو مانغويل تحدثنا عن الكتابة، قلت له: أنا أكتب من موقعي كامرأة شرقية، كمهاجرة، كأم، كزوجة، كإنسانة عاشت مخاض الاعتراف وتجربة اللغة الأولى والثانية. كان يسمع بصبر، ثم قال: لا يمكنك أن تكتبي كما لو أنك وحيد القرن؟ فضحت ولم أجد جواباً. وكلما رأيت صورة (وحيد القرن - يونيورن) في

قصص الأطفال وعلى ثياب حفيدي، أبتسم وأتذكر تلك الإشارة الذكية والمرحة.
الفكرة، أن تناقض مقوله (أكتب ما تعرفه)، بل اكتب ما لست أنت، وما لا تعرف كي تكتشف.

حين جاء ذكر الشاعر محمود درويش، وكان قد التقاه في باريس ويعرف سيرته الشعرية وموافقه. وفي الحديث عن أن الشاعر صوت الأمة قال مانغويل: هم اخترعوا للشاعر هذه الصفة، هو لم يكن يريد ذلك لشعره. وذكر لنا بأنه منذ سنوات حاول مع آخرين افتتاح مكتبة ضخمة مجانية في رام الله، فلسطين، بمعونته والأمم المتحدة ولكن الحلم لم يكتمل بسبب الخلافات بين أطراف السلطة الحاكمة في فلسطين. تحدثنا عن الترجمة إلى العربية، ذكر بأن مترجمته إلى اللغة الفرنسية، وهي سيدة عربية (سین) ارتكبت غلطًا في ترجمة مدار بينها وبينه من حيث إلى الفرنسية وفهم من كتابتها لمقدمة الكتاب بأن الذي يجمعهما "حميمي" وهذا غير صحيح، والترجمة تخون الكاتب، قالها وهو يضحك. لفت نظرني أناقته الفارهة ابتداء من حذائه إلى قبعته. وحين سألته عن الخاتم المميز الذي في إصبعه، حدثنا عن أسطورة افتتاحه وتاريخه. يبدو لي لو أنه جاهز لكل سؤال والعفوية لديه نابعة من كنز المعرفة التي في رأسه وهو عاشق المكتبات القراءة والقراءة في الشرق والغرب.

البرتو مانغويل يستشهد بجملة لي في مهرجان تورنونتو العالمي للمؤلفين

جلسة حوار طويلة حدثت دون تدبير مسبق من قبل، بل كانت صدفة ثمينة للحديث الكندي الارجنتيني، وكانت الكاتبة التونسية العراقية سمر المزغوني حاضرة معنا حول طاولة مستديرة صغيرة بالمناسبة هو يفضل التعريف عن جنسيته وهويته بأنه كندي وفقط فهو يحمل الجنسية الكندية ويقيم متنقلابين كندا وبلاط أخرى. كنا نتبادل الأفكار عن الكتابة والترجمة، عن كتبه ومترجميه إلى العربية، ودور النشر، كالساقي وغيرها. أثناء الدردشة ذكرت فكرة وفقرة من قصيدة لي بالإنكليزية، وكان ينصت إلى جيدا. أعاد ما قلته وتوجه إلى الأصدقاء الآخرين حول الطاولة لإيصال تلك الجملة لهم. والتقطنا حينها بعض الصور. إلى أن حان موعد جلسته الرسمية. الجلسة الرسمية لمحاضرته معه بدأت في السابعة مساءً، وكانت مشاركة مع كاتب ومترجم شاب برتغالي Joao Reis ويترجم من وإلى عدة لغات. قلت: الحكايات. نصف المحكية، هي التي تهمني وأحاول كتابتها .

الصالحة الرسمية وأسئللة الحضور

إنشاء الأسئلة المطروحة من قبل الحضور، وسؤال من قبل الصديقة التي كانت جالسة جواري "سمر المزغوني" عن لماذا يكتب ولمن؟ فاجأني في إجابته لصديقي بالإشارة إلى

الجملة التي قلتها أثناء المرتجل قبل ساعة . لم يتذكر اسمي- أول مرة التقى به شخصياً كي يشير إليه. فأجاب: الشاعرة التي تجلس في جوارك قالت: نكتب من الحكايات. نصف محكية. ثم توسع في الرد حول الكتابة من أجل تلك الحكايات غير المكتملة، مع ترك مساحة للقارئ للتخييل والتأويل. البرتو منغوييل القارئ العالمي والكاتب الموسوعي، اقتبس جملة مني- جاكلين سلام كاتبة هذه السطور- جملة شعرية رددتها بعجب عن لماذا نكتب ولماذا أنا أكتب الشعر. كانت تلك بمثابة جرعة ثقة، تلقيتها بذهول، وليس الغرور ما شعرت به بل الغبطة، بذلك الإحساس والإمتنان للشعر والأدب الذي يبلور جهودنا ويجعل وجودنا. بعد نهاية الحوار كان هناك ركن لتوقيع كتابه القديمة والجديدة. اشتريت آخر كتابه هو كتاب بيوجرافيا عن سيرة العلامة (بن ميمون). لاحظت أنه يوقع للقراء على مهل وفنية كمن يكتب قصيدة قصيرة أو يرسم صورة بخط اليد وبقلم حبر أنيق. كتب لي الإهداء، فقلت له حين انتهى من التوقيع: أنا آثمن أنك كنت تتحدث عن الكاتب الشاب الذي في الجلسة معك أكثر مما تحدثت عن نفسك، كنت لي مثلاً سأذكره في كتاباتي. ابتسם وهو يربت على يدي: "إنها مسألة احترام ولطف"

كانت فعاليات المهرجان الأدبي في مدينة تورنento الكندية ابتداء من يوم 21 سبتمبر ولغاية الأول من أكتوبر 2023.

أفكار جمعتها أثناء حديثنا معاً ومحاضرته وال الحوار المباشر :

"على الكاتب أن يعلم القارئ كيف يقرأ وهذا يسمح للقارئ أن يتابع ويشعر بالمتعة"

*

"قدر الشاعر أن يتلقى الوحي ويلاقيه على الآخر وأحياناً فقط يلامس البعض. أعرف كتاباً وشاعراً كبار لم يحالفهم الحظ"

*

"القارئ يتلقى صوت الكاتب ثم يعيده ويفسره كما يريد فيما بعد"

*

"أغلب الأوقات نحن نعاني من تناقض الأصوات التي تقول لنا إلى أين يجب أن نمضي"

*

"نحن لدينا دور في هذا العالم، ويجب أن نكمم طريقنا حن ننظر إلى كل ما يجري من حولنا"

*

"الرقابة تقف ضد الإبداع. يجب علينا تجنب الرقابة، وإذا استمعت إلى صوت الرقيب سوف تتأثر كتابتك. والرقيب يقيم ومنذ بدء الكتابة. الرقابة الدينية والسياسية موجودة منذ بداية التاريخ. يجب أن نحارب كل أشكال الرقابة"

*

"قد يجد الكاتب صوته إذا قام الناشر والسلطة والحكومات بمحاصرة الرقيب، حينها ينتصر صوت المبدع"

*

"إذا كان الكتاب الذي أكتبه لا يزعج أحداً فلا ضرورة له. أريد من القصة أن تضر بك على وجهك لتستيقظ"

*

"الأدب لا يعطيك كل شيء ولا يجعلك شخصاً أفضل"

*

"لا أؤمن بأي عمل متحيز جنسياً وجينياً. نحن نريد أن نننظف التاريخ"
"كلمة زنجي كانت مستخدمة في الأدبيات التاريخية فلماذا نريد أن نننظف المكتبات من تلك الكتب التي كانت شاهداً على تلك الفترة والمصطلحات. إذا كانت التاريخ وسخاً لا تنظفه وتلمعه"

*

"قارئ الأدب حين يقرأ كتاباً مهماً يسأل: ما هو هدف الكاتب، وما هي حدود حرية الترجمة هذا القول"

*

"الأديب يكتب والقارئ يترجم ما يتلقاه إلى لغات أخرى"

*

"لا يعرف الكاتب الهدف والغاية لأن ذلك يعتمد على المتلقى، أنا أقرأ من تجربتي، حين أقرأ الأوديسة، وأخذ ما يهمني. ما هو مهم بالنسبة لي قد لا يكون كذلك للآخرين"

*

"يجب أن يكون المترجم مخلصاً للأصل، وقد تكون بعض الترجمات أفضل من النص الأساسي"

*

"الترجمة طريقة لإبقاء الكتب حية"

*

"كي تتغلب على الخوف من الكتابة بلغة أخرى، اقرأ بلغة الآخر"

*

"أدب الكراهة، أنا اسميه أدب الخوف، الخوف من الآخر"

*

"في حياتي لم يحدث أن قرأت كتب عالمية ذات قيمة وشعرت بالكراهة منذ السطور الأولى"

*

"أنا أكتب في الصباح الباكر لأن طاقتني جيدة في ذلك الوقت"

*

"القارئ يريد من الكاتب أن يعطيه ما يحب. القصة تأتي من المسافة بين السطور حيث يستطيع القارئ أن يشارك فيها"

*

"أكتب كي نجد ما لا نعرف لأن الأدب عكس السجلات الوناثقية. ولا يعطي الأدب أجوبة، بل يفتح الذهن على المزيد من الأسئلة"

*

"الأدب يسمح لنا أن نذهب في كل الجهات وفي نفس الوقت، والكاتب يوجه القارئ من خلال المفردات، التحركات، بناء السرد، الحلول المبتكرة"

*

"إذا كان الأدب للإجابة على سؤال واحد بجواب واحد، هذا يعني نهاية الطريق ولا حاجة لنا لمواصلة الكتابة أو القراءة"

*

"نحن البشر طورنا ملكة الخيال ليعطينا فرصة التجربة، دون أن نقوم بالتجربة"

*

"الخيال يمثل عضلات السارد كي يقدم صورة عن عالم مكون من إحداثيات، ألوان، أشكال، ومخاوف..."

*

"في الأدب نحن نخترع العالم. وأنشاء القراءة نحن ننجذب إلى صورة، صورة معينة، وليس لكل فرد، ونحب الشخصي الذي نحبه نحن لأننا مختلفون، ولا نستطيع أن نشرح لذلك بل نبتكر، نخلق"

*

"إذا أحببت صوتاً لأديب، حاول أن تقلده إلى أن تجد صوتك، خاصتك وتتبناه"

*

"لا يوجد شيء أصليّ بعد، كل شيء قيل وكتب من قبل. ولكن الذي تفعله أنت أبك تعيد نفس القصة

*

"أنا لا أريد أن أتحدث عن كيف تكتب قصة، أنت تكتب والصفحة في متناولك وأنت حر في كيفية تحرير نصوصك دون تدخل الرقيب الذي يقف دائمًا على كتفيك"

*

"أنا لا أريد أن أسمع وأقرأ مشاكل الكاتب والعالم، أريد أن أقرأ ما يمتنعني كقارئ، وما يجعلني أكتشف شيئاً جديداً"

فكرة على هامش التواضع والغرور:

لماذا يتعامل الكاتب غير العربي بلطف شديد وتواضع وخلافاً لبعض الكتاب العرب الذين تلقايتهم في مناسبات شتى في مهرجانات المدينة ومتارازها الثقافية في الهند وخارجها؟!

كان المبدع الكبير دمثاً ومتواضعاً ومحاجراً فضولياً يسمع ويجيب. الحديث معه حصل في صالة مخصصة لاجتماع الكتاب أثناء مهرجان تورنتو العالمي للمؤلفين حيث تدور الحوارات والقراءات في صالات عدة منذ الصباح حتى المساء. الصالة تطل على البحيرة حيث يوجد مقاعد وطاولات للاستراحة لمن يرغب بالجلوس هناك من الكتاب المدعويين للمهرجان. بعد أسبوع كتبت له عبر الإيميل شاكرة له وقته ولطفه ووعده أن أرسل له بعض كتاباتي المترجمة كما طلب مني. كتبت له إيميلاً وكتب ردًا وكان ذلك في بداية شهر أكتوبر 2023 حين أصيب العالم بجنون الحرب والقتل مرة أخرى، كان ذلك بعد أيام من 7 أكتوبر 2023. أهديته ديواناً لي بالعربية ولم أرسل القصائد المترجمة حتى الآن.

20

سيمون دو بوهوار في رواية عن العراقة ... هل عشت قبل جون بول سارتر

قادني الفضول للحصول على الرواية الأخيرة "متلازمتان" التي نشرت لأول مرة عام 2021 للمفكرة والفلسفية الوجوية الفرنسية سيمون دو بوهوار. بعض الأسماء تسبق محتوى الكتاب وتحتنا على البحث في ما تعذر نشره في زمانه. تملكتني الدهشة والتساؤل: ما الذي منع كاتبة بحجم سيمون دو بوهوار من نشر رواية لها كتبت عام 1954 بعد أن أعطاها شريكها جان بول سارتر رأياً سلبياً في رواية أتوبيوغرافية؟ هل هي التبعية الضمنية المشروطة على المرأة التي تجاهد من أجل الاستقلال الفكري والاقتصادي؟ أم العجز عن تحطيم المحظورات دفعه واحدة والبقاء في ظل فيلسوف وثوري كبير له أثره على الحراك الثقافي في فرنسا والعالم؟ أم أن هناك أولويات للكتابة والطرح في كل حقبة زمنية، وانحازت سيمون دو بوهوار إلى الموافقة مع سارتر في هذا الرأي لتنصرف إلى مشاريعها الكتابية الغزيرة سواء سير ذاتية أو فكرية أو متخيلة؟

رواية الماندرين وجائزة غونكور الفرنسية

الأرشيف يؤكد أن سيمون فضلت أن تنشر روایتها الفلسفية المعقدة المهمة في تلك المرحلة والتي بعنوان "ذا ماندرين-أو الماندرين". وهي رواية فلسفية معقدة عن دور المثقف في المجتمع بعد الحرب العالمية الثانية كما يشير العنوان إلى العلماء البيروقراطيين في الصين الإمبراطورية. حيث ترى الشخصيات في بعض الأحيان نفسها على أنها "ماندرين" أي نخبة غير فعالة تبحث في الدور الذي سيلعبه المثقفون للتاثير على المشهد السياسي العالمي بعد الحرب. وهذه الرواية حصلت على جائزة غونكور حينها وطبع منها ملايين النسخ في فرنسا وأمريكا.

من هما الشخصيتان غير القابلتان للانفصال و للتفرق بينهما في رواية "متلازمان"؟ أنهما المؤلفة سيمون دو بوفوار و صديقتها اليزابيث لكونين في هذه الرواية الاتوبوغرافية القصيرة. جاءت تلك الكلمة في سياق رسائل شخصية تم تبادلها بين سيمون دو بوفوار مع اليزابيث لكونين والتي عرفت باسم زازا والاسم ورد في مذكرات سيمون دو بوفوار الشخصية.

سيمون دو بوفوار والإهداء إلى الصديقة التي عرفتها وأحبتها بشغف على مقاعد المدرسة الاعدادية ثم واستمرت حتى بداية المرحلة الجامعية حيث درست دو بوفوار الفلسفة، فيما التحقت اليزابيث بقسم الآداب في جامعة السوربون. ويبدو أن تلك الباريسية ليست فرنسا التي نعرفها اليوم والتي خدت مدينة الانوار، بل كانت رازحة تحت جور تقاليد كاثوليكية صارمة. يعكس ذلك في الرسائل المتبادلة بين سيمون واليزابيث (زازا)، وهي منشورة في نهاية الرواية مؤرخة بين عامي 1929-1920. انتهت الرواية الاتوبوغرافية بموت (زازا) في ظروف غامضة حين كان عمرها 21 سنة. ويدرك أن اندريرا، اسم بطلة القصة وشخصية "سيلي" هي سيمون دو بوفوار كما يرد في صفحات أخرى في ختام الرواية.

هل أثرت تلك العلاقة الملتبسة على حياة دو بوفوار وكتابتها اللاحقة؟

أقول ربما، لو تعش سيمون دو بوفوار تجربة شخصية خاصة مع واحدة من بنات صفتها حين كان عمرها 9 سنوات لما ألفت هذه المفكرة الوجودية كتابها الثوري "الجنس الثاني" الذي اعتبر مانفسيتو الحركة النسوية الثانية حين صدر عام 1949.

لكن سارتر، المفكر والفيلسوف لم يتقبل تلك الرواية حين عرضتها سيمون دو بوفوار عليه، وكانت نظرته إليها بأنها لن تلفت اهتمام القراءة، وموضوعها ليس مسألة مهمة في الوقت الذي كان العالم يحارب من أجل قضايا أساسية كبيرة وهي الاشتراكية ومناصرة الحركات العمالية والرأسمالية البرجوازية ما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية.

وهنا يلح على سؤال: هل ستتحرر المرأة كليةً من إملاءات وسلطة الرجل الذي تعيش معه أو في حمايته، سواءً أكان فيليسوفاً أو تاجر سيارات؟!

أجزاء الرواية وملابسات الصداقة وموت زازا- او اندريرا

ماتت (زازا) في ظروف غامضة في 25 ديسمبر 1929. بسبب فايروس تسبب لها في هلوسات وحمى، أو بسبب الاكتئاب والجنون الذي قضى على صحتها النفسية والجسدية وأدى إلى الموت المبكر الغامض. تنتهي القصة بمشهد دفن (اندريرا) التي يقوم الأهل بنشر الكثير من

الورود البيضاء على قبرها، وحدها سيمون(سيلي) تضع ثلات زهارات حمراء على القبر. تخلص سيمون دو بوفوار في مذكراتها : ان صديقتها كانت ضحية المجتمع وقتل نفسيًا وروحياً بسبب التقاليد الصارمة وحضار الأسرة والعشيرة التي كانت تتبع تقاليد كاثوليكية بوز جوازية ذات خلفية عسكرية. كانت البنت متمرة-اندريا. متقدمة على عصرها تتمتع بفردية عالية في التفكير لا تتناسب مع حركة المجتمع الفرنسي البرجوازي في العقد الثالث من القرن 19. التحرر والاختلاف الفكري كان سبب كابتها لأنها لم تستطع تحمل متطلبات الحياة الجماعية واشتراطاتها القاتلة لفردية الشخصية. لم تستطع كل المحاولات المحيطة ترويضها لتجعل منها امرأة مثل أخواتها وأمهات، كي تكتفي بالزواج المدبر لتعيش مثل أمها التي أنجبت 9 أولاد وبنات ولم يكن لديها فسحة للاهتمام بنفسها، بل قامت الأم بدور الجلادة وحجبت عن ابنتهما أي رغبة خاصة بما في ذلك العزف على القيثارة مما حدى بها للقبول بالزواج من رجل انكليزي خارج الأقارب والعشيرة كي يأخذها إلى إنكلترا بعيداً عن أسرتها. لم تستطع سيمون دو بوفوار أن تبقيها في دائرتها.

أفكار على هامش المرأة الفرنسية والعربىة: حين أتمعن في هذه القصة التي انتهت بموت البطلة (زارا) في 25 نوفمبر 1929، أجد بالتوالي هناك آلاف الحالات القمعية التي ما تزال تحدث في المحيط العربي والشرقي، حيث تكون البنت مجردة في كثير من الأحيان من حقها في اختيار الدراسة أو الشريك أو المهنة.

كتبت سيمون في مقدمة الرواية الإهداء إلى زارا وترجمته هي: إذا كنت أبكي الآن فلانك ميتة، أو ربما لأنني باقية على قيد الحياة؟ يجب أن أهدي هذه القصة لك، ولكنني أعرف أنك هنا الآن فيها، وأنا هنا أتحدث معك بصيغة أدبية. إضافة لذلك، الحقيقة هذه ليست قصتك، ولكن ببساطة هي قصة مستوحاة منا. أنت في القصة لست (اندريا) وأنا لست سيلفي التي تتكلم باسمي.

*

مما قالـت مارغريت أتـوود في مقدمة الرواية:

اخترت ترجمة فقرة أخيرة من الكلمة التي تتناول مقارنة مفصلة بين جيل سيمون دو بوفوار ووالدة مارغريت أتـوود، التي عاشـت واسـرتـها في حرية شـديدة قـياسـاً لـحالـ في بـارـيسـ في تلكـ الحـقبـةـ. وـتأـخذـ أـتـوـودـ فـرـصـتهاـ فيـ تـحلـيلـ الخطـ السـيـاسـيـ الذـيـ سـارـ عـلـيـهـ سـارـتـرـ فيـ عـلـاقـتـهـ معـ الـاتـحادـ السـوـفـيـاتـيـ وـالـثـورـةـ الفـرـنسـيـةـ. بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ إـعـجابـ بـثـورـيـةـ سـيمـونـ وـطـرـوـحـاتـهـ الـمـتـمـيزـةـ فـيـ مجـتمـعـ ذـكـوريـ الـفـلـسـفـةـ وـالـتـقـالـيدـ. "عزيزـيـ القـارـئـ، أـقـرأـ وـأـبـكـيـ، المؤـلـفـةـ نـفـسـهـاـ بـكـتـ، وـهـكـذاـ بـدـأـتـ القـصـةـ بـالـدـمـوعـ. يـبـدوـ أـنـهـ وـبـالـرـغـمـ مـنـ ظـاهـرـهـاـ الـمـتـسـمـ بـالـتـمـنـعـ، سـيمـونـ دـوـ بـوـفـوارـ لـمـ تـكـفـ عـنـ الـبـكـاءـ مـدـىـ حـيـاتـهـاـ لـفـقـدـهاـ زـارـاـ. وـرـبـماـ هـيـ نـفـسـهـاـ، عـمـلتـ بـكـلـ هـذـهـ الـجـهـودـ كـيـ تـصـبـحـ مـاـ كـانـتـ عـلـيـهـ وـكـنـوـعـ مـنـ التـعـويـضـ وـالتـذـكـيرـ.

بيان دو یو فوار کان علیها ان تعبیر بفکرها إلى اقصاه ذلك ان زازا لم يكن بمقدورها أن تفعل.

*

الآخرون والأول والثاني في جيم سارتر وسيمون دوبوفوار ونحن جيل الألية الثالثة سيحفظ التاريخ مقولة جان بول سارتر الشهيرة "الآخرون هم الجحيم" والتي جاءت على لسان واحد من أبطال مسرحيته التي بعنوان "لا مخرج، أو نهاية ميتة" والتي كتبها عام 1944. وستبقى دو بوفوار عالمة فارقة في تاريخ الحركات النسوية العاملة وب خاصة في كتابها الفلسفية الشهير "الجنس الآخر" 1949. في كلا الكتابين يقترب الفلاسفة أيديولوجيا العلاقة الشائكة بين الآنا والآخر المختلف جنسياً وفكرياً ولنا أن نحل ونفك ونسقط ذلك على أسلوب معيشتنا ومفاهيمنا عن الحرية والفردية الشخصية والالتزام الاجتماعي. الكتابة بحرية والتفكير خارج الإطار التقليدي يحكم على المبدعة أن تكسر الإطار التقليدي لنغوص في الكشف عما يعني منه الفرد وإن كان في ذلك مخاطرة ونقد لاذع. ولا أدرى إن كان بإمكان المرأة أن تفعل ذلك حين يعاكسها القانون المدني والاجتماعي والديني!

نشر في صحيفه عمان - مسقط

2024

* * *

فكرة اليوم: هل من ضرورة لنشر كتاب أو أوراق كاتب راحل، لم ينشرها وهو على قيد الحياة؟

هناك أسلحة تطرح في الساحة الثقافية عن هذا والأمثلة كثيرة وكتاب كبار نشرت أوراقهم بعد موتهم.

بعضهم يستنكر النشر بسبب ضعف الكتابة وعدم اكتمالها. برأيي أي نشر هو إضافة ولا يضر

بسيرة وقيمة الكاتب ما دام لم يكتب وصية تمنع النشر كما في حالتنا هذه مع رواية المفكرة سيمون

دو بوفوار. أرى أن تلك الكتب تكمل سيرة وفتح باباً حتى وإن بدت هشة أو عادية.

شخصياً، أتمنى أن أنشر ما لدى من مخزون نصف منجز حتى الآن قبل أن أغادر هذا العالم. ما أردت

الخلص منه، فعلته قبل سنوات ومزقت مسودات كثيرة كانت مكتوبة بخط اليد. وما بقي في جهاز

الكمبيوتر وذاكرته، بعضه تافه وبعضها يستحق التدوير والمعالجة.

عوالم وقصائد الشاعرة غابرييلا ميسترال وجائزة نobel

2

فقط الجاهل الذي لا يحترم الإنسانية ولا الآداب العربية والعالمية يقول لي ولكل من يقرأ لي: لماذا الشعر؟ أو أنا أكره الشعر والشعراء، فهو بضاعة كاسدة. وأعتقد أن العالم عرق في الحماقات والحروب لأن قادة الشعوب لا يقرأون شعراً وأدباً، تلك الديناصورات التي تبيع وتتشتري صفتات الأسلحة الباهرة، فيما أفراد الشعب جياع وضحايا. ولكن سيكون هناك دوماً عشاق إستثناء يمارسون الشعر ويترجمونه ولا يصلهم مردود مادي مقابل موهبتهم ووقتهم.

زارني صديق منذ 25 سنة وفي يده هدية لي، عبارة عن نسخة مصورة لديوان قصائد مختارة للشاعرة غابرييلا ميسترال. لم أكن قد قرأت لها من قبل. قال: هذه الشاعرة ستعجبك وستتكلم عنها في لقاء آخر بعد أن تقرأها.

أنا أثمن الهدايا الشعرية وخاصة في الفترة التي كنت التقط الكتاب العربي بشوق في سنوات الهجرة الأولى. غادر الشاعر الصديق كندا عانداً إلى بلاده إلى غير رجعة وصار له شأن وحضور هناك. وكلما قرأت غابرييلا ميسترال، أبتسם وأقول لنفسي: إنها شاعرة وأحبها.

غابرييلا ميسترال قصائد مختارة
ديوان من إصدار دار المدى، عام 1998 وترجمة الشاعر العراقي المترجم الراحل حسب الشيخ جعفر الذي مرت ذكرى رحيله في شهر أيار/مايو
يحمل الديوان 48 قصيدة. وصدر لها روايات وشعر نذكر منها "يأس" ورواية "تدفق رفيقاً إليها النهر"

غابرييلا ميستراو و بعض جوانب شعرها

ولدت الشاعرة غابرييلا ميستراو في تشيلي عام 1889 ورحلت عام 1965 نالت جائزة نوبل للآداب عام 1945. عاشت حياتها في فقر مدقع ويقال أنها نالت مرة جائزة تقديرية ولكنها لم تستطع الحصول على الجائزة لأنها لم تكن تملك ثوباً مناسباً.

عملت معلمة في مدرسة، وعانت شقاء الحياة بكل ألوانه. كان الشاعر بابلو نيرودا أحد تلاميذها في الصف والذي فاز أيضاً بجائزة نوبل عام 1971. يقال أنها أخفته في بيتها حين كان ملاحقاً (كما يشير المترجم في مقدمة الكتاب). كانت الشاعرة من أنصار حرية الرأي والتعبير وتنشر كتاباتها في الصحف المحلية بتخفيف ثم انتشر صوتها وصيتها خارج البلاد. عينت كقصل في تشيلي بعد تلك المسيرة الشاقة والمعطاءة.

الشاعرة غابرييلا ميستراو، أمومة خصبة بلا إنجاب، عاشقة حتى آخر عمرها لرجل وحيد مات منتحر في ظروف غامضة، خصوبة روحية تلد الحياة شعراً من عالم الأشياء بحسية عميقه، حملت رؤية امرأة مرهفة ومثقفة، يختلط في كتابتها عشق الحياة مع الأسى والقلق الوجودي.

أنجبت قصائد وفي قصائدتها أنجبت أطفالاً، رجالاً، أحلاماً ورؤى تخالها أعمق من الواقع وهذا ما سررها في قصائدتها وكلماتها خصباً وعميقاً. كانت خلافة في وحدتها، متقدة برغبات الصانعة الحازفة والجزلة، تسرّر واقع الحياة والطبيعة لصنع منمنمات شعرية كاشفة للحقائق، مكسبة إياها أبعاداً وتجليات شاهقة.

الشاعرة والأخر: إن الدخول في عالم قصائدتها يقودنا إلى أن الآخر في حياتها هو الغياب. ذلك الغياب الذي يترجل ويتنقل متخذاً أشكالاً وتجليات شتى حتى نكاد نلمسه، نحاكي ألوانه بعيوننا، نشم رائحته خصباً وقوياً.

غياب الطفل وغياب الحبيب، غياب العالم الجميل الناصع له مقام في نصوصها، وهي الشاعرة التي لم تنجُ ولم تتزوج ولكنها نلمس في قصائدتها أطفالاً بحجم الروح الإلهية. وذلك الغياب الذي يرهقها حيناً ويهددها بأفراحها وأوجاعها حيناً آخر حتى يستحيل العالم طفل تعید ولادته بشغف القصيدة وحنكتها.

إنها الشاعرة التي تعاونت مع روحها وروها وفكراها كي تسلخ عن جدران الروح والجسد أنسوطة العدم.

احتضنت في فراغها عوالم متناقمة وحزينة ومترنحة، تغضب بما ينقص وما يجرح وما يرفع الأمل

خطوة إلى الأعلى
ارتمنت في حضن الطبيعة الأم، فصارت أما تحنو وتغضب، تبكي وتشاكس ويبقى حضورها وكلماتها
وأقعاً أسمى يتدخل في شرائين الحياة نبضاً نبضاً.

من هذا العالم المصتخب بكل الألوان تقطف بلمسات حادة وراعفة الجمال الكامن في الأشياء تلتقط
اليومي والعادي من مفردات ومشاهد الحياة وتفصل منها ثوباً للقصيدة.

أتوقف عند هذه القصائد:

في قصيدة

وانا أهز المهد

البحر يؤرجح الملابين
من أمواجه متذاغماً
وأنا، مصغية إلى هددة البحر،
أهز طفلي .
الريح رفيقة القمح
تؤرجحه بلطف
وأنا أصنعي إلى هددة الريح
أهز طفلي .

الله يؤرجح الملابين
من عوالمه في هدوء
وأنا مصغية إلى الله،
أهز طفلي.

الله يؤرجح الملابين
من عوالمه في هدوء
وأنا أضمك إلى صدري

فما أنا بوحيدة. – ص 20
ونلمح هنا قدرة الخلق المتخيلة في القصيدة تتجلى بطفل تحضنه الشاعرة في عزلتها متماهية في الكون/ البحر/ الريح/ القمح/ الله/ الطفل....

وفي قصيدة قصيدة " أرق" تكتب مراحل من حياة الشاعرة المتأرجحة بين فقر وعوز وبين الراحة واليسير :

شحادة كنت.... مليكة انا اليوم
وها أنا ارتجف بلا توقف،
وتسائل طوال الطريق،
الما تنزل مع؟ ألن تذهب؟
أريد أن ابتسם في الطرقات كلها
واشق بالناس جميعاً ما دمت قد جئت إلى.
غير أني تعلمت أن أخاف حتى في أحلامي
وتسائل: أنت هنا؟
الآن تذهب؟

وحيث نرى في السؤال ما هو أقوى من استجاء حضور الرجل الحبيب وما هو أعمق من محض رغبة تخضع لانزياح حسي. ويقال أن الشاعرة لم يكن لديها ثوب مناسب كي تذهب لاستلام جائزة نوبل وحضور احتفال الأكاديمية السويدية بالشعر والشاعرة. أنا لا أستخدم كلمة كبير وكبيرة في وصف صاحب الصنبع الإبداعي، فالنص يشهد على مقام صاحبته(هي/هو)

*

وفي قصيتها " سأغنى النشيد الذي كنت تحبه":
تقول:
سأغنى ذلك النشيد الذي أحببته...
كي تقترب وتصفي،
كي تتذكر تلك الحياة – كانت حياتك أنت

سأغني كل غسل... يا ظلامي.
لا أريد أن أصمت
كيف ستجدني بلا صرخة مني؟
وأي شيء ينبعك عنِّي أكثر صدقاً منها؟ مازلت أذكر تلك التي كنتها قديماً
ما أنا بالمنسية أو الصانعة

....
...

وكم شاهق هذا الإصرار على مواجهة الحياة بصفع ذاكرة الموت... ويتجاوز الذات الشخصية
لتحل محلها الذات الشاعرة بلا وج م حلقة في فضاء الكلمة المجرد إلى حيث المطلق. شيء ما في
روحانيتها يذكرني أيضاً بالشاعرة الإيرانية التي توفيت باكرا "فروخ فرج زاد" حيث المعابر الروحية
ترتفق بإحداثيات الكتابة إلى أعماق الفكر وإلى سماء الشعرية المنفحة المقطرة كدموع وأحجار
كريمة تسurg في محبرة كونية لا تعرف الموت والجفاف بل تتجدد بكل قراءة.

*

في قصيدة أنشودة النجمة
"قلبي. أنا أبهج العالم كله بأشعتي،
ولم يعد ضوئي غير دموع.".....

...

وتتعالى رغبتها في تحطيم هذا الظغائن الأسود من العالم في تصوير مدهش من خلال قصيدة " أبواب
" التي في آخر الديوان ومنها:

أبواب هي قشريات مكتبة
لا مد يأتيها، وبلا رمال
أبواب هي سحابة قائمة عاصفة
فوق ارض سعيدة، كبيرة
آخذة في استقامتها هينة موت لا مفر منه
وأنا انحني أمامها
كقصبة مرتجفة في الريح.

....
...

في النور الأبدي كما في الحياة
سيكونون لطفاء معي وستنند معا
أغنيتنا بين الأرض والسماء.
وكالريح بأغنيتنا هذه
سبرج الأبواب ببابا بعد باب
وسيخرج البشر إلى عالم مفتوح
كالأطفال المستيقظين
وقد سمعوا كيف تتساقط الأبواب الحادة
منهارة فوق العالم كلها.

هنا وكما في قصائد أخرى كثيرة تسخر الشاعرة مقررتها المذهلة الرقيقة لتكتب شعرية الأشياء
وعناصر الطبيعة متاغمة مع الروح، كالشوكة، السنبلة، الأبواب، الغيمة، الآنية الفخارية الجماد
والصلب للانطلاق إلى قلب الحياة والأمل والغد.

حين يهدي الشاعر، أشعار غيره لصديقة تهتم بالشعر، يختلف كثيراً عنمن يهدي منفضة سجائر أو
زجاجة عطر. وبتصوري ومع مرور الوقت لا يفقد هذا الشعر نضارته وشبابه وأثره وجدواه وجواهره.
فقط يحتاج إلى وعي يفتح الباب إلى حقول الجمال الأبدية التي جوهرها الإنسانية.

نشر في صحيفة الصباح العراقية

فكرة اليوم: أما أنت أيها الغريب حين تذهب إلى البيت إحضر معك الكثير من قلبك والكثير منك. اخلع
أقنعتك على عتبة المنزل وضعها قرب حذائك.
كن ذاتك فلعالم مليئ بأشباب البشر والنسخ المزورة.
ودعنا نذير العالم البارد بالحب لعله يشفى من آثار المجزرة.



الفصل الخامس

أسرار المخبرة

جويس منصور وجائزة غري芬 الشعرية العالمية

أعلنت الصحف الكندية عن القائمة الطويلة لجائزة غري芬 الشعرية العالمية في العاشرة صباحاً يوم 20 مارس، 2024. وفي العاشرة و5 دقائق وصلني بريد الكتروني فيه أسماء الفائزين بالقائمة الطويلة وفيها تفاصيل الأسماء والكتب الفائزة من كندا وخارجها. وكان اسم الشاعرة المصرية الفرنسية جويس منصور يحتل بعد ساعات واجهة المشهد الإخباري العام في الصحف الكندية اليومية. وخاصة أن مترجمتها عن اللغة الفرنسية ، كاتبة كندية الأصل وتقيم في مدينة تورonto وهي استاده وتحتثد الفرنسية، هنا حيث اللغة الانكليزية هي السائدة في قطاعات العمل والشارع. اسم المترجمة: ايملي مور هاووس. وبيدو أن للمترجم الكندي حصة في هذا العرس الابداعي. هناك اسم مترجم كندي آخر من فانکوفر في القائمة الطويلة. الكتاب الفائز هو مختارات شعرية بعنوان "جراح الزمرد" في صدد التعريف عن الشاعرة جويس منصور، ذكرت صحيفة كندية أنها سورية يهودية الاصل منفية من مصر) وعاشت في فرنسا في مرحلة صعود الموجات السريالية في فرنسا، وكانت على علاقة قريبة بروادها كما ذكر المترجم عبد القادر الجنابي في ترجمته لمختارات من شعرها-منشورا في ايلاف.

ومن المؤكد أن الشاعرة لا يعنيها الآن إن كانت هويتها سورية أم مصرية أم فرنسية، أم يهودية؟ لقد كانت قصيدتها وسلوكها نموذجا للتمرد في الواقع وفي اللغة وفي قاموس الجسد ومعاركه الايرلوبية، السوريالية.

ولقد أنجز أيضاً الكاتب المصري والمترجم "محسن البلاسي" كتاباً عن سيرة حياة جويس منصور وأعمالها في القصة والفنون والشعر. والإصدار بعنوان: "جويس منصور... طفلة مسك الروم"،

ما هي حصة المترجم من جائزة غريفن؟

يحصل المترجم على نسبة 60 بالمئة من قيمة الجائزة، و40 بالمئة تعود للمبدع صاحب العمل الأصلي، هو/هي. وهذه قسمة حق لأن المترجم مبدع أساسي في هذه الحالة. وقد سبق أن فاز بالجائزة الشاعر الفلسطيني غسان زقطان مترجماً من قبل المترجم الأمريكي الفلسطيني فادي جودة. وهناك أسماء عربية وصلت إلى القائمة القصيرة، وأسماء فازت بجوائز كندية أخرى ...

ويذكر أن الجائزة في هذا العام 2024 قدرها 130 ألف دولار كندي، تعطى لديوان نثر واحد إما كتب بالإنكليزية أو ترجم إليها من اللغات الأخرى. وكانت سابقاً تعطى لشاعرين، شاعر باللغة الإنكليزية وكندي الأصل، والآخر قد يكون من أي دولة من العالم ومترجم إلى الإنكليزية. يبدو أن غالء المعيفة في السنوات الأخيرة في كندا جعلهم يرفعون قيمة الجائزة للفرد الفائز. ومن الملاحظ أن في القائمة شعراء مترجمون من أوكرانيا، ومن إسبانيا، ومن إفريقيا وغيرها. سوف تعلن القائمة القصيرة في 17 أبريل القادم 2024، أما الفائز النهائي فيعلن عنه في 5 حزيران 2024 ويستلم كل شاعر 10 آلاف دولار إذ وصل إلى القائمة القصيرة. كما أن الجائزة خصصت فرعاً لجائزة الكتاب الأول. وقدرها 25 ألف دولار مع رحلة ترفيهية إبداعية إلى إيطاليا لمدة 6 أسابيع.

*

ain تتجه بوصلة الذانقة الكندية في السنوات الأخيرة: من قراءاتي ومتبعتي للحرك الثقافي الكندي، أدبياً وسياسياً، لا أحظ أن هناك دعم شديد للكتاب المثليين والمتحولين جنسياً، كما هناك دعم وتشجيع واضح لتنمية الحديث عن (الامراض النفسية والاكتتاب والعزلة). كما هناك حيز لأدب العرق الأسود أكثر بكثير من ذي قبل وكذلك أدب (الكنديين الأول) وهذا ما تطرحه. نعم الآداب لا تشتبئ أحداً ولكن لكل مرحلة استثناءات.

من هي لجنة التحكيم جائزة غريفن لعام 2024؟

هناك شاعر كندي-إيطالي الأصل، وآخر ألماني وشاعرة أمريكية في لجنة التحكيم. وحصل أن التقى بالشاعر الكندي (ف.ا. موريتز) في أمسية شعرية 2019 أقيمت في داون تاون تورنتو، وقرأت قصيدة مترجمة من شعره، وقصيدة لي على هامش الاحتفال. وسبق أن نال هذه الشاعر جائز غريفن عام 2009. وشغل منصب شاعر البرلمان في سنة انتشار وباء الكورونا. من هو مؤسس الجائزة؟ هو رجل الأعمال الكندي سكوت غريفن وهو صاحب دار النشر الكندية

(اناسي برس). التقى به مرة 2005 وذلك وسط احتفال كبير حضره كبار الشعراء والسياسيين في منطقة تورنتو، لرفع الستار عن تمثال شاعر كندي هو (الفريد بوردي) الذي رحل قبل سنوات وترك بصمة شعرية مميزة على الخريطة الكندية.

هامش اليوم: أرسلت هذه المقالة الى عدة وتعذر نشرها لأسباب شتى ولا أعرفها، واحدة من الأسباب التي وصلتني بأن الشاعرة (يهودية الأصل) ونحن الآن في حالة حرب مع إسرائيل ونعتذر عن النشر.

فكرة اليوم: الشعر لا يدين ولا يستدين. الشعر يكشف خراب الروح والعالم بطريقته ولا يدان قائله لانتمانه الوراثي إلى أي عرق وشعب وديانة، مadam قادرًا على صنع الجمال وتحرير الإنسان من القيود.





جويس منصور ، المصدر : الانترنت.

نحبكم أيها الرجال ولكن ...

لابأس، وأعترف مقدماً أن السؤال عن "الرجل" أيقظ مشاعر تشيه الإحباط في نفسي، وذهبت في كتابة قصيرة. وكلما هممت بالكتابة عن الموضوع، يتشتت ذهني، فانتصرف إلى المطبخ، إلى البراد، أتناول أي شيء، أكله هكذا بلا شهية ولا جوع. لا بأس ازداد وزني أكثر من (كغ) ولم استمتع بوجبة واحدة هذا سبب وجيه في أن رجلاً ما سينظر إلي ويقول في سره أو في العلن: إنها امرأة معقولة، ولكن لو كانت ممتشقة القوامـ أكثرـ كما النساء اللواتي يعشعنـ في رأسيـ واحتلاماتـ! إنتبهـ ابنيـ إلىـ قلقيـ، سألهـ ماـ بكـ؟

قلـثـ: مشغولةـ بكتابةـ مقالـ عنـ الرجلـ والحياةـ.

صمت قليلاً ثم أجاب: أعتقد من الأفضل يا أمي أن تذهبـى معيـ إلىـ السينماـ ونشاهـدـ فيـلـمـاـ كومـيدـياـ. قرأتـ ماـ كتبـهـ النـاـقـدـ الـعـرـبـيـ (ـسـينـ) عنـ المـرـأـةـ الـكـاتـبـةـ، بـحـوـثـهـ التـنـظـيرـيـةـ ماـ قـبـلـ "ـعـرـفـةـ فـيـرـجـيـنـاـ وـوـلـفـ"ـ وـمـاـ بـعـدـ الـحـادـثـةـ وـمـاـ يـحـيـطـ بـهـ مـنـ شـوـكـ وـثـمـارـ مـحـرـمـةـ، حـبـرـ عـشـراتـ الـمـقـولـاتـ الـمـوـثـقـةـ مـنـ مـصـادـرـ الـأـجـنبـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ وـلـمـ تـسـعـفـهـ الرـوـحـ وـالـتـارـيـخـ وـأـدـوـاتـ النـقـدـ، لـرـوـيـةـ الـمـرـأـةـ بـأـكـثـرـ مـنـ "ـذـكـورـةـ نـاقـصـةـ"ـ كـمـاـ عـلـمـهـ السـيـدـ "ـفـروـيدـ"ـ فـيـ عـلـمـهـ السـيـكـوـلـوـجـيـةـ!

أـرـيدـ أـنـ أـخـلـصـ لـبعـضـ صـورـ "ـالـرـجـلـ"ـ الـتـيـ فـيـ رـأـيـ، وـبـعـيـداـ عـنـ الـمـقـولـاتـ الـإـنـشـانـيـةـ وـالـإـسـتـشـهـادـ بـقـائـلـةـ مـنـ الـكـتـبـ وـالـمـقـرـوـءـاتـ شـرـقاـ وـغـربـاـ، أـرـيدـ أـنـ أـكـتـبـ مـنـ وـحـيـ كـلـمـةـ الـرـجـلـ وـالـرـجـوـلـةـ وـلـيـسـامـحـنـيـ كـلـ الـذـيـنـ أـحـبـهـمـ:

كان يقول أنه أحبني بكل عيونه الزرقاء المشرعة على سحر الشرق وحكايا ألف ليلة وليلة. كان يقول لي أنه من اللياقة أن يحمل عني الحقيقة والأكياس إن كنا في مشوار. يقول أن من اللطف أن

فتح أي باب يصادفنا كي تعبر المرأة وهو تاليأ.. وبالضرورة أن تنتظري قليلا كي أساعدك على ارتداء المعطف حين الإنصراف من المقهى.

كنت أطيل النظر في زرقة عينيه بقلق وندخل في تفاصيل القلب ومستقبل البيت.

كان يقول: لي شرط أن تتجنب الزوجة طفلاً على الأقل وهذا أهم لدى من كل شيء آخر- رغم أنه أب ولم يحرم نعمة الأبوة في زواج سابق. كان يجب أن أقول لا أرغب بالإنجاب ثانية، وأصر عليها لأكثر من سبب.

كان يقول: إذا أردت أن تعرب عن اهتمامك بي وتربيدين بهجتي، لك ان تعرفي أنتي أحب المرأة التي تهتم بمعدتي والمطبخ كثيراً، هل سمعت بالمثل القائل " الطريق الى قلب الرجل معدته "

فأشهق في غيظ ودهشة: حتى انت يا هذا...! كم يتقاطع الشرق والغرب!

كان يقول: أحبك ومنجدب إليك، ولكنني لم أفهم لماذا، أنت لست أكثر جمالاً من نساء سبقات عرفتهن وتفضلين الكتابة والقصيدة عن الطبخ وتفضلين عدم الإنجاب وهذا لا يناسبني.

فأجيب بكرياء حزين: بل أنت وهذا وذاك لا يناسبني أيضاً ولينصرف كل إلى ما يطيب له.

*

الرجل كان خائف، قلما يفصح أمام المرأة عما يجول في رأسه، وعن حاجاته العاطفية ومنغصاته الجنسية.

الرجل يعرف كيف يكون عشيقاً، ويفشل في أن يكون زوجاً عاشقاً.

الرجل يبحث في المرأة عن أم، وتتبعه المرأة " الندية " بل يخافها ويعشق مملكته.

الرجل الجميل الذي أنتظرته لم يأت بعد، سأقول لنفسي أنه سيأتي.

لا بد أن يشرق من سفح القصيدة أو سررة الرواية وحين ينخفض عن كاهله تراياً من العادات والتقاليد والأمثال الشعبية التي جعلت منه عبداً لها، وجعلت منه سيداً يergus ما بين روحه وجسده وتبعته الواقع.

هكذا أعتقد، وسأفرح إن قلتم أنه بينكم وترونه.

*

كان لي في الحب نصيب، وكان من المفترض على العاشرة أن تبحر عكس التيار والعائلة والمجتمع كي تظفر بنصر اسمه الحب، وكما صورته لها أحلامها وأقوال عن الحلم والمساواة والحرية والمستقبل وكان ذلك جميلاً وحميمياً وسالفاً. كان لا بد أن نقرأ الكتب ذاتها ونمishi الطرق العسيرة والطيبة ونتفق ونختلف ونصرخ ونبكي ونبتسم...و عند اختبار الحياة الحقيقي توافقنا وأعلننا الهزيمة.

قال: هذه القصيدة لا تشبهني. لمن كتبتها؟

قال: أحبك ولكن من الأفضل لا تواظبي على القراءة والكتابة.

قال: توقفي عن الصعود. لقد قطعتِ شوطاً لا يلزمك ولا يلزمني، تقدمتِ أكثر مما يحتاج البيت والجوار.

قلت: لا أستطيع المراوحة في المكان، لا أستطيع العودة إلى الوراء، تأخرتُ عن حلم المرأة التي في بطنِي.

قال، وقت... ولم يبقَ منا شيءٌ سوى جرح في الذاكرة والطريق وتجربة قابلة للتاريخ وللنسيان.

قالت صديقتي بعد عشرين عاماً: هل يستحق رجل، العناء والتضحية؟

قلت: لا أدرى! ثمة رجل جميل تانه في ملوك آخر.

ثمة رجال سوف نلدهم، نعطيهم الحياة ذات حبّ.

أنه هناك، خف القمر وخلف بوابة الكلمات، وأصدق من كل الأيديولوجيات، يمينها ويسارها، رجل لا يحدّ بجغرافية وتقاليد يخطها الشرق أو الغرب. يلزمني كذبة أعيشها كي أخفّ نزق الروح وعتبها.

*

أردت هذه الكتابة المباشرة إلى حد، ولكن ثمة عتمة تحتاج إلى حفريات وتهوية وشموس عالية.

ثمة قواسم مشتركة تخضع لها الأسر الشرقية، ويلزمها الأخذ رجالاً ونساء بمقولة "قتل الأب" في بعدها الفلسفى والسوسيولوجي.

هامش: نشرت هذه الكتابة في عدد يناير 2005 مجلة "الرجل" اللندنية ردًا على سؤال تقدمت به الكاتبة السورية غالية قباني، مديرية تحرير المجلة.



3

المقابر والمجازر في جداريات من الأرجنتين إلى فلسطين

ما أكثر المقابر المجازر في العالم، فكم مشروعًا فنياً يحتاج الإنسان والفنان في الشرق كي يتحدث للعالم عن مجرزة دير ياسين، صبرا وشاتيلا، حلبة، جنين، والمقابر الجماعية؟. الذاكرة خانة والحقائق تطم. أتراها الفنون تقدر على أن تعلمنا الحياة والإبتسام لشمس الصباحات، للمستقبل! المجازر والطغاة العاملة في الشرق لهم أخوة وأشباه في الغرب. هنا وفقة مع الأرجنتين وأوجاعها من خلال الصورة الفوتوغرافية واللوحة التشكيلية والتنسيقات الفنية.

الفن يقاوم الموت بلا أسلحة وبلا عنف. الصورة تذكر وتعيد الحياة للمفقودين الذين ابتلعتهم الحروب وأيدي الطغاة وطغتهم. هذا مالمسناه في عرض فني بعنوان "جدران الأسى/جدران الأمل" الذي أقيم في أحد مراكز جامعة تورنتو حيث كانت ندوة عن مخلفات الحرب ودور الفن في التذكير بالحياة، إنشاش الذاكرة والعمل جماعياً فنياً واجتماعياً، وذلك من خلال أعمال وسيرة الفنانة الأرجنتينية الأصل "كلوديا برناردي".

حضرت العرض لأرى كيف يتعامل فناني العالم مع المجازر والعنف الأهلي والحروب في بلادهم. رحت أتصفح الوجوه كأنني أريد أن أعرف ما الذي دفع هؤلاء للحضور، أتراهم نجوا من حرب ومجزرة يوماً ما، أتراهم فقدوا في المجازر عزيزاً أو وطناً! حضور مختلف الجنسيات والأعمال حضر ليشهد على صور الحرب وأشغال الذاكرة عبر شاشة منصوبة في الصالة. كانت الفنانة تعرّض سلайдات وأعمال فنية وصور فوتوغرافية توثق الحرب الأهلية والمجازر والمقابر الجماعية التي حصلت في الأرجنتين في الثمانينيات. الفنانة التي تقع أعمالها في خانة "المقاومة عبر الفن" تحدثت عن دور الفن في تحدي السياسة، عن حفظ الذاكرة الجمعية، ذكرة الإنسان الذي سمع

وشهد وقد ومن ذهب ضحية لحروب يشعلها الدكتاتوريون. وعن أهمية أن تعيش هذه الذاكرة وتنقل صوتاً وصورة وفناً إلى الأجيال القادمة.

صور المفقودين وثيابهم

عرضت بعض صور المفقودين في تلك الحروب التي تقول عنها "حروب قذرة". تحدث عن المجازر والمقابر الجماعية على وجه الخصوص، من خلال مشاهدتها العيانية وعملها الميداني مع فريق انتربولوجي يقوم على فحص بقايا الجثث المطمورة في بطن المقابر الجماعية، وذلك للتعرف على هوية الضحية. الفناء كانت تعمل مع اختها الصغيرة وشباب آخرين في هذا البحث الموجع المرعب. صور نرى فيها الشابة جالسة في حضن الأرض ومن حولها أطراف وعظام وجماجم، تحاول بهدوء وحذر أن تزيل عنها التراب لتدبر بها للدرس والتحليل. ومن بين العظام والأفواه الصدرية للأطفال كانت إحداهم تتشكل قميصاً، ثوباً وحذاء لطفلة. تنقل هذه الأثواب وفرادات الأحذية ليجعلوا منها تشكيلات فنية موجعة.

ثياب الموتى لاتكبر ولا تهترأ بسرعة. بهدوء وثقة كانت تتحدث كلوديا برناردي عن أهمية أن تجعل من ذلك صورة حية تنطق فنياً، لتجوب بها دول العالم، وبخاصة البلد التي خنقتها الحروب، أو خرجت حديثاً من حرب. كانت تحكي للحضور باقتضاب كيف كان رجال المليشيات يأتون ليفصلوا الآباء عن الأبناء، الأمهات والفتيات، ويصار إلى قتلهم بعدها ورميهم في مقابر جماعية عديدة. بعضهم مما لا علاقته له بالسياسة إطلاقاً، وبعضهم كان منتسباً إلى اليسار. كانت هناك صور فوتografية كثيرة توثق وجودها وشخصيات وأمكنة.

لهذه الرسالة الإنسانية كرسَت برناردي التي فقدت كل أفراد عائلتها، طاقتها وألمها وأملها، وذلك من خلال الفن صورة ورقةً ودروساً تعليمية ومحاضرات. وهي التي حصلت على شهادة دكتوراً فخرية في الفنون، وعملت بالتعاون مع نساء آخريات لتأسيس مدرسة فنون في الأحياء الفقيرة في السلفادور، وراحت تعمل مع الأهالي والنساء والشباب لخلق مساحة لهم للتعبير عن دواخلهم، لتقديم صور عن الحرب الأهلية من خلال رسم جداريات مشتركة. جداريات تحيد عن العنف وتمجد العيش المشترك والسلام. جداريات لانتقام، بل تروي الحقيقة وتحلم بالغد.

تقول برناردي أن هذا المشروع الفني، اجتماعي إنساني بالدرجة الأولى، والجميع بنظرها يحمل ذاكرة ويستطيع أن يرسم حكاية في جدار الألم وفي جدار الأمل حتى وإن لم يكن فناناً يوماً. وتركز في مشروعها على التذكير بأسماء النساء والشباب الذين مايزالون في عداد المفقودين. ومن خلال

الصور والسلайдات نقلتنا لحضور الاحتفال بحياة ذكرى تلك المجازر.رأينا الأطفال يشعرون الشموع
وبرددون عن ظهر قلب أسماء وأعمار الأطفال الذين هم في عداد المفقودين.
كانت برناردي تقول "من قال إننا ننسى، من قال كل شيء ضائع".

التفاول بالمستقبل بعد المجازر...

المجازر والمقابر الجماعية تصلح موضوعاً للفن للتذكير بنعمة الحياة. ويبقى أفق الفن أرحب من أفق
آلهة الحروب. الشمعة الوحيدة في الصور التي عرضتها الفنانة كانت تصيّء مساحة كبيرة من العتمة.
العتمة الشاسعة تنهار أمام النور. نور الفن والأمل. الأمل الذي بدا قوياً وحاضراً في صوت الفنانة
النجفية ونظراتها القوية اليت تغالب الحزن.

أحد الحضور سأل كلوديا برناردي: "تبدين متفائلة كثيراً، هل أنت هكذا حقاً؟"
فأجابت وهي تضحك: "نعم أنا متفائلة، لقد علمتني التجربة مع النساء اللواتي فقدن أطفالاً وشباباً، أن
أبتسّم. رأيتها بأم عيني بيتسّمن..."

وأضافت "الديكتاتوريون يريدوننا أن نبقى حزاني، لكننا لن نفعل".

الفنانة والأكاديمية الارجنتينية كلوديا برناردي كانت تعمل في تورنـتو برفقة "جولي جارفيـس"
للاشراف على إنجاز جدارية يرسمها شباب في تورنـتوـكنـدا، من خمس قارات، يعكسـون من خلالـها
قيمة "فن الجمـاعـات" للـتعـبـير عنـ الـآـلمـ والأـمـلـ. كما أنها افتتحـت أولـ مـدرـسـةـ للـعـنـايـةـ بهـذـاـ الفـنـ فيـ أحـيـاءـ
الـسـلـفـادـورـ الفـقـيرـ وهـيـ تمـولـهـ منـ عـانـدـاتـ عملـهاـ وـالـتـبرـعـاتـ. تـدرـسـ الفـنـونـ أـيـضاـ فـيـ مـعـاهـدـ وـكـلـيـاتـ فيـ
كنـداـ وـأمـريـكاـ وـالـارـجـنـتنـينـ حيثـ تـقـيمـ مـتنـقلـةـ، حـامـلـةـ معـهاـ جـارـيـاتـ. جـدرـانـ فـنـيـةـ زـاخـرـةـ بـالـجمـالـ، تـجـوبـ
بـهـاـ قـارـاتـ وـدولـ آـنـهـكـتهاـ الحـروـبـ.

سؤال اليوم: ما المسافة بين الارجنتين وفلسطين، بين جدران الألم والأسى وجدران الفصل العنصري
بين شعب وآخر؟

تعرفنا كقراء عرب على روائع مترجمة من أداب أمريكا اللاتينية والقادم من تلك الرقعة الجغرافية
التي تعد "عالماً ثالثاً"، ووجدنا فيها كنوزاً غنية. وفي هذه الصفحة الفنية نقع على مساحة تلامس
مساحات مظلمة من أوجاع شرقنا العربي الذي يقاوم الموت أيضاً وبأكثر من وسيلة.



لعاذا ينتحر الأصدقاء بعد العودة إلى الوطن... وداعاً كريماً

ظروف وتساؤلات ت تعرض يوميات الفنان والمبدع المهاجر حديثاً أو التمرس في المنفى، فقد ضاق الحال ببعضهم وقرروا بعد سجال طويل مع الذات والواقع العودة إلى البلاد التي قدموا منها، حاملين حنينهم وخيباتهم وتجربة المنفى والأمل في تحقيق الذات في البلد الأم.

اذكر منهم الشاعر أحمد عبد الحسين، الذي عاد إلى العراق وتفرغ للعمل في إحدى صحفها. وهناك الكاتب الصحفي إبراهيم الحريري الذي عاد إلى العراق أيضاً وبعد عقود من رحلة طويلة مع المنفى امتدت من العراق إلى مصر، لبنان ثم إلى كندا، العراق. وأيضاً الشاعر محمد جابر النبهان الذي عاد إلى الكويت للعمل في المجال الثقافي حاملاً وأولاده جنسية كندية وهو الذي ينتمي إلى فئة "البدون" هوية. أما المسرحي العراقي كريم جثير فكانت عودته مأساة أخرى تضاف إلى تجاربه التي لا تخloo من المرارة، وبعد فترة قصيرة من عودته كتب وأخرج مسرحية ونجح في عرضها في العراق، ثم انتحر في ظروف ملتبسة وفي أوج شبابه. وتبعه هجرة معاكسة للكاتب الصحفي إبراهيم الحريري الذي غادر كندا، "ليناصل" في العراق من جديد، وهناك أصدر كتاباً بعنوان "القيامة" وهو عبارة عن مختارات من كتاباته القصصية والDRAMATIC، وقصص الأطفال.

يعتبر الانترنت أحد الحلول البديعة للتواصل ما بين الشرق والغرب ونافذة لإيصال كلمة الكاتب المهجري إلى الآخر أينما كان. فإلى جانب المواقع الشخصية والمدونات وغيرها من وسائل الاتصال السريع.

اما فرق الرقص الشرقي فهي كثيرة رائجة وتحوز على إعجاب الجمهور الكندي وهناك دروس خصوصية لتعليم الرقص.

اتصل بي أحد الأصدقاء الشعراء مرة يقول: لقد تسلخ الجلد عن يدي وأنا أشتغل حمالاً، صدقي

إنني تقدمت للحصول على عمل تنظيفات وجمع قمامات في محطات المترو، ولم ألتقط رداً. في ظل هذه الحالات مادا يمكن للشاعر أن يكتب وهو يعرف أن بلاده التي أتى منها غنية وخيراتها الكثيرة محكمة ومحصورة بفنان قليلة. يوجعه أنه منفصل عن ذاته وبيته، حرية مراة ومدفوعة الثمن مسبقاً.

بعض حالات الضياع أو الضحية أيضاً نجدها بين عدد من الشباب المثقفين العرب الذين يكتبون باقتصاد شديد، كما لو أن كتابتهم معالجة لهذه الآنا المحتضرة التي فقدت اتزانها قبل الهجرة وبعدها ***

كلمة القيتها في حفل تأبين الكاتب في مدينة تورنتو وحضر الجلسة الكثير من أصدقائه العراقيين والعرب. 2007

ما أصعب هذه اللحظة، ها إنذا أكتب أول نعوة لصديق كان يحب المسرح والشعر والنساء والعراق. كريم، أيها الصديق المبدع المجنون الساخر الشقي الحزين الصاحب السوريالي الطفل الكبير اللامعقول المعباً بألف جرح وقصة ومسرحية عراقية وعالمية. أهكذا تذهب إلى نهاية العالم وحيداً بلا وداعات؟

إنها المرة الثانية التي تذهب فيها إلى نهاية العالم. كانت الرحلة المجنونة الأولى كما أخبرتني وأنت مشرق بالابتسامة الساخرة والعبثية: برفقة الخمر وفي أقصى الشتاء القطبي وحيث الجليد يغطي العالم، ارتفع حنينك إلى نهاية العالم وكطفل ملحاح وشديد الحزن طلبَ من زوجتك أن تذهب بك إلى نهاية العالم... لبست معطفك الشتوي والفقارات.. تقبلت الزوجة جنونك، صعدت السيارة.

- الآن، إلى أين تريد أن تذهب يا كريم؟

- الله يخليك إلى تلك البجيرة التي زرناها صيفاً.

تعبر سيارة الغباء شوارع المدينة وتلوّجها وعلى الغالب يرافقهما لحن عراقي شجي... يصل الحزن إلى حافة البحيرات المتجمدة، يترجل كريم أرضاً، يقرفص مأسوراً لئلا العتمة المحيطة والصمت القارس. يشعل سيكارته، يتأمل العالم. يكاد يتجمد برداً، تنطفئ السيارة، رمادها يختلط بالجليد. يعود كريم إلى السيارة

- هل وصلت إلى نهاية العالم يا كريم؟

- نعم يا مني، لنعود إلى البيت الآن.

(هامش: مني كانت زوجته في ذلك الوقت)

*

تقاسمت مع بعض حكاياتك المجنونة الشقية، كنا نتبادل الضحك والسخرية والتداعي، وفي كل الأوقات، كنت تكتب السيناريyo في رأسك على ما أعتقد وتخترع المسرح والأبطال وتذهب في

التداعي خارج العالم -هذه الحكاية أشرت إليها سابقاً في إحدى حواراتي، ولم أشر إلى اسمك، وحين أخبرتك بذلك قرأتها مبتسماً وأضفت حكايات أخرى.

في لقاء آخر أردت أن تحدثني عن تلك المجنونة في الباص وكلامها الحكيم. رحت تصف لي التفاصيل وكأنك عثرت على مشهد لمسرحية عالمية. ثم توقفت فجأة وقلت: "بس.. وداعتي لا تكتبها، لأنني أنوي كتابتها".

كان جوابي "وداعتك" يا كريم مارح أكتبه، بس تعرف أحلى كلمة في اللهجة العراقية هي كلمة "داعتي" فتضحك موافقاً. كنا نحكى ونلوف شفاهنا، نسخر نقهقهه ونتبادل حكايات الطرقات والمترو ومجانين المقهى. نتبادل قصاصات غربتنا، كتابتنا، الأخبار التي قرأناها، وآخر السجالات الشديدة التي تدور في الواقع العربي الإلكتروني والعربي على الخصوص.

*

- كريم، لماذا غادرت تورنتو بدون أن تودعني!

الآنني قلت لك مراراً أنني أحق على الحقائب ومن أخترعها، أم أنك أردت أن تكمل النص المشترك بشيء من الفنتازيا! وحين التقى بعض الأصدقاء من سوريا، أرسلوا لي معك بعض الإهداءات. حين سألوني إن استلمتها منك، قلت لهم أنك لم تعد بعد، ولا أدرى إن كنت ستعود إلى كندا. يبدو أنك ذهبت يا كريم إلى نهاية العالم ولن تعود، ولكن المفارقة المحزنة، أنك هنا كنت ترتجف من قسوة البرد والغربة، وهناك ذهبت يا صديقي مرفقاً بالحرارة الشديدة اللاهبة التي لم ترحمك ولم تمهل العراقيين في تفادى النيران المشتعلة، داخلاً وخارجًا، نيران الحزن والفقد، نيران الحنين والغربة، نيران الجوع إلى الخبز والدواء والوردة، وعلى الصعيد الآخر نيران الحقد والعصبية التي يشعلها الجهل ودعاة ترويج العنف والقتل وسحق الحياة في هذا العراق المضمخ بحزنه وخيراته وإبداعاته ومعرفته التي تناهت إلى آخر العالم.

*

- هلو .. شلونك أسف أن الوقت متاخر شوي، سأموط من الصداع يا جاكلين..، رأسي رأسي لم أعد احتمل..

- اه سلامتك يا عزيزي.. ماذا حصل؟ هل أخذت الأدوية، هل ذهبت إلى الطبيب ثانية، هل كلمت أحد ليأتي لمساعدتك من الأصدقاء؟

لا أدرى ماذا أفعل، الوقت متاخر وبيتك بعيد.. اذا كان الوضع سى جداً، أقترح أن تطلب الإسعاف. يصمت كريم: لا ماكو داعي، سأحاول أن أنام، سأحاول.

*

- اتفقنا أن نلتقي في إحدى محطات المترو في دوان تاون تورنتو، وكان الوقت صيفاً
- اقترح يا عزيزي أن نذهب إلى مقهى إيطالي جميل، أتردد عليه أحياناً
- لا لدى مخطط آخر، لدى رغبة أن نجلس في مكان مرتفع جداً وأنيق
- أوكي ماعندي مانع، بس بشرط لا ينتحر أحد منا من تلك الشرفة. كنا نسير وكان كريم يضحك بحيوية ويخبرني قصة مجنونة أخرى. حين أتفق مع حبيبه في المراهقة على أن ينتحرا سوية من فوق أحد الجسور ثم يتوقف فجأة "لماذا أحكى لك هذه القصص، هل يوجد رجل عاقل يسير مع امرأة شاعرة ويحدثها عن حبيباته ومخامراته العاطفية"
- نعم يا كريم، لا غلط في هذا وأنا سعيدة وكأنني أقرأ رواية قبل التقى ودخول الرقبة.

حين ذهبنا إلى المكان الذي اختاره وجذبنا مجوزاً بالكامل فاخترتنا مقهى على الرصيف. مضى الوقت سريعاً وعنيأً ثم مشيّت معي إلى محطة المترو وقلت أنك لا ترغب في العودة إلى البيت، تريّد أن تتسكع حتى التعب. وفي اليوم التالي اتصلت بي، أخبرتني أنك وبعد أن ترتكني مررت بجانب مطعم فلافل، فاشترى سندويشة ثم استأجرت تاكسي وعدت إلى البيت منتشياً كأمير منفي. ضحكت من كلماتك: "وداعتي" أنت مجنون يا كريم تشتري فلافل وتستأجر تاكسي ولم تركب المواصلات العامة؟!

- فتحتّي: "وشكو بيها" كنت مستمتعًا برفقتك ورغبت أن أحتفي بالمناسبة وبنفسي.
- تعرّفي ... لدى رغبة أن نكتب نصاً مشتركاً، لقد قرأت لك "حوارية السيد والعبد.." وبعض النصوص المشتركة، ما رأيك أن أبدأ الحوار ثم تكتبين دورك؟
- لا أدرى يا كريم أو على الأقل ليس الآن... لاحقاً

*

- ما هذه الحقيقة يا كريم؟
- أنها أنا، هذه الحقيقة هي كريم! أنا لأشيء خارج هذه الحقيقة. فيها كل أرشيفي، قصاصات الصحف والمجلات والمواد التي نشرتها في الصحافة العربية، كل ما كتبته وما كتبه الأصدقاء عنّي، فيها رسائل شخصية من أصدقاء في العراق وسوريا واليمن وأصدقاء عراقيون في الخارج...
- فتحت الحقيقة وأخرجت بعض الرسائل وبعض الشهادات التي تصب في مجرى نقاشنا عن الوطن والطاغية البائد، عن المنفى الطقس والمجتمع، وعن تجربتك في المسرح في اليمن وفي تورنتو. وحدثتك عن جانب من تجربتي مع بعض العراقيين هنا من شعراء وجمعيات مدنية وسياسية.. وعن

آخر الكتب التي استعرتها أو قرأتها. وعن عراقي آخر طرق بابي يوماً وأراد أن يأتمنني على حقيقته قبل العودة إلى العراق... وحين سأله ماذا في الحقيقة؟ ضحك ساخراً كعادته وأجاب "لا شيء سوى وطن موقوت"

- يشعل كريم سيكارته وينظر بعيداً: لا مسرح عربي هنا، لا حياة لي هنا، أنتِ ماذ تفعلين هنا؟

- ياااه يا كريم، هذه حكاية أخرى، ولكن هل كنت تحفظ بكل شيء؟

- تصوري رغم ما تشكله بالنسبة لي من هاجس وتاريخ وحقائق، فهي لا شيء بالنسبة للكنديين، ليست مكتوبة بلغتهم... لسنا مكتوبين بلغتهم (يبتسم بمرارة وحزن)

- ولكنني يا كريم لا أملك حتى هذه الحقيقة، أكتب وأنشر وقلما تصلني جريدة أو مجلة أو قصاصة. أكثر من مرة رجوت أصحاب المجلات وأعطيتهم عنواني، وعدوني خيراً ولم أتلقي الخير بعد... يلعن أبوهم...

- أنتِ تردددين كثيراً كلمة "يلعن أبوهم" قالها وهو يتصرف بعض الأوراق المصفرة وصور شخصية.. ثم قرأ لي فقرات من رسائل شخصية لمثقفين كان يتواصل معهم...

- هذه حقيقة حزينة يا عزيزي أغللها أرجوك، وأرجوك أيضاً أن تغير السياسي دي العراقي الحزين، لقد نسخت لك بعض موسيقى المبدع السوري "عبد عازرية"

أشعل كريم سيكارته محلقاً مع اللحن والمقاطع المغناة من محلمة كلكامش، وبعض القصائد الصوفية. نحن الآن نصغي ويترنح صديقاً وهو في طريقه إلى نهاية العالم.

ذهب كريم ولم يعد ليأخذ الكتب التي استعرتها من مكتبته: عالم صوفي/ ابن قيم الجوزية/ ملحمة آل ماركس للكاتب الإيطالي خوان كويتيسيولو.

- ولكن هل يوجد "آل ماركس" يا كريم؟!

- نعم يوجد كل شيء، اقرأها ونحكي لاحقاً

- سناتقي يا صديقي في ذلك المقهى العالي ونكتب النص المشترك، مافتانا من المسرحية.- الحياة. كريم باي الآن.

نبذة عن الفنان المسرحي والكاتب كريم جثير:

ولد الفنان الراحل في بغداد عام 1961 في العراق. حصل على дبلوم في المسرح من معهد الفنون الجميلة/ بغداد 1980-1981، ثم نال البكالوريوس في المسرح من جامعة وينيبيك - مانيتوبا في كندا عام 2002. وكان الفنان الراحل قد أقام مسرحاً صغيراً في بيته عام 1977 وقدم على خشبته عام 1979 مسرحية (أصوات من نجوم بعيدة) تناولتها الصحف في حينها واعتبرتها تجربة رائدة في

مسرح البيت.

كتب كريم جثير وأخرج وقام بتمثيل عشرات الأعمال المسرحية في العراق واليمن وكندا وأميركا. عمل في اليمن مدرساً لمادة المسرح من عام 1996-1991 أضافة إلى كتابته النقد المسرحي وأخرجه عدداً كبيراً من الأعمال المسرحية. آخر عمل قدمه في اليمن مسرحية (آه أيتها العاصفة) للشاعر العراقي عبد الرزاق الربيعي.

وصل عام 1996 إلى كندا. أخرج في وينيبيك باللغة الأنكليزية مسرحية Paper Trails ، كما أخرج ومثل باللغة الأنكليزية ومن خلال دراسته في جامعة وينيبيك مسرحية (أغنية التم)، مسرحية (الاستثناء والقاعدة)، و (مشاهد شكسبيرية) جمع فيها بين اللغة العربية والأنكليزية مثلها مع (أرك ديفز) والفنانة الهندية الحمراء (ربيكا). وصدر له عام 2001 وعن دار نشر نينوى في دمشق كتاب (الأقنعة ومسرحيات أخرى).

عاد إلى العراق بعد سقوط نظام صدام حسين، وكان قد انفصل عن زوجته التي عادت أيضاً إلى الكويت مع ابنتيهما. ذهب ليعيش ويبعد بلغته الأم وبين قومه، لكنه انتحر مشنوقاً عام 2007.



5

جلس هنا واقرأ معي ...

تعال، اجلس إلى جواري، هذا الكرسي مريح، ولكن انتبه، لا تتحرّك كثيراً فقد ينقلب إلى الخلف، في أيّة لحظة، اقرأ معي هذه الأوراق، وانظر كيف تتردد وتقف حائرة، تتساعل، بأيّة نكهة، ستتجلى لي ولد بعد كل تلك السنوات؟!

اذكر في طفولتي إصبعي الصغير، الذي كنت أغمسه لأندوخ الملح، السكر أو الحامض، ولم يكن في قاموسي حينها طعمًا للمرارة، سوى نبتة شوكية، خرنوبية، تنمو في باري الجزيرة السورية، تسمى "الحسوک"، نلتقط ثمارها البنية أو الخضراء في الصيف، ثم نجلس على صخرة نظيفة، حفّ قشرتها الخارجية مع قليل من الماء، إلى أن تنزول الطبقة المرة، - كلمة المرور السورية - إلى قلب الثمرة الصغير، القطني أبيض اللون.

كلما اصطبغت أصابعنا الصغيرة، بالألوان، ونخرتها الأشواك، كلما ازدادنا سعادة.

كانت تعرف الصبر "المرّ"، كلّ نساء البلدة، فتدهنه الأم على حلمتيها، عندما تقرر الفطام. ساقّب الآن الأوراق لنقف سويةً، إلى أول عمل لي في تورنتو، هذا الإنجاز العظيم، لأمرأة شاعرة، ونادلة، تنظف الطاولات بالمعقم، بعد ذهاب المترشدين، لتهنمك في أوقات الفراغ، بقراءة كتب تستعيرها من المكتبات العامة أو يزوّدتها بها الأصدقاء. تقرأ المقالات والقصص، وتتصفح الجرائد الموجّة في المحل، وتقصّ ما تراه مناسباً، كي تعود إليه حين الزوم.

دخل صاحب المقهى، وهو رجل صيني قصير، مبتهج، ومتفائل بالحياة دوماً، ليتأمل قيامي بالعمل، في يومي الأول، حيث تعرّفت على زميلة، تعمل هناك، ناداها صاحب المقهى وسألها: هل تدخن صديقتك؟

أجابته: أحياناً! فاردف قائلة:

وجهها يشبه شخص أكل للتو شريحة من الليمون الحامض، قولي لها، أنه من الضروري أن تبتسم، ليخرج الزبون فرحاً، ليعود ثانية، وكما ترين العمل قليل إجمالاً.. عادت إلى صديقتي بعد أن ذهب المعلم وتركنا وحنا، وهي تضحك من كل قلبها، تبلغني رسالة صاحب العمل قائلة:

ابتسمي أيتها المرأة الحرة وتعلمني كيف أستخدم جهاز المحاسبة وكل التفاصيل المتعلقة بالعمل. نعم تعلمت الدرس، "بسْ كيف بِدَى إبتسِم إِذَا رُوْحِي مِنْ جَوَارِحِ تَطْلُعٍ"؟ قلت لها، فرسمت ابتسامة غريبة على شفتيها قائلة:

".. ابتسمي هيـك متـي؟ أوـكي؟ فـضحـكتـنا مـعاً! وـدخلـتـ إـلـىـ المـطـبـخـ أـتـأـمـلـ مـحتـويـاتـهـ وأـدـخـنـ السـيـكـارـةـ." وأنظر في محتويات حقيبتي للبحث عن الورقة والقلم لأكتب الأسعار واللاحظات المهمة بخصوص المبيعات والأسعار ومايلزم.

ماذا؟ أتنـتـيـ حـوـالـةـ مـصـرـفـيـةـ مـنـ مـجـلـةـ كـتـبـتـ لـهـاـ مـقـلـاـ مـؤـخـراـ؟ يـالـسـعـادـةـ، المـبـلـغـ 70ـ باـونـدـ انـكـلـيزـيـ، أيـ ماـ يـقـارـبـ 140ـ دـولـارـ كـنـديـ، وـإـذـ حـاـولـهـ إـلـىـ فـنـاجـينـ قـهـوةـ كـنـديـ بـعـدـ الـزـبـانـ، سـيـكـونـ

لـدـنـاـ حـوـالـيـ مـائـةـ زـبـونـ، يـعـنـيـ مـائـةـ اـبـتـسـامـةـ غـصـباـ عنـ روـحـيـ وأـمـيـ وأـبـيـ.

لنـ أـعـدـ سـاعـاتـ الـعـلـمـ الـتـيـ سـتـنـقـضـيـ إـلـىـ أـنـ أـنـجـزـ هـذـهـ اـبـتـسـامـاتـ وـمـبـيعـاتـ. الـمـسـأـلـةـ لـيـسـ

هـنـاـ، الـمـشـكـلـةـ أـنـ الـحـوـالـةـ الـتـيـ وـصـلـتـ لـمـ اـسـتـطـعـ اـسـتـلـامـهـاـ بـاسـمـيـ، لـأـنـهـاـ لـاـ تـحـمـلـ اـسـمـيـ الـشـخـصـيـ

الـرـسـمـيـ، بلـ الـاسـمـ الـمـسـتـخـدـمـ فـيـ الـكـتـابـةـ لـاـ يـطـابـقـ أـورـاقـيـ الرـسـمـيـةـ. أـعـيـدـ النـظـرـ إـلـىـ الـحـوـالـةـ

الـمـصـرـفـيـةـ الـتـيـ خـسـرـتـهـاـ، إـلـىـ الـجـرـانـدـ وـقـصـاصـاتـهـاـ وـوـجـهـيـ الـذـيـ يـتـنـوـقـ الـحـيـاةـ بـالـأـلوـانـ. يـقـاطـعـنـيـ

زـبـونـ ظـرـيفـ أـنـيـقـ: هـلـ لـدـيـكـ شـوـرـبـاـ وـصـنـدـوـشـ طـازـجـ، فـابـتـسـمـ وـأـذـهـبـ لـتـحـضـيرـ وـجـبـةـ عـشـاءـ

لـلـغـرـبـ. عـفـواـ لـلـزـيـونـ وـنـحـنـ الـغـرـبـاءـ وـأـفـكـرـ بـعـدـ الـمـقـالـاتـ الـتـيـ كـتـبـتـ مـجـانـاـ، رـبـماـ صـاحـبـ الـمـقـهـيـ

أـكـثـرـ كـرـمـاـ وـعـدـالـةـ مـنـ بـعـضـ أـصـحـابـ الـجـرـانـدـ الـعـرـبـيـةـ الـذـيـنـ يـبـيـعـونـ حـبـنـاـ لـلـقـارـئـ وـلـاـ يـكـلـفـونـ

خـاطـرـهـمـ بـكـلـمـةـ شـكـرـ.

ياـ لـهـذـاـ الشـتـاتـ وـالـبـحـثـ الـذـيـ لـمـ يـأـخـذـنـيـ إـلـىـ جـوـهـرـ الـحـيـاةـ بـعـدـ. لـاـ أـدـرـيـ إـنـ تـعـقـدـتـ حـيـاتـيـ أـمـ اـزـدـادـتـ

مـتـعـةـ وـغـمـوـضاـ. إـنـهـاـ بـالـمـحـصـلـةـ مـاـ أـرـدـتـ أـنـ أـخـتـارـ.

لـقـدـ أـمـتـدـ الشـتـاتـ وـلـمـ أـرـ الأـطـفـالـ الـجـدـدـ فـيـ عـالـمـنـاـ. لـقـدـ انـغـمـسـتـ فـيـ الـكـتـابـةـ وـأـصـبـحـ لـيـ اـسـمـ لـلـكـتـابـةـ

وـاسـمـ لـلـحـيـاةـ، وـجـهـ وـاحـدـ يـعـشـعـشـ فـيـ الـحـزـنـ الصـمـتـ الشـرـودـ وـالتـوقـ إـلـىـ الـفـرـحـ. وـجـهـ يـعـيـشـ عـلـىـ

مـانـدـةـ الـحـيـاةـ يـتـعـلـمـ كـلـ يـوـمـ درـساـ وـيـكـتبـ بـصـمـتـ، مـاـوـرـاءـ الـإـبـتـسـامـةـ، مـاـوـرـاءـ الصـمـتـ، الـخـوفـ، الـأـمـلـ

وـالـفـرـحـ. اـسـمـ حـقـيقـيـ يـحـمـلـ الـمـاضـيـ وـالـعـالـنـةـ وـالـذـاـكـرـةـ، اـسـمـ جـدـيدـ يـحـمـلـيـ وـيـحـمـلـ اـسـمـ اـبـنـيـ الـوـحـيدـ..

سئللت كثيراً عن اختياري لهذا الإسم، و كنت في كل مرة أقدم تبريراً مختلفاً عن السابق وفي كل الحالات كنت صادقة. بيدو أن لكل فعل أو خيار أكثر من مبرر مقنع للشخص، وقد تكون كل المبررات غير مقنعة لآخرين. لقد عرفت مؤخراً أن أبي منزعج جداً من هذا الاختيار. ولم يكتم ذلك. أفتر جيداً الآن، كيف يشعر أب حين تتخلى ابته عن اسم العائلة. لكنني حاولت إقناعه ببعض الكلام الذي لا يقع فلاحاً صادقاً عفويأً وصريحاً حد الجرح.

كان لا بد من شراء هذا الجهاز الحديث "كمبيوتر" الاختراع الحضاري التكنولوجي والذي يدعى الحاسوب بالعربية. لن أحصي عدد الابتسامات وفاجين القهوة والأخطاء التي ارتكبتها والدموع التي ذرفتها إلى أن أتي ذلك اليوم، وحملت الجهاز إلى بيتي. ذهب معى صديقي الطيب لمساعدتى فى اختيار شريك حياتي التكنولوجي، مواصفاته، اللغة العربية بجانب الانكليزية، كان الاختيار موفقاً. الان أنا معكم وأكتب بعد أن لفظ الجهاز الأول أنفاسه بعد سنوات من الخدمة المخلصة والتزفة والغيبة، واستبدلته بأخر ثم آخر.

اكتشفت من الصحيفة العربية التي اشتريتها من المخزن العربي موقعاً... فذهبت أستكشف الموقع. عثرت على منتدى للحوار المباشر وكان ذلك من أول المنتديات على الشبكة كتبت الوصلة الأولى هناك، عن امرأة نظرت إلى المرأة، فتشظت إدحاماً، ولم أحدد حينها هل كانت الشظايا، شظايا امرأة أم شظايا المرأة؟؟؟
ومنذ تلك الساعة أصبح لي أصدقاء "افتراضيون" وصديقات وقراء أتواصل معهم إلى اليوم.

تورنتو لا تنام وكذلك أنا، رغم النعاس العالق بجفوني، أستقلل العربية في منتصف الليل، وأتوجه إلى عملي - للمرة الأولى - كنادلة في مقهى، أتأمل وجوهاً غريبة تجلس قربى، صبيةٌ تقرأ وتكتب على كتابها، شاب يداعب ويقبل صديقته، وامرأة تأكل وجبة سريعة وفي حضنها حقيقة كبيرة. شلالات - سيل من القاتمات الهائلة تتدفق بصخب في المحطة، تندلق على الأرصفة، على الباصات، يصل رذاذها إلى شوارع المدينة.

حسناً، لم يبق إلا القليل من المشي، لأصل إلى المقهى، حيث ينهر العمل طوال الليل، كانهمار الثلوج دون توقف، ترافقه ريح تصرفر، تلسع الوجه، تاركة جفافاً وقرصات حمراء، يا إلهي هل سأنجح في هذا الاختبار العظيم؟

أتمسك بقبيعتي والشال لثلا يحلقان بعيداً، وأغرق في معطف وقفازات هواجي ومخاوي، أعبر المنعطف ذاته حيث يجلس المسؤول ذاته، يطلب مني بعض النقود، يهز قمعه الورقي الذي كان يخشش، ويقرقع بقطع نقدية معدنية.

ه، يإلهي فتاة شبه عارية في مثل هذه العاصفة؟!!

كانت تقف في زاوية الشارع تستر عريها بتورة قصيرة جداً وجوارب عالية سوداء، ومعطف قصير أيضاً، تروح تجيء، مثل غراب نحيل القوم يتغافر على بياض الثلج، وبيدها سيكاره، تصبغ وجهها بألوان متنافرة وصارخة، تلبس كعباً عال ورفيع، والغريب أنها لا تتزحلق؟! وأخيراً، وصلت إلى عملها في وسط المعمعة، أضع المريلة والقبعة البيضاء، ألصق ابتسامة ميكانيكية على شفتي بسرعه، وأنخرط في هذا الزحام، تغيرت وردية العمل، يسلّمون، ونستام، عتملاً، طلاباً، نساء، رجال من الشرطة، يتناولون من حين لآخر فنجاناً من القهوة وقطعة من الحلويات.

اليقظة مطلوبة، الكل يؤدي واجباً ما، حتى الشابة اليت كانت في الشارع، أنت تصطف في خط الانتظار، لتأخذ فنجاناً من القهوة، وتؤدي ما عليها من واجبات، ولكن ما هذه الخدمات المنتشرة على جلد؟!

بينما هي منشغلة بالتفتيش في حقيبتها عن ثمن القهوة، فهمث أنها لا تحمل شيئاً، فانصرفت إلى الزبون الآخر الذي ينتظر طلبه على نزق، وإذا بها تلقى صالتها، وتجلس مع زبون يتحدث إليها همساً، يبحلق في صدرها وجسدها المعروض للخدمة الليلية، وفي نظراتها المغناجة اللعوبة، ثم خرجا معاً.

الحمد لله، قل الزحام، وأنهيت تقريراً ما على، أجلس لأشرب فنجان قهوة، أقرأ كتاباً، أترك على الصفحات سطوراً، أنظر عبر الزجاج إلى الشارع الفسيح الممتد والهادئ، لقد تلاشت خوفي

ورهبة تمامأً، أنظر إلى الساعة آملة بانتهاء دورياتي وحلول الصباح.

لكل مهنة متابعتها أليس كذلك؟ هاؤذني أشعر بتشنج في عضلات الرقبة، بعض الألم في أسفل الظهر، وتعرق في القدمين رغم أن حذائي الرياضي مرير.

أضواء تتكسر على الواجهة الزجاجية النظيفة. ثلوج جميلة قريبة وبعيدة تغمر ليالي تورنتو الموحشة والأليفة، رغم أنها في الليل كما النهار، تضج بالحيوية، شاسعة ضيقة، أليفة غريبة، عاهرة وقبيسة، طاحونة بشريه لا تكف عن الدوران.

بدأت خيوط الصباح يغزل قميص الصباح، ومازال باب المقهى يفتح يغلق، والزبانين يتدققون، يبتسمون، يعبسون، يتكلّمون بلطف، بنزق، أتساعل بيني وبين نفسي، هل سيمضي هذا الليل على خير؟

وإذ بزبون ينادياني، يسألني بغضب:

"أين الابتسامة؟"؟ أريد الابتسامة قبل القهوة، من أي بلد أنت؟ يرتفع صوته متابعاً، أنت تهاجرون إلينا ولا تجيدون شيئاً أليس كذلك؟ فأنفجر بوجهه بلكتني الانكليزية المفتشكة، يغادر بقرف، وأعود إلى طاولتي أبكي، وأذ بيد ناعمة جداً، دافئة، تربت على كتفي وتناولني ورقة كتبت عليها: أرجوك ابتسمي، وابق قوية، إنها المرأة التي كانت تجلس في آخر المقهى، تضع خمسة دولارات إكرامية(بخشيش) وتنسحب، وأسحب من جيبي منديلًا كي أمسح مطراً سقط من غيمة قلبي وعيني.

من صمتي إلى العالم أكتب الحب والشتاء و قطرات المطر المتجلد، إنها تخدش قلبي المشلوح تحت سقف الحب رغم أنني أغلقت الأبواب والنواوف. وتحت عراء الرغبة غفوٌت أحدق في سماء مشتركة بيننا ووحيدة . أحدق في الكلمات وأجمل من ذوبان الروح دمعة وجمرة لا أريد النظر طويلاً في قلبي المشلوح على أبواب لغة هاربة. تحرقي نثرات الثلج فلا تدعس بصمتك يارجلـ. قلباً متكوراً فوق كلمات كانت فانضاً من خطوات في صدافة الموت. شتاء آخرـ أنا وبرفة القلب كلـهـ. القلب مغامرة جميلة ومغاربة وغضالتـ. ماذا يفعل حين نخبط في دروب الغابة وحين تكشف العاصفة عن محاكـتناـ، وتفرغ للصرخ في وجه الاشجارـ!

لقد مشينا طويلاً معـاً أيـها القـلب الصـديـقـ وكانت الاـشـجـارـ تحـمـيـنـاـ من البرـدـ وـمـنـ الخـوـفـ من السـقـوطـ. وأـلـقـطـنـاـ كـثـيرـاـ من الصـورـ التـذـكـارـيـةـ. كلـهاـ كانـتـ حـقـيقـيـةـ. لمـ نـذـهـبـ يومـاـ إلى عـيـدـ الأـشـرـارـ وـلـمـ نـلـبـسـ الأـلـبـسـةـ التـنـكـرـيـةـ وـحـقـلـاتـ "الـهـالـهـوـيـنـ"ـ رـبـماـ كـنـاـ نـحـتـاجـ إـلـىـ رـفـقـةـ مـجـنـونـةـ كـيـ نـفـعـلـ ذـكـرـ لـأـنـهـ حـتـىـ تـلـبـسـ قـنـاعـاـ شـرـيرـاـ، لـأـ بـدـ أـنـ يـرـافـقـكـ آخـرـونـ فـيـ ذـكـرـ تـصـورـ يـاـ قـلـبـيـ:ـ لـأـ يـمـكـنـنـاـ بـمـفـرـدـنـاـ أـنـ نـصـبـ أـشـرـارـاـ،ـ اـنـ لـمـ يـرـافـقـنـاـ أـحـدـاـ.

2

المقاـهيـ فيـ تـورـنـتوـ لـيـسـ روـمـانـسـيـةـ وـلـاـ هـادـئـةـ بلـ ضـجـيجـهاـ مـزـعـجـهاـ لـمـنـ يـرـيدـ أـنـ يـقـرأـ وـيـكـتبـ وـتـحـديـداـ فـيـ (ـتـيمـ هـورـتنـزـ)ـ الشـهـيرـ.ـ وـفـيـ الغـالـبـ اـتـكـونـ الـكاـولـاتـ صـغـيرـةـ الـحـجـمـ،ـ الـكـرـاسـيـ غـيرـ مـرـيـحةـ،ـ وـاـيـ حـدـيـثـ خـاصـ يـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ هـمـساـ نـاعـماـ وـالـسـيـسـمـعـهـ كـلـ مـنـ حـولـكـ.ـ يـسـتـهـلـكـاـ الـاستـهـلـاكـ السـرـيعـ وـالـإـيـقـاعـ الـأـسـرـعـ فـيـ مـدـيـنـةـ مـنـ أـكـبـرـ الـمـدـنـ فـيـ الـعـالـمـ وـأـكـثـرـهـ اـزـدـحـاماـ وـغـلـاءـ.ـ تـورـنـتوـ،ـ العـاصـمـةـ الـاقـتصـاديـةـ وـقـبـلـةـ الـأـقـلـيـاتـ الـمـهـاجـرـةـ.

فـيـ المـقـهـيـ الـكـنـدـيـ،ـ أـتـقـصـيـ الـغـرـائـبـ وـالـسـلـوـكـيـاتـ وـاـسـتـرـقـ النـظـرـ إـلـىـ بـعـضـ الـحـالـاتـ الـخـاصـةـ.ـ مـثـلاـ:ـ يـأـتـيـ أـحـدـ الـمـشـرـدـيـنـ وـيـضـعـ (ـأـكـيـاسـ النـايـلـوـنـ الـكـثـيـرـةـ جـوارـهـ)ـ وـتـنـشـرـ رـائـحةـ تـرـكـ النـفـسـ.ـ يـشـتـريـ قـهـوةـ،ـ وـيـخـرـجـ مـحـفـظـةـ مـتـسـخـةـ مـهـرـأـةـ سـوـدـاءـ فـيـهاـ قـصـاصـاتـ جـرـانـدـ وـصـورـ.ـ يـضـعـ عـلـىـ الطـاـوـلـةـ عـدـدـاـ

من الصور. يرتبها ويعيد تغيير موقعها، ثم يبصق على كل صورة على حدة ويعيد جمعها من جديد وهو يتكلم مع نفسه. في ذلك الحين أتمنى لو أسمع ما يقوله للصور المهرأة التي يصر أن يعيدها إلى محفظته بأصابعه المتتسخة وأظافره الطويلة بوجهه الذي ربما لم يحتضن أحد بحنان منذ أن صار رجلا من هذا العالم.

أخشى أن تتقاطع نظراتي مع نظراته، فأشعر بالذنب لأنني شاهدة على كل هذا البؤس اللعين الذي يمشي على ساقين ويتنفس ويحكى مع نفسه. الفارق بيننا ابني أحكي مع رأسي وفي مطيق وهو يحكى بصوت مسموع. وحين يخرج يأخذ فنجان القهوة الورقي معه ويترك خلفه راحته وأثار أصابعه على وجه الطاولة الزهرية المربعة في المقهي الكردي.

في المقهي الكردي الذي تختلط فيه رائحة القهوة المحروقة مع رائحة المشردين بلا مأوى الذين يأخذون قيلولة طويلة على مقاعد المقهي وفي يدهم فنجان الكرتون الفارغ. لم يكن الحال كذلك قبل ربع قرن. وكان لي زاوية محببة. طاولتي في زاوية المقهي، حيث أجلس وتصلني التثرات والأحاديث من الطاولات المجاورة.

وتتغير طبيعة المقاهي والأماكن العامة مع تغير الأحوال الاقتصادية والعجز المادي الذي تعاني منه الطبقات الفقيرة في هذا البلد وذاك.



غرفة الكتابة وبيتي الصغير في كندا



"بيتي صغير بكندا" تغنى فiroz لي هذه الأغنية وأنا أمام الكمبيوتر أكتب وأنثر في المدى أوراقاً. أخرج إلى الشرفة، أنظر إلى العالم. السماء رمادية، المشهد قاحل في هذا الوقت من السنة. فضلات الحمام على حافة الشرفة التي لم أخرج إليها إلا مرات معدودة طوال الشتاء. أنظر إلى أصيص الزريرعة أجده مقلوباً. أعرف أن السنجب قد أتى ثانية ليطمر جبات الفستق في الأصيص. البناء الشاهقة المقابلة تكسر أفقى كلما حدقت في البعيد. لا أحب هذه العمارة، قلت لصديق على الهاتف، فأجاب بجدية: سأشتري لك قصراً فخماً يليق بالقصيدة حين أربع بطاقة اليانصيب. بيتي الذي كان هناك يتارجح فوق خيط الذاكرة. صوت فiroz يعبأ صباحات هذه البلاد وإلى آخر مدينة صغيرة في وطني الذي اسمه سوريا. صوت فiroz كان يرافقا ونحن نعلق الحقائب على أكتافنا ونقبل الصباح ذهاباً إلى المدرسة التي تقع قريباً من بيتنا-بيت أبي الذي هناك.

*

مذ كنا صغاراً كانت لعبي المسلية "بيت بيوت" كنا ننصف حجارة صغيرة لتصنع بيتاً بحجارات متعددة ونترك مسافات للباب والشباك. كنا نخترع أصحاب البيت والضيوف على شكل دمى، وافتراضياً نقدم لهم فنجين القهوة والشاي، العنبر والزبيب. كرماء كنا ونصر على الضيوف أن يشربوا وياكلوا ويناموا في بيوتنا الافتراضية. في نهاية اللعبة كنا نتخاصم ونخرب البيت الذي عمرناه، نكسر الصحون على رأس الضيوف، ونذهب لنشتكي لأمهاتنا. بعد ساعات قليلة نعود إلى اللعب من جديد، نبني بيوتاً جديداً من الحجارة ذاتها. هنا في بيتي الذي في كندا صنون كثيرة وملائج ومقاعد... وهنا قلما يأتي المعارف والأصدقاء إلى البيت، لقد جعلنا من المقهى مكاناً للتعارف وللقاء. وما يزال الحنين يمسك بيدي ويجعلني أطلب رقم هاتف صديقة في حلب كانت

تلعب معي هناك "بيت بيوت" نتحدث عن أحوال بيotta وقلوبنا فيما الشمس تشرق على بيتها في سوريا، وفيما الليل يغمر جدران بيتي في تورنتو.

كم بيتأً يعمر المسافة ما بين ديريك أقصى الشمال السوري، وتورنتو الشمال القطبي؟

* *

في البيت الذي أسكنهاليوم يقيم معه حجر سوري صقيل تلتصق به عشبة بحرية. التقطت الحجر عن شواطئ اللاذقية حين كنت في زيارة إلى البيت. الوطن. البيت في الانكليزية هو الوطن، الوطن في العربية ليس بيتأً. أحياناً يصعب أن يكون البيت بيتأً، البيت غربة والأفراد غرباء. يقول صديقي الذي يسكن في مدينة أخرى: لن يصبح المكان وطني إلا إذا أصبح لك فيه قبور وموته. صديقي هاجر إلى البيت في رحلة عكسية قبل أن تصبح كندا وطنه. هو الذي كان بلا وطن ولا هوية في بلده الأول. كان قدره أن يكون كويتيًّا من جماعة الـ"دون" بيت. في هذا البيت أقيم مع أشياء ثمينة قليلة معدودة، منها وساح أمي الكحلي الذي أخذته منها قبل السفر. لم ألبسه إطلاقاً. تقيم معه ياسمينة وحيدة محفوظة في دفتر الهاتف محصورة مع عنقها الصغير الناعم تحت الغلاف البلاستيكي للدفتر. ومن الماضي أيضاً ما زلت أحفظ بحثالة مفاتيح على شكل مبخرة عمرها أكثر من ربع قرن، أعادت تصليحها واستعمالها من جديد بعد أن تقطعت سلاسلها الفضية الناعمة. نظر إليها ابني سلام وقال "ياااه، أتذكرة هذه العلاقة" كنت ألعب بها وأنا صغير. فأجبت: نعم، إنها قديمة جداً. إنها هدية تذكارية من أول شاب أحبته في مراهقتي. ثم أقول لنفسي: كان الشاب يغنى دوماً "كل دا كان ليه لمناشفت عينيه" "المحمد عبد الوهاب. نسيت الأغنية وأشياء وذكريات كثيرة من الماضي. بعد الهجرة لم أعد أدندن في البيت. احتلني صمت، هجرتني الأغنية. اليوم، تفصلني عن البيت والأغنية سنوات ومحيطات. يرن جرس الهاتف، يأتيوني صوت آخر يندنن عبر الهاتف مقاطع من "كل دا كان ليه". أنصت وأبحث عما جعل الغناء يهرب من شفتي.

* *

أفتح باب الشقة بصمت. تقع عيني على مفتاح معلق في سلسلة ويتلذى من مسمار في الجدار. إنه مفتاح بيتي الذي هناك. أضع المفاتيح على الطاولة في حضن قوقة على شكل صحن. أتأكد من أنني أغفلت باب بيتي الذي لا ينتظري فيه أحد، ولا أنتظر أحداً سوى القصيدة أو ما ينتمي إلى عالمها. أقول : ياااه، لقد وصلت أخيراً إلى البيت. كم تألمت حتى تعلممت أن أحب هذا البيت. لم تعد الجدران خصماً، لم تعد ثقيلة كما كانت سابقاً. بين هذه الجدران ولدت قصائد صارت كتاباً، تكتورت عناقيد أفكار ومقالات وحياة زاخرة بكل شيء.

أخلع حذائي المثقل بالغرابة والشتاء، أعلق المعطف في الخزانة المجاورة لباب الخروج وأضع في جبيه القفازات. أبدأ بتفقد الرسائل الصوتية الهاتفية. أتفقد البريد الإلكتروني. كأنني أغادر البيت

*

في طفولتنا كنا نرسم البيوت على دفتر الرسم بسهولة وتفانية. لم يكن أي مشهد طبيعي يخلو من صورة بيت. إنه هناك في زاوية المشهد أو منتصفه. دائمًا هناك طريق إليه، درب متعرج كنهر، وعلى الضفة الأخرى من المشهد نهر يضفي على البيت ربيعاً. كنا مغرمين برسم الربيع، وكم تأخر الربيع. حين كبرنا، بقيت تلك البيوت مرسومة في ذاكرتنا، حين أردنا أن نعمد其ا بالبحر ونمنحها وجوداً آخر منفصلاً عن بيت الذاكرة، اختلط علينا دفتر الرسم بدفتر التاريخ والجغرافية وأشجان الذاكرة والنفس. هذه البيوت ما أن نفتح أبواب الروح عليها، حتى تستيقظ بين أصابعنا الفراشات المنسية، آثار الشتات، ذاكرة الحب الأول، إشارات الروح وعدايتها. الكتابة عن البيت تأخذني إلى رحم العلاقة بيننا وبين أشيائنا وأسفارنا. هناك بيوت لا يمكننا الخروج منها، ولا العودة. هناك بيوت يوجعنا الحنين إليها، هناك بيوت تقيم فيها حتى بعد سقوطها إثر حرب أو تحدي عمراني. في طفولتي كانت تحيط بي الأشجار التي تقف بين سطور قصاندي المكتوبة في بيت اسمته يفتقد الأشجار وظلالها. حاولت أكثر من مرة أن أزين أركان بيتي بأشجار وخضار. مرأة اشتريت ثلاثة شجرات لتعيش معى داخل البيوت. كنت سعيدة بهذه الرقة. أطلقت على شجيراتي أسماء مبتهةجة. التقطت للأشجار صوراً أرسلتها لأصدقائي هنا وهناك. يا لحزني، ماتت في فترة قصيرة شجرتان، وبقيت واحدة معى حتى الآن. أتعجب كم كانت يد أمي ضراء. حين زرعت في ركن بيتنا هناك شتلات صغيرة جداً أهديتها لها حين ذهبنا إلى مدينة حلب للدراسة الجامعية. صارت الشتلات شجرة عمرها أكثر من ربع قرن وما تزال خضراء وتتصعد إلى الأعلى. أمي أطلقت عليها "جاكي" وما تزال تحكى لجاراتها اللواتي يطلبن غصناً من هذه الشجرة، وتقص عليهن تاريخ هذه الشتلات وأسباب وجودها. الشجرة تعيش معى في ألبوم الصور، ولدى في ظلها صورة فوتوغرافية التقطتها لي أمي. أخي يعرف مدى علاقتي بتلك الشجرة. منذ عدة سنوات، وجد شتلات من نفس الفصيلة، فأرسلها لي بالبريد من السويد، حين يقيم، كانت الشتلات صغيرة مغروسة في تراب قليل، لم تقو على السفر الطويل فماتت في فترة قصيرة.

الذاكرة تشتتني بخيوطها الداخلية، متمسكة بذلك الرحم وتلك الراحة وذلك الوجود الأول الذي لا يفارق وجданنا. نقطع آلاف الأميال، نتقدم في العمر والتجربة ويبقى ذلك البيت واقفاً داخلنا. عليه ترتكز أرواحنا حين توشك العواصف أن تقتلع جذورنا. اختبرت تلك العاصفة وذاك الحنين حين زرت سوريا في السنوات الأخيرة. شدني الحنين إلى بيتي الأول في "ديريك/ المالكية" أقصى الشمال السوري. المنزل بيع لعائلة كردية مذكناً صغاراً. ذهبنا مع أمي وأبي لزيارة "بيتنا العتيق" كما نسميه. دخلت الغرفة التي ولدت فيها. لم أجده ما يعنيه، كان هناك فقط الشباك الذي

الشمس ودغدغت عظامي. ما تزال الشمس تزور أطفال الساكنين الجدد. التقطت صورا فوتوغرافية لذاك الشباك فقط، وعلى عتبة الباب وجدت دموعي تنهر. بكيت كمن يريد أن ينفخ وجع الغربة على أعتاب البيت، ويدخل إلى طفولته المستحيلة. دخلت غرفتي-غرفة أختوي، لم أجدني. قطعت الطريق إلى الداخل السوري، دخلت بيتي الأخير في "محافظة حمص" الذي سكنت فيه بعد زواجي وتترعرع فيه ابني الوحيد، لم أجدني. البيت مهجور وينتظر، وعلى جدرانه معلقة بعض الصور، وفي ركن منه ما تزال صناديق كتبنا المختارة تنتظر الترحيل. لقد أصبحت أرض الدار وحشية تعلوها الأعشاب والأشواك البرية، وبعض الشجرات التي ما تزال واقفة. عبرت تحت شرفة بيتي في حلب الذي بيع لعائلة أرمنية ولم أجد لي أثرا هناك، سهرت قبالة تلك الشرفة وأنا ضيفة في بيت صديقتي التي كانت تلعب معى "بيت بيوت" في المالكية، من شرفة بيتها كان نطل على شرفة بيتي الذي كان. لم أفك أن أذهب لأنقي التحية على الجدران والأبواب التي احتضنت ربيع عشقى وحبي الذي كان عاصفاً وانقضى. بعد هذه الزيارات الموجعة في الصيف، أصابتني الحمى، الغثيان والصداع الحاد، سقطت طريحة الفراش حين عدت من رحلتي إلى بيت أمي وأبي الذي يفتقد الأولاد الذين ترعرعوا بين جدرانه، في حديقته الأمامية، برفقة الورد الجوري، تحت ظلال شجرة الرمان وعرائش الغب. أمي بفطرتها حدست بما يجول من أعماقي، كانت يدها تمسح شعري وجبيني، تلمس جمرة الروح التي نهشها الحب والأمل، غياب الحب وغياب الأمل، وغياب الغياب.

عدت إلى بيتي الذي في كندا، ومعي كل الصور وكلام كثير مطمور بين جذور الروح. تقعـت على روحي حاملة معـي كل البيوت وأسرارها. حين وصلت مطار تورنتو، انتظـرت حـقـائبـي وـدـفـعـتهاـيـ أـمـاميـ منـ يـحـلـ فيـ القـلـبـ كـدـمـةـ وـفيـ العـيـنـ نـهـرـاـ. لمـ اـتـصـلـ بـأـحـدـ كـيـ يـنـتـظـرـنـيـ. أـرـدـتـ أـنـ أـقـولـ لـنـفـسـيـ: أـنـتـ قـوـيـةـ، بـرـافـوـ، يـلاـ، لـقـدـ وـصـلـتـ بـالـسـلـامـ، قـطـعـتـ بـالـبـحـارـ وـالـمـحـيـطـاتـ كـيـ تـصـلـيـ إـلـىـ هـنـاكـ وـتـعـودـيـ إـلـىـ هـنـاـ، كـيـ تـغـارـيـ الـبـيـوـتـ الـتـيـ عـشـتـ فـيـهـ شـبـهـ وـحـيـدـةـ رـغـمـ الصـخـبـ وـالـأـهـلـ وـالـزـحـامـ. وـكـيـ تـذـهـبـيـ مـنـ جـدـيدـ وـحـيـدةـ إـلـىـ بـيـتـكـ المـغـلـقـ عـلـىـ نـفـسـهـ.

دفعـتـ الحـقـائبـ وـوـقـفـتـ فـيـ رـكـنـ لاـ يـعـيقـ حـرـكةـ المـرـورـ. دـخـلتـ سـيـكـارـةـ وـصـرـتـ أـبـحـثـ فـيـ جـيـبـيـ عـنـ الكـلـينـكـسـ كـيـ أـمـسـحـ الدـمـعـ الغـنـيدـ الـذـيـ لاـ يـحـبـسـ وـالـمـخـاطـ أـيـضاـ. اـنـتـهـتـ اـمـرـأـ شـرـقـيـةـ المـلـامـحـ إـلـيـ. تـبـادـلـنـاـ السـلـامـ، قـالـتـ أـنـهـاـ تـنـتـظـرـ سـيـارـةـ زـوـجـهـاـ. سـأـلـتـنـيـ عـنـ مـوـقـعـ بـيـتـيـ، وـاقـرـرـتـ أـنـ تـأخذـنـيـ فـيـ طـرـيـقـهـاـ إـلـىـ مـنـطـقـةـ قـرـيبـةـ مـنـ بـيـتـيـ، وـبـعـدـهاـ أـتـبـرـ الـأـمـرـ. كـانـ الـوـقـتـ عـصـرـاـ، لـيـسـ صـيفـاـ وـلـاـ شـتـاءـ. ذـهـبـتـ مـعـ العـائـلـةـ نـصـفـ الـطـرـيـقـ. ثـمـ اـسـتـأـجـرـتـ سـيـارـةـ فـيـماـ تـبـقـيـ مـنـ هـذـهـ الرـحـلـةـ الطـوـلـيـةـ. حـينـ وـصـلـتـ إـلـىـ الـبـيـتـ كـانـ الـمـذـيـاعـ مـاـ يـزاـلـ يـثـرـثـ كـيـ يـوـنـسـ وـحـشـةـ الـأـشـيـاءـ الـتـيـ فـيـ الـبـيـتـ، مـاـ يـزاـلـ يـثـرـثـ

بالإنكليزية ليلاً نهاراً لمدة شهر ونصف.

ابتسمت وقتاً: استقبلني الراديو، سبي بي سي راديو كندا الوطني.

وبعد أقل من نصف ساعة رن جرس الهاتف... ففقطت ولم أكن أتوقع أحداً يعرف موعد وصولي. أحببت على الهاتف بلهفة. كانت سيدة على الخط تتبع شيئاً ما، تقدم دعائية لشيء ما. سألتني "كيف حالك اليوم؟" قلت: بخير، شكرأ. قالت بلطف: "عظيم ليس الجميع بخير هذه الأيام، عظيم أن يقول الفرد أنني بخير، أليس كذلك؟"

قلت: في الحقيقة، أشتكي من حرقة في عيوني، وصوتي سقط مني في الطريق، ولا أتكلّم الإنكليزية الآن!

قالت: لدينا خطة جديدة ورخيصة، للهاتف والانترنت والتلفزيون....

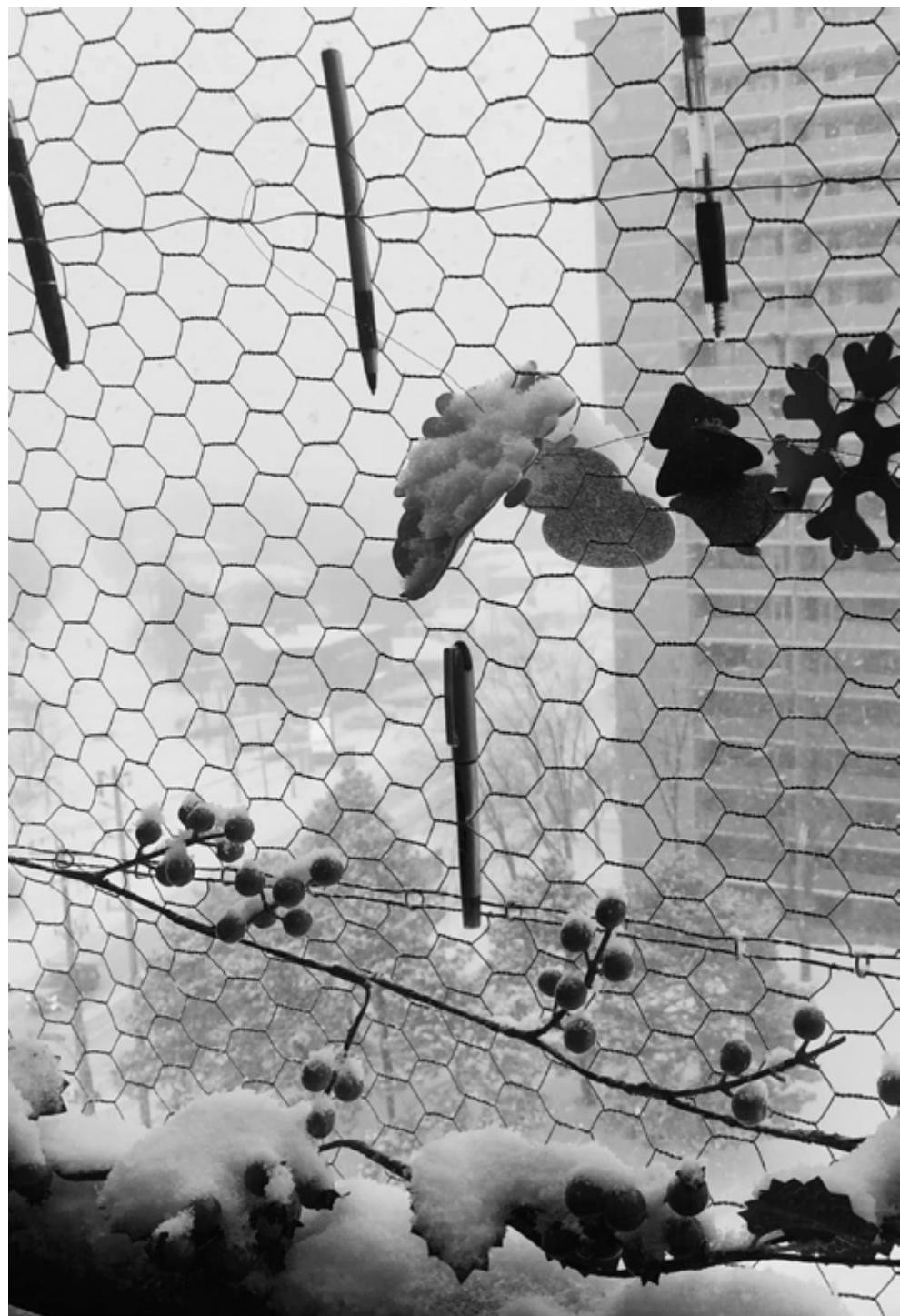
قلت: لا يوجد عندي تلفزيون، ولكن عندي أريكة للبيع، وعدد من الكراسي الجديدة، هل تشترين؟! لم تحر جواباً فأقفلت خط الهاتف. تعثرت بحقائبها. جلست على الأريكة وفي يدي علبة السجائر،

بيضاء وعليها رسم امرأة زرقاء وترقص...

علبة السجائر تلك، فارغة الآن مركونة على الرف، كلما وقع نظري عليها، أتذكر وطني، بيتي، حبيباً، ودخاناً عابقاً.

فكرة اليوم : أتمنى أن أجمع سردياتي حول ثيمة البيت في كتاب.

بعد نشر النص تلقيت الكثير من الإيميلات والإعجاب وبعضهم اقترح علي أن أكتب كتاباً عن مواضيع تخص البيت والهجرة. بالطبع تلك الرحلة كانت تتسع للمزيد ولكن النشر في الصحف يفرض عدداً محدوداً من الكلمات. ولفت نظري كيف تم تداوله نقاًلا عن الصحيفة ونشره في موقع الكترونية كثيرة بعضها اختفى وبعضها ما يزال على الشبكة الالكترونية ولم يكن هناك هاتف جواله كما هو الحال الآن ولا منصات التواصل الاجتماعي. ولدي بعض الأصدقاء الذين كتبوا لي في ذلك الزمن وما يزالون أصدقائي ونقرأ بعضنا بمحبة.



السينما والخيال الغلسطيني في كندا

أوراق فيما يخص الاهتمام والدعم المخصص للجانب العربي المهجري في كندا وامريكا ومن خلال مشاهداتي. لقد حصل السوريون اللاجئون من لبنان ومن سوريا على خدمات استقرار وتأهيل وتوظيف كما لم يحدث من قبل وذلك بعد موجة اللجوء في العقد الأول من القرن 21. وأعطيت لهم تسهيلاً للتوظيف وافتتاح مطاعم واعمال صغيرة. وكل مرحلة وعقد تحدث انقلابات جذرية في اجندة هذه الدول وتبعاً للسياسة والمستجدات في المنطقة الشرقية وطريقة إدارة النشاط الثقافي في هذه البلاد. وهنا بعض الأمثلة الميدانية في قطاع السينما وفي قطاع الجوائز الأبية...

كان هناك مراكز ثقافية وعربية تخص الجاليات المهاجرة وكانت تلك تلقى الدعم الحكومي لإقامة الأنشطة الفنية والثقافية والاجتماعية ما دامت تقع ضمن التوعية الإسلامية بعيداً عن العنف والتفرقة والسلفية. ومنها المهرجان للفيلم الفلسطيني، الذي أقيم في ذكرى النكبة في عامها الستين وكانت حاضرة وأقام التغطيات الإعلامية في حينه. وبعض كتاباتي تلك نشرت في موقع (الجزيرة نت) وبعضها في الصحافة المحلية المهجورة والشبكة الالكترونية العربية.

1

أفلام وجوائز لعرب أمريكا ، عام 2010

لأول مرة وفي عام 2010 حصد الشعر والفن العربي الأميركي جوائز مرموقة في أميركا، فقد ذهبت جائزة الزمالة الفنية لعام 2010 إلى المخرجة الأميركية من أصل فلسطيني شيرين دبس عن فيلم "أميركا"، وذهبت جائزة الزمالة الشعرية إلى الشاعر الليبي الأصل خالد مطاوع لتميزه في الشعر والترجمة. وتقدر الجائزة بـ 50 ألف دولار لكل فنان تم اختياره من القائمة الطويلة التي ضمت 302 اسم

من مختلف المشارب والألوان، من 18 ولاية أميركية.

وتكمّن أهمية الجائزة في أنها الأولى التي تضع الإبداع العربي على خارطة التقدير والاحتفاء في أميركا. فهذا مكسب وفرصة للتعرّف بالصورة الإنسانية الحقيقة للإبداع القادم من العالم العربي، بعد أن لحق به الكثير من التشويه وبخاصة في السنوات العشر الأخيرة.

حقق فيلم "أميركا" للمخرجة شيرين دبس انتشاراً وشهرة عربية وعالمية منذ بداية عرضه عام 2009، في أميركا وكندا وعد من الدول العربية. كما شارك في عدة مهرجانات سينمائية، ليس آخرها مهرجان "كان" الفرنسي عام 2009.

وتكمّن قوّة الفيلم في المعالجة الشفافة التي مزجت بين الاجتماعي والسياسي والفكاهة في إطار كاشف لعمق المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني سواء في الداخل أو الشتات.

تجربة الاقلاع

ويقدم الفيلم تجربة الاقلاع من خلال تجربة امرأة فلسطينية قوية وشجاعة تتخذ بصعوبة قرار الهجرة كي تنقذ ابنها من مستقبل غير مضمون، وخاصة بعد أن تجد نفسها وابنها يتعرضان للإهانة على إحدى نقاط التفتيش من قبل جنود الاحتلال الإسرائيلي.

تفكير المرأة في مستقبل ابنها دفعها إلى مغامرة الرحيل، ولكن تجربتها لم تكن سهلة حين وجدت نفسها دون عمل ولا نقود، واقعة تحت عباء العيش في منزل شقيقها وزوجها الذي لم يكن كريماً معهم في البداية.

تمثّل شيرين فاعور دور مني، الشخصية الرئيسية التي تقوم بالبحث عن عمل منذ الأسبوع الأول، ورغم دراستها الأكademie وخبرتها العملية الطويلة في البنوك، فإنها لم تجد فرصتها إلا في محلات الهامبرغر.

وهناك تتعرّض لإهانات عنصرية من قبل طلبة المدرسة التي يتّعلم فيها ابنها الوحيد. إلا أن التجربة لم تكن سلبية في كل جوانبها حيث وجدت تعاطفاً وتقديرًا من قبل مدير المدرسة الأميركي الذي اكتشف أنه يـا للمفارقةـ يهودي.

من خلال الكلمات التي ألقّتها والحوارات العديدة التي تناولت تجربة شيرين دبس وهذا الفيلم نجد أنها تمر بتجربة التمييز العنصري ووصمة الإرهاب التي علقت بالعرب المسلمين، إذ يتعرّض منزل والدها الطبيب للتّفتيش.

وهنا تبدأ الأسئلة تكبر في ذهنها وهي لا تزال فتاة عمرها 14 سنة. حين تقول لوالدها: يجب أن أفعل شيئاً، أن أقدم فيلماً عن هذا الوضع. يجيبها الأب: ولكن أنت عربية، لا يمكن. وفعلاً تواجه الفنانة بعض الصعوبات في إيجاد ممول لفيلمها لكنها لا تعدم الحيلة، بل تصطدم بقوة فنها وقضيتها إلى مصاف النخبة فنياً وإنسانياً وتتكلّم جملة نجاحاتها الفنية بجائزة مادية قدرها 50 ألف دولار.

ترجمة الأدب العربي إلى الإنكليزية والمترجم الليبي خالد مطاوع الشاعر خالد مطاوع قد هاجر من بلده الأصلي ليبيا إلى أميركا وهو لا يزال يافعاً وهناك تشرب فنون اللغة الإنجليزية وأدابها. درس الكتابة الإبداعية في الجامعات الأميركيّة ومن ثم قام بتدريسيها. لم ينسّلخ الشاعر عن لغته الأم وثقافتها، فانكفا على ترجمة الشعر العربي إلى الإنكليزية مقدماً بذلك عدداً من الأسماء العربية إلى قراءة الإنجليزية الجاهلين تماماً بأبعد الشعر العربي.

كما سجل الشاعر المترجم خطوة مميزة تحسب له حين أقام مؤخراً على ترجمة الشاعر السوري أدونيس للقارئ الإنجليزي، وساهم مع الشاعر في عدد من الجولات الشعرية في عدة مدن أميركية. ويرى مطاوع أنه يعيش الترجمة كحالة إدمان لا يمكن كبحها. ويثنّي تجربة الترجمة وينذكر مثلاً الآخر الذي تركته قصيدة الشاعر العراقي الكبير سعدي يوسف عن أميركا، حيث استخدما المتظاهرون ضد العرب على العراق.

وجاء ترشيح مطاوع لهذه الجائزة لأن تجربته الشعرية تمزج بين الفردية المركبة بنكهة وطقوس الشرق والتجربة المهاجرية التي تنهل من نبع المعرفة والحساسية الفنية كما يرى النقاد الذين ثمنوا ديوانه "خسوف الإسماعيلية" الذي ترجم الشاعر نفسه إلى العربية.

يذكر أن جائزة الزمالة الفنية الأميركيّة هي جائزة سنوية وهذه هي الدورة الخامسة لها، وقدّمت مكافآت مادية لـ 52 فناناً تتراوح أعمارهم بين 32 و71 سنة، في حقول إبداعية عديدة تشمل: المسرح، والـ"الميديا"، والتصميم، والسينما، والشعر، والرقص، والرسم، والتمثيل وغير ذلك. ويتسّلم بموجبها الفنان 50 ألف دولار غير مشروطة بأي التزامات. وهي بالتأكيد "تجعل الحياة أسهل" وفق تعبير الشاعر مطاوع

مهرجان الفيلم الفلسطيني الأول في تورنتو في الذكرى الستين للنكبة الفن يروي قصة فلسطين

تحضر فلسطين صورة وفناً في تورنتو كندا بكثافة ولمدة أسبوع، وإن كان قد سبق ذلك بعض الأفلام المتفرقة بين فينة وأخرى، وأهم الأفلام التي سبقت هذه التظاهرة فيلم "33 يوماً" للمخرجة الفلسطينية مي مصرى. وحسب مصادر البيت الفلسطيني، عاندات هذا الفيلم كانت سندًا للإعداد لهذا المهرجان. أقيم مهرجان الفيلم الفلسطيني في إحدى دور السينما العريقة "سينما بلوور" في داون تاون تورنتو وقدم

نخبة من الأفلام الفلسطينية الوثائقية والدرامية المتخيلة، المنتجة والمصورة داخل فلسطين وخارجها،

السويد، الدنمارك، كندا، أمريكا. نذكر منها: ذاكرة الصبر، ليموناده، السياقة إلى أرض الزيغ Zagzag. العروض كثيفة وتتراوح بين 36 فيلماً، بعضها حائز على جوائز عالمية وعربية ومتoscopic وبعضها يعرض في كندا للمرة الأولى. التظاهرة كانت بين 25 أكتوبر وإلى 1 نوفمبر، وجذبت حضوراً جيداً من الكنديين متعددي المشارب.

تم التحضير لهذا المهرجان والعمل على إطلاقه بمناسبة الذكرى الستين للنكبة والتي تصادف هذا العام. المباردة أعد لها وأشرف عليها ودعهما البيت الفلسطيني في مسيساغا-تورنت.

حظى المشروع بدعم كندي رسمي نذكر من هذه الجهات: هيئات دعم الفنون في تورonto وانتاريو، ومنها: تورonto آرت كونسيل، أونتاريو آرت كونسيل، وهذه هيئات حكومية تدعم المشاريع الإبداعية والثقافية والكتابية والفنون. كما حظى المهرجان بدعم من قبل صحف ومراكز محلية منها: مجلة ناو، وومن بوك ستور، وبعض أصحاب المحلات العربية.

"ملح هذا البحر" فيلم عن الهوية والتمزق وفلسطين

يوم السبت 25 أكتوبر 2008 تم الافتتاح وسط حشد كبير كندي وعربي. البطاقات بيعت كلها في اليوم الأول للمهرجان. قرابة ألف مقعد حجزت كلها وبقي آخرون خارج الصالة ينتظرون العرض الثاني. كنت حاضرة في صالة السينما في داون تاون تورنتو.

تنوع الحضور بين عربي وأسود وأبيض من مختلف الأعمار. في البداية عرض فيلم قصير بعنوان "أم فلسطين" وتبعه فيلم "ملح هذا البحر" ويوم في فلسطين، الأرض تتكلم عربي.

كانت ضيفة المهرجان في الافتتاحية الفنانة والشاعرة الفلسطينية الأمريكية سهير حماد، التي حضرت من أمريكا، مكان ولادتها وإقامتها الحالية. تحدثت باختصار عن الفيلم وأشارت بجهود المشاركين في إحياء هذه المناسبة، كما تلقت الأسئلة من الحضور بعد نهاية العرض الفيلم، وتركت على تجربة التصوير، حيث قامت حماد دور البطولة في هذا الفيلم والذي عرض في مهرجان "كان" لعام 2008. الفيلم يتناول مسألة الهوية والتمزق مابين الحلم والواقع. تمثل دور البطولة سهير حماد والشاب

الأمريكي الفلسطيني بشار دعايس، الشابة تحمل جواز سفر أمريكي حصلت عليه بحكم ولادتها في بروكلين أمريكا، والشاب يحلم بالحصول على فيزا للهرب من قسوة الواقع اليومي المغلق الذي يعيش فيه الشباب الفلسطيني. بطلة الفيلم "ثيريا" تعود للمطالبة بمبلغ من المال تركه جدها في إحدى البنوك التي تقع الآن في إسرائيل، وتجد صعوبة شديدة في الحصول على المال، فتقررأخذ حقها بالقوة وبمساعدة الشاب "عماد" الذي تعرفت عليه كسانق تاكسي، وشاب آخر يحلم بصناعة السينما والسفر إلى كندا.

ينتفعون على السطو على البنك واستعادة المبلغ الذي يعود لجدها. تمت العملية بنجاح ولكنهم لم يأخذوا قرشاً أكثر من المبلغ المشار إليه في المستندات الشخصية التي تملكتها. اللقطات مأخوذة في القدس ورام الله وفي فلسطين المحتلة. من المواقف المؤلمة في الفيلم مغامرة "ثيريا" في الذهاب إلى بيت أهلها الأول والذي تسكن فيه شابة يهودية استقبلتهم ودعتهم للمكوث معها، ولكن البطلة لم تستطع أن تتقبل لطف "المضيفة" ولم تستطع أن تنسى أن هذا المطبخ وهذا البيت كان مكاناً لجذتها وجدها ووالدها.

من النشاطات المرافقة لهذا المهرجان ندوة حول السينما الفلسطينية، قدمتها المخرجة الفلسطينية جاكى سلوم ورفيف زياده وشخصيات أكاديمية كندية من جامعة تورنتو. كما عرض خلال أيام المهرجان فيلما خاصاً عن الشاعر محمود درويش وما تحمله تجربته من قيمة أدبية لغوية جمالية تاريخية وإنسانية، هو الذي عاش تجربة المنفى في أكثر من أرض.

ولكن هل سيكون هناك مادة للعرض جديدة وقيمة كل عام، وما مقدار التأثير الذي تتركه هذه المهرجانات على المشاهد - غير العربي؟

الجواب يعتمد على الإمكانيات المادية والفنية في هذا الحقل لدعم الراغبين في تقديم رسالتهم الفنية الإنسانية الجمالية. وفي كل الحالات يكفي أن يشير العرض لدى المشاهد سؤالاً، صدمة، دهشة، ويكشف حقيقة كانت مغيبة.

كلمة اليوم: الفن يتكلم ويعرض دون عنف ودماء. الفن حضارة أما الأحزاب القومية والطائفية والدينية فهي باب إلى الهاوية والخراب الذي يدمر كل تقدم ممكن للشعوب والحضارات.



8

من سرق تمثال الشاعر تاراس تشخشنكو

ليس الشرق وحده، بل والغرب أيضاً، مقلّ في تكريم الشعراء بإقامة نصب أو تمثال أو حديقة بأسمائهم. ففي تورنتو كندا المدينة الشاسعة التي تكثر في حدائقها التماضيل والمنحوتات الفنية والجماليات المتنوعة، قلما نجد تمثلاً لشاعر. هناك -

تمثال الشاعر الكندي ألفرد بوردي

تمثال قديم لشاعر وتمثال نصفي لشاعرة، وتم مؤخراً نصب تمثال كامل من البرونز الأسود للشاعر الكندي “آل بوردي” الراحل منذ عشر سنوات تقريباً، وقد خُطّت على حافة التمثال عبارة تلخص مكانة هذا الشاعر في الوجودان الكندي وهي ”صوت الأرض“ وكان ذلك في منتصف أيار/مايو 2008. أزاحت أرملة الشاعر الغطاء عن التمثال ليبقى حاضراً وسط ساحة ”كونينز بارك“ برفقة الأبطال والأحصنة التي شاركت في الحروب وبرفقته الجندي المجهول وكبار زعماء البلد. يجلس الشاعر بينهم وعينه تتجه نحو الشارع العام، لعله يلحظ حسناء عابرة ويدعوها للكأس البيرة - الكندية - التي كانت شرابه المفضل.

تم تكريم هذا الشاعر الذي كان من أوائل من خطوا خريطة إبداعية شعرية لهذا البلد الذي يسمى كندا واستقلالها عن دول الجوار وعن الكولونيالية والتبعية التي خضعت لها من قبل بريطانيا. الشاعر الذي حقّ له لقب الصعلوك، عانى الفقر الشديد وببيديه شيد مسكنأ له وزوجته، ليقيه من شتاءات أونتاريو الفطرة الطويلة. الآن يضع المارة وردة عند قدمي التمثال ويتهدون، يرفعون ظهرهم المتعبع ويقولون: واو، كم تمضي الأيام مسرعة. كنا صغراً حين درسنا شعره وقرأناه على مقاعد الدراسة. ثم يتبعون السير وتلاوة القصيدة عن ظهر قلب. يغادرون تمثال الشاعر لكن يبقى الحمام ليترك

فضلاً له فوق أزرار قميص تمثّل الشاعر. الشاعر لا يعبأ بذلك، لقد كان يحبّ الحمام، كما كان درويش يغلي له حين يطير وحين يحطّ الحمام، قيل عن صوت آل بودري الشعري بأنه ”صوت الأرض“.

تمثّل شاعر أوكرانيا تارس شيفشنكوف وسرقة من المنتزه الكندي

لم يكن الشاعر يقاتل من أجل حرية مستلبة بالمعنى السياسي. ولم يكن منفيًّا من بلده لكنه كان من أوائل من ساهم في صياغة هوية فنية وأدبية لبلده الذي استكمّل وجوده بالاعتماد على الهجرات والمهاجرين قديماً وحديثاً. حقّ لهؤلاء المهاجرين أيضاً أن ينصبوا تماثيل لشعراء من البلاد التي قدموا منها. ونذكر منهم تمثّل الشاعر تارس شيفشنكوف الروسي الاوركرابيني (9 مارس 1819-10 مارس 1861) والذي كان يتيمًا وعبدًا مملوكًا من قبل الإقطاعي. الشاعر فقير، واشترى الأصدقاء والمعجبون حريةته بالنقود، من خلال لوحة فنية رسمها فنان مؤمن بموهبة هذا الفتى. كان المبلغ كبيراً في ذلك الوقت لأنّ المالك كان يدرك أنّ هذا الشخص يمتلك موهبة وقدرات خاصة.

عاش الشاعر منفيًّا لسنوات لأنّ صوته الرافض ونقده للسلطة القعمية الحاكمة في تلك الفترة كان مسماً عاصفاً وغير مستحب. ولم يستطع ”شيفشنكوف“ إكمال دراسته الفنية الأكاديمية إلا من خلال المساعدات والقبول الشريفي وبدعم من قبل كبار الشعراء والفنانين المعروفيين في ذلك الزمان. بعض البلاد تُحرّك في صياغة هوية لها. وببلاد أخرى لها هوية متجمذرة في الأرض والتاريخ، يحاولون نفيها وطمئنها، لكنها تتجمذر بالكلمة وبالصورة، بالحجر وبغضن الزيتون. بعض البلاد، لا ياحتلها الغريب القادم من شتات الأرض بل يقوم أبناؤها باستبعاد أبنائها الأدنى في السلم الاجتماعي والاقتصادي. يستبعدون أبناء مدینتهم وقرائهم، بشر مثّهم لهم نفس لون الجلد ونفس اللغة والجذر منغرس في العظم والجينات ذاتها. تتضخم سطوة السلطة الحاكمة ويبقى صوت الشاعر أكثر عشقًا للحرية والأرض، يشهد الشاعر بكلمات بعيدة المدى والصدى تبقى ممزوجة في الوجدان الكوني. لأنها ”في البدء كانت الكلمة“، التي تخبر وتتبوّح، وتحمل دمعة الوطن وصنوبراته وثلوّجه، ضبابه وجماله.

من هي كاترينا...

كثيرون يمرون بتمثّل الشاعر المنفي يتنهدون ويقولون: هنا شاعر كتب لنا صفحة في الحب، غازلنا بها حبيباتنا اللواتي لم نستطيع أن نحتفظ بهن. هذا شاعر علمنا كيف نغنى ملحمة عن امرأة أضناها العشق وحملت بذرة الحب في جسدها، فرجّمها الحبيب بخيانته التكران، ونفت المرأة نفسها عن البلاد لتبحث عن بيت تحتمي به هي وجنيّتها من ”عارها“. يذكر أن الملحمة الغنائية الشعرية ”كاترينا“

التي كتبها تاراس شيفشنكو، والتي كانت تحكي قصة امرأة تعرضت للطرد بعد حملها - المنكر - دون زواج. وفيما بعد أصبحت هذه الشخصية ملهمة لكثير من الرسامين الروس، وترجمت القصيدة الطويلة إلى لغات عدة.

سرقوا التمثال الشاعر المنفي ليلا...

إنه التاريخ وما أكثر زلاته. دوماً هناك شعب، فقير وبخيل وسلطة وتخلف ورجعية وطغاة، صغار طغاة، وسارقو لقمة عيش ووطن. وهناك شعر وشاعر وحلم مكسور، علم ممزق وأرض مستباحة، أرض تحرسها الأقلام والقصائد والروايات والفنون. بعضهم يرى في التمثال تارياً ووطناً وجماً وإجلالاً لصوت يقاوم دون سلاح ويبتكر صوراً للحياة البديلة، وبعضهم يرى فيه كتلة حديد أو برونز أحمر أو أسود.

هنا في تورنتو تسلل بعضهم في الليل إلى المنتزه وانتهك وقفية الشاعر المنفي، تاراس شيفشنكو، في حديقة العالم وحيداً تحت البرد وتحت الريح وتحت الشمس. تسلل السارقون، وضعوا سلماً خشبياً أوصلهم إلى رقبة الشاعر، جعلوا الشاعر يترجل عن ملوكته، جروه في ساحة المنتزه، أدخلوه إلى شاحنة كبيرة، سرقوه عن أبناء جاليته وعشاق الفن. في المصنع قطعوه إرباً إرباً، ثم باعوه قطعاً برونزية (خردة) للتجار، فيما كان البوليس مشغولاً بالبحث عن التمثال المسروق.

بقي رأس الشاعر التمثال مصيبة أفلقت السارقين. أين سيذهبون برأسه؟
رأس الشاعر مشكلة، في الحياة وبعد الممات. حاولوا تقطيع الرأس بالمنشار، ثم عدوا عن ذلك، ذهبوا ليبيعوه على أنه تمثال "لينين" لكن القدر وضعهم في قبضة البوليس واستعاد عشاق الشاعر ما تبقى من رأسه المجزوز. لينضم إلى المتحف الصغير الذي يقيم في دوان تاون تورنتو، لينام على الأرض محاطاً بشراشف اوكرانية الصنع. ليستقي بشاربه الكث وسحننته القاسية، ينظر في عين الزائر ويشير إلى صفحات من تاريخ الرق والعبودية والحرية واستعادة الحياة بعد الموت. استعادة ذاته وفردوسي المفقود بالكلمة الشاعرة التي جعلته فرداً في "أسرة الحرية" التي يسمع عنها الكثيرون في القرن الحادي والعشرين ولا يتذوقون نعمها.

قصائد باللغة السريانية في المتحف

كان صباحاً مباركاً حين أخذتني الصدفة إلى ذاك الشارع واستوقفني اسم المتحف الصغير الذي ترعاه وتدعمه الجالية الأوكرانية في تورنتو، وبدعم من بلدية تورنتو. فرعت جرس الباب بعد تردد، ففتحت لي سيدة شابة روسية، وقدمت لي جولة لأكثر من ساعة وهي تستعرض حياة الشاعر، لوحاته المعقلة على الجدار، وأخر ما استجد في قضية محاكمة سارقي التمثال. لاحظت اهتمامي بالموضوع،

ومعلومات عن الشاعر، ثم نسخت لي إحدى قصائد الشاعر مترجمة إلى العربية، والسريانية أيضاً.
أنتقطت صوراً لما تبقى من رأس التمثال. كان وقع أسنان المنشار عليه موجعاً يمتد من الرقبة ويتوقف
قبل أن يصل الفم.

نشر في صحيفة المستقبل اللبنانية 2008



أنا وحبات الرز في معرض المدينة

لست وحدي إن كنت مصاباً بالحمى المكسيكية، لست وحدي إن كنت من ضحايا الحرب على العراق، لست وحدي إن كنت مهاجراً إلى كندا أو أمريكا، لست وحدي إن كنت من الضحايا-العابرين بشكل غير قانوني المنطقة الحدودية بين المكسيك وأمريكا

لست وحدي إن كنت سجينًا في العالم ذكرًا أو أنثى. وحدي وتمثل حبة رز واحدة إن كنت "ستيفن هابر- رئيس وزراء كندا، أو ميكائيل جان- القائمة بمنصب الحكم العام الحالي في كندا. ولست وحدي الذي يتوجول في هذا المكان بين أكواخ الرز متدهشًا معهناً النظر في الإحصائيات والكلمات المعدودة المكتوبة بالحبر الأسود على أطراف الكرتون الأبيض المقوى. الطقس يشي بحكايات كثيرة تخفيها الأضواء الخافتة الموزعة بعناية في صالة العرض، ويختلط عالمك هنا بالوضاء والكلام غير الواضح، القادم من آلة تسجيل خفية تسرد أخباراً من العالم.

العرض الغريب... وأقوام الرز

اختتم العرض في مدينة تورنتو عن حبة الرز. إحصائيات من خلال حبة رز، تخبر عن عدد القتلى، المرضى، المهاجرين. في صالة العرض 897 مليون حبة من الرز، ما يعادل 12 طن من الرز، ما يعادل وزن 11 سيارة، أو 945 بسكليت! كل حبة تمثل نسمة من العالم. الانطباع الذي ستخرج به من المعرض الغريب الطريف بأنك لست وحدي، بأنك تتنتهي إلى كتلة ما. تمثل حبة الرز بين الأقوام الموزعة بعناية على أرضية بيضاء منتشرة في صالة بقاعتين كبيرتين في مبنى "هابرفرونت سنتر" المخصص للمعارض والقراءات والمهرجانات الشتوية والصيفية على مدار السنة.

ليست تورنتو المدينة الأولى التي استقبلت هذا العرض لمدة أسبوع، إذ سبق أن قدم لأول مرة في

إنكلترا عام 2003 ويدعم من القصصية البريطانية، وانتقل بعدها إلى عدد من دول أوروبا واستراليا.
"عن كل الناس في العالم " عنوان العرض الذي جرى العرض تحت إشراف (ستان كافيه)
ويمشاركة فريق من الشباب الذين يتواجدون في صالة العرض للرد على أسئلة الحضور ولتحديث
الإحصائيات وتسجيل ملاحظات الزوار ومقرراتهم. الغاية من العرض تمثل الحراك البشري المعاصر
وتفهم أفضل لموقع الفرد.

حين سألنا أحد القائمين على تنسيق العرض عن كيفية عد حبات الرز، قال انهم يعدون حبات الرز
حين تكون الكمية قليلة، ويستخدم الميزان للكميات الكبيرة. كل 60 حبة رز تزن مقدار أوونسية. صاحب
الفكرة هو الانكليزي جيمس ياركر& كريج ستيفنس، ويتم تنفيذها بالتعاون مع فريق عمل. غالباً
العرض تمثل روح المدينة التي يحضر فيها، ويرتكز على الامريكيتين.
أثناء التجوال في المركز، كان أحد العاملين يضيف كومة جديدة من الرز على طبق كرتوني أبيض.
سألته عن هذه الإحصائية فقال: إنها نسبة الناس الذين يعانون من السمنة في تورنتو، وفي
إحصائيات المراكز الصحية والعيادات.

عند دخولك صالة العرض، ستجد طاسة في المدخل كتب عليها "تفضل، خذ حبة رز" وربما ذلك لتعداد
عدد الزوار، إذ هناك طاسة أخرى في الجهة الأخرى من الصالة، فيها حبوب تشير إلى عدد زوار
المعرض خلال فترة العرض. أول كومة تستقبلك وأنت تهم بالدخول إلى المعرض تمثل "عدد الذين
سيولدون في العالم اليوم، فتبتسم للخبر، ثم تقطب إذ تجد بجانبها كومة تشير إلى عدد الذين سيموتون
اليوم.

الإحصائيات تركز على عدد السكان، عدد المهاجرين من عرق ما في عام ما، كتمثل عدد الكنديين
الاصليين في بداية اكتشاف كندا وعددهم اليوم، عدد المهاجرين إلى تورنتو. الكومة الهائلة الحزينة
كانت الإحصائية التي تمثل عدد السجناء في العالم. كانت كبيرة، وبجانبها كومة أصغر تمثل عدد
السجناء الذكور في كندا، وإلى جوارها حفنة أصغر تمثل عدد النساء السجينات في كندا.

تطالعك كومة ضخمة تمثل عدد ضحايا الحرب العالمية الأولى، وأخرى تمثل ضحايا الحرب العالمية
من كندا، وأخرى تمثل الضحايا المدنيين في العراق منذ عام 2003، ثم حفنة تمثل عدد القتلى من
الجيش الأمريكي في العراق منذ عام 2003... إحصائيات مشابهة عن ضحايا الحرب في أفغانستان،
الحرب الأهلية الأخيرة في سيريلانكا، عدد ضحايا الايديز في العالم، الأفاريقين الذي تم استقدامهم
كعبيد إلى أمريكا في بداية رحلة العبودية. كل كومة رز تحمل رسالتها، وتثير في الزائر إحساساً
عاطفياً ما، قد يكون استنكاراً، حزناً أو ابتسامة. بالإضافة إلى هذه المعلومات التي تحملها حبة الرز
عن الحروب وال Kovariث الصحية وضحايا الأعاصير التي أصابت منطقة الامريكيتين مؤخراً، نجد
دراسات تشير إلى التوزع الطبوغرافي والسكاني لبعض دول العالم.

حبات الرز على بقعة بيضاء تشير إلى عدد السكان في كل كيلومتر مربع. ونجد زوايا تمثل عدد ضحايا السفينة الشهيرة "تيتانيك" وعدد العاملين فيها، ثم حبة رز واحدة تمثل المغنية الكندية الشهيرة "سيلين ديون" التي رافقت بصوتها الرابع تلك التراجيديا. وهناك ما يمثل الأمهات الوحيدات، عدد اللاجئين في تورنتو، عدد العاملين، العاطلين عن العمل.

هل للشرق تمثيل في هذا العرض العالمي...

مشيت بين الأكواخ وأنا أبلغ في هذه البشرية التي تمتد أمامي بکوارثها وحروبها، بعدد ضحاياها، سكانها الذين يعيشون ويموتون في هذه الساعة وانا اجوب صالة العرض بحث عن نفسي وسألت في سري إلى أي كومة رز أنتي اليوم؟ وجدت لي تمثيلاً في كومة تمثل سكان تورنتو. فقلت: لست وحدي، إنني جزء من مدينة هائلة الحجم ومختلطة الأعراق والألوان. وبما أنني عربية المنشأ أثناء بحثي بين هذه الإحصائيات، لم أجد تمثيلاً يذكر عن العالم العربي بملائينه، حربه الأخيرة والأكثر قدماً.

تقدمت من الشاب الانكليزي الذي يلبس معطفاً بلون الحنطة، وسألته عن كيفية إجراء العد، فأراني الموازيين وأكياس الرز المختومة التي ما تزال مركونة في الجانب. صرحت له عن استغرابي من عدم حضور إحصائيات تخص الملاليين العربية في الشرق الأوسط، والاكتفاء بتمثيل وحيد عن ضحايا العراق وتوزيعها السكاني.

كان يستمع باهتمام وجدية ويقول: سأسجل ملاحظاتك. فاسترسلت وقلت: ولا يوجد اي إشارة إلى ضحايا حرب تموز في لبنان، ضحايا الحرب بين اسرائيل، فلسطين، لبنان والدول الأخرى؟ بقي الشاب منصتاً فتمادي وقلت: ولا يوجد أي تمثيل للهجرات العربية إلى الأمريكتين. رحت أشرح له شيئاً عن إنجازات المهاجرين العرب في كندا أو أمريكا. بقي الشاب منصتاً. ووعد ببحث هذه الملاحظات مع فريق العمل. قال أن العرض قابل للتغيير كل يوم حسب أهمية الاقتراحات. بعد أن مشيت والتقطت صوراً كثيرة، سألت عالماً آخر عن مصير هذا الرز بعد انتهاء العرض؟ قال: سيتم غسله وتعطيفه في حقائب للتبرع به لجهات خيرية مختصة بتوزيع الغذاء المجاني على المحتججين في تورنتو.

خرجت وأنا ممتلةً أسلة ودهشة وفي جنبي حبة رز. أنا حبة رز أنتمي إلى تلك الكومة تمثل عدد سكان تورنتو، جالسة في مقهى على الرصيف أشرب قهوة كندية، أراقب المارة الملؤنین من كل دول العالم، لاجئين ومقمين، عاملين وعاطلين عن العمل.

الآن أتنفس بعمق وأغوص في ذاتي المحمّلة بأكثر من انفعال وعاطفة وسؤال. أضع حبة الرز على الطاولة أمامي وأفركمها كما لو أنها المصباح السحري وأقول "إن وجدت نفسك وحيدة تشربين القهوة

على رصيف المقهى الكندي، فللت لست وحدك!"!

صحيفة، عمان، مسقط 28 حزيران 2009



الاشتباك والتقاطع بين المثقف والسلطة

يبدو أن العلاقة بين السياسي والمثقف تتقاطع في عدة مسارات اذا نظرنا إلى واقع الثقافة العربية وليس إلى النظريات حول الثقافة والمثقف. السياسي منفذ لبيانات الحكومة أو مقر لها. لديه ايديولوجيا ومنبر سلطي ورعايا، وهناك أيضاً الخارجون عن وصايتها. الحيز الثقافي أيضاً موزع إلى زعامات لها أتباعها وحواشيها، وعلى الجانب الآخر يقف المثقف الهمامي الخارج عن التبعية والأمين لل فعل الثقافي الممحض. لن اقول إنه يكون في حالات كثيرة على تضاد مع وجهاء ومثقفي السلطة، بل هو طرف اختار أن يحمل الصليب ويذهب صعوداً وزولاً، بلا زوادة ولا معيل إلا حبره وقلمه. كلا السلطان تمارسن الإستلاب والتكرير والتجليل وفقاً لمصالح وأجندة. الأصوات التابعة يصبح لها وزن إذا لاقت استحساناً من قبل جهة ثقافية ما، ولا تكون دائماً مقررتها الفنية والإبداعية حكماً. الهماميون محكومون بإنجاز عمل مضاعف كي يحظوا بشهادة الاعتراف بموهبتهم وصلاحيتهم لثقافة المرحلة وربما يداعبهم الأمل في أن "التاريخ غربال" وسيحفظ أصواتهم في الأرشيف بعد أن تنفي المصالح والاعتبارات الخارجية عن الإبداع. ثقافتنا اليوم هرم من السلطات المتوارثة.

*

الكتابة الإبداعية والصحفية ليست فعلاً حيادياً على الإطلاق. وليس هناك كاتب(ة) لا يحمل رأياً حول ما يجري في البلاد العربية والعالم، اجتماعياً وسياسياً. فالسياسة تتتحكم بالهواء والخبز والسيارة والكمبيوتر والصحيفة والكتاب وال العلاقات العامة الثقافية والشخصية. الهواء النظيف لا يمكن للمواطن الحصول عليه إلا إذا وضع السياسيون برامج لحماية البيئة. الكمبيوتر لا يمكن الاستفادة منه إلا إذا قامت الحكومات بوضعه في خدمة الفرد دون كلفة باهظة وبدون رقابة وحجب وتوصيات على

الدروب والنوافذ والمواقع. الكتاب لا فائدة منه إن لم نتعلم كيف نقرأ وكيف نجعل محبة الكتاب واردة في برامجنا التعليمية الإبتدائية والأكاديمية. بعض القائمين على الدوائر الثقافية جعلوا بعض الكتاب يكسرون أقلامهم ويدهبون في قتل الموهبة بصمت. بعض السياسيين جعلوا المواطن يكره نفسه وحياته، وما موضعه "الانتحاريون" التي تهدد العالم اليوم إلا بذور سياسات مريرة تعمل تحت ذرائع دينية أو وطنية قومية.

*

الاشتباكات بين السلطتين متباعدة. هناك حالة المثقف الموالي للسلطة، والمثقف المعارض ليس من حيث الانتماء والتنظيم المؤديج، وإنما من حيث تبني المثقف فكرة حرية التعبير والرأي كأنسان فاعل وغير تابع. السلطة السياسية تخاف من أصوات "الأحرار" ولا تتوانى عن اختراع أساليب لترهيبهم وقمعهم سواء بالسجون بالفتاوي بالمنع أو المصادر. صوت المثقف الحقيقي لا يطرب حاشية السلطة لهذا يصبح وجوده مضاداً لمصالحها ورغبتها في أن تسود، لذلك يجد المثقف نفسه في خاتمة المطاف صامتاً على مضض أو ناطقاً بربع المأساة. والصمت ليس من ذهب.

*

تلقي السلطان الثقافية والسياسية حين تجتمع المصالح. أما إذا كان صوت المثقف يعكس صفو السياسي، فتقوم حينها السلطة باستخدام أدواتها لإعادة إحكام القبضة على "الخارجين عن الركب" وذلك بممارسة سلطتها القانونية الشرعية فتصدر أحكام وتشريعات جديدة بما يخدم ديمومتها، إلى جانب تأثيرها الفاعل على الحالة الاقتصادية والمعيشية للفرد، لأن تحرمه من وظيفة يعيش منها وتبيقه في ماراثون الركض وراء حاجاته اليومية، أو تمنحه ما يكفي للعيش الرث، بينما تسد في وجهه سبل التواصل المعرفي والثقافي مع العالم الخارجي.

*

المثقف الأمين لحلم الإنسان بعد أفضل ولديه بعض آمال في تحقيق مجتمع يحترم الفرد وملكته سيدفع ضريبة ما. ولكن هل بإمكان المثقف أن "يظلم" السياسي؟ لا أعتقد ذلك. حين يكون للمثقف رأي ويمارس حريته غير التعبير ويمارس حرية الانتخابية والمدنية كل ما عليه هو أن يدلّي بصوته الحر وينظر النتائج-غير المزورة. فالمثقف لا يحمل سلاحاً ولا يقيم سجناناً، بل تسخره السياسة أحياناً في مشاريعها الكبيرة و المعاركها وتجعله في سن ما تحت ظرف ما أداة طيبة وفرداً مغسول الدماغ ينفذ ولا يعترض، إلى أن تأتيه الصحوة يوماً، فينتفض على المتن والهامش.

*

ما هو موقع المرأة في هذه الحالات؟ يقودني هذا للقول: وهل حقاً نالت المرأة استقلالها في الرأي وأصبح لها موقفها السياسي الصريح! ما نلاحظه في مجتمعنا أن زوجة "البعشى" يجب أن تكون

أو تصبح بعثية، زوجة الشيوعي، شيوعية على الغالب، ولا أدرى إذا كانت زوجة الإلحادي، إلهابية. الاختلاف والتنافض يكون أقل حدة إذا وقع بين الأخوة والأخوات والوالدين، منه بين الزوج والزوجة. فالعيش المشترك وفي إطار تحكمه سلطات هرمية بطريقة لا يستقيم إذا كان أحد الشركين غير متقبل لفكرة الآخر وأعماله. اختلاف وجهات النظر حول الثقافة والسياسة يعمق الشرخ بين الزوجين وقد يؤدي إلى الانفصال أحياناً لأن ذلك ينسحب إلى أبعاد عميقة من شخصية الفرد. وتخفت هذه الإشكالات حين تكتفي المرأة بعملها كربة بيت ومربيّة أطفال تتسم لانتصارات زوجها وأفكاره على الدوام.

*

الأرواح الجافة، لا يمكنك أن تضخ فيها الحب والشعور بالحاجة إلى الآخر، معنوياً. هذه قلوب تعيش وتتنفس ويديرها عقل يبدع أولوياته كما يروق له، ويناسب مصالحة. وهناك قلوب تتوقف فجأة عن النبض.

ليست مسألة وقت ما يعيشه هذا العالم بل قلة شعور بالمسؤولية والرغبة في التواصل ونكران المصلحة الشخصية. وهذا حق. كن ما شئت حيث تشاء، ولكن كن أنت واخْلُع قناعك المزدوج الفارٍ. من يحب وطنًا أو كلباً، من يحب امرأة أو حديقة، من يحب عائلة أو مكتبة، سيجد وقتاً كي يغذي هذا الرابط بالقليل من الاهتمام. ولحسن حظ الإنسان أنه لا يموت لمجرد أن يجف قلبه شعوره ويصبح كما الآلة تسيره أوامر لا إنسانية.

فقط الكلب يموت حين تحبسه في البيت وتتركه بلا رعاية. الحديقة أيضاً تموت، حين تبالغ في سقايتها او تمنع عنها الماء.

الإنسان، خلق من تراب وماء، ثم نفح فيها الروح.
القصة كلها تتعلق بماذا نفعل بناك الروح، وإلى أين نقودها وكيف.
حافظوا على قططكم وكلابكم، إذا كنتم من عشاق الحيوانات.

انبشوا أرواحهم، قبل أن تموت كلية في الشتاء والصيف والحرب والسلم والاعتراض.
أو لا تفعلو شيئاً لك حرية أن تموت وتحيا مثل كلب، مثل وردة، مثل شجرة، مثل كان طبيعياً، مثل امرأة عادية، مثل رجل شهم، مثل غزاله بريء، مثل حمار غريب. ولنك سلطة الاختيار وقلب الموازين في محيط بيتك وشبكة العلاقات العامة والخاصة، وتحديداً في سلوكك وكتابتك الابداعية ورسوماتك ونشاطك الفكري الذي يتسرّب إلى الأولاد والجيران ويترك الأثر.

سؤال اليوم: كم سلطة واجهتك في الطريق إلى عالم النشر والكتابة القراءة؟!



بالي المرقص الكندي في الخارج

في المرقص المهجري الذي رواده عرب من كل الأطياف والأعمار يرتفع منسوب الحمى و الحمأة الوطنية حين يردد المغني الشاب "حيو سوريا بالعامية أو تحيا سوريا، بالقومية العربية الفصحي وعلى سبيل التحيات الوطنية الجامحة لسوريا تغلي الاجساد وتشب الى الساحة.. على قدم ونصف. المهاجرون الذين في الخارج يحتشدون في هذا المرقص، وليس لنا أن نعرف هوينهم المعارضة أم الموالية، فاللضوءة شحيبة، وهذا ليس من شأن الذاهبين الى سهرة ترفيهية.

يعالى صخب الایقاع العربي العالى المنغمى بدخان الاراجيل الكثيف، الممتزج بأضواء خافتة زرقاء وحرماء وخضراء، في المحفل العربى الراقص القابع على أطراف تورنتو، حيث يجتمع الشباب والصبايا لينفضوا عن غربتهم بقایا البرد والعزلة خلال شهر كنیب بارد وعاصف يطیخ باشجار كندا، بيوتها وشوارعها، ويهل علينا بكل أنواع العواصف الطبيعية، التي ليست طبيعية. لا شيء طبيعي هنا وهناك، في هذا المرقص، في هذا الجليد، في هذا العالم.

تنفل الأجراس مع صخب الموسيقى والطعام والشراب... فتهرع الى ساحة الرقص، فلا تعرف إن هي متآلمة أم أنها منتشرة، أم أنها مخدرة تحت مؤثرات شتى.

المغني الذي لمع حذاته جيداً ووضع كمية كثيفة من مثبت الشعر كثيفة تحافظ على خصلات شعره الأمامية شعره مرفوعة كعرف الديك، صار يتقن صنعته في هذا الزمن حين الموت وال Herb تحصد أشجار البلاد وأرواح العباد، وتحرق ما تبقى من البيوت، وتفجر ما تبقى من آمل بالخلاص من رجس القتل المحلي والمستورد خصيصاً لهذه المرحلة القلقة من تاريخ الشعوب.

يبدا المغني بالقاء التحيات على الشعب الراقص المتضامن في هذه الساحة مع قضايا الامة. يحيي المغني الأقطار العربية قاطبة. لم اسمها لأنكم تعرفونها عن ظهر قلب. وحين يصل الى القاء التحيات

على سوريا، ينفعل المرقص والراقصون كلهم، تتبارى الأجساد بالهياج ورفع الأكف في الهواء - نحو الله ربما، ثم الترنج بخفة على وقع اللحظة، تتلوى ألمًا، أو شبقاً، أو على سبيل الانفعال البريء. لا أحد يمكنه أن يت肯هن بما يجري في كنه الأجساد المهاجرة الهازبة من البرد، الغارقة في ليل العالم البارد، اللاجنة إلى المجهول.

السيدات اللواتي يلبسن فساتين لا يصلح طولها سروالاً داخلياً لجذات من بلادنا، يبدعن في الرقص وجذب الأنظار الجائعة والشرهة. السيدة المتناسقة في حجم أعضائها المكشوفة - تنفعل بشدة تفقر على وقع العبارة "حيو سوريا وأهل سوريا وشعب سوريا" ويقفز طرف الثوب الأسود الشفيف إلى أعلى، فيظهر ردهما المسبوك النحيف، الأيمن ثم الأيسر وهي تتمايل مع الإيقاع، ويتمايل الشباب المتحلقين في المرقص الشاسع حول طاولات محتشدة بالاراجيل الطويلة العاصرة بالجمل. ينفت الشباب الجمر، وينفتح آهات وطنية ش卑قية، وما شابه. يرفع أحدهم يده في الهواء ويصرخ: "كاسك يا وطن.." فيقاطعه آخر من طول أخرى وفي يده خرطوم الارجلة ويقول "كس...أختك..." ويبدا الخناق، فيتخل (حارس الامن) وبغض العراق بين الجمهور العربي... ويستمر الغناء... تنفعل شابة تلبس ثوباً أحمر قصيراً ملتصقاً بفخذيها، وتشده إلى الأسفل كلما تذكرت أن ما هناك تكريع ضمير وحشمة، فيتأرجح ثديها الأيمن والأيسر العامر المكشوف بحماسة وجرأة، يهتز معانقاً الأضواء والدخان وروائح الأجساد المتشابكة على مقرية وسط ساحة معبأة بالحياة. تشدق ثوبها إلى الأسفل، تشد حمالة الصدر إلى أعلى، ترفع شعرها بدلع مبالغ فييه، تتمايل كأنها سنبلة قمح في وجه الريح. تتمايل، فتصطدم بالرجل الذي يرقص في جوارها ويوشك العراق أن يحتدم ثانية مع كل صدمة مقصودة أو عرضية. لا ننسى أن المرقص دوماً بحماية أكثر من خمس رجال حراسة أمن المكان لحفظ السلامة العامة ومراقبة أي تحرش - لا أخلاقي محتمل.

المغنى يرى الانفعال الوجданى الحار والحاد، فيصر على القاء التحية على سوريا مراراً. فيهتاج من في المرقص.

تسترعى انتباхи تلك السيدة التي يصعب عليها أن تتوزن بسبب ما، فلا تتمالك نفسها كأنها مخموره بوطنيتها، لا أستطيع الجزم بأنها سورية أم لبنانية - فترفع طرف قميصها الأزرق الشفاف إلى أعلى وهي تنظر إلى سقف المكان، متassية صدرها المكشوف للهواء والأضواء ونظارات النساء والرجال إليها، تنظر إلى السقف كي تشتكى إلى الله أو ربما تبتهل طلباً للخلاص. خلاص جسدها وجسد البلاد العربية والكندية والعالم. خلاص من هذا الجحيم.

العيون تحملق في الفراغ، تحملق في كعوب الأحذية العالية، في المؤخرات، في الأثداء، في الشفاه التي تشرب دخان الارجل بشبق ونهم. تصر إحدى السيدات على أن تطلب بيرة خالية من الكحول، وتأكل مقبلات سورية لبنانية مصنوعة بحرفية عالية وحال.

ترقص السيدات حول الطاولة، ويترنح الرجال حول الطاولة اكرااماً لسوريا، محبة بمصر، غيرة على السعودية، الاردن، دول الخليج ، العراق، اليمن، الأردن، فلسطين وسائر المشرق. لم يشتتني المغني أحداً دولة أو موالاً يشير إلى هذا البلد وذاك. لفت نظري الرقص المتقن الذي يجده شباب من دول الخليج والسعودية. ويجدر الذكر أن أغلب هؤلاء الشباب، يذهبون إلى السهر دون نساء، ويرقصن في حلقات متناغمة مع اللحن.

"حيو سوريا" فيحيون سوريا وترتفع الأصوات... وتحيا هكذا البلاد في ليلة هوجاء، على إيقاع عربي واجنبي يشارك فيه بعض "المناضلون والمناضلات" في الخارج الذين تبعوا من اللقاءات مع هذا وهذا، وتبعوا من النضال على "الفيسبيوك" أو وراء الكواليس في حضرة مسؤول ما، وتبعوا من انتظار لا شيء.

هكذا دوماً، ويحتل العهر بشبق الوطن، بالوطنية، بالشبق الفردي، بالموت، بالغرابة، بالضياع هنا، كما هناك.

كان هذه الخلطة الرهيبة العجيبة صناعة محلية داخلية شرقية وليس مستوردة ولا مخطط لها سابقاً. إنها بضاعة الأوطان السليمة ورددت إليها في ليلة ليالي تورنتو الكندية الشتوية الكنيبة، أو في ليالي موازية متشابهة قد تحدث في أمريكا أو باريس الأنثقة المحشدة بالمهاجرين والمنفيين، أو في ليالي البلاد المهزومة التي ترقص رعاها وعنفاً منذ ألف عام، ومنذ أن تربعت السلطات الأبدية على رقب الشعب، وفصلت لهم فساتين بمقاييس وألوان محددة مثيرة ووطنية، بعضه يصر أن يلبس علم بلاده أو يحمله ويرقص فوق الطاولة إلى أن يسقط من عشق البلاد التي لفظته، أو خانها.

بعض الفضائل، لها طلبات محددة، أنواع محددة من الشراب، وطريقة معينة في الاجتماع بين الحريم والمحرمين. بلاد أنجبت هذا الزخم من القسوة القومية والشخصية وتركته يتلاطم في عتمة العالم وكمن يريد التأكيد على أنه يرقص مذبوحاً من الألم.

حين انتهت السهرة وسط ضباب الدخان وروائح المتعرقين وعطور النساء الساذجات والماركات العالمية الفخمة، بدأ الجميع بارتداء ثيابهم الشتوية السميكة استعداد للنشر كل باتجاه بيته. هناك من يصر على قيادة السيارة بنفسه ورأسه ممتلى بالمفرقعات الكحولية والنشوة الجامحة.

عند الباب الخارجي وفي درجة حرارة تتجاوز ناقص 30 تجد بعض الشباب والنساء يدخلون أمام الباب، ويتحدثون في السياسة بصوت صاخب وعنيف. أحدهم احتم غضباً وهو يسمع رأياً يخالفه حول ثورات الربيع العربي والشتاءات المتعاقبة، فمسك العربي الآخر من ياقة قميصه وقدفه برشقة من الألفاظ البذيئة وانصرف وهو يبصق على الأرض ويقول "ابن الشر... ط..... وفوق ذلك خان أيضاً"!

كان حارس المكان الأقرب إلى المكان غانبا في الزاوية يقبل إحدى الفتيات وعلى وجهه ابتسامة حمقاء. وكان وجه البنت مهدلاً وحزينا كعلم البلاد المخلوع في أكثر من مكان. ذهبت إلى هناك تلك المرة فقط لأنني كنت في اشتياق للأجواء السورية والحفلات الشرقية والأكل الذي أفتقدته بعد أن كانت حياتي في سوريا عامرة بالشهرات مع الأهل والأصدقاء وكان يتخللها العزف والرقص والحوار والمحبة وأشياء أخرى. وبالطبع هناك حفلات وسهرات تقام على مدار العام في مطاعم عربية فاخرة ويكون لها طابع عائلي لطيف يسمح للجميع بالاستمتاع والترفيه عن النفس بعد أيام من العمل الطويل والمرهق. وفي تلك السهرات يحضر عرب من كل الأديان وتتنوع الألبسة بين سيدات يلبسن بطريقة محفظة وأخريات معتدلات وبعضهن وبالغات في العري والماكياج. المساحة الشخصية وخيارات لا تضر بأحد ما دام هناك حدود لكل فرد.

كانون الثاني 2013 ، تورنتو



2

الكتابة من حضن الأمومة شعراً وسرديات

نقلة مهمة قامت بها رنا التونسي حين وسعت في هذه المبادرة إلى تحريك رقعة الكتابة الأنثوية الأمومية الرائدة. طلبت منها كلمات تجارب تخص شؤون الأم الكاتبة وعلاقتها مع الأولاد والأم والأب وطريقة انتماها إلى نفسها ومجتمعها أو مدى انسلاخها عن الخط العام.

شاركت في "ديوان الأمومة" ١٦ كاتبة عربية يقمن داخل الوطن العربي وخارجـه. وهن: مرام المصري، هدى حسين، سمر دياب مثال الشيخ، رنيم صاهر، سميرة البوزيدي، مايا أبو الحيات، ورجاء غانم، عزة حسين، هدى عمران، مروة أبو ضيف، سها السباعي، سارة عابدين، سهى زكي، أميمة عبد الشافي، كاتبة هذه السطور جاكلين سلام ورنا التونسي محررة كتاب "ديوان الأمومة" حيث يجتمع فيه نسق من العلاقات المتباينة والمتقطعة من سيرة المرأة العربية الكاتبة في هذه الحقبة المعاصرة والجيل الجديد.

الكتابة والعمل في المهجـر الكندي

أذكر أنني تأخرت كالعادة في إيداع الشهادة في وقت قصير كما طلبت صديقتي الشاعرة المصرية رنا التونسي. كانت فترة عمل عصيرة وشائكة روحياً ونفسياً وعملياً بالنسبة لي. كنت أشتغل حينها مترجمة للسوريين القادمين كلاجئين إلى كندا للاستقرار وذلك في نهايات عام ٢٠١٥ وبداية ٢٠١٦. كنت أعمل ساعات طويلة في مطار تورonto الدولي وأتعرف على وجوه اللاجئات واللاجئين السوريين القادمين من مخيمات وبيوت مهجرة مهدمـة. تجربة مدهشـة وعميقـة. كنت أشعر بالذهول وأنا أرى أمهـات صغيرـات جداً في السن ولديـهن عدد كبير من الأطفال الصغار. كنت أصاب بالصدمة والحزـن

وأنا أشهد أن بعض الأمـهـات الشـابـات لا يـعـرـفـن حتـى كـاتـبـة اسمـهـن بـالـلـغـةـ العـرـبـيـةـ فـكـيفـ بـالـاـنـكـلـيـزـيـةـ. نـسـاءـ خـرـجـنـ مـنـ القـرـيـةـ، مـنـ الـحـقـلـ، مـنـ الـخـيـمـةـ وـالـعـتـمـةـ إـلـىـ كـنـدـاـ. وـكـانـ هـنـاكـ بـالـطـبعـ نـسـاءـ يـحـمـلـ الشـهـادـاتـ الـعـلـمـيـةـ

والأدبية العالمية. كن يحملن حقائب وذاكرة وغبار البلد، سوريا. ولا شك يخفين ركامًا من الخوف والعنف والصدمات والذهول.

كان عملي مرهاً نفسياً وذهنياً. مع ذلك أقطعت الوقت من ساعات العمل والبيت في بداية عام ٢٠١٦ لأكتب عن علاقتي بالامومة ابداعياً وعلقتي بالأهل والبيت السوري الأول، وعن عشقِي وعن ابني الوحيد سلام وعن علاقتي بالبيت الكندي.

الانتماء للشعر وللحلم

حين عشقَ الرجل الذي تزوجته وكانت طالبة في كلية الهندسة الكهربائية في جامعة حلب، كتبت في دفتر المذكرات الذي أهداه لي رسالة فيها رغبة حارة في أن أصبح أما لطفيين، نسمى الأول سلام، تشبثاً بحلمنا في السلام، والطفولة سيكون اسمها مايا. لم أكن أكتب للنشر في حينها. لم يبق من كل مذكراتي شيء إلا قصاصات صغيرة وأحرقباقي واندثر. كنت قارئة نهمة قبل أن تكون كاتبة أو أصبح أما. تذلل الأوراق ولا يبقى من فصول الروح والجسد إلا العشق الأمومي الذي يحتضن العالم ومن هنا كانت كتاباتي عن "المحبرة" كما لو أنها الحاضنة الأمومية التي تحتوي العالم بأسره، وتعرف كل متناقصاته وتسميتها موارةً مرة وبجرأةً مرة أخرى.

حين تزوجت وأنجبت طفلَي الأول بعد عدة سنوات من التأجيل المتعمد، صار عندي سلام. وكانت تلك اللحظة الخالدة الباقية إلى الأبد في ذهني، صورة وليدي بين يدي، أتأمل وجهه الأبيض الملائكي صباح الأول من أيار ١٩٨٧ في مشفى حمص الوطني في الصباح الباكر. جاء الولد -الحلم، ونامت في حضني القصيدة التي لم أكتبها، القصيدة التي أعجز عن كتابتها، القصيدة التي صارت تمشي على الأرض وتبكى وتحبُّ وتأكل وتغضب وتغيب عن البيت وعنِي. لم أكتب الأمومة حتى الآن رغم وعيِّي بأن المرأة الكاتبة تأخرت لم تلتقط بعد وبشكل إبداعي لصوت الأمومة ولملابساتها.

نحن النساء، ما زلنا نكتب المواضيع التي يتطرق إليها الرجل رغم ادعائنا التحرر من سلطة الرجل ومن إملاءات الثقافة العربية التي تفرض القيود المادية والعنوية على ذهن المرأة المبدعة، والأفراد عموماً. لم أنجب الطفلة التي كنا نحلم بها. كانت الظروف تفرض علينا بعض الانتقال. كنا مازلنا نبحث عن استقرار مادي وظرف انساني جميل نستطيع من خلاله العناية بالأطفال كما يليق بالحلم الشعري العالي. تعثرنا، ولم تكن الظروف مواتية. هجرنا سوريا إلى كندا، بدأنا رحلة الصراع مع كندا، المكان الجديد، فررت أنا أجيء من جديد. صار لي خمس ولادات هي المجموعات الشعرية التي أشعر أنها كتبت بخلط من الروح والدم والنفس خلال الطواف بالعالم داخلاً وخارجًا، شرقاً وغرباً.

جعلت من قصيديتِي ابنة وأما وصديقة لي. كانت الكتابة والشعر الملاذ الذي يقيني من أوجاع الغربة

والمنفى. تعرضت علاقتي الزوجية للارتباك والفشل والافتراق. رحل والد ابني والرجل الذي كان حبيبي مصاباً بالسرطان وهو معبأ بالآلام الشابة والأمنيات التي لم تتحقق. بدأت النشر على نطاق واسع في كندا وباسم جاكلين سلام. سلام اسم ابني الوحيد وليس اسم عائلتي. اسم

الأصل: جاكلين هنا. صار انتقامي لاسم الابن الذي أنجبته هو القصيدة والأمومة في تجليات لها أكثر من تفسير معنى. وهذا ما أغضب والدي قليلاً ثم تناسينا الموضوع أو انشغلا بالحياة وتفاصيلها اليومية. حين هاجرنا إلى كندا بدأ ابني وأنا نعلم اللغة الانكليزية. اكتسبت أنا لغة جديدة قوية أشتغل بها يومياً وأكتب لقمة عيشي من خلالها مترجمة فورية وتحريرية. أما سلام فبدأ ينسى الكتابة القراءة التي تعلمتها في سوريا حين كان صغيراً. ما يزال يتكلم العربية بطلاقة لكنه لا يقرأ إلا القليل وبصعوبة.

رغم عدم إطلاع على ما أكتب بالعربية إلا أنه فخور دوماً بكوني كاتبة، ويشجعني كثيراً لمجرد معرفته بأن محور رهوي وبهجهتي هو الكتابة والشعر. أحياناً أقرأ له بصوتي بعض النصوص فيفرح بها. في عام ٢٠١٣ تم تكريمي في كندا كشخصية أدبية مميزة في حقل الكتابة الإبداعية والشعرية، وكنت تواقة أن يكون ابني إلى جواري في حفل التكريم. بل يدخلني بل كان فخوراً وسعيداً. فيما خذلني أغلب الأصدقاء الذين أعرفهم هنا. على قاتلهم - ولم يتتكلف أحدهم عناء الحضور والمشاركة في فرحي آنذاك. كان الفصل شتاءً وعاصفة ثلجية تقطع أوصال المدينة الباردة في ذلك اليوم.

العلاقة بالأسرة والكلمات المكتوبة

أنا امرأة لا تقرأني أمي لأنها لا تقرأ ولا تكتب. لا يقرأني ابني، ولا يقرأني أبي ولا يقرأني الأصدقاء الكنديون، ولا يقرأني الكثيرون من الأصدقاء الذين تركتهم في سوريا. أمي كانت تعتقد أنها نقرأ ونكتب كي نحصل على تعليم جامعي ويتوقف ذلك بالزواج على حساب الزواج وانجاب الأطفال.

حين كنت أتصفح هاتيفياً بأبي الذي يعيش في سوريا، كان يسألني: متى ستنتهي من الكتابة؟ هو يعتقد أنها مشروع قصير أتسلى به لأجل قصیر. ابتسم وأجيبه : هذا مشروع الحياة كلها يا أبي. لولا الكتابة لسقطت في الخيبة ولاتكسرت بألف صورة. كانت الكتابة خلاصاً وأما وأباً وحضناً ووطناً بديلاً. أصبح لدى الآن خمس مجموعات شعرية غالياً على قلبي ومنات المقالات والترجمات، والبحوث وما إليه من ترجمات إلى العربية ووجهات النظر في أمور اجتماعية وثقافية بما ذلك علاقة المرأة والمجتمع وبالابداع. هذا النتاج الأدبي لا يقرأ الأهل. وهذه الغربة ربما تتيح لي مساحة من الحرية بحيث أكتب ما أريد دون الالتفات إلى رد الفعل الذي قد يصدر عن أي كان. أكتب ولكن الرفيق هو الناشر العربي الذي يعرض على كل كلمة خارجة عن التقاليد والقاعدة العامة التي لا إبداع فيها.

بتصوري أنني كأمراة ما زلت أسيرة الموروث الاجتماعي ولم أكسر التابوهات كما يليق بقصيدة امرأة في القرن ٢١. أرى الحاضر متزماً وأسود وبوضع الاقمعة والحجاب على الكلمات. لي أمل، في الأيام القادمة وحين أصبح امرأة حرّة كما أريد سأكتب قصيدة عن حلمة الثدي، عن ألم الرضاعة الأولى، عن آلام فطام الطفل عن الإرضاع. سأكتب عن آلام العادة الشهرية ومشاكلها، سأكتب عن الجسد الذي عشق وحمل وأنجب وعاش مخاضات الأذمنة كلها. سأكتب ولن يقرأني من أحببته بهذه اللغة أو تلك. سأكتب وأؤمن بأن في هذا العالم توق لأن نذهب بعيداً في اجترار الجمال وكشفه بلغة الأنثى الأولى والتالية. وهذا امتحان

المرأة الشاعرة الراغبة في التجديد.

النساء ينجن الأطفال ويصبحن أمهات ببولوجيات، ويكتبن نصوصا عاقدا، جدباء الرحم. أمهات يكتبن عن دورة القمر ونجوم الليل ونجوم الظهيرة ويبعدن أميلاً عن حلمة الثدي المشقة التي تنزف دماً وهي تصر أن تلقمها لوليدتها كي يشع. يكتبن عن رومانسيات غابرة ويترفعن عن الخوض في إشكاليات التواصل بين الأم والبنت والإبن والأسرة.

الكتابة الإبداعية في حقل الجسد الأنثوي تحتاج إلى شعرية وبعد نوراني، وعمق ورهافة كي تعانق الروح في أعلى تجلياتها دون أن تسقط في الابتذال والارتجال بعيداً عن جوهر المخيلة القصصية والشعرية.

المسافة بين الوالدين والأولاد وبين الشاعرة والنص

لم تتغير علاقتي مع الوالدين والولد بسبب الكتابة. علاقتي حميمة مع أمي وأبي، والمسافات التي تفصل بيننا حرمتنا كلنا من مراقبة التطورات عن كثب. في طفولتي ومراهاقتني كنت ابنة خجولة ومطيعة وأعمل على إرضاء الأهل دون مشاكل، وفي نفس الوقت لم أفعل إلا ما أر غب به كاختيار شريك حياتي، والفرع الجامعي الذي أر غب به، ومن ثم كان لي دوماً مساحة حرية لا أسمح لهم باختراقها. كنت أصمث وأفعل ما يروق لي وما زلتُ أفعل ذلك حتى الآن. يؤلمني أنتا سنمتوت جميعاً ونحن عطاشى لمعرفة بعضنا البعض.

أبي رجل قلماً يتكلم عن طفولته التي كانت موجعة، إذ عاش يتيماً الوالدين. أمي تزوجت وهي صغيرة السن وحملت أعباء أسرة من 7 أولاد وزوج. لم تقرأ لكنها فنانة في الخياطة والتطرير والمحبة التي تشرق من روجها الطفلة. أمي - تخجاً طفولتها في صدرها وتنام وشعرها الأبيض يحلم بيدي التي تمسحه بحب وحنان.

يد أبي الخشنة الوديعة، ما تزال تقطف لي حبات الرمان من حديقة الدار وتخبئها لي في الشتاء. يده التي تقطف العنبر والتبغ وتصنع الزبيب لنا ما تزال خاوية تلوح لي عند الوداع بصمت الأب الجليل الواقف كجبل يكتم في داخله سيرة لم نسمعها منه بعد. أنا وأبي نحب الجلوس في حديقة البيت صباحاً وعند المغيب. أنا أقرأ كتاباً وهو يعزق الحشائش بين مشاتل الورد الذي تزرعه أمي وتزين أعمارنا والأفق بالعقب والعطر. معاً، كنا نقرأ الأفق والحدائق والغيمة وسنابل الحنطة. هم يزرون قصائد وأنا أقف لها وأعتد لها في

ماء المحبرة وأعطيتها اسماء، يكمل سيرتهم في روحي.

والديّ قصادي التي ستكتب يوماً بدون مثالية. علاقتنا بالأهل مشوبة بالمواقع والأسرار وما زلنا نكتم عن بعضنا، الغصات الحقيقة.

الأمومة كتاب الحياة الأولى والتالية. الكتاب أمنا الأزلية والمحبرة الحافلة بالأسرار حين أكتب أنسى أنتي أم، وأنسى أمي وابي. وأنسى أنتي ابنة، وأننى كنت زوجة. أكتب نسياني وسهوي وبحثي عن نقصاني ذاتي. أكتب ما يعترني من نقصان ومخاوف أرزع تحتها كأمراً مهاجرة، وحيدة، عديدة، تحب الحب وتعيش الاغتراب الروحي والوجودي والجغرافي عن وجوه الحب وال العلاقات الاجتماعية. أكتب كأمراً غريبة وفي كل سطر تحاول أن تكون صورة أعلى من الواقع وأكثر إشراقاً من المرحلة المرتبكة المعاشرة.

الالم والفرح، وجها القصيدة، ستكتبهما امرأة اسمها أخرى قادمة من حلمي، وقد يكون اسمها "مايا" أو سناء، أو مهجة. ستكتب المرأة الجديدة ما فاتنا نحن من شاعرية وحرية. سيقرأ آباء لا نعرفهم تلك القصائد، وسيقرأ الأبناء الجدد سيرة الأمهات والأباء والمنفى والوطن الذي تلتهمه الحروب.

كل النساء أمهات سواء أنجبن أطفالاً أو لا. الأمهات لسن قديسات على الدوام. الأمهات الكاتبات لسن دوماً شاعرات متمدنات. التغيير البيولوجي الذي يطرأ على جسد المرأة وروحها في مراحل الحمل والانجاب والرضاعة وما بعد، لا يقترب بالنصوح دوماً في الفكر والمعاملة الاجتماعية وتتبادل الأدوار بين الأمهات والأبناء. هذه الخلية الأسرية ما تزال بحاجة إلى بحث جاد ونقد قوي. بعض الأمهات والأباء دكتاتوريات تعيش تحت جلدنا وتفرض قائمة من المحظورات بطريقة مختلفة.

الأمومة احتضان للعالم وضماد لأوجاعه. الأمومة، سلطة وجهل حين تعتقد المرأة أن العالم الذي كان من صلبها، خرج عن إرادتها، ويحاول قتلها لذلك يجب أن تسيطر عليه بعنف مضاد. الأمومة، شجرة تعطي الظل والثمر والجمال وتتفق هناك في أعلى الجبل، وتموت وحيدة إن لم يمر بها الآخر ليسريج، ليراها، ليرعاها بشغاف القلب. الأمومة كتاب الحياة الأولى والتالية. الكتاب أمنا الأولى والباقية حين نرحل ويبقى الخبر والاثر.

عن الحب وقصيدة النثر. القراءات الأولى والكتابة

المخيلة رحم القصيدة ولا قرار لها. سيرة الشعر كما الحب من أعمال الروح لا تخضع لثوابت ومقاييس. الحديث عن خياراتي في الكتابة ملتبس ويتقطع مع خياراتي في الحب والتي لا تفسر بدقة وموضوعية إلا

بالقدر الذي أحياه شخصياً أن أحد المنطقات والتأويلات.
كيف وقعت في شباك وغرام القصيدة وذهبت إليها برغبة وشغف؟
 فلاش باك: أبي فلاخ نشيط، أمي خياطة فنانة لا علاقة لي بأجواء المثقفين، لا أصدقاء يتحدثون عن الكتابة وعن الكتب بشكل عام، فما الذي جعلني أقرأ طلامس السريالية وفلسفتها وأشبط بقلم الرصاص تحت الكلمات والسطور وكأنني أبحث عن ثروة، عن كنز مفقود؟

الوقوف على شباك الذكرة اليوم يأخذني إلى بيتنا في المالكية لاستعيد بعض الصور وأنا في مرحلة الدراسة الثانوية. أجذبني ذاهبة إلى أول معرض كتاب أحضره في صالة المركز الثقافي وأشتري بعض الكتب. الكتاب الأول وهو الآن على طاولتي بعنوان "بيانات السوريالية" /أندريه بروتون/ ترجمة صلاح برمدا/السعر ٣٥٠ قرش. سوري). الكتاب الثاني بعنوان "فلسفة السوريالية" والكتاب الثالث عن الآثار والتاريخ بعنوان "إيلا منعطف التاريخ" فأي حكمة في هذا الخيار وهل كان مفتاحاً لدخول المتأهة وعوالم قصيدة النثر؟
لم ينقطع عشقى للكتابات الأثرية والآثار وأساطير الشعوب، لم تأخذ كلماتي قالباً محدوداً ومجرياً كوصفة جاهزة لاختبارات الروح والذهن والمخيّلة التي لا ترتئن لمقياس.
بعدها كانت المرحلة الجامعية والإنتقال للدراسة في مدينة حلب، كلية الهندسة الكهربائية، بداية الثمانينات، وهناك

كان الحراك الثقافي طبيعياً وسط الطلبة من جميع الجهات والاتجاهات الفكرية والفلسفية والأدبية. وكان البحث والطعش إلى المعرفة معرفة الذات والمجتمع. وكان الحب. كان العشق إلى جانب الخصام والجدل الذي لا ينتهي حول فلسفة المادة التاريخية، فلسفة السريالية، الفن لأجل الفن، الفن لأجل الشعب. وهذه حالة لمسها أي مثقف(ة) سوري في تلك المرحلة. كان هناك رفض للشكل الجديد من الكتابة المسممة قصيدة النثر، رفض لمدارس الفن والرسم الحديثة، رفض للحداثة والكتابة خارج إطار الواقعية الاشتراكية.

كنت أستمتع بقراءة الشعر النثر والسرد ورأونه الأدب العالمي المترجم. هذا وأنا في طور البحث والإطلاع والكتابية بصفتي في دفاتري الخاصة التي لم يطلع عليها إلا أقرب الصديقات والأصدقاء. أنا أيضاً لم أكن أعرف ما هيأة ما أكتب. اليوم أقرأ وأكتب عن الأدب الكندي وقصائد الهنود الحمر-سكان كندا الأوائل، ونصوص الأفارقة في كندا وأمريكا. وهذا عالم خصب يجدد علاقتي بالكتابة والقراءة.

كانت قصيدة النثر الخيار الأول ، وهي حالة تشبع روح تلك الفتاة التي بدأت تمارس حرياتها الصغيرة وخياراتها في الحياة. كان ذلك مترافقاً مع تغيرات مرافقة في وسائل العمل والآليات. انتقل الفلاحون من مرحلة الحصاد بالمنجل، إلى استخدام الآلة الحاصدة. حل التلفزيون الملون محل التلفزيون الأبيض والأسود. كان الجينز الضيق موضة وخياراً، وكانت سعيدة أن أقص شعرى قصيراً وأنمرد على تلك الصفيرة الطويلة، رغم أن أبي لم يعجبه قص الشعر. أعتقد أن أمي لم تقصد شعرها طوال عمرها، بل كانت تصفره وتجمعه مثل "الكعكة" وتبته بالدبابيس إلى الخلف. وفي ذلك الوقت كنت قد بدأت أتنزع الأقراط الذهبية

التي وضعوها في أنني منذ الولادة، رغم أنها كانت ناعمة وحلوة، مصممة على شكل وردة وفي داخلها فص أزرق. كم أتمنى لو أتنى احتفظ بها.

ما علاقة هذا بخيارات قصيدة النثر أو التفعيلة أو الموزون؟ بالنسبة لي الصلة قائمة في العمق.

أشتغل في قصيدي على امتداد خريطة محاورها الحب والجمال والإنسان، وقصيدة النثر لا تدخل على عشاقيها بهذه الروح والأريحية.

قصيدة النثر والحب شريكان لي في هذا الوجود وبهما إكمل نقصاني، وأزيح قناعاً عن نواقصي، وبهما أجمل وأترzin للحياة القادمة، للفرج المستتر خلف خيوط النصوص المحبوبة بكل ألوان النهار والليل.

الشعر حاضنة الخلق. الحلم رفيق الشعراء وهم في طريقهم إلى الهاوية أريد للشعر أن يصبح مكنسة. أريد للشعر أن يكون الرئة التي توفر لنا الأكسجين حين يتلوث العالم. أريد للشعر أن يصبح السلم الذي يصلني إلى ذاتي، ويصلني إليك. بالشعر أصدع فوق عثراتي. لا يمكن للإنسان أن يعيش بدون مكنسة تزيل الغبار وتؤمن له حيزاً نظيفاً. لا يستطيع الإنسان أن يستنقى عن التنفس وعن الصعود والتزول والذهاب إلى الأمكنة السرية وال العامة. جوهر الشعر والحاجة إليه مرتبطة بوجود الإنسان، بغض النظر عن كل أشكال السلطة والهيمنة والإبتزاز. البشرية منذ البدء في مأزق ما بين الجمالي والجوهرى والاستهلاكي. الشعر منذ البدء، هو وجهنا الذي نحاول أن نرسمه، أن ننتصر له، أن نتمرد عليه.

أحياناً نسطو عليه بأنفسنا، أحياناً نترك له أن يهيمن علينا، وفي كل الأحيان يدرك الشاعر بأنه في لحظة كتابة الشعر وبعد الكتابة، ليس هو الكائن الذي كان قبلها. فلا خوف على الشعر إلا من الإنسان الذي يفقد صفات الإنسانية وبأخذه عشق السلاح والقتل المجاني. لا خوف على الشعر من الفنون الأخرى، سواء أكانت سرداً أو صورة أو فوغرافية. إنها فنون تردد نهر الاحتياجات الروحية وتنعم العالم مذاقاً لا يعرفه إلا من نهل من هذا المعين. لكل فن من هذه الفنون، نكهته وجمهوره، أدواته وأساليب تعبيره.

نحن بحاجة إلى قارئ الشعر المفتون بالسحر الكامن والمعلن. النص يتيم دون قارنه اللد.

لا بأس أن نحلم بالقراء الجدد. الحلم رفيق الشعراء حتى وإن كانوا في طريقهم إلى الهاوية أو السماء السابعة. الشعر تمرىء على التنفس من رئة الكون حين يشحّ الأكسجين. وقد تكمّن ضرورته في أنه السلم الذي أصنعه بالكلمات لأصل إلى قلب المجهول، قلب أيها القارئ. وربما رحلة خارج الذات والزمان والمكان، متجاوزة الحالة الفردية الشخصية إلى نقائها. يليق بالشعر أن يصبح جبهتي المتبقية لصنع الجمال والحب في عالم تكثر فيه مبيدات الإنسان. أو لا أدرى لماذا لطيفة أعيشها وأبحث عن عشاقها. وجذبني أكتب الشعر كي أبقى قريبة من حلمي الذي يضيع ويهمّ في خراب هذا العالم. القصيدة صديقة

النقسان، والدليل إلى ما يغتني وما يفيض عن حلمي الباذخ. أريد للقصيدة أن تهمس في قلب القارئ بعضاً من أسراري التي لم أكتبها حرفاً على الورقة البيضاء أو في قلب الملف الإلكتروني. للقصيدة عناها الموج الموج الرهيف والمخداع، فافتتح لها باب روحك عزيزي القارئ لأنها بك تستعيد الحياة وتتجدد. أريد للشعر أن يصبح مكنسة أيضاً.

نبحر بكلماتنا لنقيم للأيام عيداً باسم الشعر. ننغم في دروب الحياة التي تستحق الجميل الباهر، وأحياناً نصاب بالعمى ونتعرّض في الطريق إلى الشعر.

المحبرة أنشى والكلام ناقص

ما تكتبه النساء من خصوصية يمكن فقط في الإضافات المختلفة التي يطرحها النص كونه يعكس طريقة الكاتبة (المرأة) في النظر إلى ذاتها والعالم، بعد أن تعودنا أن نلتقي ما يكتبه الرجل أغلب الأحيان عن ذاته والعالم والمرأة.

لم يعد ممكناً سحب البساط من تحت أقدام الشاعرة، إذ أنسست موطئ قدم الوقت كفيل بأن ترصع كائناتها - قصائدتها لتزيين عنق الوجود بما يليق به. ورغم هذا التقدم النسبي الذي نشهده إلا أننا ما زلنا بحاجة إلى انتفاضة نسوية أدبية لنعيد إلى عشتار صوتها وصورتها الخلابة.

فعل الخلق الشعري يستدعي أقصى الاشتباك مع الذات ومع الواقع بكل تفاصيله، قبيحه وجميله، بؤسه وأبيضه ، وكلما امتلكنا حيزاً أوسع من القدرة على النظر والتعبير وبلا طائفـة واسعة من المحظورات غدت القصيدة كيـاً أضـجـ، ليس هو الواقع وليس منفصـماً عنـهـ.

وكذلك الذات الفردية ليست إلا جـزـءـ من ذـاـكـرـةـ جـمـعـيـةـ كـوـنـيـةـ، وما الفـردـ فيـ النـهاـيـةـ إـلاـ حـجـراـ صـغـيرـاـ أوـ وـرـدةـ فيـ

عروة هذا الكون، وكذا القصيدة.

هذا نحن ومجتمع يسوده النظام الابوي، كان وما يزال يلعب الدور الكبير في تهميش وحجر النساء بعيداً عن النشاط الفاعل وعن الكتابة تحديداً لأنها تستدعي أقصى الانطلاق والاشتراك مع الذات والعالم ومفاهيمه، وفي المقابل نجدنا ازاء شرعية وراثية لامتلاك المرأة وملكاتها، ما بين الأب والأخ والزوج وقد يصار ذلك الى الولد ايضاً.

لعل التجربة العيانية وشوادر من حياتنا اليومية تضمن بلا شك امام العثرات في مجتمعنا . اذكر عندما كنت صغيرة كانت أمي دوماً تردد علينا " ادرسوا، عليكم بالتحصيل العلمي العالي، انها نعمة لا تدركون قيمتها الآن ، والله لو كان جدكم(رحمه الله) سمح لي بالتعلم لأصبحت كاتبة! ضحكت مرة وقلت لها : أمي لماذا كنت ستكفين؟ تابعت أشغالها بحياة شالات صوفية لنا ومطرزات فنية تزين اركان البيت.

الإبداع والقيود

فعل الخلق الشعري يتطلب من المبدعة التعري من القيود والرقابات بفعلها اللامساني لتتمكن من ملامسة هواجسها وجسدها وروحها وخيالها وابداع ذلك كلّه على بياض الورق وفي مواجهة العالم لتنجب قصيدة جديدة. للاسف نكتب احياناً ونخاف ان نخوض الحياة، ان نخوض الخراب، ان نخوض القبيلة، ان نخوض السلطان او حفيده، ان نخوض الزوج او الاب او الصديق، ان نخوض الورق، ان نخوض الدين، فنظفر بكم مرعب من الندب المتقرحة والمستوره بعنایة او ارتباك في جسد القصيدة او في قعر الروح.

طقوس القصيدة والمرأة الغابة

كيف ومتى أكتبها-أينني القصيدة؟

في الطريق إلى القصيدة يختلط الحاضر، بالماضي والمستقبل.

قبل أن تصلك الكاتبة- إلى عتبة المحبرة لنعد قصيدة أخرى وتعطها اسمـاً وتاريـاً وجغرافية، أراها تستسلم لنداء جهول. تستقلّقط القطار ولا تدري إلى أين، تقرأ القصائد المعلقة على وجوه المسافرين، تسترقّ النظر إلى س酣اتهم وما وراء النظارات. تدخل في ذاكرتها، تنبشها، تكتب على الهواء، تتسم أحياناً وتغضّ أحياناً. في تلك اللحظات الخاطفة تجمع مؤنّتها الشعرية، حين يدها في جيبيها وروحها في كلّ مكان تكتب بصمت ومضة ولا تكتب شيئاً قبل أن تكتب الومضة الأولى للقصيدة، تراها في حديقة مجاورة تمشي بلا دليل ولا غاية. ترك الجمال الباذخ في تلك الشعاب وتتزوي لتسامر تلك الشجرة العتيقة الضخمة المقطوعة وخذعها المتثني. تجلس بين الأخشاب- بقايا الشجرة، تلتقط المشهد صوراً فوتografية، وتطلب من الرجل العابر وصديقه أن يلتقطا لها الصورة. تسألها المرأة "لماذا تأخذين صورة هنا تحديداً؟" تجيب: لدى مشروع عن الأشجار الكندية يتداولون الابتسamas والأمانى، ينصرفون

تنصت إلى ألحان الطيور على الشجرة المقطوعة، والطيور على ربيع الشجرة المجاورة. تحاول أن تقع على الفاصل الشعري ما بين الحالتين والأغنتين. ما بين الغربة والجذور والاجتثاث والبقاء الذي يتواصل. تكتب الوصلة بذهول صامت. تعود وفي حقيقتها أجزاء من لقاء تلك الشجرة ومحملات أخرى براها الآخرون فيضحكون في سرهم.

القصيدة الواحدة تنسع لغاية.

قبل أن تصل إلى تلك اللحظة - الوصلة، تجمع في دفترها أقوال المجانين. كلمات السكارى، صور العناق في المقهى، في الشارع العام وعلى شاطئ البحر.

تشاهد ما يحدث في نشرات الأخبار والصحيفة. كثيراً ما تأخذ الأحداث عن الكتاب الذي تقرأه. الحدوث الذهنى الأول ومضة تحدث في الرأس بصمت. تحدث في الواقع وتحدث في المخيلة. البئر التي قلما تتذكر مسابق ووضعت فيه من صور واعترافات.

تخرّب، تتأمل غدّها في غيابهم، وحضورهم. لكل حالة برقةها وذاكرتها، سقوطها، انتصارها وكومة أسرار مقطوعة.

الشعر يرميهَا في أقصى العتمات وخلف موائد اللذة والألم والنور، ثم يمضي. في تلك اللحظة، يختلط كل ما سبق ويتحول الشريط الذهني إلى أبجدية قد تضحك، قد ترتعش من البرد، من العشق من الخوف. ترتعش في عزلة الشعر. تتحول بجسدها وحسها وروحها، لنصبح الحديقة والقطار والمسافرين والأعشاب البرية، الضارة والنافعة وتتصبح الحب والمكان والأزمنة.

الفاعل مجھول اسمه الشعر ينهر قيلولتها، يوقدّها من سريرها ويحلّ بها. فتكتب شذرة وتجزء عن لمحة ما تبقى. يأخذها من كتابها المدرسي، يخطفها، يتسلط ويملّى ويبلو كيمياء الحياة بمقادير أخرى، يسمونها في الشعر الحديث "ومضة". الجسد يشهد هذه التحوّلات. الوصلة لحظة انبعاث الجسد ليصير كلمات يعدها الخبر.

يتبلور زخم الوعي المخزون ليقف على عتبة اللاوعي ويكتب السطر الأول والتالي. ما بعد الوصلة، الفاعل المجهول يصبح أليفاً حنوناً طيباً، يقبل المساومة والتغيير والتتفاوض. تتبدل موقع السلطة حتى التلاشى والانصهار الآلif. يعتدل مزاج الكلمة وتختفت عاصفتها وجموحها وتأخذ الزمان والمكان المقرر في النص الشعري. إنها مرحلة العرق والتشدّب. وقد تكتفي بعزلتها لفترة قبل أن تذهب إلى القارئ في دائرة أوسع ويعاد تشكيّلها كومضة جديدة في دائرة المجهول.

الوصلة، امتداد وانسياق لا ينفصل عن اللحظة التي يقرأني فيها وجه مجھول ويعيد تشكيل الحالة بينه وبيني والكلمات، فيختار أن يسامرني في ظلال الكلمات أو يغادر على عجل.

أيها الشعر، كم وهبتك من نفسي!

في هذه اللحظة من الليل حيث العاصفة الثلجية تقطع شوارع تورنتو، والبرد يحتل الفضاء، أكتب لوحدي ولا من أم ولا أب ولا أخ ولا ابنة في جواري في المدينة هذا الفصل في كندا باسّرها. لا أحد لي. وأقول أنني لست وحيدة ولست حزينة. ولا أدرى ما الذي كان سيكون عليه مصيري لو لم يكن هناك هاجس التحلّيق في

نص جديد إلى هناك، إلى قلب القارئة المجهولة التي هي ابنتي وأمي وأختي. الشعر بساط الريح حيث يعانق قلبي وجه القارئ الغريب البعيد.

شهادة كتبها حين دعيت للمشاركة في كتابة شهادة عن تجربتي مع الكتابة كامرأة وأم من قبل الشاعرة المصرية رنا التونسي التي أشرفت على تحرير كتاب حول هذا الموضوع. صدر الكتاب بعنوان "ديوان الأمومة" عن دار "ميريت" في مصر صيف ٢٠١٦.



تأملات في مترو تورنتو... الكلاب وأنا

يشكل المترو (القطار عبر الانفاق وفوقها) عصب التنقلات في مدينة تورنتو الكندية التي تعد واحدة من أكبر مدن العالم. شخصياً أستخدم المترو للذهاب إلى العمل. أحياناً أقرأ الكتاب الذي في يدي، وأحياناً أقرأ وجوه العابرين. أحياناً أكتب الشخصيات والمواقف في دفتر الملاحظات. هنا بعض أحوال مترو المدينة التي يعيش فيها خلط شرقي متنوع من كل الألوان والأحاسيس.

خرجت مرة في الصباح الباكر وكنت على موعد للذهاب للترجمة الفورية لوزراء كنديين سيتحدثون عن تجربة استقدام اللاجئين السوريين إلى كندا. لبست ثيابي الرسمية وفي منتصف الطريق إلى مكان انعقاد المؤتمر، توقف المترو لعلٍ ما. اختنقْتُ. لم أستطع الخروج من النفق. حين تدبرنا طريقاً للخروج، استقللت سيارة أجرة، كانت عشرات الرسائل الصوتية قد وصلتني من مكتب العمل يسألون عن تأخر المترجمة. حين وصلت إلى المكان، دقائق فقط أمامي كي أرثب شعرى وأشرب الماء، ثم قُبِّلَت إلى الوزيرة والشخصيات التي ستلقى خطاباً سأقوف بترجمته مباشرةً في حضور عدد كبير من القوات التلفزيونية الكندية. أثناء إلقاء الخطابات عن دور كندا الإنساني حيال مساعدة اللاجئين وتقديم فرص العمل لهم، كنت أقول في نفسي: أنا سورية - كندية ومن الممكن أن أتضليل لو توقف المترو في ساعة حرجة. المترو واللغة وسيلتان للوصول إلى مكان والعبور إلى الطرف الآخر.

الكلاب أيضاً تستقل مترو تورنتو: حين تكون برفقة كلب وتستقل عربة في المترو، ستحظى بكل الاهتمام من الركاب. إنهم يداعبون الكلاب ويتحدثون مع مالكيها بود شديد. ذات مرة كانت سيدة بجواري تحمل في حضنها كلباً صغيراً وسيماً. الشاب في الكرسي المقابل، صار يداعب الكلب ويقول للسيدة: «لكلبك شخصية مميزة، أعجبني كلبك» نظرت إله الكلب بعين فاحصة وفي داخله مشاعر متناقضه. مرات كثيرة أرى امرأة تجلس في

مقدد في المترو، تبكي ولا أحد يلتفت إليها.

في ساعات الازدحام الشديد، أركض بين الجموع كي أصل إلى المترو وكلّي أمل أن أجد مقعداً. حين أصاب بالخيبة أبداً بتصفح عناوين الكتب التي يقرؤها العابرون إلى قلب المدينة. وأسترق النظر إلى وجوه الأشخاص. بعضهم ينام وبعدهم يأكل. أقرأ الوجوه ككتاب وأدون الملحوظات أحياناً. العالم محصور في عربة أمامي، أتمنى لو أكتب المغارات والصور.

ينام الشحاذون في المترو أحياناً. يصحبون معهم أكياساً كبيرة تفوح منها رائحة عفنة. راحتهم أيضاً تنتشر في المقطرورة. أحياناً غير مكاني كي أبعد من مصدر الرائحة.

*

في المناطق المكشوفة في المترو يتناهى إلى سمعي المحادثات التليفونية الخاصة. أسرار تصلك بالعربية والإنجليزية. أبتسم وأنا أستمع إلى امرأة عربية تشتكى من زوجها، أو العكس.

يحدث أن انفعس في قراءة رواية وأجتاز المحطة التي سائز فيها، حينها أعن الكاتب وأبدأ بتأليف كذبة مناسبة عن سبب تأخري عن العمل.

نشر في مجلة الفيصل السعودية ٢٠١٧



مشروع دراسة دماغ الإنسان وأعراض الزهايمر والخرف

حسب الإحصائيات المتقدمة نوعاً ما، يوجد حوالي 5 مليون شخص في العالم يعاني من أمراض ضعف الذاكرة والدماغ بما فيه الخرف أو العته. وبالتالي هناك الملايين التي لم تشخيص حالها ولكنها تعرف أنها تعاني بدرجة أو أخرى من مشاكل الذاكرة والنسيان. الشرق الأوسط يتكتم على مشاكل نفسية كثيرة وهناك نوع من العيب والعار فيما يخص حال الأسر التي بين أفرادها مشاكل عقلية ونفسية. في 31 آب (أو غشت) 2018 تم اختتام عرض مشروع مجسمات فنية تعطس صورة الدماغ وتتناول ما يخص الدماغ وأمراضه، كخلل الذاكرة، النسيان، الزهايمر، وكل ما يقع على هذا الخط البياني الذي يعني منه بشكل خاص المتقدون في العمر. هذا المشروع يشير إلى أن التقدم في العمر وفي أحوال صحية غير سليمة نفسياً وجسدياً قد تؤدي إلى احتلال أو تراجم في وظائف الدماغ وفعالياته اليومية العاديّة. والبحث ما يزال جار في هذا الحقل لأن احتلال الذاكرة. طبيعة عمل الدماغ ما تزال حقولاً يتطلب المزيد من البحث العلمي الجاد والمكلف مادياً. كان المشروع معروضاً في ساحة بلدية تورنونتو، وكانت أذهب هناك بعد أن أنهى عملي في الترجمة في أحد المكاتب التابعة للهجرة واللجوء. هذا المشروع الذي بدأ عرضة على التوالي منذ ثلاث سنوات في مدينة تورنونتو الكندية، يعرض هذا المجسمات في موقع عامّة وسط المدينة لفت انتباه الناس إلى هذا المرض. المجسمات الملونة تلفت انتباه المارة. وهناك روابط لجمع تبرعات لمتابعة الكشف عن خفايا هذه الأمراض التي كالسرطان ليس له علاج ناجع وكذلك الزهايمر وأمراض الاختلال العقلي وفقدان الذاكرة القصيرة المدى أو الطويلة المدى.

أسباب عدة تدخل في إطار احتلال الذاكرة والدماغ ومنها: الصدمات والخوف. الصدمات

الاجتماعية، الحروب، فقدان عزيز، فقدان كل شيء، فقدان كل ركائز الاستقرار، الكرامة والاحتياجات الإنسانية الاولية التي يوجهها الفرد سواء بسبب الحروب أو الاجهزة الانسانية او السياسي، او بسبب اللامبالاة الاجتماعية والقانونية، والعنف المعنزي، وما اليه من مجاهيل لا نعرفها..

* * *

الإحباط والأكتتاب والأمراض النفسية: أسباب هامة في اعتلال الذاكرة. إضافة إلى ذلك، أمراض القلب كارتفاع معدل الكوليستيرون والضغط العالي للدم وصدمات القلب والدماغ التي تسبب شح الأكسجين في الدماغ. فكلما تضيق الشرايين، قل الأكسجين، وحين يقل الأكسجين يفقد الدماغ بعض الخلايا التي تموت أو تخترب. وبناء عليه تقل مقدرة العقل على المحاكمة العقلية السليمة.

الترجمة في حالات المرض النفسي والاختلال العقلي:

الأمثلة عديدة ومولمة أغلب الأحيان. مرة كنت أعمل مع أسرة مهاجرة وكان لديهم أطفال معاقون عقلياً، وحصل أن قام الولد بضربي بحبل بلاستيكي على وجهي فيما أنا واقفة أترجم لوالدته ولموظفة رعاية وحماية الأطفال. تركت الصدمة والضربة آثاراً حمراء على وجهي لمدة يومين. اتصلت بشركة الترجمة وأخبرتهم عن عدم رغبتي للذهاب هناك ثانية.

* 8

كنت أعمل مرة في الترجمة مع رجل عجوز في احدى مسافى تورنتو. الابنة وزوجها كانوا مع الوالد العجوز الذى فقد الكثير من معرفته وحكمته ووقاره، وهو ينسىأخذ الادوية او يرفض الدواء والأكل ويطلب الخروج من المشفى والعودة الى بيته الأول فى الشرق.

رغم ان الابنة تجيد الانكليزية الا ان المشفى طلب مترجمة محلفة وحياديه كي تنقل رغبات الأب العاجز على ما هي عليه حفاظا على رغبته الشخصية وإرادته وحسب المفردات التي يستخدمها. وهذا من عمل المترجم المحترف تحت القسم والذي يعمل بامانة يحاسب عليها اخلاقيا وقانونيا إن لم يفعل.

حين أرادت الباحثة الاجتماعية ان تسأله بعض الاسئلة لتخبر ذاكرته ومقدراته العقلية، بدأ بمخازلتها ولم يسد لها، والتصريح لها: كم هي، حميلة وكم هي، ضياء ناصعة!

وذلك أثني على عملي كمترجمة وقال "والله يا سيد جاكلين، الكل في المشفى يشكرون من خدمتك ... الابنة تعاملت مع الموضوع بابتسام وخفة والممرضة كانت مرحه وتفهم هذه الحالات. وكانت تلك أول مرة التقى بهذا السيد وأسرته، وآخر مرة.

قالت الابنة: كان أبي محامي كبير في البلاد، ولغته الانكليزية ممتازة، لكنه الآن لا يتذكر الكثير.

حين سأله الممرضة: ماذا ستفعل لو حصل حريق في بيتك وأنت وحدك؟
قال: سأطلب الأطفال. وحين سأله عن رقم الأطفال،
كان يتذكر فقط رقم الأطفال في بنته الأولى الذي هجره منذ أكثر من 40 عاماً.

*

لنا قد نفقد مع التقدم في العمر بعض جمالنا وقوتنا العضلية والعقلية، سنفقد المرونة الجسدية والحكمة، سنفقد مع الوقت كل شيء، أو الكثير أن لم نجد من يرعايانا ويحن علينا ويقوم بواجبه الدينى والأنسانى اتجاهه. سنموت ولن نأخذ معنا أي شيء. وما بين رحلة الحياة في مرحلة العجز ورحلة الوقف على باب الموت، نحتاج إلى الكرامة، الكرم، العطف، التعاطف، المحبة، الحب، الاحترام، والتقدير، سواء أكان الفرد غنياً أو فقيراً، رجلاً أو امرأة.

في البلاد المتقدمة، يوجد دور خاصة للعجزة، وعانياً متفاوتة. بعض العائلات تعجز عن خدمة كبار السن، فيرسلوهم إلى دور العناية بكبار السن وهذا مكلف مادياً. ولا معلومات لدى عن توفر مثل هذه الخدمات في بلاد الشرق.

في هذا الصيف كنت في ساحة المدينة أتأمل هذه الأدمغة المصنوعة بالألوان والاحجام والمعاني التي تحفز الناس على التفكير في مسألة امراض التقدم في السن والشقيقة على كبار السن ومشاكلهم الذهنية. لا بد من خدمات وبحوث متطرفة تحفز على إبداع طريقة حياة كريمة وصحية للعجزين والعاجزات في كل مراحل الحياة. كان حجم الأدفعة المعروضة مصمم بطرق فنية مختلفة وكان هناك مسابقة لانتقاء أجمل تصميم وذلك لجمع تبرعات للمرضى وللإبحاث المستقبلية في هذا الحقل الذي يعتبر غامضاً لغاية الآن!

أفكار اليوم: حين أنظر إلى الثروة الهائلة المسخرة من أجل التسلیح والصواریخ العابرة للقارات وكل أنواع التطور التكنولوجي الذي يسخر العلم والمال من أجل قتل البشرية، اقول برومانتیک، ماذ لو وفروا تلك الثروة للبحث في طرق ناجحة لمعالجة السرطان، والزهايمير والخرف...ورفع معدل خط الفقر في كل البلد!



5

استضافتني للحديث عن الكتابة والترجمة من قبل جامعة البصرة العراقية

لغات الدولة الرسمية في كندا ومهنتي:

في كندا يعمل البرلمان الكندي بلغتين رسميين هما الانكليزية والفرنسية منذ عام 1959 وتم ترجمة كل كلمة في جلسات البرلمان. هناك أكثر من 200 لغة عالمية محكية في كندا. وهناك حوالي 60 لغة يتكلّمها سكان كندا الأوائل، الهنود الحمر. وهناك ما يزيد عن 7 مليون مواطن كندي مولودين خارج كندا.

هناك وكالات اشتغلت معها تقدم ترجمات الخدمة عن بعد ووجهها لوجه بأكثر من 180 لغة عالمية، وعلى مدار 24 ساعة. 7 أيام في الأسبوع.

أعمل لحسابي الشخصي وفي حقول متعددة منها مؤسسات الخدمات الاجتماعية للقادمين الجدد الذين لغتهم لا تسعفهم على التواصل مع الآخر. اشتغل بالتعاقد مع المجلس الكندي للهجرة واللجوء ومع زواره الهجرة والجنسية الكندية. وكالة حماية الحدود الكندية. المشافي والصحة النفسية. مؤسسات النظام القضائي والمحاكم الصغيرة والعائلية، وقضايا مخالفات المرور والسيافة، القضايا المتعلقة بالدفاع عن النساء المعنفات، ومشاكل الطلاق واقتسام الممتلكات وحضانة الأولاد. بالإضافة إلى العمل مع أقسام البوليس والطوارئ بكل أبوابها المفتوحة على المفاجآت والدهشة. كلها تكون في أجواء قلقة للشاهد ومشحونة نفسياً على الغالب.

لم يسبق أن حضرت للترجمة في مناسبة سعيدة. لعل أسعدها حين تحصل عائلة أو فرد على قرار إيجابي بخصوص اللجوء، أو الحصول على (رتبة عاجز عن العمل) أو حصول امرأة على بيت للسكن بعد الانفصال عن الزوج في حالات العنف المنزلي، أو الترجمة حين اجتماع الأهالي مع

بعد الهجرة من سوريا إلى كندا

هاجرت من سوريا إلى كندا عام 1997 وأقيم في مدينة تورنتو. كندا بلد التعددية الثقافية واحترام حقوق الإنسان، احترام حرية الدين والالحاد والتوجه الجنسي، هذا يقتضي من المترجمة أن تكون واعية ذلك. الحصول على الجنسية في هذه البلاد يقتضي القسم على أن احترام لائحة حقوق الإنسان بكل بنودها. تورنتو، واحدة من أكبر مدن كندا و من أكثر مدن العالم تنوعاً إثنياً وعرقياً. اللغات المحكية فيها ربما بعده لغات العالم، وتتوفر الحكومة والوكالات والجامعات مתרגمين متربصين يجري تأهيلهم على مدار السنة للقيام بهذه المهمة. ويعتبر حق الحصول على (ترجمان) واحداً من حقوق الإنسان المهاجر.

شغفي بالكتابة قادني إلى العمل بالترجمة. ثم وفرت لي الترجمة مادة خصبة للبحث والكتابة والتأمل في أحوال الشعوب والبشر على اختلاف مشاربهم. وإذا أسعفني الوقت سأكتب مدونة. لتكون وثيقة تاريخية وشاهداً على مرحلة مهمة تقع خلف كواليس الأحداث العامة. وأهميتها تأتي من أنها ليست تجربة شخص، بل تجربة شعوب في الشتات. وهذا ما يحرضني عليه بعض الأصدقاء المتابعين للفيلم الذي نشرته في هذا المجال سواء على صفحة فيسبوك، أو في بعض المجلات الكندية الانكليزية والعربية.

الأجناس الأدبية والتجربة العلمية والدراسة الجامعية

أكتب الشعر والقصة والمقالات بالعربية. كغريبة أنقل لسامي للعمل والكتابة الإبداعية والصحفية بين لغتين متناقضتين من حيث الأسلوب والبناء والقواعد. ربع قرن في كندا وما أزال أتعلم وأهذب ملكاتي في الوصول إلى قلب اللغة الأم واللغة الثانية. وأحاول أن تكون عنصراً فاعلاً في خدمة الرسالة الإنسانية الجمالية التي اخترتها طوعاً وما زلت مقتنة بجدواها وأهميتها في عالم تعصف به الحروب وال Kovarath وقتل العزلة والخوف من المختلف الآخر.

درستي الجامعية في سوريا كانت في حقل الهندسة الكهربائية. بعد سنوات من اختبار الذات والمجتمع الجديد قررت الاستمرار في حقل الترجمة الفورية بين العربية والإنكليزية حسب الطلب من قبل الهيئات الحكومية والخاصة لتلبية احتياجات القادمين الجدد في مرحلة الاستقرار التي قد تطول أو تقصير.

بعد سنوات من الخبرة في هذا الحقل، صرت وعاء أسرار وهموم وقصص لا تحصى منها الحرين ومنها المريع ونادرًا ما يكون فيها فرح وسرور. صار قلبي اسفنجاً لاحتواء أوجاع اللاجئين.

صرت قناة لحمل المعنى بين لغتين. أترجم دوما بضمير المتكلم. مرة أتكلم كشريطي، كضحية، كقاضي، مجرم، كرجل عنيف، أو طفل عاجز. الترجمة بضمير المتكلم تثلّى بما ليس في ومني. ويتوّج بـ على أن أحفظ على مشاعري وانفعالتي مهما كان قبّح الحديث وشجبه. في هذا الحقل اختبرت أعمق الآخرين وسيرهم الشخصية، تعرّفت على مخاوفهم وكوابيسهم عن قرب. تعرّفت بعمق على المجتمع من الداخل. أحياناً أشعر بالحرج من تفاصيل أسراراً هم التي لا أتعّنى أن أعرفها....

حتى أتّنى دعيت للترجمة لامرأة في المخاض، ولطبيب الأسنان، أو لاتمام معاملة في البنك أو في السجن. وهناك خانة في الطب النفسي تدرس وتشخص الأعباء التي تقع على ذهن المترجم حين يتكلّم بضمير الآنا وهو يشتغل في هذه الحقول على اختلافها.

الحمد لله/ لم أصب حتى الآن بلوحة –على ما اعتّقد. أو بخل عصبي أو نفسي من جراء الاستعمال إلى مصائب العالم العربي في حضيّصها. ربما لأنّي أفرغ هذه الشحنات المتناقضة والتّقليلة أشكال عديدة من الكتابة الإبداعية. ولقد أنجزت العدد من المحاضرات عن القضايا الاجتماعية المهجّرية الأسرية من خلال قراءاتي بشكل عام ومن خلال اطلاعِي على الواقع في أشد حالاته عراة وصداقة. وشاركت في جلسات حوار مع طلبة في جامعات كندية حول تجربة الكتابة والعمل وحرية التعبير والرقابة.

المُتّرجمون عمال في الخطوط الأمامية في زمن الوباء

خلال سنوات عملِي في القطاعات السابقة ذكرها أدركت أهمية أن يتّعلم الفرد أكثر من لغة كي تكون اللغة الأخرى باباً للتّقلي المعرفة والعلوم وما تتيحه اللغات الأخرى من معارف، طيبة، تكنولوجيا، أدبية واجتماعية. وتزداد هذه الأهمية في عالم اليوم حيث التنقل والهجرات واللجوء حدث يومي في حياة الشعوب قاطبة.

يعتبر العراق بجغرافيته وأثنيته التاريخية العريقة مركزاً للإشعاع المعرفي ولانبثق اللغات الأولى والترجمات. وما تزال بعض هذه الرّقم والمخطوطات القديمة الثمينة محفوظة قيد الدرس والتفكير والعرض في مكتبات عالمية وعربية تعنى بحفظ الآثار والتراث الإنساني.

كما نجد الحاجة الماسة لمعرفة اللغة الأخرى ممثلاً في نشرات الأخبار اليومية حول العالم. وكذلك ازدادت الحاجة إلى الترجمة الفورية في المحاكم الدولية وفي المؤتمرات الدولية التي تعقد كل يوم في مكان ما من العالم وبلغات الكون. للأسف، أو لحسن الحظ خدمات الترجمان مطلوبة في الحروب كما في أيام السلم، في حالات انتشـاء الأوبئة.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الحضارات تغتني بالترجمة وتلاقي العلوم والإبداعات. والساحة العربية اليوم

بأنس الحاجة إلى تفعيل هذا الجانب كي يصل الصوت العربي إلى العالم بكل جمالياته وأوجه انسانيته العميقية، وكي يتم بالتالي قلب الصورة المسبقة السلبية التي تشكلت لدى الآخر على مدى سنوات وقرون، اتجاه العربية والإنسان العربي.

والمترجمون هم الخط الأمامي في تفعيل هذا الالقاء السلمي بين الشعوب ومن هنا تكمن أيضا ضرورة تناول هذا الموضوع بصيغ عصرية وببساطة. ونحن المترجمون كنا في خانة عمال (الخطوط الأمامية) والفائدة الوحيدة كانت لنا أولوية أخذ اللقاحات المضادة للفيروس – كوفيدا 19. كي تكون مستعدين للخدمة عند الحاجة.

بعض التحديات أمام المترجمة

أستطيع القول أن أغلب المתרגمين الذي أعرفهم في كندا ومن لغات عالمية هن في الأصل أصحاب شهادات عليا، جامعية، دكتور، ماستر وأحياناً أطباء، وإعلاميون، وأصحاب خبرات في حقول علمية مهمة. قدومهم إلى البلد الجديد، لا يفسح لهم الفرصة للعمل في الحقول الأكاديمية التي قضوا سنوات من عمرهم في دراستها. فيختارون أي مهنة تساعدهم على العيش. الترجمة قد تكون نافذة مؤقتة، وأحياناً كثيرة يذهب أصحاب الشهادات إلى العمل كسائق سيارة أجرة، أو نقل طلبات من المطاعم إلى البيوت، أو حتى العمل في المقاهي والبارات. أنا شخصياً، استغلت في السنوات الأولى من هجرتي نادلة في مقهى. كنت أكتب قصائد على صفحات الجريدة التي في يدي. كنت أقرأ حين يغيب الزبائن لدقائق، كنت أبحث في القاموس عن كلمات جديدة. وأحياناً كنت أبكي وأشتكي. مرة قال صاحب العمل للزميلة التي تعمل معى: قولي لصديقتك أن تبتسم للزبائن قليلاً، وجهها يشبه وجه من أكل ليمونة. فضحت صديقتي وهي تخبرني. كان يجب أن أحير روحي من أنفالها كي تصبح الحياة ممكنة. وما زلت أفعل ذلك. أشتغل في معالجة الشفاء الإنساني اللاجئ والمهاجر، ثم أفتح النافذة كي تغرق روحي في تلال الثلج الممتد على مد البصر.

الشعر أيضاً يجعل الحياة منكهة. قبول المختلف واستقبال ما تجود به الحياة علينا من قصص أتاحت لي أن أتعلم مع الأيام كيف أصنع خلاصي اليومي الصغير. وأحياناً أجذني شبه عاجزة وخاصة في هذه السنوات القاسية التي كان الوباء سيدها وقاضيها وحاكمها ولسانها المرير.

في فترة الحجر الصحي، فكرت كثيراً بأحوال قلة من المهاجرين الذين لم يكن ممكناً الترجمة لهم عن قرب، وجهاً لوجه. بعضهم لا يجيد استخدام التكنولوجيا بسبب ضعف في اللغتين، العربية والإنكليزية. هؤلاء ضحايا الحروب والفقر والجهل، يدفعون ضريبة مضاعفة. للشتات سيرة لا تنتهي.

الترجمة والحيادية واختلاف القيم والمعتقدات

الترجمة ليست فقط إجادة للغتين بل عمل يتطلب تحد للقناعات والمعتقدات الشخصية الفردية

ماذا يعني أن تكون مترجماً في كندا أو أي دولة غربية، وما هي التحديات التي قد تواجهك وتخبر صدقك في الامتثال للقسم الذي تعده كلما بدأت جلسة عمل أمام في عيادة نفسية، أو أمام محامي، أو قاضي، أو طبيب العائلة؟ وماذا يعني أن تكون حيادياً أثناء الترجمة؟

مثلاً، وأنت في العمل سيأتي من يشتكي من الأضطهاد الطائفي، وسيتكلم بتفاصيل مreibعة قد تكون ضد طائفتك كمترجم، أو ضد دينك كمترجم، أو ضد قناعاتك فيما يخص المثلية الجنسية وحق المثليين في الزواج، أو حق الفرد في تغيير جنسه. ستسمع ما لا يرضي خاطرك وإيمانك ومعتقدك ولكن مهنتك والقسم الذي تهتم به، يتطلب منك الأمانة في آداء الواجب كلغة وترجمة فقط لا غير. ليست مطلوبًا منك أن تحكم الآخر وفق قناعاتك النفسية والدينية حتى وإن كنت أو ترى في قوله ما ينافي مبادئك الدينية أو تجربيتك الشخصية.

في هذه الحالة وإن كنت تجد نفسك ملزماً بقناعات معينة تتعارض مع هذه المهنة عليك أن تكون صادقاً مع نفسك وتختر عملاً آخر بدل أن تعرض نفسك لمخاوف أخلاقية وشرعية أنت بعفي عنها. منذ أيام كنت أقرأ عن شكوك لامرأة تعمل في كندا تشتغل في ميدان الاستشارات الاجتماعية، وبأنها في حيرة من أمرها ولا تستطيع الفصل بين قناعاتها وتوجهها الديني وبين القضايا التي تسمعها و تعالجها إلخصائية اجتماعية. وكانت تبحث عن مخرج تويفي وهذا غير ممكن.

الترجمان يتعلم الشتائم وينطقها

لا غرابة في أننا أحياناً نشعر بالحرج حين يكون لزاماً علينا أن ننطق الشتائم البذنية التي يترافق بها الأفراد في الخلافات الأسرية وحالات الشجار والاعتداءات الجنسية التي قد تحدث في البيوت، أو السجون، أو في شارع عابر. أذكر من جلسات التدريب للحصول على شهادة مترجم: يجب أن نقرأ عدداً هائلاً من الشتائم التي يتم تداولها في البلاد العربية الممتدة. وستصاب بالذهول حين تتعرف على قاموس البذاعة العربي-الإنكليزي الرهيب. أعتقد أن لا حياء في الترجمة الفورية. الترجمة كالفنون ليست عملاً خاصاً للحكم الأخلاقي. وهنا أشير إلى مازق الترجمة الحرافية، إذ يقوم بعض المترجمين العرب على تنظيف النصوص المترجمة من الكلمات البذنية أو المخالفة لقناعاتهم، أو تحويরها والالتفاف عليها.

الأمانة والصدق والحياد، واجب أخلاقي وشرط أساسى في هذه المهنة لأن مصادر الأفراد قد تكون معلقة في جملة أو مفردة.

مواقف محرجة تعرضت إليها أثناء العمل كترجمانة
لا تنظر إلى الترجمانة

في الصيف كما في الشتاء أيضا يرتكب بعض الرجال مخالفات قانونية وعنفا منزليا ضد نسائهم وينتهي بهم الحال للمثل أمام محاكم البوليس والمحكمة. في الحالات التي يعترف فيها الرجل بأنه (مذنب) يعفى من العقوبة والسجن ويُشترط عليه الخضوع لدورة تأهيلية مدتها (12) جلسة، مرة في الأسبوع لمدة ساعتين أو أكثر، يحضر فيها الرجال العاقلين في جلسة جماعية ليحدثوا علناً أمام زملائهم بما حدث مع المرأة سواء، صديقة أو شريكة حياة.

في هذه الجلسات، أنا الترجمانة تتناقشني معاشر البهجة والأسى، الغيظ والعتب، ومهمها كانت مشاعري فأنا أبدو حيادية ومستمعة ويقظة لكل كلمة تقال. أعيد الكلمات التي تقال مترجمة إلى اللغة الأخرى، نادراً ما أبتسم.

المأذق في هذه الجلسات الجماعية أن الترجمة يجب أن تكون "همساً" مستمراً بلا انقطاع. في الجلسة الواحدة قد يكون هناك أكثر من رجل مختلف من نفس اللغة، وأحياناً يكون في الصالة عدة مترجمين من لغات مختلفة (رجال ونساء) يتكلمون بلا انقطاع. الأستاذ يلقى المحاضرة، والمترجمة تستمع وتترجم همساً في نفس الوقت. تخيل تهمس ساعتين في آنٍ رجل غريب يجلس وكرسيه متقدم خطوة عن كرسي المترجمة!

الرجال في الجلسات من كل الأعمار والأعراق والطبقات. هناك الأبيض والأسود الذي ولد في هذا البلد ويتكلم الانكليزية، ويحمل شهادات عليا. وهناك المهاجرون من كل دول العالم في هذا المكان بسبب أو آخر. هذه مقدمة مختصرة عن العقوبات المدنية الطوعية التي يختار الفرد (المخالف) اتباعها كي يصبح مؤهلاً للعودة إلى بيته وزوجته وربما أولاده أو صديقه (غير فرد)، إذا أرادا ذلك في النهاية. إذا تأخر الفرد دقيقة عن الموعد، يكون الباب مقفلًا ويمنع الفرد من الدخول، وهذا ينطبق حتى على المترجمين الذين يطلب حضورهم. (سبق أن حرمت من الدخول بسبب التأخير عن الجلسة لمدة 5 دقائق)... إذا تكرر الغياب مرة أو مرتين، لا يمنح الشخص اشعار (التخرج من الدورة) مهما كان العذر، إلا إذا كان هناك تقرير طبي من المشفى أو حالة طارئة تعطيه الحق في حضور جلسات بديلة.

قبل الدخول في الحلقة الجماعية للاعتراف بالذنب أمام الزملاء قبل بدء الجلسات الجماعية، يكون هناك لقاء فردي مع مدير المركز الذي سيتم الاجتماع فيه. غالباً ما يتم تعيين امرأة في هذا المنصب كي تأخذ المعلومات من الشخص وتعطيه التفاصيل الأولية عن سير الجلسات وماذا يتوقع منه.

هذه الحادثة لم أستطع أن أنساها رغم مرور سنوات عليها وذكرتها في أكثر من مناسبة في الإطار الشخصي وفي الكتابة. الوقت: صيف. المكان: داون تاون تورنتو. مكتب في الطابق العاشر. غرفة واسعة فيها طاولة كبيرة وعدة كراسٍ. الحضور: الشخص الذي اعترف بأنه مذنب ووافق أن يخضع

لدوره التأهيلية. المترجمة. الموظفة التي تقوم بأخذ المعلومات الازمة حول الحدث وسبب حضور الشخص لهذه الدورة، وما الذي يريد أن يتعلمها خلال هذه الجلسات.

حين بدأت الجلسة، قدمت نفسي للشخص وعرفته بدوري كمترجمة باللغتين العربية والإنكليزية.

بدأت الجلسة. وبعد قليل قالت السيدة للرجل: انظر إلى حين يتكلم، لا تنظر إلى المترجمة.

قمت بترجمة الكلام. لكنه بقي ينظر إليّ حين أتكلم وحين يتكلّم. في الحقيقة كان يحملق وينسى نفسه. ولا يجيب على السؤال بشكل مباشر، بل يلف ويدور.

السيدة امتعضت أكثر وقاطعته وقالت له أن ينظر إليها حين يتكلّم ولا ينظر إلى المترجمة.

لأنه لسبب ما لم يكف عن النظر إلى المترجمة وهو يتكلّم. جزء من السبب عائد إلى أن الشخص ينظر إلى الآخر الذي يتكلّم لغته الأولى. وحين يتكلّم بالعربية سوف ينظر إلى الشخص الذي يجيد العربية في الغرفة، أو المكان.

كان الرجل عصبياً، ومظهره متسرّع ولا يبعث على الارتياح. كان يتحدث كمن لديه لوحة من الكذب أو غيظ و عدم الرضى عن هذا النظام أو لا أدري ماذا. لا يهم انتباعي في أي حال. ولكنه لم يستطع أن يغض النظر عن المترجمة وينظر إلى المتحدثة بالإنكليزية وهو يتحدث بالعربية.

إلى أن شعرت السيدة بالغضب وقالت له بعصبية واضحة: "لا تنظر إلى المترجمة، إنها مجرد أداة.

انظر إلى "

ثم استدارت نحوه وقالت أمراً: "قولي له لا ينظر إليك"

(في قلبي قلت: عليك اللعنة انت وهو والترجمة والمترجمة وها الشغالة الوسخة... العمى بعيونك)

أجبتها: "القد ترجمت طلبك عدة مرات. ورجاء لا تقولي عن المترجمة "أداة" أنا لست أداة. أنا كيان وانسان وأساعدك على التفاهم مع الطرف الآخر.."

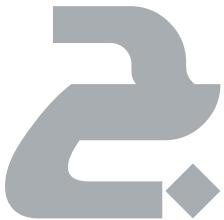
امتعضت أكثر وكانت عدوانية ومعالم وجهها تفترغ غضباً. وكانت على وشك أن ترفض طلبه بالانضمام إلى المجموعة التي سيعاد تأهيله للحياة الاجتماعية من خلال تعليمها. في النهاية حصل على الأوراق المطلوبة وغادر المبني وهو يجر خلفه جلابيته المتتسخة وذقه الاشتущ وكيساً يخشن بمحتوياته.

حين خرج وعادت السيدة إلى الغرفة كي توقع لي وأنصرف. دار حديث متشنج بيننا واعتبرت ثانية على أسلوبها وطريقة حديثها معى، بل اعتبرت كلمة (المترجمة أداة) بمثابة إهانة. وقلت لها في المرة القادمة: لا تضعني كرسي المترجمة قبلة الشخص الذي يتكلّم نفس اللغة، وأنا شخصياً لست هنا كي أقبل الإهانة أو النظرات غير المرية من شخص مثل هذا. حتى أنه يبدو معتوهاً. وأنا ملتزمة بكل أصول العمل والمهنية.

خرجت حانقة ووعدت نفسي ألا أعود لـ العمل في ذلك المركز. اتصلت بالوكالة التي اشتغلت معها وأخبرت الموظفة بالتفصيل بما حدث، فضحت وقلت: نعم معه حق أن ينظر إليك يا جاكلين. ضحكت

لأننا نعمل معاً منذ سنوات طويلة وهي تعرفني جيداً. انتهى الأمر بعدم العودة إلى ذلك المكان. ولكن حصل وذهبت إلى جلسات أخرى مع رجال آخرين خاضعين للتأهيل للعيش بسلام مع أسرهم وفي المجتمع وهناك حدث قصص آخرى مختلفة في طبيعتها.

هذه الورقة كتبت من محاضرة اونلاين، وتمت المداخلات على شكل أسئلة وأجوبة تشعبت من ميدان الترجمة الفورية إلى التحريرية، وإلى دور الشعر والأدب المهجري وعوائق وتحديات ترجمة الكتاب العربي إلى اللغات الأخرى. والجلسة مسجلة بالفيديو ومنشورة على موقع جامعة البصرة العراقية بتاريخ 26 يناير 2022. وصلتني الدعوة من قبل مكتب عميد كلية الآداب في جامعة البصرة الأستاذ ماجد عبد الحميد الكعبي وبترشيح من قبل البروفيسور الدكتور كاظم العلي والدكتور الأستاذ جاسم خليفة سلطان.





حين أضفت جدة في زمن الكورونا. معابر الكتابة والعمل

حين حلّت لعنة الكورونا على مدينة تورونتو، أكبر المدن الكندية، أصبحت جدة لطفلة صار عمرها 6 أسابيع ولم أرها بعد. حين حل الفيروس علينا، كان عملني في حقل الترجمة الفورية في أوّله. أعمل في المستشفيات مع المرضى الذين لا يستطيعون التواصل بغير العربية، وكذلك في دائرة الهجرة واللجوء والمحاكم. بالإضافة إلى العمل في ملاجيء النساء المضطهدات. جاءت الصدمة، وبلا مقدمات، فقدت عملي مثل غالبية الكنديين، وعدنا إلى مجرد مستمعين لنشرات الأخبار والتوصيات والاحصائيات. زوجة رئيس وزراء كندا، صوفيا ترودو كانت في الحجر الصحي وتعافت. عدنا إلى الجدران حتى إشعار آخر. الالتباس شديد والحاجة إلى الآخر تتبلور الآن بعنف لا يرحم. يبدو أننا لم نفقد حسناً إنسانياً اجتماعياً، رغم أننا نعمل مثل الآلات في هذا الأملكة والمعمار المعلقة في سماء المدينة.

أنا شخصياً أحب الطين، وعلاقتي بالأرض والطبيعة متأصلة في شرائي. تملّكي الحنين الحقيقي، والرغبة في أن تتلوث قدمي بالعشب والتراب والرمل، لكن بلدية تورونتو وضعت إشارات تحذير تمنع التواجد في الحدائق الصغيرة المنتشرة حول أي تجمع سكني. بعد شهر من الحصار، خرجت وفي نيتني أن أسرق لحظة في حضن الأرض لأنني لا استطيع احتضان رجل أو طفل أو عجوز. احتضنت الشجرة وتمرّعت بالعشب وجلست وجهًا لوجه مع شمس. تأملت وسمعت أصوات العصافير وأنا أمنع العصافير والهواء من سماع بكائي الجوانبي. ومنعت دموعي من السقوط. الحنين إلى التراب والطبيعة الذي يجعلني هشة وأكثر من غريبة. الطين شريكي في الرغبات والتحولات. الأرض الآن مهجورة ولربما، تحن لأقدام عشاقها الذين وضعوا في ما يشبه السجن، كطريقة لتحدي

الفيروس. نلعب لعبة الاختباء، لكن بكرابهة لهذا الفيلم وبطله (كورونا). سأكتب قصة قصيرة أقتن فيها هذا البطل، وأخرج منتصراً إلى حضن من أعشق في هذه المعمورة.

الترجمة في غرفة مريض من الشرق

في آخر جلسة عمل لي في المشفى، بداية شهر آذار الماضي، التقى مريضاً في قسم معالجة السرطان. كنت أترجم للأب الذي كان يشرف على رعاية ابنه الصغير المصابة بالسرطان في إحدى أكبر مستشفيات المدينة. من لهجته، عرفت أنه سوري الأصل ثم انتبهت إلى "كأس المتأهل" المركونة في زاوية الغرفة. كانت الطبيبة تعطيهم التعليمات وتجيب على أسئلة الأب. لم يكن حينها الوباء قد بلغ أشدّه.

خرجت من هذا القسم لأجد رسائل صوتية من الشركة التي أعمل فيها، للالتحاق بالترجمة في قسم آخر في المشفى نفسه لأمر طاري. المشفى ضخم وسهل أن يضيع فيه المرضى، أخذت التعليمات وذهبت إلى الجهة المعنية. هناك وجدت عدداً من الممرضات يرتدين العدة الكاملة للوقاية من الفيروس، أعطوني قناعاً وقفازات وثوباً خاصاً بالممرضين. سألتهم لماذا كل هذا الحذر؟ أجبت أحدي الممرضات "يشتبه في وجود فيروس في القسم".

أصبحت بالهلع لأنني لم أكن مهيأة نفسياً ولا مهنياً للعمل في هذا الموقع. ولم يكن أمامي سوى قبول المهمة لأن العائلة في حاجة إلى خدمة المترجم في هذا الوقت المخيف. أخذت الطبيبة تشرح لهم الخطة التالية. وأصر الوالد أن يقاطع المترجمة مرات، وهو يكثر من الدعاء أو الشكوى من الطبيبة الأخرى والمترجمة الأخرى التي زارتتهم في يوم سابق. ثم يختتم بالقول: "الأمر بيد الله، لا غير ونحن نثق بالله ومقررته على الشفاء".

انتهى عملي لكن الخوف بقي في داخلي، والقلق من شبهة التعرض للفيروس. بعدها بأيام، حدثت الهزة الكبيرة، والإيعاز بأن على المترجمين البقاء في البيت كما غالبية الكثيدين، على أقل ان تبدأ "الترجمة من بعد عبر الهاتف أو الفيديو" كمرحلة انتقالية. وانشافت بدورات تربوية (أونلاين) للترجمة من بعد. الميديا والأخبار تتحدث عن "الوضع الجديد الذي سيصبح هو المعتاد". وحتى اللحظة، لا يمكنني تخيل "القفزة الجديدة في حقل العمل في المدن الكبرى. أشعر أننا سنصبح مثل كاننات أفلام الخيال العلمي بعد حين. والانكسار العظيم يقع على أرواحنا الهشة، نحن الذين نكتب الشعر والأدب، ونخوض في سراديب النفس في أقسى تحولاتها وأكثرها حميمية واغتراباً.

أفكر في حال المهاجرين الذين لا تسعفهم لغتهم على التواصل مع الدوائر الحكومية والطبية والخدماتية الاجتماعية خلال فترة الحجر الصحي. رغم حرص بعض الدوائر على الانتقال للترجمة عبر الهاتف في بعض الحالات.

لغة غرفة التوليد

حقل الترجمة تضرر، كما الأعمال الصغيرة الأخرى والمطاعم وبرامج الترفيه والموسيقى والسينما، الخ. وكمن يصطدم بجدار لامرنى، أصبنا ببابوس شمولي كوني. عدنا بهلع وضجر وانكسار، نقلن الباب على أنفسنا حتى إشعار آخر. منذ منتصف آذار 2020 ولغاية تاريخ كتابة هذا النص، الأسبوع الأول من أيار 2020. ويسمح الخروج من البيت فقط للتسوق وشراء الأدوية أو المشي، والمسافة بين شخص وآخر يجب أن تكون مترين. الزيارات ممنوعة بين الأجداد والأحفاد والأولاد. المخالفة القانونية يفرضها ضباط البوليس الذين يجوبون الشوارع في السيارة وتتراوح بين ألف وألفي دولار. التزمت بمكاني، حيث أعيش وحدي في شقة لها شرفة شرقى تورونتو. لا أريد أن يصبح لدى سجل جنائي بسبب رغبتي في احتضان صديق أو صديقة أو ابني.

سمعت قصة لزميلة تعمل مثلى في الترجمة الفورية، كان عليها ان تكون مع امراة حامل، وفي مخاض طويل، وفي وضع صحي خطير، في قمة تفشي الفيروس في اونتاريو-كندا. المترجمة في أشد القلق، وفي الان ذاته لديها الرغبة في ان تخدم المريضة في تلك الساعة العصيبة. توفرت الأشغال كلها تقريباً، ولم يتوقف الإنجاب وممارسة الجنس والحمل. اللافت للنظر أن اللاجئين الجدد يكترون من الأطفال وينجبون أكثر مما يحتمل وضعهم الصحي والمادي.

وأصبحت جدة مع وقف الاحتضان

الحياة تولد في صفة، والموت يقطف المئات هنا وحول العالم. كنت وابني الوحيدة، سلام، وزوجته، ننتظر ولادة الطفلة بشغف وخوف في نهاية آذار، قمة انتشار الفيروس في المدينة. كنت على الهاتف أترقب كل رسالة تصلكي من ابني، ليخبرني عن تطورات الوضع في غرفة التوليد. لم يسمح لغيره بالبقاء معها في المشفى. في الصباح الباكر، ولدت الطفلة معافاة هي وأمها، وكانت الفرحة مخلوطة بالدموع والشوق لاحتضان هذا الكائن الصغير الذي حلمنا بانضمامه الى عائلتنا التي هي خليط سوري- كندي.

حين استلمت صور حفيدي، بكيت وضحكت بين الجدران في الصباح الباكر. خرجت الى الشرفة لعلني احتضن الاشجار البعيدة وأنا أبكي وأنظر الى العالم وهو يغطس فجراً في النوم والصمت والعزلة. التققطت صوراً للشرفة، وصورة لوجهي ملتبس **348** المشاعر في تلك اللحظة الاستثنائية. أرسلت

الصورة والخبر الى أخواتي في السويد، فكتبت أختي: "مبروووك، بس ليش حزينة وبكيانة – وإذا صرتني تيطة ختارة!"

كل يوم أنتظر فيديو قصيراً أرى فيه حركات الطفلة، شفتيها وأصابعها ووجهها الصغير الجميل. أفك في أي لغة سنتكلم أنا، وحفيديثي أنا، العربية أم الانكليزية. أكتب بعض السطور عني وعنها في مفكرة كلمات بالانكليزية ثم بالعربية، مجرد تاريخ لانفعالاتي كجدة في الكورونا تايمز.

الترجمانة والكتابة الإبداعية

قبل انتشار الفيروس وفي مدينة تورونتو، لم يكن لدى وقت للكتابة كما أرحب بسبب العمل وال الحاجة لتأمين لقمة العيش ودفع فواتير الإيجار وما إليه. كانت مشاريع عديدة تنتظر في الكمبيوتر. بعد الأسبوع الأول من الصدمة، حيث قمت بتعزييل البيت والعودة الى الصورة والأوراق السجينة في الأدراج. مزقت الكثير، وأخرجت ثياباً من الخزانة للتبرع. استقرت روحى ووضعت للفلق حدوداً. قررت أن أنجز مجموعتي القصصية وأطلقها للنشر قريباً. ثم بدأت بالعمل على إنهاء مهمتي في ترجمة أدب الهنود الحمر- الكنديين الأوائل، والذي نشرت الكثير من قصائده في الصحف العربية منذ سنوات. الآن سأبحث عن ناشر وأعرف أن هذا الوباء سيؤثر في دور النشر والعلاقة مع الكتاب بشكل عام.

الشيء الذي لاحظته، في هذه العزلة، أني ابتعدت من الخوف من الرقب. كتبت بحرية أكثر، على فرض أن الموت قادم، ويجب ألا أموت ولدي رغبات كثيرة غير مورخة. لا أريد أن يفاجئني الموت، وليس في يدي إلا يدي والكلمات التي أريدها كتاباً يصل الى يد أخرى في آخر العالم. كنت قبلها بشهر اقرأ في كتاب بعنوان: "مت فارغاً"، محوره يدور حول "كيف تتحقق هدفك وتتبش ما في داخلك قبل الوصول الى خط الموت. وحين يأتي الموت ستكون قد عشت بقوه وافرغت كل ما في قلبك وعقلك من تطلعات وأهواء". شخصياً، لا شيء يساعدني على التحقق أكثر من الكتابة. سأكتب حتى وإن توقفت كل الصحف والمواقع ودور النشر.

لقد كتبت في البيت رسائل إلى نفسي، وأفكار ساخرة علقتها على الباب والشباك والمرآة والبراد تقول: ابتسمي، أنت في البيت. ابتسمي كي تخف التجاعيد حول فمك وعينيك أيتها الجدة العاشقة للحياة والمحبرة الأنثى.

ابتسم يا صديقي واكتب بحرية أعلى وافتح باب قلبك للغد.

نشر النص في موقع (المدن) عام 2020

حكايات وشغب وبعض أسرار المدبرة

7

كل زاوية في بيتي تصلح للكتابة في أي وقت من النهار أو الليل. أكتب لأن الصمت عنف. أكتب لأنني امرأة تعشق الحياة والحرية، أكتب لأنني أحلم بأن الحرية يجب أن تأخذ مساحة طبيعية في بلاد الشرق، وأحلم بأن يقل عدد الكتاب والصحفيين المعنقلين. أحلم أن يتلاص عدد الفتاوى الهزلية التي تختصر حقوق الإنسان وحريته الفردية إلى الحد الأدنى. ولأنني اخترت مساحة من الحرية الشخصية في مكاني الحالي في كندا، فلماذا أخرب وأصم وأكتفي بالقيم بدور المرأة التقليدية العاجزة عن اختيار لون فستانها وحمرة الشفاه! وأكتب لأن في دمي كريات التحدى الخضراء الحرة. ولأن أوراقي احترقت مرّة بفعل فاعل، بفعل رجل قرر أن يحرق كل مسوداتي لأن فيها ما يثير الريبة في طريقة البحث والتفكير.

لم أكن أعرف أنني شاعرة، أو سوف أصبح كاتبة. كنت مغممة بالبحر والكتابة منذ طفولتي. منذ بداياتي في المطالعة حين كنت في المدرسة الابتدائية. لم يكن في بيت أبي وأمي إلا بعض الكتب التي تعد على أصابع اليد، وربما أحضرها أخوتي الأكبر مني في البيت. لذلك وجدت الغواية كلها في مكتبة المركز الثقافي العربي في مدینتی الصغيرة الثانية عن المركز السوري، مدينة ديريك-المالكية ، محافظة الحكمة، أقصى الشمال الشرقي السوري. هناك كنت أقرأ قصص الأطفال المترجمة عن الروسية، وتعرفت على حيوانات لم نكن نراها في حارتنا. حيوانات ذكية، خبيثة، جميلة، غريبة، حكيمية، مرسومة بمهارة وألوان زاهية. كان الدجاج والقنم والكلاب في القصص أجمل من الدجاج والقطط والكلاب التي نراها في الجوار. سرقني الحكايات وأعطيتني بعض الأسرار والشغف.

ماذا تقرأ النساء وماذا يقرأ الرجال
أتنكر طفولتي وشبابي وأنا أقرأ رواية حنا مينة (الشمس في يوم غائم) جالسة في شباك بيتي القديم

الطيني أرقب الثلوج النائم وأحلق في فضاء أبعد من جدران البيت في سوريا ... صرت أحلم بما يمكن لفتاة مثلي لم تغادر مدینتها يوماً بأشیاء كثيرة، تعانق الكلمات الصامتة النائمة في بين دفتي كتاب وستيقظ كلما فتحت الصفحة.

الكلمات سفر وتحريض على التخييل والتفكير. ويشعّ بأن النساء في الشرق والغرب يعشقن الكتب الرومانسية والروايات والقصص التي تسرقهن من أرض الواقع، فيما الرجال يفضلن في الغالب، قراءة التاريخ والعلوم والجغرافيا... لا أدرى إلى أي مدى هذا صحيح، ولكن أعتقد أننا لذلك أيضاً يقضى الناس الكثير من وقتهم في مشاهدة الأفلام والمسلسلات التي هي كتب في الأساس، ولكنها بمذولة للعرض والتلقي بشكل جماعي، أو فردي حسب الحالة الاجتماعية. انظر أن طفولتنا كان هناك تقنيّ في مشاهدة التلفزيون، ولم تكن هذه الأجهزة منتشرة في كل البيوت، بل كانت ساعات البث معدودة والاختيارات قليلة، على العكس تماماً مما يجري اليوم في العالم. الصورة قراءة بالأبعاد الثلاثية، وحلم الكاتب أن يصبح عمله الروائي قصة أو فيلماً لينال الشهرة ويسكب مادياً.

شغف كتابة المقالات

أحياناً أكتب المقالة لأنها طريقة أخرى في كتابة الحلم ونقد الواقع وتسلیط الضوء على عثرات وجماليات العالم. وأكتي لأنني لا أستطيع أن أتخاذل وأشتغل في شركة لبيع العقارات، أو في بيع السيارات. مع ذلك يبقى لدى حلم أخضر بأنني حين أفوز بكافأة مادية سأفتح مكتبة في مدینتي التي ولدت فيها ليصبح الكتاب متوفراً لطفلة أو طفل أو امرأة تبحث عن خلاص ومنفذ ومتعة من خلال المعرفة سواء الأدبية أو العلمية بكل ميادينها. إذ أن الحكومات في بعض البلاد تتأخر كثيراً في دعم الحقل الفي والثقافي الذي نعود إليه في النهاية.

أتخيل لو لم يكن هناك كاتب نوّة موسيقية أو كاتب فيلم وسياريو، أو كاتب أغنية، كيف كان العالم سيجد الفرح والبهجة حين الخروج للسياحة والاصطياف أو القليلة من أعباء الأعمال الثقيلة؟ ولنضع في اعتبارنا أن الحياة المعاصرة، تموت فيها الحياة الاجتماعية بشكل أو باخر. وهذا ما نشهده بشدة وحدة في زمن انتشار وباء الكورونا الذي أجبر العالم كله على البقاء في البيت أكبر وقت ممكن. وكانت العودة في هذا الأثناء إلى الكتب، التلفزيون، الموسيقى، التأليف، وذلك كتعويض للتواصل الاجتماعي الذي هو شرك أساس ومكمّل لوجودنا نحن البشر - الحيوانات الاجتماعية التي تحب المشاركة، المنافسة، النجاح، الأخذ والعطاء والبماء والتنقل والسفر بغية اكتساب تجربة المعرفة والمسرة.

سفر واستكشاف ...

أكتب لأنني أقرأ بلا حيادية. أكتب لأن الصمت موت وعنف أحياناً. وأن فراغ الصفحة الأبيض يثير الشهية والتحدي. بل أكتب لأنني أتعذر بكل هذا الفرح والحزن والدهشة أمام لغز الروح والكون. بل أكتب لأن الفكرة التي أردت أن أقولها لصديقي تغاضيت عنها لأنه نسي أنه في البيت حين أتي. أكتب لأن صديقتي أقفلت قلبها قبل أنيها ، بل لأن الأن تخون ولا تجيد التفسير، بل لأنني تناست جوهر الكلام ونحن جالسان على طاولة في ذلك المقهى وفي تلك الزيارة الأولى والأخيرة.

أكتب كي أرى أفكاري في فم الآخرين وبين أيديهم. وكلما انهيت ورقة جديدة، أجد أن المشينة ناقصة والكلام ناقص.

أين يقع بيتي في كندا..أين يقع قلبي

أكتب من بيتي وشرفتي الخاصة في كندا، كما لو أنني ملكة نفسي وهذا العالم الصغير الجميل الذي يحتويني وأشياني المهمة. أتواصل مع الصحافة في أي مكان من الشرق. هذه احتمالات أكتبها اليوم وغداً سأكتب لأسباب مغایرة، أهمها الحلم الذي أوليه رعاية خاصة.

أكتب كي أحلم بأن الحرية ستأخذ مساحة طبيعية في بلاد الشرق، وأحلم أن يقل عدد الكتاب والصحفيين المعتقلين. أحلم أن يتقلص عدد الفتاوي الهزلية التي تختصر حقوق الإنسان وحريته الفردية إلى الحد الأدنى والى حد منع الكتب من الوصول إلى القراء لأسباب مختلفة. تلك الرقابات تمتد إلى اختيار نوع الثياب ونوع الكتب، ونوع الأغانيات التي على المرأة أن تتلزم بها إلى حد كبير، تقتل أبسط مقومات الحرية والتعبير والتفكير التي هي حق وليس منحة من الأسرة والمجتمع وهيئاته الحاكمة السلطوية.

وفي بيتي الصغير الذي في شرق تورنتو، في بناية شاهقة، تكثر الكتب والزريعة واللوحات التي أنقذها من ركن إلى آخر مع تغير الفصول. ويتسلق السنجب الشرقة العالية ويتحرش بالزريعة المعلقة على الشرفة.

يقول لي ابني أحياناً: أرى كتبك في ازدياد، هل تقرأين كل هذا؟

ابتسم وأقول: أحاول...وأقول: قد تحتاج إلى التبرع بها أو التخلص منها بطريقـة ما بعد رحيلي. لا أستطيع أن أفك بمصيرها الآن.



8

منعطفات بين المقبرة والمطارات والى مدرسة الكتابة الإبداعية

في عام 2007 ذهبت لتحسين مهاراتي في الكتابة الإبداعية، غير المتخيّلة عبر برامج ودورات متفرقة كانت تقام في جامعة رايرسون الكندية في داون تاون تورنتو. كان الدرس جلسة واحدة في الأسبوع، عدّة ساعات، مجموعة من الطلاب والطلاب بنسبة أكبر، يحاولون التقدّم في الكتابة. كانت أستاذتي الكاتبة الكندية "بيث كابلان" وعثرت عليها في فيسبوك وتبادلنا الرسائل. وما زلت أملك المسودات المكتوبة بالإنكليزية وعليها تصحيح البرفيسور التي كانت تشجعني كثيراً رغم أخطائي وكانت ترى شيئاً مميّزاً في أسلوبي يختلف عن الكاتب الإنكليزي الأصل.

حين بدأت أختبر مساحات الحرية في الشارع والذهن، بدأت أكتب، وما زلت أتعلم وأتعثر، وأفشل أحياناً، وأتعلم من جديد. يقيني أن باب الآداب رحب والإبداع الحقيقي لا يحتاج إلى دراسة جامعية أو شهادات عليا كي تصبح كاتباً ولديك صوتك الخاص.

هل يمكنك أن تتعلم الكتابة كما تتعلم الهندسة والطب وعلم المحاسبة والكمبيوتر؟
الجواب: لا، ليس قطعاً، وليس المسألة معادلة ذات أطراف، تؤدي إلى نتيجة محسوبة علمياً.
الجواب، نعم تستطيع أن تحسن أدواتك و المعارف واكتشاف صوتك، حين توفر لديك الموهبة والشغف.

الشغف؟ وما علاقة الشغف بكتابة القصة والشعر والرواية والصحافة
نعم، الشغف، الهدف، الرغبة، الإخلاص، الانفتاح على العلوم والمجتمع ضرورة. هذه الفنون لا تدر مالاً (كثيراً) ولن تستمر إذا لم يكن لديك إيمان برسالة وفكرة.

هل تصل الفكرة أدبياً، هل تنجح أدبياً لمجرد أنها فكرة عظيمة بتصوريك؟
الجواب: لا ، لن تصل لأبعد من أصدقائك وربما بعض أفراد أسرتك.

أحياناً، الأسرة تكون عائقاً وخاصة الأزواج والزوجات في المجتمع التقليدي. في السنوات الأخيرة نلحظ إقبالاً كبيراً في الثقافة العربية على مناهج وورشات الكتابة الإبداعية تقام في البلاد العربية، أو اونلайн وهناك من ينبذها وهناك من يجدها مصدر رزقة وشهرة.

قراءات عام 2007

كتابات كندية يقرأن عن "قبعة هاديس" والمقدمة في تورنتو

عدة كتابات كنديات من أصول متفرقة، تمت استضافتها في مهرجان "الخبز والورد" في صالة مستودع كتب النساء في تورنتو بدعاوة وتنسيق من قبل هيئة "قلم" كندا الدولي وذلك احتفالاً بعيد المرأة العالمي وتذكاراً لمسيرة "الخبز والورد" التاريخية في نيسان 2007. افتتحت الأمسيّة بترحيب من قبل مديرية هيئة القلم في كندا، السيدة "إيزبيل هاري" تحدثت فيها باختصار عن رسالة "القلم" ودعمها لحرية التعبير... كما رحبت بالشاعرات المشاركات والحضور ومنظمي اللقاء الذي استمر من السابعة حتى العاشرة مساء 15 آذار 2007 حيث قرأت كل من: الشاعرة إيماء بلتران (المسكك)، بترونيلا كليتو (الفيلبين)، جاكلين سلام (سوريا) فريشتا مولافي (إيران)، وفرازانا حسن (باكستان).

أقيمت المناسبة بدعم أيضاً من قبل فرع "دراسات المرأة والجنس" في جامعة تورنتو وجهات أخرى. ولم تقتصر على القصيدة، بل تنوّعت القراءات ما بين فقرات بحثية في موضوع الإسلام والمرأة، أوراق سيرة ذاتية، ومعاينات يومية تقصّ رحلة الكاتبات وهجرتهن إلى البلد الجديد. لم تكن الكتابات رومانسية ومستسلمة، بل كانت في معظمها نقية تحمل صوراً متفرقة من المعاناة، وتصف مآزق الطريق أمام "الأقليات الملونة" رغم موضوعة "التعديدية الثقافية" في كندا.

قرأت الكاتبة الإيرانية فريشتا مولافي، المقيمة في كندا منذ سنوات، ولها عدة إصدارات قصصية وشعرية، فقرات من تجربتها اليومية في كندا، معاناتها في الحصول على العمل، ونزفتها بل رفضها لخانة في الإستمارة تطلب تحديد "العرق"! قرأت مولافي ما يشبه كتابة اوتوبيوغرافية عن حالة المنفى والقادمين الجدد ومعاناتهم مع اللغة والحصول على موطن قدم في المجتمع الجديد. اختتمت ورقتها بهذه الفقرة التي اختارت تقديمها للقارئ، إذ تقصّ علينا بلسان الحكواتي القديم، سيرة حديثة. ونجد في هذه الفقرة، فالقادم الجديد ، مرغوب به - ومرفوض في الوقت نفسه. تقول مولافي: "الآن وهنا، أشعر أن شبح الحكواتي يهيم بين هذه المشاهد. أحدق فيه لأكتشف فيه آثار جدي. إنها في الوريد، وأن هذا شبح أحد ما يلبس "قبعة هاديس" ويحيم على عالم الناس اللامرئيين. ومع ذلك هذا

الحواتي، مثل جدتي، أبي خالد ، صوت أفراد لا صوت لهم. والصوت الآن يقص حكاية كندية: كان ياما كان، في سالف الزمان، كانت هناك أرض قيمة جداً، حدث أنها استقبلت بعض القادمين الجدد البيض، الذين أتوا وأجبروا السكان الأصليين على أن يرتدوا قبعة هاديس، ثم أتى قادمون جدد آخرون ذلك أن الباب الذي يفتح مرة لا يمكن إغلاقه أبداً. هذا بالتأكيد لم يكن محظياً لبعض من القادمين سابقاً. في الوقت نفسه، كان جلياً أن هذه البلاد التي فتحت ذراعيها وأبوابها تحتاج إلى قادمين جدد. لهذا السبب وجد المراقبون القدامى حلأً على الرحب والسعة بكل القادمين الجدد بكل تأكيد، ولكن فقط إذا قبلوا الهدية: قبعة هاديس".

ومن الجدير الإشارة إلى أن "هاديس" اسم الله الموت، ملك الموتى، بل هو الموت شخصياً، والقبعة هذه تساعد على التخفي، كان يلبسها أحد الجنابرة/ الآلهة في رحلة بحثه عن "ميدوزا" التي تحيل كل ما تقع عليه إلى حجر.

بينما قرأت الشاعرة إيمابلتران المكسيكية الأصل بعض القصائد المهدأة إلى عدد من النساء اللواتي خيّبن أملها وكسرن قلبهما، إلى جانب قصائد عن نساء لهن مكانات عالية في قلبهما (الجدة - الأم - الصديقات). فيما قرأت الكاتبة والشاعرة فرزانا حسن فقرأت من كتاب لها بعنوان "الإسلام، المرأة والتحديات اليوم" ويعرض الكتاب وجهة نظرها عن المرأة في الإسلام في حالات خاصة كمسألة الحجاب، الإرث، الزواج والطلاق... وغيرها من القضايا التي تشكل عقبات أمام حرية المرأة في البلاد الإسلامية.

بينما قرأت الشاعرة بترونيلا كلينتو، قصائد عن "الترحال والأمكنة" مسبقة على الكلمات رويتها الشخصية في صور شعرية تعكس موضوعة الشعور بالاغتراب، وختمت بقصيدة طويلة عن جمال سلاحـــ"أوزي Uzi" وصورت المنطق الذي يحكم اختراع الأسلحة وتحديداً هذا السلاح الأمريكي الصنع. مابين التهكم والسخرية من هذه القطع الحربية ومروجيها ومنتجيها، تحدثت عن المتاجرة بالبلاد الأخرى واستغلال ثرواتها تحت يافطة الديمقراطية. لم يكن اسم هذا السلاح مألوفاً لدى، فبحث عنه في الشبكة، وعرفت أنه سلاح يستخدمه الجيش الإسرائيلي، وله أشكال وأصناف ومقاسات متعددة.

أما الشاعرة جاكلين سلام فأعربت عن شكرها للحضور والمنظمين وعن خصوصية هذا اليوم بالنسبة لها. وأشارت إلى أن أول مشاركة لها في قراءة عامة كانت في تورنتو بمناسبة يوم المرأة العالمي عام 1998. قرأت بالإنجليزية إحدى القصائد من مجموعة كريستال، وبناء على طلب بعض الأصدقاء قرأت قصيدة بالعربية.

ثم ختمت بورقة شخصية مؤثرة عن السيرة اليومية في تورنتو وأولى خطواتها في المهجـر، فتسرب الدمع من ورقتها وصوتها إلى عيون الحضور...
نقتطف من هذه الورقة "الدرب بعد المقبرة" فقرة تقول: "... ومن هناك بدأت، وتفصلني سنوات عن الحديث، عن تلك الساعة، لكنني ما زلت أعود إلى تلك الـبنـاءـة، إلى ذلك الـبـيـتـ، مـرـةـ لـلـعـلـ طـوـعاـًـ فيـ الـمـنـاسـبـاتـ الـتـيـ يـقـيمـونـهـاـ لـجـمـعـ تـبـرـعـاتـ، وـمـرـةـ لـقـرـاءـةـ الشـعـرـ وـمـشـارـكـةـ النـسـاءـ فـيـ رـحـلـتـهـنـ...ـ وـمـاـزـلـتـ آـذـهـبـ إـلـىـ تـلـكـ الـمـقـبـرـةـ أـحـمـلـ وـرـدـةـ، أـوـ شـمـعـةـ أـضـعـهـاـ عـلـىـ قـبـرـ فـقـيرـ مـهـجـورـ.ـ اـحـيـاـنـاـ أـنـتـشـلـ وـرـوـدـاـًـ مـنـ قـبـرـ مـكـظـظـ بـالـزـوـارـ وـأـضـعـهـاـ عـلـىـ قـبـرـ لـاـ يـزـورـهـ أـحـدـ.ـ أـفـعـلـ ذـكـ بـخـوفـ مـنـ الـمـوـتـيـ الـذـيـنـ قـدـ يـرـاقـبـونـيـ،ـ وـكـنـتـ أـفـعـلـ ذـكـ كـيـ أـجـدـ مـبـرـراـًـ لـزـيـارتـيـ إـلـىـ هـوـلـاءـ الـغـرـبـاءـ الـذـيـ لـاـ أـعـرـفـهـ وـأـحـيـاـنـاـ يـتـعـذـرـ عـلـىـ لـفـظـ أـسـمـاهـ.ـ أـنـظـرـ إـلـىـ الصـورـ،ـ الـكـلـمـاتـ الـمـحـفـورـةـ عـلـىـ الرـخـامـ،ـ الـزـهـورـ الـطـازـجـةـ وـالـذـابـلـةـ،ـ وـالـشـمـوـعـ وـالـفـرـاغـ..ـ وـأـتـابـعـ السـيـرـ وـالـبـحـثـ عـمـاـ تـشـتـتـ مـنـ أـحـلـامـ،ـ وـعـمـاـ تـبـقـىـ...ـ".ـ

وـعـنـ اـخـتـامـ الـأـمـسـيـةـ كـانـ هـنـاكـ بـعـضـ الـأـسـنـلـةـ مـنـ الـحـضـورـ الـذـيـ أـبـدـىـ إـعـجـابـهـ بـإـيقـاعـ وـوـقـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـشـعـريـ وـالـمـحـبـ لـلـأـذـنـ الـأـجـنبـيـ.ـ اـسـتـمـرـتـ الـمـنـاقـشـاتـ الـجـانـبـيـةـ مـعـ الـكـاتـبـاتـ بـيـنـمـاـ تـمـ توـقـيـعـ بـعـضـ الـكـتـبـ.ـ وـعـلـىـ مـاـنـدـةـ جـانـبـيـةـ حـضـرـتـ أـطـبـاقـ مـنـ "ـالـبـابـاـ غـنـوجـ"ـ وـالـحـمـصـ بـالـطـحـينـةـ،ـ الـجـبـنـ وـالـفـوـاكـهـ،ـ وـالـشـرـابـ.

هـذـهـ الـفـقـرـةـ نـشـرـتـ فـيـ صـحـيـفـةـ الـمـسـتـقـبـلـ 22ـ نـيـسـانـ 2007

طرقات أولى...

الرحلة من مطار بيرسون الدولي في مدينة تورنتو

في خريف 1997 وصلت إلى كندا وما زلت أفك شيفرة المكان والذات الجديدة والقديمة ويفاجئني الكشف في كل انعطافـةـ.ـ الرـحـلـةـ عـسـيـرـةـ وـثـمـيـنـةـ وـكـانـتـ الـمـحـبـرـةـ مـعـبـرـاـ إـلـىـ بـيـوـتـ وـقـلـوبـ بـعـيـدةـ جـمـعـتـنـيـ بهـمـ الـكـلـمـةـ وـالـشـعـرـ وـالـرـغـبـةـ فـيـ الـوـصـولـ إـلـىـ عـتـبـاتـ أـعـلـىـ مـنـ الـجـمـالـ الـكـوـنـيـ.ـ فـيـ هـذـهـ الرـحـلـةـ الـتـيـ صـارـ عـمـرـهـ رـبـعـ قـرنـ سـنـةـ،ـ كـمـ تـعـرـتـ وـوـقـفتـ وـمـاـزـلـتـ وـاقـفـةـ.ـ مـاتـ بـسـبـبـ سـكـنـةـ قـبـيـةـ وـحـيدـاـ فـيـ غـرـبـتـهـ الـرـجـلـ السـوـرـيـ الـذـيـ أـفـلـنـاـ فـيـ سـيـارـتـهـ مـنـ مـطـارـ تـورـنـتوـ.ـ كـانـ الـوقـتـ مـغـيـباـ وـالـمـدـيـنـةـ رـمـادـيـةـ وـالـصـورـةـ فـيـ ذـهـنـيـ مـاـ تـرـازـ حـيـةـ.

ثم مات زوجي السوري الذي كان شريكـيـ لـمـدـدـ 15ـ سـنـةـ بـعـدـ انـفـصالـنـاـ قـبـلـ ذـلـكـ بـسـنـوـاتـ قـلـيلـةـ.ـ وـمـاتـ الجـارـ السـوـرـيـ الـذـيـ كـانـ يـسـكـنـ فـيـ شـقـقـةـ مـعـ أـسـرـتـهـ فـيـ الـعـمـارـةـ الـتـيـ اـسـتـأـجـرـنـاـ –ـ أـنـاـ وـأـبـنـيـ وـوـالـدـهـ –ـ فـيـهـاـ شـقـقـةـ لـلـمـرـةـ الـأـلـوـنـيـ فـيـ تـورـنـتوـ،ـ الـمـدـيـنـةـ الـتـيـ أـدـرـجـتـ هـذـهـ السـنـةـ فـيـ الـمـرـتـبـةـ الـرـابـعـةـ عـالـمـيـاـ بـيـنـ الـمـدنـ الـأـفـضـلـ لـلـعـيـشـ.ـ فـيـ غـيـابـيـ وـمـاتـ وـقـتـ وـسـجـنـ وـفـقـدـ وـأـصـدـقاءـ كـثـرـ فـيـ سـوـرـيـاـ وـأـصـبـحـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـهـلـ

والجيران لاجئين في دول الجوار والعالم وها هم يعانون الموت البطيء والرعب اليومي.
ليس هذا كشفاً تاريخياً شخصياً. فالسوريون يموتون في الداخل وفي الخارج منذ قرن، والآن وأنا
جالسة إلى جهاز الحاسوب أصبح السمع إلى أيامِي، أكتب والبيت فارغ تماماً من أي نفس عدا طقطقة
أصابعي على الكيبورد، وهسهسة الحاسوب الذي هو صلة الوصل بيني وبينكم شرقاً. هذا لا يعني أنني
ساموت من الحزن ولا من السعادة. لدى كم من الحلم وزوادة من الخبر والفرح أتقاسمها مع العابرين
الذين بهمهم لا يدعوا على ظلهم وظلل الآخرين.
كن رفيقاً أيها الغريب، أيها الغريب!







هل قتل تولستوي أنا كارنينا... ومن قتل أمي

خبر وفاة أمي في حادثة تحت عجلات قطار في استكهولم

منعطفات تشكل الوعي الفكري وال النفسي التي لها الأثر في كتاباتي شاسعة ومتعرجة كالطريق بين كندا وسوريا، بين تورنتو مدينتي التي أسكنها الآن، وبين ديريك المدينة وحلب وحمص حيث درست وعشت. القراءات وبالأكثر من لغة كانت النبع الذي إليه أذهب كي أروي عطش الأسئلة التي كانت في ذهني منذ أولى مراحل الوعي.

فيما يزيد عن ربع من الهجرة إلى كندا تغيرت فكريأً وأصبحت جدةولي كتب مخزونة أتمنى أن يسعفي الوقت لإنجازها قبل الوصول إلى خط النهاية.
 بدايات الرحلة مع الكتاب

حين كنت طفلاً وأقرأ كثيراً، أذكر أول كتاب قدمت له عرضاً في المدرسة كان استعارة من مكتبة المدرسة. كان مطلوباً من طلاب الصف تقديم ورقة لحصة الإنشاء والتعبير في المدرسة الابتدائية. قرأت رواية آنا كارنينا للكاتب الروسي ليو تولستوي. وأذكر أنني غضبت عليها وحكمت عليها بمنظور أخلاقي اجتماعي سائد آنذاك، رأيتها امرأة تستحق العقاب لأنها أخلت بالقوانين العائلية والطبقية. وصفقت لي المعلمة والطالبات حينذاك.

وبعد مرور ما يزيد عن نصف قرن من الزمن على تلك المرحلة، أقف في ركن بعيد عن البيت الأول لأسأل: لماذا قتل تولستوي آنا كارنينا بطلة روايته التي أحببناها، وهل قتلها الروايني عقاباً لها على أفعالها، ليقدمها أضحيّة للمجتمع، أم قتلتها العادات والتقاليد السائدة، أم كان انتحارها إدانة للمجتمع نفسه؟!

ويرتبط السؤال بآخر حادثة قتل قرأت عنها في منصات سوشيال ميديا، قتل شابة جميلة كانت

تغى في السودان. ترى من الذي يقتلنا في الشرق عدا الطغاة الكبار والحكام الذين بيدهم السلطات العسكرية والتشريعية؟!

نحن الأفراد، أبناء تلك المجتمعات نقتل بعضنا لمجرد خروج بعضنا عن الخط العام ، وذلك قتل بأكثر من صيغة ويفق حاجزاً في طريق التقدم المدني الذي يرفعنا عنبة أخرى على صعيد التقدم الاجتماعي والفرح الفردي.

**

أكتب ما عجزت أمهاتنا عن الوصول إليه

في بيتي الأول في ديريك، أقصى الشمال الشرقي في سوريا، ولدت وعشت حتى مرحلة الثانوية العامة. كنت أستعير الكتب وأقرأ لأن اللعب في الحارة لم يشف فضولي الطفولي. لم أنشأ محاطة بالكتب في البيت، بل محاطة بالسؤال المتمرد والخجول الذي كنت أبحث عن إجاباته بين الكتب التي كنت استعيرها من مكتبة المركز الثقافي في المدينة التي تقف على حافة الريف والمدينة من حيث الطابع العمراني والاجتماعي. لم يكن في بيتنا مكتبة. هناك الجيران يتقاسمون الخبز والحكايات والتراث الفضولي، ويعرفون كل ما يجري في بيوت الحارة. يعيشون بتألف وحذر ك الخليط متلاطم من قوميات وأعراق عدة هي: السريانية والعربية، والكردية، والإيزيدية، والأرمنية. كان ذلك في ستينيات وسبعينات القرن العشرين وكم اختلف الحال الآن في سوريا في العقد الأخير من هذا القرن حيث اندلعت الحرب الأهلية وكم أسللتهم ومخاوفهم وطموحاتهم الفلقة. كانت الكتب رافداً للمزيد من الأسئلة والفضول.

أقف هنا بكمال غربتي لأجمع في رأسي فضائل وضحايا عالمين متناقضين ومتباينين جغرافياً وأكتب قصتي بصوتي ك الخليط يشبه طريقتي في التفكير والرواية وبحرية ليست كاملة ما دمت أكتب للنشر غالباً في الصحافة ودور النشر العربية.

الخطوات الأولى في كندا. كل مهاجر هو آخر ويشير الريبيه.

تدرجت في عملى اليومي من نادلة في مقهى وطالبة على مقاعد المدرسة لتعلم اللغة، إلى الوقوف أمام القضاة والبوليس والمحامين والمساجين وضحايا العنف المنزلي للترجمة لهم من العربية إلى الانكليزية، وبالعكس. وهذه تجربة لا بد أن تترك الأثر وتتغير في صلب اللغة والكتاب الذي أحرره والذي يحمل عواصف روحية وطبيعية.

وكي أتعلم أبجدية المكان الجديد واللغة الانكليزية أحاول أن أطور أدواتي المعرفية. ذهبت إلى دراسات في حقل الترجمة الفورية والتحريرية وقمت بتدريسها وتدريب الطلاب الراغبين في العمل

واونلاين. عرجت على حقل العلوم الاجتماعية وعملت في مركز للنساء المعنفات. كتبت عن هذه التجارب في مقالاتي الصحفية منذ بداياتي في النشر عام 1998. كانت الصحافة المهرجية والصحافة اللبنانيّة والعربيّة كريمة وتستقبل أغلب كتاباتي رغم الرقابة والقص بين مقال وآخر. لم ينشر لي ما يذكر في الصحافة السوريّة رغم أنني حاولت أن أرسل بعض المجلات في بداية انتلقي في الكتابة. وكان العالم لي بيته وكانت غريبة الروح في كل البيوت.

هنا لا أعرف جاري الذي يسكن في الشقة المجاورة. ربما أنا الغريبة البرية، أسير وفي رأسي أسلتي ولا ألتفت. علمتني الغربية الحذر والوحاجز والحدود أيضاً. لم يعد البيت مكاناً للقاء بل المقهى. الغرباء يخافون بعضهم بسبب التشجيع على الفردية اعتماداً مبدأ التعددية الثقافية في كندا، وهي سلاح ذو حدين بنظري. إذ تصبح هذه الخلايا المتعددة الأعراق جبوباً منكمشة على نفسها، ويصبح الخروج عن القوّعة والانحراف في الخط العام محفوفاً بالريبة من الآخر. الآخرون ليسوا الجحيم، فكل فرد حامل لجنته وجحيمه وفصوله الفردية.

المراحل العملية في الحياة الواقعية كان لها شديد الأثر على صفحات الكتابة. أعتقد أنني تعلمت دروساً في الكتابة من ورشات الكتابة كما تعلمت من تجربة العمل في المقهى أو في مأوى النساء المعنفات. كما تعلمت من الجلوس للقراءة والكتابة وأنا أرافق رواد المقهى أو وجوه اللاجئين والمهاجرين الجدد حين أعيد سرد قصصهم بلغتين، العربية والإنكليزية. أين سأذهب بكل هذه المشاهدات إن لم أضعها في كتاباتي وبطريقة خلاقة نسميها إبداعاً!

هل الهجرات عقوبة أم نجاة أم أنها قصة الحضارة منذ بدء التكوين والتدوين؟
الوجود برمهة قائم على الهجرة والفقد منذ أول ذكر وأنشى على هذه المعمورة كما تشير الأساطير والكتب. الهجرة الأولى أو النفي لأجدادنا الأوائل آدم وحواء جاء عقوبة على ارتكاب الفعل الجنسي ومنذ ذلك الحين ونحن نحاول أن نتجذر في الأرض ونبني بيتاً. كان بعدها هجرة نوح وأن بيته ومخلوقات الأرض الصغيرة، مكافأة للنجاة من بلد يعم فيه الخراب وقبل أن يغمر الطوفان المكان. وكان لابد دوماً من حمامنة سلام تدعهم على بيت ليسندوا إليه غربتهم وأقدامهم وأحلامهم المتبعة المترعة بالخوف من المجهول.

الهجرة الثانية كما يوثق التاريخيون كانت هجرة الأفارقة في القرن الخامس قبل الميلاد وتبعتها موجات متعاقبة، إلى أن صار حق الهجرة واللجوء حقاً إنسانياً يرد في لائحة حقوق الإنسان. وصار حق اللاجي في الحصول على خدمات الترجمة مكفولاً أينما ذهبنا، وحقاً شرعياً ومموقراً في البلاد

الهجرة حكاية البشرية والغرباء في الأرض

يبدو أن الإنسان يحتاج إلى حكاية من الخيال ومن الواقع كي توسع حدود معرفته بالعالم. وكلما عرف واختبر وابتعد عن البيت الأم يزداد حضوره وغيابه اشتباكا في هذا الكون. أتحدث هنا عن حالة عمومية لها خصوصيات لدى كل فرد. ما موعي من هذه الخريطة الكونية ككاتبة؟ وامرأة؟

جلس الآن على مقعد خشبي وأعain امتداد العشب الأخضر أمامي ويكثر فيه الورد الأصفر الوحشي الذي يجب قصه كي لا يقتل العشب. أو لنقل أنا جالسة في منتزه صغير جوار البيت ويصلني صباح أولاد من الحضانة المجاورة. يلعبون في حديقة المدرسة. أولوائهم متباعدة، أغبهم سود وشوكولاته. تقول لهم المعلمة اركضوا. وبعد الركض هناك مغريات للأكل قبل انصرافهم إلى أهلهم الذين يعملون في مكتب ما من هذه المدينة الملونة

الكتابة في جوار الطبيعة بعيدا عن العمران الاسمنتى الشاهق

أكتب ما أرى، ثم أعود إلى البيت لأكتب في البعد الآخر..

لماذا خرجت إلى هناك وجلست أكتب باستخدام هاتفي الجوال، ولا أحد غيري في الساحة كلها. الهواء بارد قليلا. يأتييني اتصال من العمل. أغلق صفحة السرد كي أعرف ما العرض وما العمل المطلوب. يبدو أنني لم أنجز عملي كما يجب. قرأت الايميل المرسل. هناك تنبيه لي والسبب : كان لدي عمل ولم أذهب إلى الشركة في الوقت المحدد. لم استطع أن أكتب لهم عذرى وانشغل العامر بقصيدة حب أو بكتابه ورقة عن الهجرة وأثرها على تجربتي الإبداعية رغم إخلاصي لعملي الذي اعتبره انسانيا، إذ أخدم شخصا فقد لسانه حين هاجر من بلده إلى هذه الأرض ولهذا يحتاج لسانى كترجمانة. أسرع في الكتابة كي الحق بخواطري التي تتقارب بين شرق وغرب. أفكر في تبرير هذا الخطأ!

ويمرقطار الأخضر والأصفر بالقرب من كتف هذه الساحة. هناك طيور سعيدة والسناجب تلعب. رائحة الأرض والعشب الأخضر منعشة. التقط صورة للقطار وأدنن بنفسي قصيدة الشاعر العراقي مظفر النواب "الريل وحمد" لست حزينة ولا أحد يستطيع أن يوقفقطار والأفكار وتداعيات جاكلين في كل خطوة. أتذكر بيت أبي في البلاد حيث نشأت محاطة بالأشجار، وربما لذلك ألوذ بالمنتزهات التي

تفق قبلة مساحات اسمنته شاهقة في مدينة تورنتو التي تستقطب المهاجرين من العالم ومهم

الستهم الغريبة التي تحمل الأسى والأمل.

لغة البيت الأول والفقد الكبير

أعود إلى الهجرات الأولى وأسائل: ماذا كانت لغة أدم وحواء؟ هل كان لديهم ترجمان؟ أم كانت الأفعى تتكلم أيضاً. لا نعلم.

مهنة الترجمان قديمة قدم بابل بيت أجدادي الأوائل. الألسنة الأولى كانت آرامية وأنا لسانى الآن عربي ويختزن قيلة بكل لغات الأرض للحب الذي أفقده كل يوم وأعثر عليه في طيات قلبي وإليه أسافر دون بطاقة سفر. الحب ونقضه، الحب وعقابه، الحب ببعد الكوني هو أصل الحكاية، هو سيرة الجسد في سفره وفي بحثه عن الخلاص من الحرب، من الفقر، من الموت دون أثر يذكر. اللجوء إلى الحياة حق كل فرد، والحكايات المكتوبة الوثيقة المهجوية التي نتركها للتاريخ كل بلغته وتجربته.

الكرامة والخبز والورد كانت قبلتي في الكتب وبحثي وسعى في هذه الأرض. ستعيش ونموت في حنين إلى المفقودات الكثيرة في تاريخنا المعاصر القلق والمخيف. لقد وصلنا إلى الذكاء الاصطناعي في زمن شح الروح الإنسانية. الفقراء في الأرض كثُر والمعديبون في طاحونة الحرب والشتات كثُر، فلماذا لا يخترعون لهم حلولاً حتى الآن وبنكاء إنساني عادل؟

سنختار الحلول الجمالية في الكتابة الروائية والشعرية والحكايات.

دراسات الشتات والترجمات في حقل الدراسات الإنسانية

المهجر أو النفي واللجوء إلى الآخر للبحث عن الأمان والعيش الكريم، سيرة طويلة ومع ذلك نجد في الجانب العربي تقاعساً في دراسة هذا الحقل وأثره في رحلة الحضارة المدنية المعاصرة. في كندا وجماعتها هناك حقل لدراسات الشتات (ديسبورا) المهاجر. وهي هذه حمولة ثقافية وفكرية سوسينولوجية وسيكولوجية تضع الآداب الحديثة تحت مجهر التحليل للخلوص إلى معرفة مغايرة للسائد. إنهم يدرسون ثقافتنا ولغتنا. خلال تجربتي الميدانية تمت استضافتي في عدد من الجامعات الكندية للحوار مع الطلبة حول اللغة والمنفى، المكان الجديد ومصاعب الرحلة، الحرية والرقابة والقمع في البلاد العربية وسوريا، وذلك يقع في حقل الدراسات الإنسانية وآدابها.

في كندا والعالم يستضيفون (الآخر-المهاجر واللاجئ) في ندواتهم ومنابرهم من أجل فتح باب التقارب والتفاهم الذي قد يبقى ناقصاً بين هذا العرق وذاك. إذ نلاحظ لدى بعض الشعوب تلك العنصرية العرقية المتزمتة التي تظهر بشكل مبطن أو معن أحياناً.

وخلال التجربة لاحظت في البدايات ذلك التهيب والقلق من الحديث بلغة غير اللغة الأم فيها "اللنة"

ليست انكليزية خالصة. والخوف من العثرات الذي يؤثر على الإداء بصورة أو بأخرى. أذكر أنني في أيام الهجرة الأولى كنت أتردد في طرح أي سؤال حين أذهب لحضور أمسية أدبية. كنت أخاف أن أخطئ، أخل من لكتني السورية-الإنكليزية، أخشى أن يكون سؤالاً في غير مكانه، وإلى أن تعلمت أن اعتقل خوفي وأحرر لساني وأطلقه كما هو في هذا الشتات اللعين الشميين.

قراءة الأدب الكندي وباللغة الانكليزية والأثر

تركزت قراءاتي في السنوات الأخيرة على الانكليزية، وبشكل خاص الأدب الكندي الذي قدمت الكثير من المقالات والدراسات عنه. منذ أيام وقع في يدي ديوان شعري لكاتبة كندية معروفة روائية اسمها كارول شيلدز، وعنوان الديوان "القدوم إلى كندا". أثار العنوان فضولي، فحصلت على الكتاب كي أتعرف على شيء يشبهني في التجربة. حين علمت أن الكاتبة هاجرة في طفولتها من أمريكا إلى كندا مع أسرتها، ابسمت وقت لنفسي: هذه لا تشبهني في رحلتها لأسباب كثيرة: أمريكا جارة كندا الأقرب ومتشبهة في كثير من الطقوس. اللغة واحدة وهذا أصعب مازق يواجهه الكاتب حين يهاجر إلى بلد لا يجيد لغته، اضف إليه أن الهجرة في السنوات المبكرة من العمر تختلف حمولتها الوجданية عن يهاجرون في سن متقدمة من العمر.

لا أدرى ماذا كانت ستفعل الكاتبة مارغريت أتوود الكندية المعروفة عالمياً لو أنها اضطرت إلى اللجوء إلى بلد بعيد مثل سوريا أو السعودية؟ ماذا كانت ستكتب وكيف، وبأي لغة؟

دراسة أثر الرحلة في الكتابة

بناء على ما سبق أنا وكتاباتي خليط حضارتين ولغتين وثقافتين. حفيدي اسمها آنا، أمها كندية انكليزية وأحاول أن أعلمها بعض الكلمات العربية. أحاول يومياً خلق قاعدة للتوازن بين هذه المتغيرات وهي كثيرة وتطال العلاقات الخاصة وال العامة. في الجلة الواحدة يصدق أن يجتمع أصدقاء من دول العالم في مكان عام أو في زيارة شخصية عائلية. تقاطع اللغات واللهجات ووجهات النظر وتنافر. الأزياء وأطباق الأكل تتتنوع ويتجه الحديث نحو الذاكرة القديمة والمشاهدات اليومية. وجهات النظر حول ما يجري من حروب اليوم تنقاذه إلى مائدة الحديث وتربكنا أحياناً. مختلف فيما بيننا، مختلف مع أنفسنا أيضاً ونتابع الرحلة. وأعود إلى بيتي لوحدي لأكتب اخترابي. وأكمل حكاية هذا الإنسان المقهور في الطريق الذي لا يؤدي إلى الجحيم الكوني، في الحلم بأن الإنسان أذكي من الآلات التي اخترعها والقوانين التي سنها على مر الحضارات.

نشر في الملحق الثقافي لصحيفة عمان يوم 31 أوغست(تموز) 2023
وصلني خبر وفاة أمي في حادثة قطار يوم 19 مايو 2023 في السويد.

آننا كارنينا بطلة رواية الكاتب الروسي ليو تولستوي، وأمي بطلة المجهول
هذه التداعيات كتبت يوم وفاة أمي وقبله وقبل أن يصلني الخبر وبعد

19 مايو 2023

في عطلة نهاية الأسبوع، يذهب اللاجئون إلى صور العائلة في الألبوم، يجلسون على عتبات بيوتهم التي في الصورة، يدعون الخيال لرشفة قهوة وكليجة... يتنفسون عطر الوردة التي هناك في الصورة. أحياناً يكون وأحياناً يصعب عليهم أن يسمعوا نفس الأغاني التي كانت تسعدهم مع أخوتهم وأهلهم في تلك البلاد التي أحرقتها عصابات وعصبيات وفن وحكومات داخلية وخارجية.

في عطلة نهاية الأسبوع، أحياناً لا يكون لدى المهاجر وقت للنظر في اليوم العائلة، أو الاتصال بالعائلة التي هناك، لأن الروابط انقطعت بسبب الشatas، وبسبب الاختلاف في تأويل المرحلة، وبسبب التناحر على أشياء مادية وأخرى غير مادية، بل منتهى التقليدية.

في عطلة نهاية الأسبوع، يتذكر المهاجر في العالم، أنه يجب أن يضع خرزة زرقاء في رقبته لأنه نجا من الحرب مرات ولم يمت. لكنه يعرف أن في داخله شيء مات، شيء مفقود، شيء لا تملأه الدولارات الكافية للمعيشة. شيء يشبه صرة موت معلق في الرقبة.

في عطلة نهاية الأسبوع، يختار كل كيف يقتل نهاره، بالعمل، بالحب، بالمشي مع الطبيعة، بالكتابة أو القراءة، بالصمت، بالثرثرة، بالكذب، بالحق، باتفاق حكاية بطولية عن نفسه(هو-هي) ...

في عطلة نهاية الأسبوع الطويلة... تفتح المدينة أبوابها كلها للغرباء كي يحتشدوا فيها ويلتقوا الصور السعيدة وهم يبتسمون.

لا شيء يحدث بشكل مختلف عن بقية أيام الأسبوع. ويحدث ما لا نريد أن نتحدث عنه بشجاعة وصدق. اليوم تعلن كندا بداية الصيف... هذا صيف بارد. والحرارة 20 درجة وهناك حادث سير في مكان ما من المدينة.

أكثر الحالات حزنا، حين ينجو أحدهم من الحرب ويحصل على اللجوء، ثم يصل هنا فتدسه سيارة عابرة، أو يصاب بالازهايم فجأة.

وفي كل الأيام، عش بامتلاء كي تموت فارغاً من كل ما تحلم به. اعط الحياة ما لديك. وقل لنفسك: أنا كل متكامل في ذاتي، وجودي قيمة في حد ذاتها، وهذا يصنع كل الفرق إنما كنت.

20 مايو 2023

في تلك اللحظة، حين كنت أكتب هذا السرد الذي نشرته على صفحتي في فيسبوك، كانت أمي تفارق الحياة، صدمها قطار في استهكولم، السويد. وحتى الآن لم نعرف كيف اختارت أن تذهب للسير في مواجهة القطار، وهل كان ذلك قرارها أن تعبر السكة إلى العالم الآخر، أم خذلها ذهنها المتقدم في العمر ولم تعرف كيف تجد الأمان وتتابع الحياة بسلام بعد الهجرة.

السلام لروحك يا أمينا الغالية... جرحنا كبير بفقدك يا أمي ... وأنا الذي عشت افتقدتك منذ أن غادرت سوريا وإلى الأبد. هل أخذتك آنا كارنينا إلى سكة القطار أيضاً كي تخلصي من هذا العالم. حادثة قطار يا ماما !! هذا آخر ما كنا نحسب له أو نتوقعه في رواية مهجرية لعندي أكتبها ذات يوم.

*

20 مايو 2023

الله يقبل أن تغير اتجاه سيرك ووجهتك ١٨٠ درجة إذا كانت الطريق غير سالكة ولا تأخذك إلى الغاية التي في رأسك. إذا كانت ورقة البحث أو القصة في يدك غير مقتعة ولم تصلك بالمراد، ابحث عن مخرج آخر لكتاب ولذلك في كل شوارع المدينة تجد زاوية للانعطاف الشديد.

في الطريق العام خطوط تقف عندها وسرعة تسير وفقها في كل حارة. وإذا خطر لك أن تغير الطريق وتمشي في الاتجاه المعاكس، يجب أن تنتظر إشارة مناسبة للانعطاف وإلا قتلت نفسك أو صدمت أحدا وقتلته، إذا كنت تقود سيارة أو قطاراً أو تمشي عكس السير وسط طرق محتشدة. كلمات لن تقرأها أمي: أمي، أحبك كلما كبرت وكبرنا وبيننا كل هذه المسافات الهائلة جغرافياً وفكرياً. أحبك وأحزن عليك كلما قلت لي "بنتي لا تكتب وترتعيهم وتتخلي العالم تحكي عليك و علينا"

أمي التي لا تقرأ ولا تكتب، تخاف من كلماتي لأسباب أعرفها وهي من أكثر نساء الأرض حزناً وشفافية. أنا ورثت عن أمي حزناً ثقيلاً وضحكات رائقة وقلباً كريستاليَا يشع ويجرح إذا تشظى. حين كتبت مجموعتي الشعرية (الثانية) لم أتردد اطلاقاً في ان أسميه (كريستال) لم أفكر كثيراً كما فعلت حين اخترت العناوين الأخرى للكتب اللاحقة التي لم ولن تقرأها أمي التي تخاف على لأسباب هكذا. ولأنني سيدة نفسي ووحدي في بلد لا أهل لي فيه. وحده ابني -سلام-. يكبر هنا قريباً من قلبي ويشاركتي في المناقشة والأفكار ويقول "اكتبي ما يحلو لك، لا تخافي شيئاً ولا أحداً. أنت امرأة حرة"

٢٠ كتابة الخوف والرغبة

الأدب المهجري المعاصر يتجدد في كتابات اللاجئين والمنفيين الذين يعيشون خارج الجغرافية الطبيعية الأولى للوطن الأم، والذين ليس لديهم جوار سفر متعدد لزيارة لزيارة الأسرة كلما أيقظنهم الحنين والرغبة. هولاء الكتاب حالهم يختلف عن حال كتاب يعملون في كندا أو أوربا كسياحة وتحسين وضعهم الاقتصادي والعلمي، ولديهم جنسيات مزدوجة ودخل مادي ميسور ووراثة أملاك عن الأجداد، فيستفيدون من خيرات كلا البلدين. بنظري كتاباتهم لن تحمل تجديداً يؤكد أن هناك أدب مهجري.

التجربة الذاتية

أما عن تجربتي، أنا لم أعد إلى سوريا سوى مرة واحدة خلال ما يزيد عن نصف قرن. مات أهلي ولم أرهم، تهدم بيت أبي وأمي ولم يبق لي ما أعود إليه هناك. هل لذلك أثر في كتاباتي؟!

نعم، وإن لم يظهر ذلك فهذا يعني أنني غير صادقة في شعوري وكتاباتي. دواويني الشعرية وكتاباتي السردية تكشف جانباً من هذه التجربة المهجوية.

تجربة الهجرة تكسب الكتابة الإبداعية عمقاً ووعياً إضافياً له مفارقات إذا امتلك الكاتبة (ة) مهارات الصنعة الإبداعية. كتاباتي بصيفها الشعرية والسردية والبحثية تتفرع على أكثر من مدرجاً جغرافي وتمتد إحداثياتها في محاور الشرق والغرب، الداخل والخارج، البيت الأول وال التالي. وتختلف تجربة المهاجر من فرد إلى آخر. أنا اخترت الاندماج والأخذ من الثقافة الانكليزية ما أمكن شخصياً، أسعى منذ قدومي إلى تطوير معرفتي والإطلاع على الاصدارات الأدبية والفكرية التي تصدر في كندا والعالم الانكليزي.

ومازلت عاجزة عن استيعاب قصص السناجب التي تتسلق إلى طابقي في بناء من 20 طابق

وتحضر معها حبات الفستق السوداني، أو تلتقطها من جارة تسكن في الطابق الأعلى وتعود إلى الأسفل.

الترحال ويقطة الحواس والتلاقي تكسب تجربتي غنى وتنوعاً وإن كان الواقع اليومي متعيناً معنواً وجسدياً.

العيش في هذه الأمكنة ليست رحلة رفاهية واستجمام لآلاف اللاجئين، بل صدمات بأبعاد مغايرة لمعاناة الأفراد في البلد الأول. إنها مطحنة ومعركة يومية مع الوقت، مع الماكينة الاقتصادية التي تحاول أن تتبع روحنا وعقولنا. إنها محطة غنية بالمتاقضات، إضافة إلى أن الطبيعة وقوتها تؤثر بطبعتنا ونمط العلاقات. فالشتاء الطويل البارد الجليدي، معاناة يومية وتترك أثراً لها الواضح في كل ما أكتب وأنا أعقد مقاربات روحية بين بيتي وحارتي هنا ، وبين وبيت طفولتي وشوارع مدينة التي في رأسي.

وإذا عدنا إلى تجربة أجدادنا المهجريين الشرقيين الأوائل أمثال جبران ونعيمة وعريضة سند تاك العلاقة بالطبيعة وشطف العيش والحنين ودروس الحكمة ماثلة وشاهدة على التجربة والمكان. لكل نص مكان وحواس وتجربة. حالياً أشعر أن هذه الهجرة تتبع المكان السابق وتقول لي: سيكون لنا هنا قبور بلا زوار.

كتاب الحاضر متشابك بخيوط الماضي والغد الملتبس إلى أن يأتي زمن وتنتب ذاكرتي من التدقيق والمقارنة فأصبح كأنناً مهاجراً لا يشبه ماضيه تماماً ولا يشبه اللاجئين القادمين من بلاد أخرى يسكنون في البيت المجاور لبيتي.

مجلة الهلال المصرية العرقية عدد تموز 2024، تحقيق صحفي أدرار أشرف الشعلبي.

رحلتي الأدبية بين خط الخوف والرغبة، أبريل 2023

كتبت رحلتي بين خط الخوف والرغبة في رفع سقف الحرية.

حين غادرت سوريا 1997 ببطاقة ذهاب بلا إياب كان لا بد أن أتهيأ لولادة جديدة في أرض غريبة نائية. أدمتني سنوات الهجرة الأولى وأطلقت صوتي بحرية مواربة.

في هجري ولدت من جديد كي أمسك بالحلم عبر القلم. بعد وصولي بأقل من سنة، نشرت كتاباتي وشاركت في مهرجانات للأقليات وفي المسيرات السلمية لمناصرة حرية الكتاب السجناء في العالم.

كنت أحسد كتاب العالم على حدود حريةهم التي ليست متاحة لي باللغة العربية.

في كندا صار لي حرية أن أصرخ بوعي للمرة الأولى. قرأت بالإنكليزية واشتغلت بها في مهنتي

كمترجمة. درست كطالبة لغة، وسجلت في ورشات للتمرين على الكتابة الإبداعية بالإنكليزية في جامعة "رايرسون" في تورنتو. علمت نفسي بالقراءة والبحث وما زلت أحاب وأتعثر وأحفر الطريق. قرأت ما استطعت من الأدب غير المترجمة إلى العربية، وكتبت عنه مقالات وترجمات نشرت في الصحافة العربية وتصدر في كتب. لي كتاب سيصدر قريباً ويشمل حورات ومقالات فكرية أدبية عن أدباء ومفكري الخليج الكندي والإنكليزي. فيه اشتباكات الآخر الذي تركته تجربة الهجرة في كتاباتي، مقالة وقصيدة وترجمة وسرداً قصصياً ورحلة يومية.

هذه العلاقة الملتبسة بالأشياء والعالم غزرت في حس السانحة التي تريد أن ترى أكثر ما يمكن، تلتفت صور الشارع ثم تعود إلى كتابتها وقراءة دواخلها. في الكتابة من هناك تحضر العلاقة مع المكان كجغرافيا، لغة، طقس، حالة نفسية، وأسئلة وجودية وتأملية طرحت في أدبيات أجدادنا المبدعين المهجريين الأوائل الذين لم يقتصروا على كتابة الشعر بل أثروا المكتبات العالمية بسرد روائي وفكري وفلسفي.

نحن جيل الشتات والهزيمة والحروب المتالية لم تتجاوز كثيراً حجم الكارثة المعاصرة في الشرق المتدهلك.

نشر في صحيفة العربي، أبريل 2024. أجرى التحقيق الكاتبة اللبنانيّة دارين شوماني.

طرقات أخرى...شتاء 2024 أفكار عن الفن المهاجر والتراث

في المنفى ينكسر المعنى. حتى المعنى الذي يخص اللقاء الأدبي والصداقه والحب الأول والتالي. ويبقى هناك شيء يجمع أفراداً في الشتات، هو اللغة وأسلوب التعبير عن الرحلة، والهروب إلى شيء مجهول يتعارض مع مسألة الانتفاء. من جانبي هو الانتفاء إلى فكرة جمالية كونية، ليست قومية، وليس دينية، وليس مذهبًا، وليس عرقاً. تعينا من كل هذه الخسارات.

وبما أن مساحة هذه الشيء الجمالي ضئيلة قياساً إلى المصالح المادية الفردية والدولية، يقترب المنفى من الانتفاء إلى اللاشيء مهما أدعى الانتفاء إلى قومية ودين ولغة مشتركة.

في الشتات، لا مشترك إلا الاغتراب الذي لا يندمل إلا بتقديم أرواحنا كأضحيات أو قرابين منتجة للفنون، وبكل صبغ الإبداع على بعد هذه الكرة الأرضية.

تغير بنية المجتمع الفكرية ونقله إلى المدنية خطوة بما في ذلك إنصاف المرأة وموقعها، يكون بالموافق الجريئة على أرض الواقع وليس في المخيلات والشعارات وفقط الروايات والقصائد.

الشعاريون وأصحاب الأفكار الزاهية المغربية سببوا دمار المجتمعات العربية بممارساتهم الإنقسام
الحاد بين الفعل والقول.

كنا وما زلنا بحاجة إلى ربط النور بالتنوير ، وربط السلام بنزع أسلحة الكراهية وأسلحة الجهل والدمار
والقتل وبحاجة إلى ربط الأحذية بأربطة صالحة للسير كي لا نتعثر بها حين نمشي في طريق الحرية
ونقع ونتكسر كما الألواح الجافة.



- البداءيات والميول إلى اللغة الأجنبية

الترجمانة ليست قاموساً. هذا ما قالته الأستاذة في معهد تدريب المترجمين، حين ذهبت لأكون مشرفة ضيفة أثناء دورة تأهيل الطلاب المتدربين للحصول على شهادة مزاولة الترجمة الفورية. الشركة التي كنت أعمل لديها كانت تشق بعملي وترسلني في المهمات الصعبة والتي تتطلب مهارة في الترجمة، ومقدرة على التواصل الاجتماعي، واستيعاب الجانب الآخر بحيث يمكنه (هو وهي) أن يشعر بالارتياح للإدلاء بالشهادة أو لنقل الملاحظات والتصحيح أثناء فترة التحضير للاختبار. فالترجمة الفورية أو الشفاهية تقضي ذلك التناغم والتواصل الذي يجعل المهمة أسهل على الجميع. هذا الحقل الذي يجمع مهارة فن التواصل ومهارة فن خلق البديل في وعاء اللغة الأم واللغة الأخرى. كانت التقارير التي تصل عن مهاراتي من الجهات التي أعمل معها، ممتازة، مما جعل الشركة نفسها تدعوني لتدريب أو تدريب الطلاب في دورات التأهيل للعمل في الترجمة الفورية. وبعد ذلك تم اقتراح اسمى لجهات أخرى كي أقوم بتصحيح وتقييم الامتحانات الخاصة بشهادة الترجمان في أونتاريو كندا، بالإضافة إلى عملي لحسابي الخاص.

كيف أصبحت ترجمانة، وما هي المصاعب التي واجهتني بعد الهجرة إلى كندا؟ دراستي الجامعية في سوريا كانت في حقل الهندسة الكهربائية. بعد سنوات من اختبار الذات والمجتمع الجديد قررت العمل في حقل الترجمة الفورية بين العربية والإنكليزية -حسب الطلب من قبل الهيئات الحكومية والمنظمات لتلبية احتياجات القادمين الجدد. لنعود إلى البداءيات...حين كنت طالبة في ديريك، شمال شرق سوريا. جرت مسابقة للغة الإنكليزية

في الصف الحادي عشر بإشراف أستاذ اللغة الانكليزية "كريم إيليا" وفازت حينها على جميع الزملاء في الصف وأهداي المعلم قلماً أنيقاً كتشجيع. وحين أنهيت الثانوية العامة، كان معدل علاماتي في اللغة الانكليزية جيداً، فذهبت إلى جامعة حلب لتقديم طلب لدراسة الأدب الانكليزي وحصلت على قبول في الجامعة. بعد ذلك غيرت رأيي والتحقت بكلية الهندسة الكهربائية، كنوع من التمرد الأرعن على وصايا الأستاذ والأهل بأن أهم وظيفة أو مهنة للمرأة هي حقل التعليم.

حين هاجرت إلى كندا في عمر 33 سنة، كان أبني (سلام) في التاسعة من العمر وكان علينا أن نخوض كغيرنا رحلة الاغتراب في جوانبها الجميلة والمرة. عدت ثانية إلى المدرسة الثانوية في كندا لإتقان اللغة الانكليزية التي هي ضرورة لمن يريد أن يكمل الدراسة الجامعية! أردت أن أعمل في حقل الاجتماعي فتقدمت للدراسة في معهد "جورج بروان" الشهير في أونتاريو كندا، وحصلت على القبول، ولكنني لم أكمل بسبب الوضع المادي الصعب، إذ أن القروض المادية لن تكفي لتغطية نفقات العيش والدراسة بدخل فردي.

تابعت الدراسة الأكاديمية للغة والعمل في قطاعات أخرى وإلى أن استقر هواي على ممارسة الترجمة الفورية كمهنة بعد انخراطي في برامج مخصصة لتعليم ممارسة الترجمة الفورية. اشتغلت على سبيل المثال، نادلة في مقهى وصنعت الحلويات والصندوبيش وكنت أتعثر حتى في الكلام مع الزبائن وأتعظم. كنت أذهب إلى المدرسة صباحاً، وإلى العمل بعد الظهر وحتى منتصف الليل. في وقت الاستراحات وحين تخفت زحمة الزبائن، التقى الصحف اليومية الكندية (تورonto ستار مثلاً) أو الصحف المتوفرة مجاناً (ناو مجازين)، وأقرأ باستخدام القاموس. أضع خطأ تحت الكلمات الجديدة، لمعرفة المعاني. ثم أسجلها في دفتر الملاحظات الذي في حقيبي.

في يوم ما لم يكن لدي ثمن قاموس (عربي-إنكليزي) فأهداي أحد الأصدقاء قاموساً صغيراً (إكسفورد، إنكليزي-إنكليزي) ثم اشتريت بعدها من مستودعات الكتب المستعملة عدة قواميس (ويبيستر، ذا سوروث) وبعدها معاجم المصطلحات القانونية والجناحية والطبية وما إليه كي تساعدي في ممارسة مهنتي كترجمانة ومترجمة تحريرية في نفس الوقت. وطوال 20 سنة لم انقطع عن تطوير مهاراتي باتباع دورات جديدة وحضور ورشات عمل بشكل شخصي، وأونلайн. تعلمت الكثير ولم أصبح قاموساً ومازلت أعود إلى القاموس كي أختار الكلمة الأنسب في أي مشروع للترجمة. مثلاً: واجهت صعوبات في ترجمة الرتب العسكرية للذين يخدمون في الجيش. وأحتفظ بقاموس صغير خاص بحقل الصحة، والقانون، والمجتمع. وحديثاً هناك مصطلحات جديدة تتعلق بالمتحولين جنسياً ومثلي الجنس وما إليه.

الترجمة تقتضي التوسيع في المعرف والقراءة باستمرار

أستطيع القول بأنني علمت نفسي خارج الجامعة. كنت ومازالت أتعلم. فرأت كثيراً جداً في اللغتين العربية والإنكليزية إلى أن صارت لدى الكفاءة والثقة للعمل في الترجمة بعد أن اجتزأت كل الاختبارات المطلوبة لمزاولة المهنة. وتمكن من نشر مئات المقالات عن كتب قرأتها بالإنكليزية وقدمت أفكاراً عنها في أهم المجالات والمنابر الأدبية العربية المعنية بالترجمة والثقافة. وفي كل مقال كنت أقتبس بعض السطور وأترجمها.. وهذه المقالات جمعتها مؤخراً وسوف تصدر في كتاب كي أحافظ ذلك الجهد وتلك الشروق الأدبية الفكرية التي تعد نافذة على الأدب الإنكليزي وتحديداً الأدب الكندي، شعرًا وقصة ورواية، وعلوم اجتماعية. وربما تكون رافداً ومرجعاً للجامعات العربية. بالإضافة إلى ذلك وعلى مدى 25 سنة بتقديم الكتب التي تثير شهيتي قمت بتقديمها إلى الجانب العربي. المقالات والدراسات نشرت في المجالات الأدبية المرموقة ومنها: مجلة آداب أجنبية، مجلة الفيصل، مجلة قوافل السعودية، وغيرها، وفي صحف ورقية مطبوعة، منها، الصباح العراقي، جريدة عمان(مسقط)، السفير اللبناني، المستقبل اللبناني، الحياة، الشرق الأوسط اللبناني، الزمان العراقي... وعد لا يحصى من الواقع الإلكتروني ومنها: الجزيرة نت، إيلاف، وال الحوار المتمدن، وليس حسرا. بالإضافة إلى صحف المهاجر الكندي: أخبار العرب، والوطن، المغترب، وموقع كندا اليوم.

الكتابة لانتصار على الذات

تلك الكتابات المشتبعة، الترجمات والمقالات التي قدمت من خلالها خصوصية إبداعية، كانت طريقتي في مقاومة الأسى والاعتراض عن اللغة الأولى والبيت والأهل. كانت كتاباتي وقراءاتي بمثابة هوية جديدة لذاتي التي لم تعرف الإحباط رغم مشقات الطريق. وبكيت مرات أثناء العمل كترجمانة (عربي-إنكليزي) وخاصة حين كنت على احتكاك مباشر مع قضايا المهاجرين واللاجئين، والنساء المعنفات.

تجارب وتحديات من واقع عمل مترجمة في تورنتو

تدرجت في عملي اليومي إلى الوقوف أمام القضاة والبوليس والمحامين والسجناء وضحايا العنف المنزلي للترجمة. وهذه تجربة لا بد أن تترك الأثر وتتغزّل في صلب اللغة والشعر الذي أحقره والذي يحمل عواصف روحية وطبيعية. وقمت بتدريب الطالب الراغبين في العمل في حرفة الترجمة الفورية. ودرست في برامج متفرقة وخاصة الكتابة الإبداعية، في الجامعة وأونلاين. عرجت على حقل العلوم الاجتماعية وعملت في مركز للنساء المعنفات. سمعت قصص الشعوب والماسي. وذلك يزيدني حنواً على العالم، وغضباً عليه أيضاً لشدة جشعه وانحرافه عن العدالة.

والتسامي الإنساني الذي يليق بالجميع في كل مكان.
فالترجمة وأنت داخل المكان وفي المؤتمرات والجلسات القضائية والمجتمع، تختلف عنها وأنت جالس أمام الكمبيوتر في العراق أو سوريا تترجم نصاً شعرياً أو رواية.

ترجمة الخوف والعنف وجهاً لوجه مع الضحية

طلبت مرة للعمل كمترجمة للقسم البوليس في تورنتو. المرأة كانت ضحية للعنف المنزلي. انتابني الخوف من المثول أمام ضابط البوليس كمترجمة محترفة. قلت للموظفة " لا أريد الترجمة للبوليس، لا أحبهم" أجبت: "ولكنك اجتررت الامتحانات ولديك الكفاءة المهنية واللغوية لتقديم بالعمل، هناك امرأة بحاجة إلى مهاراتك اللغوية كي تدللي بشهادتها"

حين نخاف تنكسر السنننا وتساقط الكلمات ميتة بلا صدى بين شفاهنا. تحديت نفسي وذهبت إلى مهمتي في قسم البوليس. أتى الضابط لأخني إلى غرفة التحقيق. شعرت بالرهبة، تعرقت يدي وخفق قلبي حين قال لي الضابط " هل تكلمت مع الضحية في الصالة؟" قلت: لا، لم أتكلم مع أحد.أخذ الضابط اسمى الكامل وخرج من الغرفة. عدت بذكري إلى سوريا حيث لا يرى ضابط البوليس إلا ليهين مواطناً أو ليعنقه ويعامله باحتقار. بذهني كنت أغادر حدود الغرفة واصل إلى سوريا التي فيها تكثر النساء ضحايا العنف المنزلي اليومي، السياسي والديني. عاد الشرطي مبتسماً مع زميلته الشرطية ومعهم المرأة - الضحية، لإجراء تحقيق مصور بالفيديو. كان لسانني بيغاء ماهراً. بعد ذلك صار لقاء الشرطة سهلاً من الناحية النفسية.

بعد سنوات من الخبرة في هذا الحقل، صرت جسراً وقناة لحمل المعنى بين لغتين. أترجم دوماً بضمير المتكلم. مرة أنا أتكلم كشرطية، كضحية، كقاضي، مجرم، كرجل عنيف، أو طفل عاجز. الترجمة بضمير المتكلم تثقلي بما ليس مني. و على دائمًا أن تكون مشاعري حيادية جامدة. في هذا الحق اختبرت أعمق الآخرين وسيرهم ومخاوفهم عن قرب. تعرفت بعمق على المجتمع.

كيف نتخلص من المحمول السلبي وقصص الآخرين وصداتهاحزين في رأسنا بعد العمل؟

كغريبة أنقل لسانني للعمل والكتابة الابداعية والصحفية بين لغتين متناقضتين من حيث الأسلوب والبناء والقواعد، وأتكلم بضمير الآنا. في نهاية النهار أذهب لوحدي إلى شقتي في سكاربورو. تعود إلى ذهني رجفة الخوف في شفاه تلك المتقدمة على اللجوء وهي تنتظر قرار القاضي، وهل سبقبها لاجنة أم سيرفض. أتذكر دموع الفرح والغبطة في وجوه عائلة حصلت على اللجوء. شفاه وقلوب وتاريخ من العنف والماسي يتكرر أمامي. حتى أتنى تعلمت بعض الشتائم الحديثة باللغتين إلى جوار المصطلحات

القانونية والطبية. مترجمة في حقل معقد "لست مجرد أداة" كما قالت لي مرة موظفة فظة. للتخفف من ذلك الثقل أمارس الرياضة والمشي حين يكون الطقس ملائماً، أكتب الشعر والقصة والمقالات بالعربية. أرسم، وألتقط صوراً فوتوغرافية أتقاسمها مع الأصدقاء. أحياناً أكتب ما ليس للنشر، كي أتخلص من ثقل الحكايات المرة، ثم أمزق المسودات كلها.

مقططفات من هذه الفقرة نشرت بالإنكليزية في مجلة "رايت" الصادرة عن اتحاد كتاب كندا. شتاء 2019. الاصدار 46.

- الترجمات المنشورة في الصحافة العربية

في كتاب لي بعنوان : حوارات على مرايا الهجرة، قدمت بانوراما ثقافية عن خريطة الإبداع الكندي بما فيه الإصدارات والروايات وبعض الترجمات المختارة بعناية. وكذلك تضمن الكتاب حوارات جرت بالإنكليزية وترجمتها إلى العربية. مثل الحوار مع المفكر الكندي الروائي جون رالستون سول، صاحب كتاب "انهيار العولمة" وكذلك حوار مترجم مع شاعرة ومحامية من الكنديين الأوائل(الهنود الحمر) وحوار مترجم مع كاتبة أمريكية سوداء، بالإضافة إلى المقالات التي كتبت عن كتابات مفكرين وباحثين في العلوم الاجتماعية والفلسفة والنقد والأدب.

كوني شاعرة بالدرجة الأولى، وجدتني منحازة خصوصاً لترجمة الشعر من الإنكليزية إلى العربية. نشرت نماذج كثيرة في صحفة العالم العربي، الصحفة اللبناني، الخليجية والعراقية والكندية المهجوية. خصصت الكثير من الترجمات لأدب الكنديين الأوائل وهو مشروع كتاب جاهز للنشر تقريباً. وكذلك كتاب للشعر الكندي. لكن يستحيل أن أعطيه لناشر تاجر يتعامل مع جهدي بخفة واستهلاكية.

لماذا لم تصدر الترجمات الشعرية في كتاب مستقل حتى الآن؟ سأقص عليكم بعض التجارب كما حدثت تماماً.

1- حين أنجزت القسم الأعظم من مختارات الشعر الكندي، اتصلت بإدارة اتحاد كتاب كندا كي استفسر عن حقوق الترجمة، وقابلت رئيسة الاتحاد، فأخبرت بأنه يجب أن ابحث عن كل شاعر وأطلب الإذن بالترجمة. وكان هذا محبطاً ولم أفعل. وأعرف أن هناك تشديد كبير على حقوق الترجمة، وأنا حذرة لأنني هنا.

2- ترجمت مرة نصاً من مجموعة سردية للكاتبة الكندية مارغريت أتوود. وحين التقى بها في إطار جلسة حوار معها وتقيع كتاب عام 2006، أخبرتها عن رغبتي في ترجمة كتابة قصصية قصيرة لها. فكتبت لي الإلكتروني على (لينكس-بيضاء) وقالت اكتب لي لاحقاً.

في اليوم التالي كتبت لها الإلكتروني أشرح لها رغبتي، فوصلني الرد وأحالته إلى وكيل أعمالها في إنكلترا.

حين كاتبت الوكيل، وصلني رد بعد شهر، يحيلني إلى المترجم الحصري لها في مصر. حين كتب إلى الجهة المصرية المعنية بترجمة أتود، لم يصلني رد. وأصبحت بالإحباط. عدت منذ عام لأطرق الباب نفسه، بلغني أن مارغريت أتود لديها وكيل آخر لترجمة أعمالها وهو خليجي على ما أعتقد. ويبدو لي أن شراء حقوق الترجمة يخضع لمزايدات ورهانات ليست في نطاق اهتمامي. ولأنني أعيش في كندا، وهناك قوانين صارمة فيجب أن أعمل ما يمليه قانون الملكية والحقوق، ولذلك توقفت. وأنا أفضل أنأشغل في الترجمة الفورية وأقبض ثمن أتعابي في اليوم نفسه أو خلال فترة أقصاها أسبوعين. وبذلك يمكنني أن أدفع فواتير السكن والأكل والشراب والمواصلات ومشاهدة بعض المعارض الفنية والمتحاف ودور الأوبرا والسينما.

في حوار جرى معى مؤخرًا في تورنتو، سألني مدير الجلسة: لماذا لم يصدر لك رواية مترجمة أو عمل أدبي مترجم كي يحكم القارئ على مهنيتك، فهو الخوف من النقد أم ماذ؟! بالطبع، مثل هذا السؤال الذي يحمل سلبية مبطنة بقصدية أو بجهل، لا يمكنني الرد عليه إلا بقول كل ما سبق. وبأني في النهاية لا أكتب ولا أترجم من أجل النقد أو خوفاً منهم بل هناك متعلقات كثيرة، آخرها هو الخوف من المسؤولية.

- التحديات وكيفية التغلب عليها

أثناء العمل كترجمان او ترجمانة قد يواجه المترجم إشكالات عديدة مع الأشخاص الذين يتعامل معهم في نفس المكان، او اونلاين كما يحدث مؤخرا. لقد انقلنا في كندا للترجمة (عبر زوم - او برامج تقنية أخرى) من البيت. لم نعد نذهب إلى مكاتب العمل. وهنا نتعرض لإشكالات تخص، التقنيات والتكنولوجيا ومشاكل الانترنت. والتي تحتاج إلى حد أدنى من معرفة استخدام هذه الأجهزة وفي بيوت خالية من الضوضاء والضجيج، مع ضرورة الحفاظ على سرية مجريات الجلسة وخصوصية الأفراد. وأسرد هنا مثلا آخر ما حدث معى أثناء جلسة ترجمة. كان هناك مشكلة في الصوت من قبل المكتب الذي أعمل بالتواصل معه. لم يستطع المحامي والزيتون حل القضية التقنية، فوضعوا اللوم على جهة المترجمة. وبعد محاولات عدة لتصحيح الموقف، لم اشعر بارتياح، وطلبت في النهاية عدم العمل مع ذلك المكتب لأنه لا يوفر لزبائنه الوضع الأمثل للتواصل عن بعد. مع الأخذ بعين الاعتبار أن ذاكرة الترجمانة قصيرة جدا. ما أن أنتهي من الجملة، نادراً ما أذكر حرفيًا ماذًا نطق لساني. أضف إلى ذلك، حين يكون هناك أي عامل نفسي يبعث على التوتر، فذلك سوف يؤثر على نوعية العمل. يجب أن يكون المترجم واثقاً من نفسه ويتكلم إذا شعر بأن الجو العام فيه إشكال. وأيضاً يجب أن يقف للدفاع عن نفسه إذا تجاسر أحد الأطراف على التعامل مع المترجم بفوقية أو عدم لباقته. نعم، يحدث ذلك، ويحدث من قبل الشخص الذي يتكلم العربية أحياناً، ويحدث أيضاً من قبل شخص له منصب أعلى

من سلطة الترجمانة. في حالات عديدة، وقفت شخصياً للدفاع عن نفسي، ولتنبيه الطرف الآخر الذي قد تكون نبرته أو طريقه علاجه للموقف غير لائق. الندية والاحترام المتبادل مطلوب، ولكن البعض يتجاوز أحياناً بقصد أو بدونه.

- نصائح لمترجمي المستقبل. هل لدى نصائح للترجمان أو للمترجمين الجدد؟

أعتقد هذه المسيرة التي قدمتها أعلاه تمكن كل فرد من استنباط النصيحة كما يرى بين السطور. باختصار أقول: كي تؤدي عملك كمترجم سواء شفاهياً أو تحريرياً، يجب أن تكون على استعداد لتطوير نفسك كل يوم وتكون القراءة شريك أيامك. يجب الالتزام بالأمانة وعدم تحريف النصوص لأي سبب كان.

في الترجمة الفورية، سيواجهك من يخالفك دينياً، وستواجهه من لا تتفق معه في توجهه الجنسي، أو حديثه عن طائفتك ودينك وقناعاتك بشكل سلبي. ستسمع ما لا تحب وتعرف ولكن عليك الأمانة، ثم الأمانة ثم الحياد والصدق، دون حذف، دون تشويه، دون تحسين للكلام الذي يقال، أو الذي تترجمه ورقياً. ولا تنسى أن تمزق كل المسودات التي لديك والتي تكتب عليها الملاحظات أثناء تأدية الترجمة التعاقبية. المحافظة على خصوصية الآخرين وأسرار حياتهم، أيضاً يدخل في نطاق القسم ورفع اليمين على أن تكون صادقين في تأدية المهمة.

كلما قرأتنا، كلما عرفنا، كلما استطعنا حيازة المرونة المطلوبة للانتقال من لغة إلى أخرى والتكلم بلسان الآخر بطلاقه لنقل الفكره والمعنى بوضوح إلى المستمع.

اللغات جسور وكندا بلد تجتمع فيه لغات العالم قاطبة

المهجر أو النفي واللجوء إلى الآخر للبحث عن الأمان والعيش الكريم، سيرة طويلة ومع ذلك نجد في الجانب العربي تقاعساً في دراسة هذا الحقل وأثره في رحلة الحضارة المدنية المعاصرة. في كندا وجماعتها هناك حقل لدراسات الشتات (ديسبورا). و هذه حمولة ثقافية وفكريّة سوسينولوجية وسocioloygical تضع الآداب الحديثة تحت مجهر التحليل للخلوص إلى معرفة مغايرة للساند. خلال تجربتي الميدانية تمت استضافتي في عدد من الجامعات الكندية للحوار مع الطلبة حول اللغة والمنفى، المكان الجديد ومصاعب الرحلة، الحرية والرقابة والقمع في البلاد العربية وسوريا، وذلك يقع في حقل الدراسات الإنسانية وأدابها.

وخلال التجربة لاحظت في البدايات ذلك التهيب والقلق من الحديث بلغة غير اللغة الأم فيها "الكنة" ليست انكليزية خالصة. والخوف من العثرات الذي يؤثر على الإداء بصورة أو بأخرى. أذكر أني في أيام الهجرة الأولى كنت أتردد في طرح أي سؤال حين أذهب لحضور أمسية أدبية. كنت أخاف أن

أخطئ، أخجل من لكتني السورية-الإنكليزية، أخشى أن يكون سؤالاً في غير مكانه، وإلى أن تعلمت أن
اعتقل خوفي وأحرر لساني وأطلقه في قلب العالم وهذا الشتات اللعين الثمين.
المعرفة تحررنا من الخوف الكامن في داخل رأسنا وتمكننا من الوصول إلى الآخر بلغته وتلك سلطة
اللغة الإيجابية الحضارية.

أمل أن تكون هذه الشهادة وثيقة تجذب على بعض أسئلة الجيل القادم الذي قد يستخدم الذكاء
الاصطناعي في الترجمة مستقبلا، من يدري!

المترجم ليس قاموساً والقاموس الآلي لا ينوب عن لسان وفker المترجم واجتهاده.
كتبت الشهادة بتاريخ 30 مارس 2024

شهادة للمشاركة في كتاب (نصائح إلى المתרגمس) لجامعة البصرة، بدعوة من الدكتور كاظم علي
صدر الكتاب في شهر أوغست 2024 عن دار أجد العراقية ودور أخرى مصرية وعربية. الكتاب
ضمن مشروع تشرف عليه جمعية المתרגمس العراقيين لإصدار 100 كتاب.



٢٢

نساء تابعات.. ونساء ثأرات على التابوهات

هنا ترجمة أقتبسها من مقال طويل كتبه عن سيرة الحركة النسوية الثورية في كندا. ومن سياق الكتاب الذي حمل عنوان: عشرة آلاف وردة للناشطة النسوية الكندية جودي ريبيك. يظهر فيها الجانب الآخر من معاناة المرأة مع المجتمع وتناقضات النظر إلى المرأة. وكنت قد حضرت حفل توقيع الكتاب عام 2006 وتحدثت مع محررة الكتاب الناشطة النسوية، الباحثة جودي ريبيك والتقطت صوراً ل المناسبة في مدينة تورونتو، كندا.

"لماذا نحن جزء من حركات تحرير المرأة؟"

الإجابة على هذا السؤال جاءت في الكتاب بهذه الصورة التفصيلية الفاسية التي تكاد تتطبق على نساء الشرق والغرب على حد سواء، مع اختلاف مراحل انجاز هذه الحرفيات أو الحقق، بعضها أو جزء منها: هذه ترجمتي:

"لأن عمل المرأة لا ينتهي أبداً ولأنه غير مدفوع الأجر، ولأنه ممل، ولأنه تكراري، ولأننا أول من نطرد من الأشغال حين نعمل خارجاً، ولأن ما نظهر عليه يكون أكثر أهمية مما نقدمه كعمل، ولأننا إذا تغرضنا للاغتصاب، فإن ذلك غلطنا نحن ويجب أن نضرب ونعامل بالسوء، وإذا ضربنا من المفترض أن نخفي ذلك ونتغاضى عن الفاعل أما إذا رفعنا أصواتنا بذلك لأننا "منحطات". وإذا استمعتنا بالممارسة الجنسية فأنا من صنف المرضى بعشق الجنس، أما إذا أعربنا عن عدم رغبتنا بالجنس فذلك لأننا "باردات" وإذا أحబينا امرأة فذلك لأنه لا يوجد رجال " حقيقي ". وإذا سألنا الطبيب كثيرا من الأسئلة فهذا لأننا ثرثرات، وإذا توقعتنا أن نحصل على رعاية وحضانة أطفالنا فذلك يعني أننا أنانيات، وإذا وقفنا من أجل حقوقنا فهذا يعني أننا " وقحات وتنقصنا الأنوثة "

وإذا تغاضينا عن هذا فأننا نكون نساء تقليديات وضعيفات. وإذا كنا في مرحلة الزواج، فإن خروجنا هو فقط لصيد الرجال، وإذا لم نتزوج تكون غير طبيعيات، ولأننا لم نستطع بعد أن نحصل على مانع حمل مناسب. وأما الرجال فأنهم يستطيعون الصعود إلى القمر. وإذا لم نرغب بذلك أو كانت لدينا الرغبة في الحمل فيجب أن نشعر بالذنب مخافة الإجهاض و...لكل هذا ولأسباب كثيرة أخرى نحن جزء من الحركة التحريرية النسوية"

2

حالات شرقية ومهجرية

من خلال ملاحظاتي أعتقد أن: زوجة البعض في الشرق، بعثية للضرورة. زوجة المتدينين، متدينة أكثر منه. زوجة السلفي الملتحي، سلفية وتلتحف بعبارات وأردية وأقمعة وبراقع وتشكر الله على أنه اختارها لتكون هناك.

زوجة اللامتندين، متدينة أمام الآخرين والقبيلة ولا دينية حين ترغب أو حين تذهب إلى أوروبا للتسوق والسياحة.

زوجة الشيوعي، شيوعية، وأحياناً تعود إلى ميلوها الدينية الصارمة كي تضبط إيقاع البيت على سنة جدتها وأمها وتفرض طقوسها الدينية على الزوج والأولاد.

إن ناقشته في شکواه يقول لك: ماذا أفعل...أدمير بيتي وعائلتي!
زوجة الملحد، متدينة في العلن، وفي السر لا دينية.

زوجة الإلحادي، لا أدرى - ربما تكون مثله أو صحيته الأولى!

زوجة الحرامي، الديكتاتور، سارق الشعب وسارق أملاك الشركة ، تراها متدينة أمام الآخرين ولكنها تغضض عينيها عن سرقاته إذا كانت تجلب المال والرفاه بغض النظر عن قذارة المصدر ، وتدعي أنها لا تسمع ولا ترى. وتلك تحديداً حين تهاجر، تبدأ بالبذخ وإعداد الولائم لدعوة الأصحاب كي يتفرجوا على مقتنيات بيتها وطريقة تلوين أظافرها، وماركة الأحذية والثياب الفارهة لديها. بذخ مسروق منهوب من هناك.

زوجة السيد سين، تقول أنها من أنصار زوجها بغض النظر بما في رأسه من أفكار ونساء يساريات ويمينات وأملاك. على المرأة الطاعة والاستمتاع بذلك. بالنتيجة وللأسف لن يتحرر المجتمع الشرقي لقرون قادمة إن لم تكف النساء عن التبعية العميماء المنظومة البطريركية ولمخلفات النظرية الذكورية.

متحررات ونسويات ورجال من أنصار الحرية للجميع بغض النظر عن الجنس

أما النساء المتحررات من التبعية الواضحة يحدث أن ينتظرن رجالاً يناصرهن كي يصل الصوت إلى المنبر المناسب ويترك الأثر . وهناك زوجات لا يشبهن الأزواج في شيء ، يقفن على مسافة واضحة من ايديولوجيا الرجل الذي يمثل الوصاية كالأب أو الأخ أو رجال العشيرة، ومن ثم الزوج . يعيشن حياة خائفة مزدوجة، غريبات حتى عن أنفسهن وسعيدات باداء الدور التقليدي . البعض منها، يستيقظ

ويحدث انقلاباً إيجابياً ثوريأً في الأسرة. والبعض ينام على جرحه مؤقتاً أو حتى الأبد.

وهناك أزواج يريدون للمرأة أن تحقق في حياتها النجاح والتقدم الذي يليق بها وبمعزل عن رقابة وقناة وإيمان الرجل وتلك قلة تستحق ألف وردة.

اعتقد إن الجيل الجديد من نساء ورجال سيقلب المعادلات كلها باتجاه التسطيح الاستهلاكي أو باتجاه الخلق الابداعي المدنى القائم على احترام الذات الفردية وطريقة اختيارها ما يغذى قلبها وعقلها وقناعاتها الشخصية.

الهجمة الحالية على كل مقومات الفكر الإنساني، شاهد عيان لا يخفى على أحد.

ومن احتمالات أفعال الجيل الجديد أنه سيعيش بطريقته إلى حد بعيد وسيعجز الآباء عن فرض إرادتهم على البنّت والولّد، وتلك قد تكون سلبية إذا كانت نشأة الأولاد ركيكة وقد تكون إيجابية، إذا كان الأولاد في حضن أسرى متنور ومتفهم للاختلاف وقابل للجديد.

هل صادفت في طريقك شخصية أو أكثر ينطبق عليها الوصف؟

شخصياً، صادفت الكثير من هذه الوجوه والأقئعة في أسفاري وجلسات العمل وفي الإطار الاجتماعي.



| | |
|-----|--|
| 7 | إهداء |
| 9 | مقدمة |
| 15 | هذا الكتاب |
| 19 | الفصل الأول: مارجريت أتوود كما عرفتها |
| 20 | 1 - تخريب أسطورة ديونسيس وبنلوبى على يد مارغريت أتوود |
| 24 | 2 - مارغريت أتوود تسرد قصص الإعتلال الأخلاقي |
| 28 | 3 - مارغريت أتوود وعقبات وأدبيات استدامة المال وعدم الإيفاء به تاريخياً |
| 32 | 4 - مارغريت في مواجهة مع جورج أورويل والفيلسوفة هيبياتيا |
| 36 | 5 - كيف تم تكريم الأيقونة مارغريت أتوود في كندا |
| 40 | 6 - بانوراما مارغريت أتوود في الشعر والسرد والحوار والنقد والبيئة |
| 45 | الفصل الثاني: أفكار ملونة |
| 46 | 1 - ديكاتورية المثقف وهزيمة المفكر في الحوار المعاصر |
| 50 | 2 - الحرية في الشرق رومانسية وطوباوية |
| 56 | 3 - حول الشعر ما بعد إنخيدوانا |
| 60 | 4 - الكتابة ك فعل تنوير واختراق للظلم |
| 64 | 5 - هرمية الثقافة والمهويات البطرييركية |
| 68 | 6 - حين تصبح المرأة لساناً للسلطة، بثنية شعبان نموذجاً |
| 72 | 7 - الاستعمار الناعم والخبث |
| 77 | الفصل الثالث: أصوات على الكتابة |
| 78 | 1 - شذرات وأفكار على مائدة الأدياء والبرايرية |
| 82 | 2 - كتاب ممنوع في كندا عن أطفال فلسطين وإسرائيل |
| 86 | 3 - أغنية ليليث ، الذكرة والأنوثة في الكائن الواحد، سرقات أم تناص |
| 94 | 4 - تجربة نشر الكتاب الأول في المهجر |
| 98 | 5 - سجينه طهران، مارينا نعمة والزواج من السجان في الدولة الإيرانية الإسلامية |
| 104 | 6 - كتاب تحت الحصار، وحق اللجوء |
| 110 | 7 - المهاجر العربية والاقتلاع في الرواية المهجوية الكندية |

| | |
|-----|---|
| 114 | 8 - الهوية والانتماء الجديد بأصوات مهاجرات من العالم |
| 190 | 9 - خطاب نقي للكومة من قبل رئيسة اتحاد كتاب كندا |
| 194 | 10 - الطلق وحضانة الأطفال في المحاكم العائلية الكندية |
| 198 | 11 - التباس الهوية الجنسية ورواية حازت على جوائز كندية مهمة |
| 132 | 12 - ماذا تحكي لوحات الفنان التشكيلي العراقي هاشم حنون على جدران المعرض في تورنتو |
| 138 | 13 - يان مارتل روائي كندي يقوم بحملة تثقيف رئيس الوزراء الكندي |
| 140 | 14 - سيرة الحركة النسوية الكندية، أين بدأت وإلى أين، تسردها جودي ريببيك |
| 146 | 15 - رواية النساء المضطهدات والمانفيستو، الحكاية والفيلم |
| 150 | 16 - الذكاء الاصطناعي والمعلم الإنساني وصولاً إلى نوبيل |
| 154 | 17 - أفكار على سياج الرأسمالية العالمية |
| 158 | 18 - هل يحدث في الشرق الانتقال السلمي للسلطات |
| 162 | 19 - لماذا خانت أليس مونرو ميثاق الأمومة وابنتها القاصر...فضيحة ما بعد وفاة الأم |
| 167 | الفصل الرابع : أيقونات الفكر والأدب العالمي |
| 168 | 1 - المفكر الأيطالي الروائي أمبرتو إيكو في تورنتو |
| 172 | 2 - لويس بورخيس ناقداً وباحثاً في ذور القصة الإنكليزية |
| 176 | 3 - وول سوينكا في كندا يتحدث عن الرقابة والإبداع مع آزار نفسي وأخرين |
| 180 | 4 - رواية يتيمة تفوز بجائزة مرموقة في أمريكا... نلي هاربر لي |
| 186 | 5 - سيرة كاتب نسي كيف يقرأ ويكتب بعد تأليف عدد من الروايات |
| 190 | 6 - روحانيات وصوفيات فضل الشتاء في الشمال الأمريكي |
| 196 | 7 - توني موريسون في الرواية والنقد الإنكليزي |
| 202 | 8 - الحجاب والبرقع والاندماج مع الثقافات الأخرى، أراء نسوية من العالم |
| 208 | 9 - الحياة السرية للملابس الداخلية السورية وتصميمات الإثارة، ما بعد سميرا أميس |
| 214 | 10 - المحاضرة الأخيرة في حياة عالم ينهشه السرطان |
| 218 | 11 - الصراع من أجل الحب في عصر الانقراض وتلوث البيئة |
| 222 | 12 - الهوية والهجرة في عيون كاتبة هندية إنكليزية.. جومبا لاھيري |
| 228 | 13 - ما تحتوي كتاب السر الذي بيع منه ملايين النسخ حول العالم |
| 232 | 14 - كيف تربح جائزة نobel وتصبح مليونيرا |

| | |
|-----|--|
| 236 | 15 - لماذا نقرأ الأدب...جولة مع الناقدة ويندي ليسر |
| 240 | 16 - الأثر السيكولوجي للقراءة والكتابة كما يراها علم النفس |
| 244 | 17 - ما الذي شدني في كتاب بعنوان: مت فارغاً! |
| 248 | 18 - أفكار ملونة عن الجنة والجحيم عند جون ملتون |
| 252 | 19 - مع الكاتب البرتغالي الكندي البرتو مانغويل وجهاً لوجه في تورنتو |
| 258 | 20 - سيمون دو بوفوار في رواية عن المراهقة ...هل عشقت قبل جون بول سارتر |
| 262 | 21 - عوالم وقصائد الشاعرة غابرييلا ميستراي وجانزة نوبيل |
| 269 | الفصل الخامس : أسرار المحبرة |
| 270 | 1 - جويس منصور وجائزة غريفن الشعرية العالمية |
| 274 | 2 - حكم أيها الرجال ولكن... |
| 278 | 3 - المقابر والمجازر في جداريات من الإرجنتين إلى فلسطين |
| 282 | 4 - لماذا ينتحر الأصدقاء بعد العودة إلى الوطن...وداعاً كريم |
| 288 | 5 - اجلس هنا واقرأ معي ... |
| 294 | 6 - غرفة الكتابة وبيتي الصغير في كندا |
| 300 | 7 - السينما والفيلم الفلسطيني في كندا |
| 306 | 8 - من سرق تمثال الشاعر تاراس تشيشنكو |
| 310 | 9 - أنا وحبات الرز في معرض المدينة |
| 314 | 10 - الاشتباك والتقطاع بين المثقف والسلطة |
| 318 | 11 - ليالي المرقص الكندي في الخارج |
| 322 | 12 - الكتابة من حضن الأمومة شعراً وسرديات |
| 326 | 13 - تأملات في مترو تورنتو...الكلاب وأنا |
| 334 | 14 - مشروع دراسة دماغ الإنسان وأمراض الزهايمر والخرف |
| 338 | 15 - استضافتي للحديث عن الكتابة والترجمة من قبل جامعة البصرة العراقية |
| 346 | 16 - حين أصبحت جدة في زمن الكورونا. معابر الكتابة والعمل |
| 350 | 17 - حكايات وشعب وبعض أسرار المحبرة |
| 354 | 18 - منعطفات بين المقبرة والمطارات والى مدرسة الكتابة الإبداعية |
| 359 | 19 - هل قتل تولستوي آنا كارنينا...ومن قتل أمي |
| 368 | 20 - كتابة الخوف والرغبة |

21 - أسفار الترجمانة

372

380

22 - نساء تابعات .. ونساء ثائرات على التابوهات

رقم الإِبْدَاع الدُّولِي - ISBN

978-1-326-16861-2

